كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد التاسع

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد التاسع

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٧٢- باب تحريم الكبر والإعجاب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[لقمان: ١٨].

ومعنى (تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ): أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ. وَ(المَرَحُ): التَّبَخْتُرُ. وقال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾[القصص: ٧٦]، إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآيات.

الحديث رقم (٦١٢)

٦١٢- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)) فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: ((**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

مثقال ذرة: مقدار ذرة، والذرة: ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة[(٢)]، والمراد: أقلّ الكبر. ويضرب بها المثل في أصغر الأوزان.

---

(١) برقم ٩١/١٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٩٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ ر ر).

بَطَرُ الحق: دفعُهُ وردُّهُ على قائِلِهِ[١].

غمط الناس: احتقارهم[٢].

الشرح الأدبي

وقد استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية منها: بداية الحديث بأسلوب النفي في قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) حيث قدم المسند المنفي الذي يشكل الحكم على المسند إليه هنا، وكون هذا المسند فعلاً مضارعاً له أثره في تمكين الحكم، والتأثير به تأثيراً قوياً يلفت الذهن إلى خطورته، ولعل ذلك ما دعا إلى الاستفسار عنه، ثم دفع إيهام ما قد يتصور من وجوه غير داخلة في معناه، ثم البلوغ في نهاية الأمر إلى وضع دلالة لغوية موضحة لدقائق هذا المعنى في أسلوب محدد، ثم جاءت أساليب التوكيد لتمهد النفس وتلفت الانتباه وتثير الاهتمام لتصحيح خطأ التصور وتحديد المفاهيم، وتعريفها كما جاء في الرد على السائل بقول الرسول ﷺ (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس)، فقد أكدَّ الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة لدفع شك السامع، وتردده في فهم المعنى، وإجابته بأسلوب يتساوق مع أسلوبه حيث قال: (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً) فرد عليه ﷺ بنفس درجة التأكيد (إن الله جميل) تصحيحاً لتصوره الخاطئ بأن محبة الثوب الحسن والنعل الحسن من الكبر وبيَّن له أن الكبر ليس بالتجمل واتخاذ الزينة من الثياب، بل هو أمر نفسي يرجع إلى أحوال النفوس وصفات القلوب، فهو التكبر على الحق، فيزهو بأصله، أو بجنسه، أو يتيه بمنصبه، وجاهه، أو يصعِّر خده للناس بقوته وماله، أو يحتقر من سواه من خلق الله ممن لا يساوونه، أو غير ذلك من مظاهر الكبر[٣]، وهذا ما بيَّنه بقوله: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس) موضحاً ومحدداً لمفهوم الكبر، وقد فصّل هذه الجملة عن سابقتها وهي جملة: (إن الله جميل يحب

---

(١) رياض الصالحين ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ٢٧٥.

(٣) أحاديث نبوية شريفة، د. محمود فرج العقدة صـ٨٥.

الجمال)، لأن الثانية وقعت إجابة لسؤال مقدر نتج عن الأولى، فكأنه لما سمع قول الرسول ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال) سأل: فما الكبر إذن؟ فجاء قوله ﷺ (الكبر بطر الحق وغمط الناس)، وهو ما يسمى بشبه كمال الاتصال، وهذا النوع من الفصل يعطي النص حيوية، ويوثق الصلة بين المتكلم والمخاطب، ويشعر بالتواصل بينهما، والحديث في مجمله تحديد بليغ ودقيق لمفهوم الكبر، وبيان لشدة عقابه، وأنه يحرم صاحبه من كل خير بحرمانه من الجنة، وفيه عقاب لما يؤدي إليه الكبر من بطر الحق وغمط الناس مما يستجلب كراهية الناس لهذا المتكبر، الأمر الذي يحدث التصدع في وحدة المجتمع المسلم[1].

فقه الحديث

تحريم الكبر:

اتفق العلماء على أن الكبر من الكبائر، ذكر ذلك الذهبي[2] وقال ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[3] قال: (من ضرب بنعله إن فعل ذلك عجبًا[4] حرم، فإن العجب كبيرة)[5] وذلك لقوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) وقوله ﷺ: "مثقال ذرة" يشمل القليل والكثير منه، فلا يرخص بالكبر مهما كان قليلاً. قال الشوكاني: (والحديث يدل على أن الكبر مانع من دخول الجنة وإن بلغ في القلة إلى الغاية، ولهذا ورد التحديد بمثقال ذرة)[6].

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري، ١٥٧.

(٢) الكبائر، الذهبي ٧٦.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) وفي تفسير القرطبي: تعجبًا. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢٧/١٥.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي ١٣٧٦/٣.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٢.

وإذا كان الكبر هو الصفة النفسية، وهي قصد الاستعلاء على الغير في مكرمة من المكارم، فإن هذا الكبر - أي التكبر- إما أن يحتاج إليه أو لا يحتاج إليه.

فإن احتيج إليه كان محمودًا كالتكبر على الظَّلَمة وعلى أعداء الله من الكفار المحاربين ونحوهم، ولذلك جاز الاختيال في الحرب إرهابًا للعدو[١].

وإن لم يكن من شعار المتكبرين كالأكل متكئًا وتشمير الأكمام، ونحو ذلك لم يكن به بأس، قال في الفتاوى الهندية: (والحاصل أن كل ما كان على وجه التكبر يكره، وإن فعل لحاجة أو ضرورة لا -أي لا يكره-)[٢]. وعلى هذا فإن من لبس الثياب الجميلة الرفيعة من غير نية التكبر فلا إثم عليه، قال الشوكاني: (وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم)[٣] بل إن لبس رفيع الثياب من غير نية التكبر، بل بنية أن يكون له وقع في قلوب سامعيه وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كان مثابًا، قال الشوكاني: (إن الأعمال بالنيات، فلبس المنخفض من الثياب تواضعًا وكسرًا لسورة النفس التي لا يؤمن عليها من التكبر إن لبست غالي الثياب، من المقاصد الصالحة الموجبة للمثوبة من الله ولبس الغالي من الثياب عند الأمن على النفس من التسامي المشوب بنوعٍ من التكبر، لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية من أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر عند من لا يلتفت إلا إلى ذوي الهيئات، ومن الجدير بالذكر أن النووي بوَّب على هذا الحديث وغيره في الأذكار باب تحريم احتقار المسلمين والسخرية منهم. وقال: وإجماع الأمة منعقد على تحريم ذلك)[٤]. لا شك أنه من الموجبات للأجر، لكنه لا بدّ من تقييد ذلك بما يحل لبسه شرعًا)[٥].

---

(١) الروض المربع بحاشية ابن قاسم العاصمي النجدي ٥١٥/١

(٢) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٥٩/٥.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٢ ط/ بيت الأفكار.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٩٠.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٣ ط/ بيت الأفكار، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٦/٣٤-١٦٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شناعة الكبر وخطره.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما يجهله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل النظافة والتجمل.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، ولا شك أن أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الذي يعرف المدعوون من خلاله مآل حال المؤمنين ومآل العاصين والمتكبرين، وتتميز أخبار الدعوة الإسلامية بالصدق، ذلك لأنها مستقاة من معين القرآن الكريم والسنة النبوية، وبالإخبار تقوم الحجة على الناس في البلاغ، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: شناعة الكبر وخطره:

إن الإسلام يحث أتباعه على التواضع وخفض الجناح، ولذا شدد النكير على المتكبرين، وبين شناعة ما هم عليه ويتضح هذا مما جاء في الحديث في قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".

قال النووي: (والمراد بالكبر غمط الناس، أي: احتقارهم، وبطر الحق دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: "إنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه وهذا جزاؤه أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه الله تعالى بكبره، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولاً وإما ثانيًا بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة)[2].

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١ - ١٥٢، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض ٣٥٩/١ - ٣٦٠.

قال القرطبي: (الكبر والكبرياء في اللغة: هو العظمة. يقال فيه: كبر الشيء، بضم الباء، أي: عظم، فهو كبير وكبار، فإذا أفرط قيل: كبّار بالتشديد، وعلى هذا فيكون الكبر والعظمة اسمين لمسمى واحد، وقد جاء في الحديث ما يُشعر بالفرق بينهما، وذلك أن الله تعالى قال: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قصمته"[١]، فقد فرق بينهما بأن عبر عن أحدهما بالإزار وعن الآخر بالرداء وهما مختلفان، ويدل أيضًا على ذلك قوله: "فمن نازعني واحدًا منهما" إذ لو كانا واحدًا لقال: فمن نازعنيه فالصحيح إذن الفرق، ووجهه: أن جهة الكبرياء يستدعي مُتكبرًا عليه؛ ولذلك لما فسر الكبر قال: "الكبر: بطر الحق وغمط الناس" وهو احتقارهم، فذكر المتكبر عليه وهو الحق أو الخلق، والعظمة لا تقتضي ذلك، فالمتكبر يلاحظ ترفع نفسه على غيره بسبب مزية كمالها، فيما يراه، والمعظم يلاحظ كمال نفسه من غير ترفع لها على غيره، وهذا التعظيم هو المعبر عنه بالعجب في حقنا إذا انضاف إليه نسيان منة الله تعالى علينا فيما خصنا به من ذلك الكمال، وإذا تقرر هذا فالكبرياء والعظمة من أوصاف كمال الله تعالى، واجبان له، إذ ليست أوصاف كمال الله وجلاله مستفادة من غيره، بل هي واجبة الوجود لذواتها، بحيث لا يجوز عليه العدم ولا النقص، ولا يجوز عليه تعالى نقيض شيء من ذلك فكماله وجلاله حقيقة له، بخلاف كمالنا، فإنه مستفاد من الله تعالى ويجوز عليه العدم وطروء النقيض والنقص، وإذا كان هذا فالتكبر والتعاظم خرق منا ومستحيل في حقنا، ولذلك حرمهما الشرع، وجعلهما من الكبائر؛ لأن من لاحظ كمال نفسه ناسيًا منة الله تعالى فيما خصّه به، كان جاهلاً بنفسه وبربه، مغترًا بما لا أصل له، وهي صفة إبليس الحاملة له على قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ﴾[٢]، وصفة فرعون الحاملة له على قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[٣]، ولا أقبح مما صارا إليه، فلا جرم كان فرعون وإبليس أشد أهل النار عذابًا، نعوذ بالله من الكبر والكفر.

(١) أخرجه مسلم ٢٦٢٠، وأبو داود ٤٠٩٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٢.

(٣) سورة النازعات، آية: ٢٤.

وأما من لاحظ من نفسه كمالاً، وكان ذاكرًا فيه منة الله تعالى عليه به؛ وأن ذلك من تفضله تعالى ولطفه، فليس من الكبر المذموم في شيء، ولا من التعاظم المذموم، بل هو اعتراف بالنعمة وشكر على المنة، والتحقيق في هذا: أن الخلق كلهم قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة، فمن خصه الله تعالى بكمال، فذلك الكمال يرجع للمكمل الجاعل لا القالب القابل، مع ذلك فقد كمل الله الكمال بالجزاء والثناء عليه، كما قد نقص النقص بالذم والعقوبة عليه، فهو المعطي، والمثني والمبلي، والمعافي.

ولما تقرر أن الكبر يستدعي متكبرًا عليه، فالمتكبر عليه إن كان هو الله تعالى، أو رسوله، أو الحق الذي جاءت به رسله، فذلك الكبر كفر، وإن كان غير ذلك فذلك الكبر معصية وكبيرة، يخاف على المتلبس بها، المصر عليها أن تفضي به إلى الكفر، فلا يدخل الجنة أبدًا، فإن سلم من ذلك، نفذ عليه الوعيد، وعوقب بالإذلال والصغار، أو بما شاء الله من عذاب النار، حتى لا يبقى في قلبه من ذلك الكبر مثقال ذرة، وخلص من خُبث كبره حتى يصير كالذرة، فحينئذ يتداركه الله برحمته، ويخلصه بإيمانه وبركته، وقد نص على هذا المعنى النبي ﷺ في المحبوسين على الصراط لما قال: "حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة"[١]، والله تعالى أعلم)[٢].

وقال الطيبي: (وقوله: "مثقال" مأخوذ من الثقل والمراد وزن حبة وهذا تمثيل للقلة والكبر من صفات الكافرين المتمردين فيجب أن يجتنب عنه، وبالكبر لمح إلى أن التواضع من سمات المؤمنين المحسنين فينبغي أن يرغب فيه"[٣]، وقال الكفوي: "التكبر هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك التشبع وهو التزين بأكثر مما عنده)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/٢٨٦ - ٢٨٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢٥٠.

(٤) الكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٢٨.

وقال الغزالي: (مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الكبر والغفلة فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق، ومن عظم آفته أنه صار حجابًا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وفيه شيء من الكبر فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه، والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له)[١].

وقد دلت النصوص الشرعية على شناعة الكبر وخطره فالكبر من صفات الكافرين، قال تعالى عن فرعون وجنوده: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[٢]، والمتكبرون مأواهم النار، قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٣].

وبشر رسول الله ﷺ من يتبرأ من الكبر بدخول الجنة فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاثٍ: الكبر وَالغُلُولِ والدَّيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ))[٤]، والمتكبر لا ينال رضا الله ولا يكلمه الله يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ. وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ))[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣٤٥/٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٣٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٢٩.

(٤) اخرجه أحمد في مسنده ٢٧٦/٥، رقم ٢٢٣٦٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٥٣/٣٧.

(٥) اخرجه مسلم ١٠٧.

ثالثًا- من آداب المدعو: الاستفسار عما يجهله:

إن الإسلام يحث المسلم على السؤال والتطلع للمعرفة حتى يعبد الله عن علم، لا عن جهل ولذا كان من أهم آداب المدعو: أن يستفسر عما يجهل ويسأل عما لا يعلم ويتضح هذا من الحديث: "فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة"، وقد أمر الله الجماعة المؤمنة بالسؤال عند عدم العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وأنكر الرسول ﷺ على من لم يسأل عند جهله وعدم علمه فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[2].

ومن هذا يظهر حاجة المدعو إلى العلم والاستفسار دائمًا، قال ابن القيم: (إن حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء، لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحبًا لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو الحكمة في نفس من أنفاسه فقد عطب، وقرب هلاكه، وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم فالحاجة إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب. وفضيلة الشيء وشرفه يظهر من عموم منفعته، وشدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وظهور النقص والشر بفقده، وحصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده وهذه الوجوه بأسرها حاصلة للعلم)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل النظافة والتجمل:

إن من المعاني السامية، والآداب العالية التي يغرسها الإسلام في نفس المسلم الحرص على الطهارة والنظافة والتجمل، ذلك لأن المسلم ينبغي أن يكون شامة في الناس، وقد جاء في الحديث ما يشير إلى حب الإسلام للنظافة والتجمل حيث قال رجل لرسول الله ﷺ: "إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) فضل العلم والعلماء ٣٦ - ٣٧.

جميل يحب الجمال"، ومما هو معلوم أن النظافة من الإيمان.

قال المباركفوري: (أي: إن الله حسن الأفعال كامل الأوصاف، وقيل: مالك النور والبهجة، وقال المناوي: أي: إن الله له الجمال المطلق، جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة أو في قلة إظهار الحاجة لغيره والعفاف عن سواه)[1]، ولقد كان من توجيهات النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم دائمًا مراعاة النظافة والتجمل، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فرآني رثّ الثياب فقال: ((أَلَكَ مَالٌ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَالَ: ((إِذَا آتَاكَ الله مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ))[2].

قال ابن القيم: (إن الله سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نِعَمه، وهو جمال باطن، فيجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تُجمِّل ظواهرهم، وتقوى تُجمِّل بواطنهم فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[3]، وقال سبحانه في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[4]، فجمّل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير. وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله)[5].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٦٠.

(٢) أخرجه النسائي ٥٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٨٨٨).

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٤) سورة الإنسان، الآيتان: ١١ - ١٢.

(٥) الفوائد ٢٦٢ - ٢٦٣.

قال ابن كثير: (لقد قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[١]، قالوا: وفَّى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه، وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل، ولا ينسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار فكان لا يشغله الإخلاص بالله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه، وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الإصلاح والتحسين، وإزالة ما يشين من زيادة شعر أو ظُفر، أو وجود قلح أو وسخ فهذا من جملة المدح العظيم في حقه)[٢].

(ومما هو معلوم أن الأنبياء عليهم السلام كمّل الله بواطنهم وظاهرهم فإن الهيئة الحسنة تدعو إلى القرب منها والاستماع إليها، وقد ينفر المدعو ممن يدعوه بسبب هيئته، وكان النبي ﷺ يدعو أصحابه رضي الله عنهم إلى الاهتمام بمظهرهم وهيئتهم، وكان إذا أرسل رسولاً جعله حسن الهيئة والصورة، وكان يدعو أصحابه رضي الله عنهم إلى نظافة الشعر والثياب وعدم إهمال الهيئة الظاهرة)[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أهمية وفضل النظافة والتجمل، وأن ذلك من خلال المسلم التي ينبغي ألا ينفك عنها، لأن الإسلام دين النظافة والهيئة الحسنة، والمسلم عنوان الإسلام ولذا فيجب عليه أن يتعاهد بدنه وملبسه وحاله بالنظافة والتجمل، (إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجّه الإسلام إليها عناية فائقة واعتبرها من صميم رسالته ولن يكون الشخص راجحًا في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدًا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة، وليست صحة الجسد وطهارته صلاحًا ماديًا فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان من النهوض لأعباء الحياة)[٤].

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١/٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣) هيئة الداعية، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٣٢، شوال ١٤٢١هـ ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٤) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٤٨.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله جميل يحب الجمال" وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة الناجعة في تحبيب الناس في فعل الطاعات، وترغيبها في الصالحات، (ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه من خلال ترغيبه في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)(١).

وفي الحديث الشريف رغّب النبي ﷺ في الجمال والتجمل بأن أخبر بأن الله جميل، وأنه يحب الجمال مما يعطي دافعًا للمسلم لأن يحرص على جمال الظاهر والباطن، ومراعاة حسن النظافة والهيئة حتى يكون ممن يحبهم الله.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٦١٣)

٦١٣- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : أنَّ رَجُلاً[١] أكَلَ عِنْدَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ بيَمِينِكَ)) قَالَ: لاَ أسْتَطيعُ! قَالَ: ((لا اسْتَطَعْتَ)) مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ. قَالَ: فما رفَعها إلَى فِيهِ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه بيان لأهمية اتباع السنة، وخطر مخالفتها، بدأه الراوي بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة لغرابة القصة التي يتضمنها وقوله (أن رجلا أكل) بيان للحدث الذي تدور حوله القصة، و الظرف (عند رسول ﷺ) فيه إشارة إلى شرف الموضع الذي يلزم منه توقيره، وطاعته، وقوله (بشماله) فيه بيان لموضع الخطأ، والباء فيه للاستعانة، وقول الرسول ﷺ (كل بيمينك) أمر توجيه وإرشاد وفيه تصويب للخطأ وقول الرجل: (لا أستطيع) فيه تكبر وتعالٍ ورفض لأمر رسول الله ﷺ وقول الراوي (مامنعه إلا الكبر) احتراس بليغ ينص على هذا المعنى وقد جاء في ثوب القصر حيث يقصر سبب رفضه لأمر رسول الله ﷺ على الكبر، وينفيه عن غيره من الأسباب كالعجز، والمرض، ونحوه، وقول الرسول ﷺ (لا استطعت) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى؛ لأنها دعائية، وقول الراوي (فما رفعها إلى فيه) إشارة إلى استجابة دعوة النبي ﷺ ودليل على أن الرجل كان كاذباً متكبراً وفيه تهديد لكل من يخالف سنن رسول ﷺ كبراً وبطراً في كل زمان ومكان فقد قال ﷺ (... فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) هو: بسر بن راعي العير، كذا في آداب العباد لابن المنذر، وفي أمالي السلفي، قاله ابن بشكوال، وقال ابن طاهر: إنه من أشجع، وأنه قيل فيه: بشر بالمعجمة. تنبيه المعلم ٨٣٩.

(٢) برقم ٢٠٢١/١٠٧، تقدم برقم ١٥٩، وسيكرره المؤلف برقم ٧٤١.

(٣) صحيح البخاري حديث (٤٦٧٥).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩).

الحديث رقم (٦١٤)

٦١٤- وعن حارثة بن وهبٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((ألا أُخْبِرُكُمْ بأهْلِ النَّار: كلُّ عُتُلٍ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وتقدم شرحه في باب ضعفةِ المسلمين.

ترجمة الراوي:

حارثة بن وهب الخزاعي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥٢).

غريب الألفاظ:

عُتُلّ: الغليظُ الجافي من الرجال[٢].

جَوّاظ: الكثير اللحم المختال في مشيته[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل لافتة قصيرة يتصدرها أداة العرض (ألا) (ألا أخبركم بأهل النار) وهو استفهام عرض، وتشويق يحقق اليقظة، والترقب، وذكر الأهل، وإضافتها للنار يملأ القلوب رهبة تزيده تشويقا، واستشرافا لمعرف صاحبها وهو (كل عتل جواظ مستكبر) والعتل هو الغليظ الجافي، والجواظ هو الجموع المنوع المتكبر، ، ويبدو من معنى الكلمتين سبب الكره، وانظر إلى معنى لفظ (العتل - الجواظ) - وتأمل معناهما - إذ تحكى كلمة (الجواظ) ثقلاً غير متناهي يحكى جسامة الموصوف؛ والثقل والطول في اللفظ يصور الثقل، وامتداده في الموصوف، وجاءت كلمة الجواظ على صيغة المبالغة مضعف العين ممتد المطي مختوما بالظاء التي ينتهي لديها إفراط الغلظ فحكت اللفظة معنى الذات، وصورتها.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩١٨، ومسلم ٢٨٥٣/٤٦ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ٢٥٢.

(٢) الصحاح في (ع ت ل).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج و ظ).

(٤) تقدم ذكرها في شرح شطر الحديث رقم (٢٥٢).

الحديث رقم (٦١٥)

٦١٥- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فيَّ الْجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ. وقالتِ الجَنَّةُ: فيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينهُما: إنكِ الجنّةُ رَحْمَتِي ارْحَمُ بِكِ مَنْ اشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ اشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث يبين صفات أهل الجنة، ، ويبين صفات أهل النار من خلال الحوار الطريف بين الجنة، والنار، وفي نسبة المحاجة للجنة، والنار تشويق للخبر يجذب المخاطب ليعرف ما تسفر عنه هذه المحاجة، والقول المحكي على لسان النار (فيَّ الجبارون) قد يكون على الحقيقة، بكيفية خلقها الله فيها فتكلمت، وقد يكون كناية عن اختصاصها بهم، وتقديم الجار، والمجرور (فيَّ) للاختصاص أي في الْجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وليسوا في الجنة، وكذلك في قول الجنة: أي في ضُعفاءُ الناس، ومساكينُهُم، وليسوا في النار، وقوله (فقضى اللهُ بَينهُما) كناية عن الفصل بينهما في الحجاج، والجناس بين (رحمتي أرحم) يقرر ما اختصها الله به وخلقها من أجله وتعلق الجار والمجرور (مَنْ أشَاءُ) بالفعل أرحم يشير إلى طلاقة القدرة في فعل الرحمة، وقوله (عَذَابِي أُعَذِّبُ) جناس يقرر

---

(١) برقم ٢٨٤٧ ولم يسق منه إلا قوله: (احتجت الجنة والنار) ثمَّ قال: فذكر نحو حديث أبي هريرة، إلى قوله: (ولكليكما عليَّ ملؤها) ولم يذكر ما بعده من الزيادة. والسياق للحميدي في جمعه ٤٦٤/٢، رقم ١٨٠٢ حيث أورده بتمامه، ثمَّ قال: أدرجه أيضًا مسلمٌ على حديث قبله لأبي هريرة في نحو معناه، ولم يذكر من أوله إلا قوله: (احتجت الجنّة والنار) فقط ٢٨٤٧، وهذا الذي أوردنا هو لفظ حديث أبي سعيد على ما بيّنه أبو بكر البرقانيّ، وأبو مسعود الدمشقيّ. وتبعه عليه المؤلفُ والمنذريُّ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٨٥.

وظيفة النار، وما اختصها الله به، وتعلق الجار والمجرور (مَنْ أشَاءُ) بالفعل أعذب يشير إلى طلاقة القدرة في فعل التعذيب، وتقديم الخبر على المبتدأ في جملة الختام يفيد اختصاص كل واحدة بملئها، لا تنقص، والحديث يحمل تهديدا، ووعيدا لكل متكبر بنار تشتعل غيظا على من فيها، وبشرى للضعفاء، والمساكين بجنة اختصت بهم لها منهم ملؤها.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥٤).

الحديث رقم (٦١٦)

٦١٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إزَارَهُ بَطَرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها ويسمى كذلك المئزر[٢].

البَطَر: أي جرّه تكبرًا وطغيانًا. وأصل البطر: الطغيان عند النعمةِ وطولِ الغنى[٣]. وفي حديث ابن عمر مرفوعًا: "لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء"[٤]. قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى خطأ يقع فيه كثير من الناس ،وهو التكبر بأي شكل من الأشكال أو في أي صورة من الصور، والحديث يعرض لإحدى تلك الصور كنموذج يقيس عليه المؤمن الحريص أفعاله حتى لا يقع في مثلها ، وقوله (لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) أسلوب نفي لحرمان من كان على هذه الصفة من نظر الله يبين خطر هذا الفعل الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٨٨ واللفظ له، ومسلم ٢٠٨٧/٤٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٤. وسيكرره المؤلف برقم ٧٩٢.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٠، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٨٣، ومسلم ٢٠٨٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٠.

قد يظنه الإنسان بسيطاً لكن ارتباطه بحركة القلب فجعله بهذه المثابة لأنه عكس كبرا رمز إليه بهذا الفعل ،وارتباط الحرمان بيوم القيامة يشير إلى شدة خطر هذا الذنب الذي يوجب الحرمان من رحمة الله في يوم لا قوة فيه لغيره ، والتعبير بالجر يشير إلى الإسبال ،ولفظ بطر يوحي بالظلم ،والتجاوز والغرور ،المفضي للعجب بارتباطه بالجر.

فقه الحديث

قال النووي: (قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنًى واحد، وهو حرام ... وقد ورد الحديث الصحيح أن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلاً لَمْ يَنْظُرِ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[١]. وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء، فإن كان لغيرها فهو مكروه، وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء، تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء، وهكذا نصّ الشافعي على الفرق، وأجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء، وقد صحّ عن النبي ﷺ الإذن لهن في إرخاء ذيولهن ذراعًا[٢]. والله أعلم، وأما القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر[٣] وفي حديث أبي سعيد [الخدري] رضي الله عنه ((إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ. لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، وابن ماجه ٣٥٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٠).

(٢) أخرج الترمذي ١٧٣١، والنسائي ٥٣٣٨، وابن ماجه ٣٥٨٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخين شبرًا، فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن. قال: فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه). وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٤١٥).

(٣) أخرج مسلم ٢٠٨٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء، فقال: يا عبدالله، ارفع إزارك، فرفعته، ثم قال: "زد" فزدت، فما زلت أتحراها بعد. فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين.

وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فِي النَّارِ))[1] فالمستحب نصف الساقين والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه، وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعبين في النار فالمراد بها ما كان للخيلاء، لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد، والله أعلم، قال القاضي[2]: (قال العلماء: وبالجملة يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد من اللباس من الطول والسعة، والله أعلم)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: التواضع والبعد عن مظاهر الكبر.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب:

١- **الإخبار:** حيث جاء في الحديث: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا)، ويعتبر أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الهامة، حيث يعرف المدعو الكثير من الأمور الغيبية عن طريق الإخبار، ومما لا شك فيه أن أخبار القرآن والسنة كلها صادقة

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٩٣، وابن ماجه ٣٥٧٢، وصححه الألباني (صحيح أبي داود ٣٤٥٠).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٠١/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٩/٢/١ ٥٢/١٤/٧ ط/ دار الكتب العلمية، بتصرف يسير، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١٠-٢٦٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٣٤-٩٣٥ ط/ بيت الأفكار، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٣-٣٠٥ ط/ بيت الأفكار، و انظر كذلك: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

وواجب الدعاة أن يجعلوا مصادر أخبارهم التي ينقلوها للمدعوين من معين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

وفي الحديث أخبر النبي ﷺ أن من جر إزاره بطرًا لا ينظر الله إليه يوم القيامة، وهذا من شأنه أن يعرف المدعو بمصير وعاقبة المتكبر.

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا"، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تكبح النفس عن المعاصي والمخالفات الشرعية ذلك لأن النفس بطبيعتها تخشى البطش والعقاب، (والترهيب هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور، والترهيب يقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان منفعة، إذا لم يلتزم بما أمر به أو نهى عنه، والإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم)[3].

وفي الحديث رهّب النبي ﷺ من الكبر والتكبر، بأن المتكبر لا ينال رضا الله ولا يفوز برحمة الله ونظره إليه، وهذا من شأنه أن يخوّف المدعو من سوء الكبر.

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر:

إن الكبر والاستعلاء من الصفات الذميمة التي ينبغي أن ينأى المسلم بنفسه عن

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ٢٩٣.

(٤) سورة محمد، آية: ١٥.

(٥) سورة فاطر، آية: ٣٦.

الاتصاف بها، ولذا جاء هذا الحديث محذرًا منه مبينًا لخطورته وذلك في قوله ﷺ: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا"، قال النووي: (والبطر هو الكبر والزهو والتبختر ومعنى لا ينظر الله إليه: أي لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة)[١]، وقال ابن حجر: (وقوله: "بطرًا" أي جره تكبرًا وطغيانًا وأصل البطر الطغيان عند النعمة واستعمل بمعنى التكبر، ومعنى "لا ينظر الله إليه": أي: لا يرحمه أو لا ينظر إليه نظر رحمة، وقوله "يوم القيامة": أشارة إلى أنه محل الرحمة المستمرة، بخلاف رحمة الدنيا فإنها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث)[٢]، وقال الماوردي: (والكبر يكسب المقت ويلهي عن التألف ويوغر صدور الإخوان، وحسبك بذلك سوءًا عن استقصاء ذمه، وقد وصف بعض الشعراء الإنسان فقال:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب ... أقصر فإنك مأكول ومشروب[٣]

وقال الحسن البصري: "حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال: يا ابن آدم، كيف تتكبر وأنت خرجت من سبيل البول مرتين، وقيل: رأى الحسن نعيم بن رضوان يمشي مشية المتكبر فقال: انظروا إلى هذا ليس فيه عضو إلا ولله تعالى فيه نعمة وللشيطان لعنة)[٤].

وقال الغزالي: (قال المسيح عليه السلام: "إن الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع، ولا تعمل في قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجّه ومن طأطأ أظله وأكنّه"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل إذا تواضع رفع الله حكمته، وقال: انتعش نعشك الله فهو في نفسه صغير وفي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧٠.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٣.

(٤) الزهد، الحسن البصري، تحقيق: د. محمد عبدالرحيم محمد ص ٩٠.

أعين الناس كبير وإذا تكبر وعدا طوره رهقه الله في الأرض، وقال: أفأخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير. وقال النعمان بن بشير رضي الله عنهما على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يختال في مشيته ويجر إزاره فقال: "إن للشيطان إخوانًا")[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: التواضع والبعد عن مظاهر الكبر:

يظهر هذا من سياق الحديث، وإذا كان المتكبر لا ينظر الله إليه فأحرى بالإنسان أن يتواضع، قال ابن القيم: (سئل الفضيل بن عياض عن التواضع؛ فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله، وقيل: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب، وقال الجنيد: هو خفض الجناح ولين الجانب، وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان، والعز في التواضع فمن طلبه في الكبر فهو كتطلب الماء من النار)[2].

(إن من حمل قلبًا لئيمًا وصدرًا ذميمًا وخلقًا رذيلاً فكان جافي الطبع غليظ القلب مختالاً سمينًا، لدودًا في المخاصمة فظًا عنيدًا متكبرًا على الخلق، معرضًا عن الحق، إذا سمع آيات الله تتلى عليه ولى مستكبرًا كأن لم يسمعها، يستنكف أن يكون لله عبدًا، وبوحدته مقرًا، ولرسوله متبعًا، ويتعالى بما لا يعليه، ويستكبر بما ليس فيه، من كان كذلك فهو إلى الله بغيض قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3]، مأواه الجحيم، ومسكنه السعير، وإن كان ضخمًا بدينًا وجبارًا عنيدًا. فلا تغتر أخي بقوتك وتسخرها في التجبر على الضعفاء الذين يحملون نفوسًا عظيمة، وقلوبًا رحيمة، فإنهم

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١١٣ - ١١٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٢٣.

عباد الله المقربون، وجنده المخلصون لا يرد عليهم دعاء، ولا يخيب لهم رجاء)[١].

ومن خلال هذا يظهر أن المدعو من أهم آدابه أن يتحلى بالتواضع، ويجانب الكبر والاستعلاء فإنه ليس من أخلاق المؤمن.

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٤٣.

الحديث رقم (٦١٧)

٦١٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العائلُ: الفقيرُ[٢].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ...)، ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة والترقب والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (ثلاثة...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكَّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وتنكير كلمة (ثلاثة) بغرض التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير، والمتأمل لأسلوب الفصل، والوصل بين الجمل الثلاث التي وصفت بها النكرة في قوله: (لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم) يجد أن الجمل الثلاث الأولى جاءت بالسلب منفية بـ (لا) تُجرِّد النكرة من أجر الثواب، وصالح العمل، ثم تقرر الجملة الاسمية الأخيرة (ولهم عذاب أليم) وهي للدوام والثبوت المفاد من اسميتها تقرر بتقديم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه، ثم بوصف

---

(١) برقم ١٠٧/١٧٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٣٢. وسيكرره المؤلف برقم ١٨٥٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٥.

المسند إليه وصفاً على المبالغة قطع كل وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل، وتقييد الكلام والنظر بيوم القيامة تتميم جيء به لنكتة وهي زيادة الترهيب والتخويف لهؤلاء الثلاثة، والجمل الثلاث وصلت بالواو للتناسب، وعدم المانع، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فهي حاصلة بالتنويع، لأنها ألوان ما بين الألم النفسي والمعنوي والحسي، ثم جاء التكرار لهذه الجمل ثلاثاً كما - حكى الصحابي - فصعَّد الوعيد والإنذار، وبلغ به أعظم درجة في أنفس المخاطبين، وقرر المعنى تقريراً لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة، يتحلل بها من تبعات ما ألقي إليه، أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف الرسول ﷺ من عناية واهتمام، فهذا التكرار بهذه الجمل الثلاث ارتقى بإحساس المتلقين لدرجة الخطر المحدق بكل متكبر أو منان أو كذاب، وصوَّر فِعالهم شبحاً يطارد في النفوس الإحساس بالعجب، أو الرغبة في المن، أو الجرأة على الحلف كذباً مما يقوِّم الخطأ ويصلح النفوس نضيف إلى ذلك الامتزاج بين التكرار المعنوي المطبق لألوان الحرمان من كلام الله، ثم نظره، ثم تزكيته، ثم المآل إلى العذاب الأليم مع التكرار اللفظي الذي يصفع هؤلاء المخطئين، ويزلزل بنيان الرغبة في الشر، ويزيله من نفوسهم، ثم بدأ في ذكرهم (شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) وعندما يكشف السياق عنهم تدرك السر وراء هذا الهول لأنهم أصحاب ظروف خاصة، الأول شَيْخٌ زَانٍ وتجد بين الوصفين تنافراً طبعيا تخطاه هذا المتصابي ليواقع الكبيرة مع تقدم سنه، وتأخر توبته، وإصراره على معصيته، (وَمَلِكٌ كَذَّابٌ) لأن كذبه مما تعم به البلوى، ويعظم به الخطب والكذب كبيرة على الأفراد فما بالك بمن يكذب على الأمم؟!، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ وهو الفقير ذو الحاجة، والعيال، وتكبره اعتراض على أمر له، ورفض لأحكامه، والكبر مذموم في أصغر صوره فما بالك بمن يتكبر على قدر الله ويضيع من يعول؟!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الزنا والكذب والكبر.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الآفات والأمراض الاجتماعية الخطيرة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

حيث جاء في الحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة"، هذا إجمال ثم التفصيل: "شيخ زان - ملك كذاب وعائل مستكبر"، ولا شك أن أسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تشد المدعو وتلفت انتباهه، ومن جانب آخر تركز المعلومة لدى المدعو زيادة في إفهامه، ومن صور استخدام القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الزنا والكذب والكبر:

إن الإسلام يبني المجتمعات على شيوع الفضيلة ومجانبة الرذيلة. والزنا والكذب والكبر من أخطر الرذائل التي تدمر المجتمعات، وتقوّض بنيانها، ومن ثم حرّم الإسلام هذه الرذائل وحذر منها، وتوعد من يقع فيها ويسقط في حبائلها، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)، ومما لا شك فيه حرمة هذه الأمور الثلاثة وعن تخصيصها بالوعيد في حالة وقوعها من المذكورين الثلاثة.. كان الذنب أعظم.

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٢.

قال القاضي عياض: (وسببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعي معتادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله، وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء، واختلال دواعيه لذلك، عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا ويخلي سره منه فكيف بالزنا الحرام؟ وإنما دواعي ذلك الشباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة، لضعف العقل وصغر السن، وكذلك الإمام لا يخشى من أحد من رعيته ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته، فإن الإنسان إنما يداهن ويصانع بالكذب، وشبهه من يحذره ويخشى أذاه ومعاتبته، أو يطلب عنده بذلك منزلة أو منفعة وهو غني عن الكذب مطلقًا، وكذلك العائل الفقير قد عدم المال، وإنما سبب: الفخر، والخيلاء، والتكبر والارتفاع على القرناء، والثروة في الدنيا لكونه ظاهرًا فيها وحاجات أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟ فلم يبق فعله وفعل الشيخ الزاني والإمام الكاذب إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى ومعاندة نواهيه، وأوامره، وقلة الخوف من وعيده إذ لم يبق ثم حامل لهم على سواه، مع سبق القدر لهم بالشقاء"[1].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على حرمة هذه الأمور. فأما الزنا فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٨٣ - ٣٨٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

مُؤْمِنٌ))[1]، وعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ))[2]، وأما الكذب فقد جعله النبي ﷺ من علامات النفاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))[3]، وحذر منه النبي ﷺ وبيّن خطورته، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا))[4].

وأما الكبر فقد جاء ذمه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5]، وقال على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[6]، وعن حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[7]. فإذا كانت حرمة الزنا، والكذب والكبر مطلقة، فهي في حق من لم نتوقع منه كالشيخ في الزنا، والمَلِك أو الإمام في الكذب، والفقير في الكبر أشد حرمة كما دل على ذلك الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٧٥، ومسلم ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٥) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٦) سورة غافر، آية: ٢٧.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣ واللفظ له.

ثالثًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الآفات والأمراض الاجتماعية الخطيرة:

إن واجب طبيب الجسم السهر على مرضاه، وبلسمة جراحاتهم، وعلاج المجتمع من أمراضه الاجتماعية هو واجب الدعاة إلى الله للنهوض به إلى العيش الأمثل والحياة الأفضل، ويؤخذ هذا من سياق الحديث وبيان النبي ﷺ لجزاء من يفعل هذه الآفات ومما لا شك فيه أن الداعية حريص على المدعوين، وعلى هدايتهم وإرشادهم إلى الخير، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والداعية الناجح هو الذي يعالج الأمراض الاجتماعية ويحذر من الآفات والمعاصي حتى يعيش المدعوون في مجتمع آمن مطمئن.

قال د. مصطفى السباعي: "إن رسالة العالم فهم الشريعة وتفهيمها، وحفظها على الناس من تحريف المبطلين وعدوان الظالمين، وموجز خلق العالِم أنه: خشية من الله، وإشفاق على الناس، ونصح لأولي الأمر، وتجرد عن حظوظ النفس وشهواتها، ويقظة في مداخل الأمور ومخارجها، ولقد كان سلفنا الصالح منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فمن بعدهم تغلب في علمائهم هذه الصفات فكانوا مبعث خير، ومصابيح هداية وأدلة طريق، وكانوا كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، وما بلغوا هذا المبلغ في أمتهم إلا لأنهم كانوا كما قال خالد بن صفوان في الحسن البصري: أشبه الناس علانية بسريرة، وسريرة بعلانية. والعلماء عند الجهل هم ألسنة الحق التي تكشف الشبهات، وتزيح المفتريات، وعند العدوان هم ألسنة الصدق التي تضع الأمور في مواضعها"[2].

ومن هذا يتبين أن من واجبات الدعاة الأولى حراسة الفضيلة، ومقاومة الرذيلة فهذا هوالدور الرئيس المنوط بهم الذي ينبغي أن يقوموا به، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بكشف

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية ١٩٩.

الأمراض الاجتماعية، والتحذير من الآفات الخلقية وذلك لما للأخلاق الفاضلة من مكانة في نهوض الأمم والجماعات.

قال الميداني: (لقد دلت التجارب الإنسانية، والأحداث التاريخية على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة ومتناسب معه، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها ومتناسب معه، وذلك لأن الأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثل المعاقد الثابتة التي تعقد بها الروابط الاجتماعية، ومتى انعدمت هذه المعاقد أو انكسرت في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكانًا تنعقد عليه، ومتى فقدت الروابط الاجتماعية صارت الملايين في الأمة المنحلة عن بعضها مزودة بقوة الأفراد فقط لا بقوة الجماعة، بل ربما كانت القوى المبعثرة فيها بأسًا فيما بينها، مضافًا إلى قوة عدوها)(١).

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم"، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة، حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تخشى العقاب، (ويقصد بالترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها)(٢).

وفي الحديث: جاء الترهيب للشيخ الزان والملك الكذاب والعائل المتكبر، بأن الله عز وجل لا يكلمهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وفي هذا ترهيب شديد ووعيد أكيد لمن يقارف هذه المنكرات فأحرى بالنفس أن تستقيم على الطاعات، وتسارع إلى الخيرات وفعل الصالحات حتى تنجو من هذه العقبات في يوم لا تنفع فيه الحسرات ولا الندم على ما فات.

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ٣٤، ٣٥.

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٦١٨)

٦١٨- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((قَالَ الله ﷻ: العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي فِي وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ضرب الإزار: والرداء في انفراده بصفة العظمة والكبرياء، أي ليْسَتا كسائر الصفات التي قد يَتَّصفُ بها الخلق مجازًا كالرَّحمة والكروم وغيرهما، وشَبَّهَهُما بالإزار والرِّداء لأن المتَّصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان؛ ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد، فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشركه فيهما أحد[٢].

الرداء في اللغة: هو ما يوضع على المنكبين وفوق الكتفين من ثوب وبُرُد ونحوهما[٣].

ينازعني: أي يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك[٤].

---

(١) لم يخرجه مسلم بهذا اللفظ، بل أخرجه بهذا اللفظ ابوبكر البرقاني في مستخرجه، قال الحميدي في جمعه ٢٧٥/٣، رقم ٢٦٢١ وأخرجه ابو بكر البرقاني في كتابه من حديث عمر بن حفص بن غياث الذي أخرجه مسلم ٢٦٢٠/١٣٦ من حديثه، وبذلك الإسناد إلى ابي مسلم الأغرّ، عن ابي هريرة، وأبي سعيد انهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: الْعِزُّ إزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي مِنْهُمَا شَيْئًا عَذَّبْتُهُ) وهكذا اخرجه ابو مسعود في كتابه. قلتُ: واشار إلى ذلك ايضًا المنذري في ترغيبه عقب حديث ابي سعيد ٤٢٧٧ ورواه البرقاني من الطريق الذي أخرجه مسلم ولفظه: (يَقُولُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: الْعِزُّ إزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ).

تنبيه: حديث ابي هريرة أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٧٨ وعزاه إلى أبي داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وفي آخره: (قذفته بالنار) بدل: (فقد عذّبته).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ا ز ر).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٥٩.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري قصد منه إفادة الخبر مع إثارة مشاعر الإجلال والرهبة حول المقول في قوله (قال الله - عز، وجل) لصدوره عن الذات الإلهية، ، وإسناد الرسول ﷺ الكلام لله تعالى في قوله (قال الله - عز وجل -) ارتقاء بمستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهذه النقلة تعطي الخبر صفة القدسية التي توفر عليه اهتماماً، وعناية، وقبولاً، لأن الفرق بين كلام الله، وكلام خلقه كالفرق بين الله وخلقه، بالإضافة إلى أن إسناد القول لله زاد الأمر توكيداً لصدق الخبر وقبول المخاطبين له، وقوله (العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي) كناية عن اختصاصهما بالله تعالى، وحرمتهما على غيره، لأن الكبرياء والعظمة صفتان لله اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع، والتذلل، وضرب الرداء، والإزار مثلا يقول - والله أعلم كما لا يشرك الإنسان في ردائه، وإزاره أحد فكذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق، وقوله (فَمَنْ يُنَازِعُنِي فِي وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ) والتعبير بالمنازعة يوحي بمحاولة الإنسان الحصول على ما لا يخصه ونسبة المنازعة لله تجعل المنازع له هالك لا محالة، والتعبير بالماضي (عذبته) يفيد التحقيق وقد أكده بقد إشارة إلى أنه محقق الهلاك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من صفات الله العز والكبرياء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر والتعالي وفضل التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: من صفات الله العز والكبرياء:

حيث جاء في الحديث: "العز إزاري والكبرياء ردائي"، قال النووي: (قال المازري: معناه: صفته العز والكبرياء، ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه وهما جمال له، قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق

وله ألزم واقتضاهما جلاله)[1]، وقال العظيم آبادي: (قال الخطابي: معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه واختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وضرب الرداء وإزاره مثلاً في ذلك، ومعنى نازعني: "تخلق بذلك فيصير في معنى المشارك فمن يفعل ذلك عذبته)[2].

قال أبو بكر البيهقي: (والمراد أن العز والكبرياء صفتان له سبحانه، يقال: اتزر فلان بالصلاح وارتدى بالورع، على معنى أنه اتصف بهما. والعزة إن كانت بمعنى الشدة، وهي القوة فمعناها يرجع إلى صفة القدرة، وكذلك إن كانت بمعنى الغلبة فمعناها يعود إلى القدرة، وإن كانت بمعنى نفاسة القدر فإنها ترجع إلى استحقاق الذات تلك العزة، وأما الجلال والجبروت والكبرياء والعظمة والمجد فهذه صفات يستحقها بذاتها)[3].

وقال محمد خليل هراس: (والعزة صفة أثبتها الله عز وجل لنفسه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]، وأقسم بها سبحانه كما في حديث الشفاعة من حديث أنس رضي الله عنه: ((وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله))[5]، والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر من عزَّ يُعزّ يقال: عزَّه إذا غلبه. وتأتي بمعنى القوة والصلابة من عزّ يَعزُّ ومنه أرض عزاز للصلبة الشديدة. وتأتي بمعنى علو القدر والامتناع عن الأعداء من عزَّ يَعزّ، وهذه المعاني كلها ثابتة لله عز وجل)[6].

وقال ابن تيمية: (ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٥٩.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٧.

(٣) الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ٢٢١/١ - ٢٢٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٥١٠، ومسلم ١٩٣.

(٦) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هرّاس ص ١٦٠ - ١٦١.

به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد. وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما تيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقةً، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله)[1].

وقال الطيبي: (والعزيز: الغالب ومرجعه إلى القدرة المتعالية عن المعارضة. وقيل: إنما يعرف الله عز وجل عزيزًا من أعز أمرهُ طاعته فأما من استهان بأوامره فمن المحال أن يكون متحققًا بعزته. وقيل: العزيز: من ضلّت العقول في بحار عظمته، وحارت الألباب دون إدراك نعمته، وكلّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله، ومن آداب من عرف أنه العزيز: أن لا يعتقد لمخلوق إجلالاً، وإذا عرف أنه المعز لم يطلب العز إلا منه ولا يكون العز إلا في طاعته)[2].

هذا وقد وصف الله سبحانه نفسه بأن له العزة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

ثانيًا- من اساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: "فمن ينازعني عذبته"، فقد جاء الترهيب من الكبر والاستعلاء بأن من يفعل هذا يعذبه الله، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة في تهذيب النفس وحملها على الطاعة والاستقامة، وعلى الدعاة

(١) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية ٢٠/٣.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٩/٥ - ٢٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٤) سورة المنافقون، آية: ٨.

إلى الله استخدام هذا الأسلوب والموازنة بينه وبين أسلوب الترغيب إذ يجب أن يستخدم كلاً في موطنه وموضعه، (لأن الترغيب والترهيب يثيران عند الإنسان عامل الخوف وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجهان اتجاه الإنسان ويعملان على تحديد أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو يكون التأثير في السلوك والاتجاه، ولذلك ينبغي أن يكون حجم الترغيب والترهيب متوافقًا مع حجم ونوعية ما وضع من أجله)(١).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر والتعالي وفضل التواضع:

إن الكبر والتعالي من الأخلاق الذميمة التي ينبغي أن يتجافى عنها المسلم، وهذا في حق البشر، لأن من يفعل هذا ينازع الله تعالى في عزته وكبريائه ويظهر هذا من سياق الحديث ومورده، قال ابن عثيمين: (فمن نازع الله في عزته، وأراد أن يتخذ سلطانًا كسلطان الله، أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله فإن الله يعذبه، يعذبه على ما صنع ونازع الله تعالى فيما يختص به)(٢).

وقد توعد الله المتكبرين بالنار فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٣)، وصوّر القرآن حالة قارون في تكبره وعجبه فقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٤)، وبيّن عاقبة تكبره وعتوه، فقال جل شأنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(٥).

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٥.
(٢) شرح رياض الصالحين ٩٠٢/١.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٣٦.
(٤) سورة القصص، آية: ٧٩.
(٥) سورة القصص، آية: ٨١.

وقد جاء الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟))(١).

وإذا كان الله تعالى توعد المتكبرين بالعذاب فحري بالمسلم أن يتواضع ويلين جانبه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "من تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا وضعه الله يوم القيامة، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يختال في مشيته ويجر إزاره، فقال: إن للشيطان إخوانًا"، وقال الأحنف بن قيس: "عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين"، وقال محمد بن الحسين بن علي: "ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر"، وقال الحسن: (السجود يذهب بالكبر، والتوحيد يذهب بالرياء)(٢)، وقال الماوردي: (والكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لأن الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤١٢ ومسلم ٢٧٨٨ واللفظ له.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٣٧٦/١١.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٣١.

الحديث رقم (٦١٩)

٦١٩- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ (رَأسَهُ)[1]، (يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ)[2]، إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الحلة: ثوبان أحدهما فوق الآخر، وقيل إزار ورداء وهو الأشهر[4].

مرجِّل رأسه: أي ممشِّطه[5]. وترجيل الشعر: تسريحه ودهنه[6].

يختال: يتكبر[7].

خسف الله به: غيَّبَه في الأرض[8].

يتجلجلُ: يغوص وينزل[9].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يبيّن خطر العُجب والخيلاء وشدة عقابهما بأساليب متعددة حسب ما يقتضيه المقام وفي هذا الحديث اختار أسلوب القصة لتقرير هذا المعنى لما للقصة في النفوس من ميل فطري، وما تؤديه من تربية للقيم، وغرس للفضيلة، وتحقيق

(١) عندهما بلفظ: (جمته).

(٢) قوله: (يختال في مشيته) لا يوجد عندهما.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٨٩، و٥٧٩٠، ومسلم ٢٠٨٨/٤٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٥) المرجع السابق ٢٧٢/١٠.

(٦) المرجع السابق ورياض الصالحين ٢٧٦.

(٧) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ي ل).

(٨) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ س ف).

(٩) رياض الصالحين ٢٧٦.

للعظة، والعبرة دون اللجوء للأساليب التعليمية المباشرة التي قد لا تتقبلها بعض النفوس، وبالنظر في بنية القصة من جهة البلاغة نرى أنها بدأت بأسلوب تشويقي يثير الانتباه ويحقق الترقب والتطلع لمتابعته حيث بدأ بالظرف (بينما) الذي يوحي بطارق يحدث، ومفاجأة تنتظر، لأن أصلها (بين) زيدت فيها (ما) وتضاف لجملة وتحتاج لخبر، ثم تنكيره لكلمة (رجل) المبهمة التي تزيد النفوس شوقاً لتوضيحها، الأمر الذي يربط المخاطب بالمتكلم حتى نهاية الحديث ثم الفعل المضارع (يمشي) الذي يستحضر صورة رجل في حلة معجب بنفسه يخطو باختيال نحو مصير مرتقب، ثم الجار والمجرور (في حلة) التي توحي بالزهو، والعجب، وتمهد لهذا المصير، ثم جملة (تعجبه) التي تؤكد الخيلاء، وتنص على موضع الخطأ قبل أن يقع عليه العقاب بسبب إعجابه بنفسه، وإعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم، ثم تأتي (إذ) الفجائية التي توحي بسرعة الأخذة، وعجلة الانتقام ثم لفظ (خسف) ووروده في صيغة الماضي دلالة على تحقق الخسف، وهو الأخذ في الأرض مقابلة لخيلائه، وتكبره، ثم شبه جملة: (إلى يوم القيامة) التي تشير إلى طول العذاب مع ما تضيفه كلمة (القيامة) بإضافتها لليوم من هول، لأنها من الألفاظ الموحية بطبيعتها، وما تثيره في العقول من مشاهدها، والمتأمل لنسق للعبارات يجد أنها جاءت متناهية الانسجام في فقرات متقاربة (يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، يختال في مشيته) مما أعطى القصة في الأسماع جمال تناغم ترتاح له النفوس، وتستلذه الأسماع، أيضاً هناك التناسب بين الألفاظ والمعاني فمشية المختال المعجب يناسبها ترجيل الشعر، والاختيال في المشية كذلك، والخسف يناسبه التجلجل، أيضاً صياغة الفعل يتجلجل على (تفعلل) يوحي بالاضطراب المشعر بشدة الأخذة، وألم الخسف، وصياغة كل أفعال القصة (يمشي - تعجبه - يختال - يتجلجل) على صورته المضارعية ما عدا الفعل (خسف) على صورة الماضي؛ لأن الفعل المضارع في هذه القصة له عدة فوائد منها: إفادة التجدد، والحدوث، وهي في جانب الرجل تؤكد على تكرار فعله واعتياده لهذه العادات السيئة في المشي اختيالاً، وإعجابه بنفسه، وغروره بزينته، وكذا في الفعل الذي يصوِّر عقابه وما أوقعه فيه من عذاب (يتجلجل) الذي يوحي

بتكرار العذاب وتجدده إلى يوم القيامة ومنها: استحضار الصورة فمن طبيعة الفعل المضارع أن يستحضر الصورة ساعة الحديث، وكأن المخاطب يراها الآن مما يجعله في قلب الحدث فيكون أكثر تفاعلاً مع الأحداث، وانفعالاً بالموقف، ومنها: الحركة، والحيوية التي يُضْفيها على النص فالفعل (يمشي) يعطي حركة المتمطي في مشيته كبراً، والفعل (تعجبه) الذي يحكي حركة النفس زهواً، والفعل (يختال) الذي يحكي حركة الأعضاء الموافقة لحركة النفس زهواً، والثياب زينة. والفعل (يتجلجل) الذي يصوِّر بدلالته حركة المتكبر هبوطاً في الأرض ويصوِّر بوزنه حركته المضطربة من هول الأخذة، وقد استخدم في الحديث جملة اسمية واحدة في التصوير بالوصف في قوله: (مرجل جمته) التي تدل على الثبات والدوام في إشارة إلى أن هذا التزين فخراً صار طبيعة راسخة في نفسه وهو داعيه إلى الكبر[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الحكاية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر وعاقبة المتكبرين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

إن وسائل الدعوة متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل: الحكاية بما لها من جذب للمدعو، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "بينما رجل يمشي في حلة" والحكاية من وسائل الدعوة التي تشد انتباه المدعوين وتعطيهم العظة والعبرة من حكايات السابقين، قال الشيخ علي محفوظ: (والداعي يعظ الناس بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد بأن يذكرهم نعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل في سائر ما سلف من الأيام، ويذكرهم عذاب الله وانتقامه ممن كذب بالرسل من الأمم فيما سلف من الأيام كالذي نزل بعاد وثمود ليزداد الطائع ويقلع العاصي، فهذا محمود لأن فيه عبرة لمعتبر

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١٦٣.

وعظة لمزدجر)[١]، وقد نص الله تعالى في القرآن على أن القصص والحكاية جاءت للعبرة والعظة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢]، ومن هنا كانت القصة والحكاية وسيلة هامة من وسائل الدعوة تناسب حالة أي مدعو سواء أكان من عِلْية القوم أو من الضعفاء أو من الأغنياء أو من الفقراء، أو من أصحاب المعاصي والأهواء.

(وإذا كانت القصة أو الحكاية من غير القرآن والسنة فعلى الداعية إلى الله تعالى أن ينتقي من هذه القصص الشيء الصالح المفيد والذي يحوي على العبر التي يقف الناس عندها أما القصص الخيالي أو الكاذب أو الذي ليس فيه خير أو نفع فعلى الداعية أن يضرب صفحًا عنه)[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر وعاقبة المتكبرين:

حيث جاء في الحديث: "بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به"، قال ابن حجر: (والحلة ثوبان أحدهما فوق الآخر، وقيل: إزار ورداء وهو الأشهر وخص الإزار بالذكر لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالبًا، قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم)[٤]، ولقد دلت النصوص الشرعية على حرمة الكبر، فلقد كان الكبر سببًا في تمرد وعصيان إبليس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٦].

---

(١) هداية المرشدين ٨٠ - ٨١.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٢٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٣٤.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٣.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ))[1]، وقد جاء عن يحيى بن جعدة قال: (من وضع جبينه لله ساجدًا فليس بمتكبر وقد برئ من الكبر، وعن عبد الله بن هبيرة أن سليمان سئل عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة؟ قال: الكبر)[2]، وقال ابن القيم: (أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة)[3]، وجاء في القرآن من وصايا لقمان لابنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[4].

وقد جاء في الحديث ما يبين عاقبة المتكبرين في قوله ﷺ: (إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)، وهذا بيان لعاقبة المتكبرين يجعل المدعو في حذر دائم من سوء هذه العاقبة، وقد بين القرآن أن مآلهم النار، قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[6]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ))[7].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن الداعية الناجح يستخدم من الأساليب الدعوية ما يستطيع أن يبلغ به دعوته

---

(١) البخاري ٥٧٨٣، ومسلم ٢٠٨٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٢٧٨/١١.

(٣) الفوائد، ابن القيم ٢٠٦.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٥) سورة النحل، آية: ٢٩.

(٦) سورة الزمر، آية: ٦٠.

(٧) أخرجه البخاري ٧٤٤٩، ومسلم ٢٨٤٦ واللفظ له.

ويصل برسالته إلى قلوب المدعوين، ومن هذه الأساليب أسلوب الترهيب حيث جاء في الحديث: "إذا خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض يوم القيامة"، حيث رهّب النبي ﷺ من الكبر والاستعلاء والفخر والخيلاء بأن من يفعل هذا يخسف به، ويتجلجل في النار إلى يوم القيامة جزاء لفخره وخيلائه واستعلائه، وهذه الصورة والعاقبة السيئة ترهب المدعو من الوقوع في هذا الأمر، والحذر من الولوج فيه، ومن ثم فإن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تردع المدعو عن مقارفة الآثام والمخالفات الشرعية، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بالأسلوبين، والدعاة إلى الله مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه"[1]، ومن استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[3].

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٢) سورة القصص، آية: ٨١.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٦.

الحديث رقم (٦٢٠)

٦٢٠- وعن سَلَمَةَ بنِ الأكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجبَّارِين، فَيُصيبَهُ مَا أصَابَهُمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

غريب الألفاظ:

يذهب بنفسِهِ: يرتفع ويتكبر[2].

الشرح الأدبي

الحديث تهديد، ووعيد لأهل الكبر بمصير أسود في الجبارين، - والعياذ بالله - والحديث قصير أسلوبه خبري دون مؤكدات بدأ بجملة تعطي الحدث دلالة الاستمرارية التي تمثل الإصرار، والتمادي في الذنب (لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) وقوله (يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) كناية عن العجب بالنفس والتعالي، والتكبر، فالباء للتعدية أي يعلي نفسه، ويرفعها، ويبعدها عن الناس في المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر أو للمصاحبة أي يرافق نفسه في ذهابها إلى الكبر، ويعززها، ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة، و (حتى) تشير إلى الغاية التي وصل به الكبر إليها، وقوله (يكتب في الجبارين) التعبير بالكتابة يفيد توكيد الإثبات (في الجبارين) أي في ديوان الظالمين، والمتكبرين، أو معهم في أسفل السافلين وقوله (فيصيبه ما أصابهم) جناس يؤكد المطابقة في العقاب كما كانت المطابقة في الفعل وهو الذهاب بالنفس فينالهم من بليات الدنيا، وعقوبات العقبى ما أصاب الجبارين كفرعون، وهامان، وقارون.

---

(١) برقم ٢٠٠٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، انتهى. في إسناده: عمر بن راشد، وهو ضعيفٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٠٦.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر وخطورته.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحذر من الكبر ومظاهره.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والترهيب:

١- الإخبار: حيث جاء في الحديث: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه"، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تعرِّف المدعوين بالأمور الشرعية وعاقبة اقتراف المنهيات، وبالإخبار تقوم الحجة على الناس بتبليغهم وتعريفهم أمور الحلال والحرام، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)]، وفي إقامة الحجة على أهل النار قال تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[(٢)].

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث: "حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم"، والترهيب من أساليب الدعوة التي ترد جماح النفس، وأسلوب الترهيب يخوف النفس عاقبة المعصية، "والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم، لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام واجتناب الجرائم والذنوب وما أعده الله من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى"[(٣)]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[(٤)].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٧.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١٥.

(٤) سورة الحج، الآيات: ١٩ - ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر وخطورته:

إن الكبر بجانب كونه حرامًا؛ فإنه خطر على الإنسان حيث يورده المهالك والمهاوي ويجني الإنسان ثماره المرة يوم القيامة، ويتضح هذا من سياق الحديث ومما لا شك فيه حرمة الكبر والترفع، (لأن الكبر والعظمة لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء، فمن أين يليق بحاله الكبر واستعظام النفس واستحقار الغير، فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله، ومما هو معلوم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار)[1]، والكبر آفة عظيمة كبيرة وفيه يهلك الكثير من الناس، "ويح المتكبرين ما أعظم حمقهم وما أضلهم وأجهلهم بأي وصف يتكبرون، وبأي عمل يتجبرون، من علم أنه مخلوق فقير ناقص من كل وجه فبأي شيء يتكبر، مَنْ فهم أن أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة فبأي شيء يعجب ويفتخر، تا الله إن الفخر كل الفخر بالتواضع لله ولعباد الله)[2].

ومما هو معلوم: خطورة الكبر على الإنسان حيث يورده المهلكات ويصده عن قبول الحق، (إن المتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين، فلذلك وجب تقويم القول فيهما بإبانة ما يكسبانه من ذم، ويوجبانه من لوم فلو تصور المعجب المتكبر ما فطر عليه من جبلة، وبلي به من مَهْنة لخفض جناح نفسه، واستبدل لينًا من عتوه، وسكونًا من نفوره)[3]، وإذا كان الكبر بهذه الخطورة وعاقبته وخيمة فواجب الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس خطورة الكبر ليحذروه ويجانبوه.

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، جمال الدين القاسمي ص ٢٩٣.

(٢) الرياض الناضرة، عبد الرحمن السعدي ص ١٠٩.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٣.

ثالثًا- من آداب المدعو: الحذر من الكبر ومظاهره:

يتضح هذا من سياق الحديث، وإذا ثبت للمدعو خطورة الكبر فيجب عليه أن يحذر منه ومن مظاهره حتى لا يتخلق ولا يتشبه بأفعال المتكبرين، قال ابن قدامة: (واعلم أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان كصعر وجهه ونظره شزرًا وإطراق رأسه وجلوسه متربعًا ومتكئًا وفي أقواله وصيغة إيراده الكلام، ويظهر ذلك أيضًا في مشيه وتبختره وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته وسائر تقلباته)[1].

وهذه سمات المتكبرين في عصره، وفي زمننا عدم القاء السلام والرد بأنفة والحرص على صدارة المجلس، فضلاً عن أسلوب كلامه.

وقد بين ابن قدامة درجات الكبر فقال: (اعلم أن العلماء والعُبّاد في آفة الكبر على ثلاث درجات: الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قد قطع أعضائها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران والإنكار على من يقصر في حقه فترى العالم يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ حين قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخرة وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً. وكذلك التكبر بالمال والجمال والقوة وكثرة الأتباع ونحو ذلك، وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالاً فإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ص ٢٥٠.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

شرب الخمر والفجور لظنه أن ذلك كمالاً)[١]، قال الميداني: (يرجع الكبر في جذوره النفسية إلى شعور المغرور بالاستعلاء الذاتي على الأقران والنظراء وإلى المكانة التي يجد المستكبر نفسه فيها داخل مجتمعه، ويرجع إلى الرغبة بإشعار الآخرين بالامتياز عليهم، ولو لم يكن لهذا الامتياز وجود في الواقع فهو انتفاخ بغير حق، وتطاول بغير حق)[٢].

وقال ابن حجر الهيثمي: (للكبر أنواع ثلاثة:

الأول: الكبر على الله تعالى وهو أفحش أنواع الكبر، وذلك مثل تكبر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين لله.

الثاني: الكبر على رسول الله ﷺ بأن يمتنع المتكبر من الانقياد له تكبرًا وجهلاً وعنادًا كما فعل كفار مكة.

الثالث: الكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيتأبى عن الانقياد له ويترفع عليه وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضًا، لأن الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالله تعالى وحده)[٣].

فعلى المدعو أن يحذر الكبر ويجتنبه، فإن خطره عظيم، وإثمه كبير، وعاقبته الخسران، والغضب من العلي الجليل في يوم لا تنفع فيه توبة ولا ندم.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ٢٨٦.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي ص ٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية التي ترمي إلى البعد عن الكبر والتحلي بالتواضع، ومن أبرز هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية على مجانبة الكبر:

إن من الأمور المهمة في التربية التدريب والتنشئة على مجانبة الكبر والعجب لما له من آثار سلبية على تصرفات صاحبه، ولما له من أثر في شرخ العلاقات الاجتماعية بين الناس، وما ينتظر صاحبه من وعيد في الآخرة، ومن ثَمَّ أورد الإمام النووي في باب تحريم الكبر والإعجاب عددًا من الأحاديث تكشف عن خطورة الكبر وما يحيق بصاحبه، ومنها: "لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر..."، وقوله: "ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر"، وقوله: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا"، وغير ذلك من أحاديث الباب، وعلى هذا فواجب المربين الاهتمام بالتربية على مجانبة الكبر والعجب، واستئصال هذا السلوك السيئ وبيان خطره.

"ومن الممكن أن نتصور خطورة الكبر على الحياة البشرية من خلال تصورنا أن هذا المرض قد عم كل الناس فكيف يكون الحال؟ تصوروا أن كل إنسان قد ازدرى كل الناس فماذا يكون؟ لا يبقى في هذه الحالة احترام لأحد ولا هيبة لأحد ولا حرمة لأحد ولا أدب مع أحد، وتصوروا حياة بشرية ليس فيها احترام ولا هيبة ولا حرمة ولا أدب. ثم تصوروا أن كل إنسان في هذا العالم إذا عرض عليه الحق رفضه، فكيف يكون أمر هذا العالم؟ عندئذ لا يستطيع اثنان أن يتفاهما على شيء إلا بالقهر على الباطل، فما لم يجتمع الناس على حق يجتمعون على باطل، وعندئذ فالقوي هو الذي ينفذ أمره، ويترتب على هذا الظلم والغصب والإرهاب والإرهاق والعدوان، وإهدار الكرامات والحقوق، وإذا عُلم هذا عرف كم يجب على الدعاة والمربين أن يمتلكوا ناصية علم التزكية كطريق لابد منه لإيجاد جماعة صالحة ومجتمع صالح"[1].

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوَّى، ص١٩٥.

إن الناس في كثير من الأحيان يعجزون عن التفرقة بين عزة المؤمن والكبر، والمسلمون أحيانًا يعجزون عن التفرقة بين التواضع والمظهر الحسن، وهذا اللبس دفع كثيرين إلى الخلط في الأمور، وهو ما يتطلب جلاءً وإيضاحًا نقول: "المسلم مطالب بإظهار العزة والتظاهر بها، أخذًا من الآية الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(١)]، وتتأكد هذه العزة إذا لاقى المسلم غير المسلم، وأدرك أن التواضع سيفهم على غير وجهه فلا بد من إظهار العزة في هذه الحالة.

وشراح الحديث قالوا: إنما نهى الرسول ﷺ عن بدء اليهود والنصارى بالسلام حتى يظهروا عزة الإسلام، ولا يفهم السلام ابتداء على أنه ضعف أو تواضع ولين.

ومع عزة الإسلام فالمسلم متواضع كل التواضع في صيغ الخطاب مع المسلمين، أخذًا من الآية الكريمة ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٢)]، ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾[(٣)]. ولهذا كان النهي عن تكبر المسلم على المسلم وكان الأمر بالتواضع.

وهل التكاليف الشرعية في الصلاة إلا داعية إلى المظهر الحسن بالدرجة الأولى إن الكبر في القلب قبل أن يكون على اللسان، وإنه في الجوهر قبل المظهر، ولهذا بيّن الرسول ﷺ أن مثقال ذرة من كبر في قلب الإنسان تمنع من دخوله الجنة، وإذا برجل يسأل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنةً، فقال له الرسول ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس.

١) أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره من سائر خلق الله في المنزلة والمكانة.

٢) أن يحتقر الآخرين لنسبهم أو فقرهم أو مرضهم أو جهلهم.

٣) أن يرد على الناصحين نصحهم وعلى المرشدين إرشادهم لأنه أكبر من أن ينصح.

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

٤) أن يمشي مختالاً تعجبه نفسه، يرى أنه سيدٌ والناس له خدم، يشعر بعلية ويرى الآخرين في دونية.

وأما التواضع فإنه سمة الأنبياء والمرسلين، فقد رأيناهم على سمو مكانتهم وعلو منزلتهم يحيون كما يحيا غيرهم، يجلسون معهم ويأكلون مما يأكلون، بل هم دونهم في العيش، يعتمدون على كسب اليد وإن كانوا ملوكًا، كما ورد بحق داود وسليمان عليهما السلام.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

إن من أساليب التربية أسلوب التربية بالترهيب، وهو يزجر النفس ويخوفها من مغبة الوقوع في المنهي عنه، وقد جاء الترهيب في أحاديث الباب في مواضع متعددة منها قوله ﷺ: "ألا أخبركم بأهل النار..."، ومنها: "احتجت الجنة والنار فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون..." ومنها: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم" وغير ذلك من الأحاديث التي جاءت ترهب من الكبر.

"إن أسلوب الترهيب أسلوب تربوي ضروري لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية وخاصة تربية الطفل، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة، ولأهميته ورد ذكره في عدة مواضع من القرآن الكريم، ولأهميته في العملية التربوية فقد استخدمه رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية ويُغضب الله تعالى، فكان رسول الله ﷺ يربي الصحابة رضي الله عنهم على تجنب المنكرات والوقوع فيها"[1].

ثالثًا- التربية بالمراقبة والملاحظة:

من وسائل التربية النافعة التربية بالمراقبة والملاحظة وهي تشمل الكبار والصغار، ومن أحاديث الباب التي تبين التربية بالمراقبة والملاحظة ما جاء عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك...."،

---

(١) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين، ص٣٦-٣٨.

وهذا يدلل على مراقبة الرسول ﷺ وملاحظته لهذا الرجل، وأكله بيده الشمال، وتوجيهه وإرشاده إلى تعديل سلوكه، وأن يأكل باليمين.

"ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها... ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة، حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته، فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه، وإن رأى منه شرًا نهاه عنه وحذّره منه، وبيّن له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة وتطبيقات النبي ﷺ للملاحظة والمراقبة لأفراد المجتمع تَخُطُّ للمربين جميعًا المنهج العملي في التربية، والطريقة المجدية المؤثرة في الإصلاح وتهيب بكل من كان في عنقه حق التربية، ومسؤولية التوجيه أن يبذل قصارى جهده وأن يوجه غاية اهتمامه في سبيل إسعاد الولد وإصلاحه، والرفع من مستواه العقلي والنفسي والأخلاقي"[(١)].

رابعًا- التربية الجمالية:

إن من أهداف التربية الإسلامية التي تهدف إلى غرسها في نفوس المتربين التربية الجمالية، والمتأمل في أحاديث الباب يلمس هذا الجانب التربوي الجمالي، وذلك في الحديث: "... فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال...".

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين، ويسري في النفس إحساس بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات، ولذا كان الهدف الأول للتربية الإسلامية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، فإن الجانب الجمالي يعتبر في نظر المربين لا يقل أهمية في تكوين الشخصية عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي"[(٢)].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ٧٢٩/٢-٧٣٤.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، د. عبدالجواد سيد بكر ص٢٤٢، ٢٤٣.

خامسًا- من الأساليب التربوية: المناقشة والحوار والتمهيد:

وردت في الباب عدة أساليب تربوية، يجدر أن يستفاد منها في التعليم والتربية، من ذلك:

أ-المناقشة والحوار: كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، فقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنا، وَنَعْلُهُ حَسَنَة))، والمناقشة والحوار من الأساليب التي يجدر بالمعلم أن يفعلها في تعليمه وفي تربيته لمن يقوم بتربيتهم، لأنها تتيح للمتعلم أن يشارك وأن يكون إيجابيًا، وأن تنمو لديه الدافعية للتعلم والاطلاع والرغبة في المعرفة.

ب-التمهيد: كما في حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟))، ويمكن للمعلم أن يمهد للدراسة بسؤال أو نحو ذلك؛ ليجذب انتباه المتعلمين نحو الدرس.



٧٣- باب حسن الخلق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٣٤] الآية.

الحديث رقم (٦٢١)

٦٢١- وعن أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ أحْسَنَ النَّاس خُلُقاً. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز يتناول في إجمال أخلاق النبي ﷺ والتعبير بكان إشارة إلى حالة واقعة ثابتة في زمن قبل زمن الحدث معتادة للمُتحدَث عنه، والتعبير بأفعل التفضيل (أحسن) ترتقي بالصفة رؤوس جميع الموصفين، وبكونها وصفا لرسول الله ﷺ تتخطى حدود الزمان، والمكان لترتقي بالصفة رؤوس العالمين في حسن خلقه يدل على ذلك تعريف الناس بلام الجنس التي تشمل الجميع بحكم التفضيل عليهم في هذه الصفة، والشواهد على حسن خلق النبي ﷺ أكثر من أن تحصى في موضع وليس أدل على ذلك من شهادة علام الغيوب (وإنك لعلى خلق عظيم)، قال الشيخ سيد قطب في تفسير الآية: وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم؛ ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٠٣، ومسلم ٢٣١٠/٥٥ ولفظهما سواء.

يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين! ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواح شتى: تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله، وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد ﷺ لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين، والله أعلم حيث يجعل رسالته. وما كان إلا محمد ﷺ بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى. فيكون كفئاً لها، كما يكون صورة حية منها، إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء. فتطيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء. في تماسك وفي توازن، وفي طمأنينة. طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم. ثم يتلقى بعد ذلك عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة. ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئاً ولا تلك.. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم. والعبد الطائع. والمبلغ الأمين[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان كمال خلق النبي ﷺ.

ثالثاً: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الخلق.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: البعد عن الفحش والتفحش.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الحث على حسن الخلق.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، تفسير سورة القلم.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٢٥).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديثين من إخبار أنس رضي الله عنه بكمال خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله رضي الله عنه "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً" وقول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً... إلخ" والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته وبيان سنة نبيه وهذا ما ورد في نص الحديث وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان كمال خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم:

(إن حسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره: افعل كذا، أولا تفعل كذا، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة، ويتطلب تعهداً مستمراً، ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيء لا يترك في نفوس من حوله أثراً طيباً، وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه ويسبيها نبله، وتقتبس -بالاعجاب المحض- من خلاله، وتمشي بالمحبة الخالصة في آثاره، بل لابد -ليحصل التابع على قدر كبير من الفضل- أن يكون في متبوعه قدر أكبر، وقسط أجل، وقد كان رسول الإسلام بين أصحابه مثلاً أعلى للخلق الذي يدعو إليه فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي، بسيرته العاطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات)[1].

وهذا ما أشار إليه الحديثان: الأول من قول أنس رضي الله عنه "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً" والثاني من قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً...الخ"، وقد شهد الحق تبارك وتعالى لنبيه بكمال خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] أي: "عليٌّ به مُستَعل بخُلُقِك الذي منّ الله عليك به وحاصل خلقه

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٤.

(٢) سورة القلم، آية :٤.

العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت: ((كَانَ خُلُقُهُ القُرآنَ))(١)، فكان ﷺ سهلاً ليناً، قريباً من الناس مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً، وافقهم عليه، وتابعهم فيه، وإذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر، لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم، ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم ولم يكن يعاشر جليساً إلا أتم عِشْرَةً وأحسَنَها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنهِ بِشْرَهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه، من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال"(٢).

وفي ذلك قال القاضي عياض: (وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها؛ فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها. والاعتدال إلى غايتها)(٣). وليس أدل على ذلك من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ، فما قال لي أُفٍّ، ولا: لمَ صَنَعتَ؟ ولا ألا صنعت))(٤).

وعنه رضي الله عنه أنه قال: ((كانتِ الأَمَةُ من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ الله ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت))(٥) (والمقصود من الأخذ باليد وهو الرفق والانقياد. وقد اشتمل

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨١٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١٧٢/١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، مسلم ٢٣٠٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

على أنواع المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت. والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)[١]، وما ذلك إلا لكمال خلقه ﷺ، وعن أنس رضي الله عنه قال: ((مَا رَأَيْتُ رَجُلاً الْتَقَمَ أُذُنَ رسول الله ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ))[٢]. وفي ذلك بيان لعظم وكمال خلق النبي ﷺ.

ثالثاً- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الخلق:

إن الداعية إلى الله بحاجة إلى أن يتأسى بالنبي ﷺ في كافة أموره التي من جملتها حسن الخلق، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالتأسي بالنبي ﷺ في عموم أمره فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣]، قال القرطبي في قوله تعالى: "أسوة": (الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به؛ أي: يُتعزى به فيقتدي به في جميع أفعاله ويتعزّى به في جميع أحواله)[٤]، فعلى الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في عظم وكمال أخلاقه ﷺ لما في ذلك من الفلاح في الدنيا والآخرة حيث قال ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً...))[٥]. فالداعية خليفة رسول الله ﷺ وهو قدوته التي يجب أن يتأسى بها، فعليه أن يلتزم بحسن الخلق تأسيًا بالنبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٥٠٦.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٧٩٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٩).

(٣) سورة الأحزاب، آية:٢١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٥/١/٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

رابعاً- من موضوعات الدعوة: البعد عن الفحش والتفحش:

هذا ما أشار إليه نص الحديث الثاني في قول الراوي: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً. قال الجرجاني: (والفحش هو ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل السليم)[١]. وقال ابن حجر: (والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدل في القول والفعل والصفة...، والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه)[٢].

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فعن عائشة رضي الله عنها: ((أن يَهودَ أتَوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السّامُ عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنَكُم الله وغضِبَ الله عليكم. قال: مهلاً يا عائشة، عليكِ بالرِّفق، وإياكِ والعنفَ والفُحش. قالت: أولم تَسمع ما قالوا؟ قال: أَوَلم تسمعي ما قلتُ؟ ردَدتُ عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فيَّ))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((استأذَنَ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ، فقال: ائذَنوا له، بئسَ أخو العشيرة أو ابن العشيرة. فلما دَخلَ ألانَ له الكلام. قلت يا رسول الله قلتَ الذي قلتَ ثم ألَنتَ له الكلام. قال: أي عائشة رضي الله عنها، إنَّ شر الناس مَن تركه الناس ـ أو وَدَعهُ الناس ـ اتقاءَ فُحشهِ))[٤]. وفي ذلك قال ابن حجر الهيتمي: (إن ملازمة الشر والفحش من الكبائر...، وإن الفحش والتفحش ليس من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً)[٥]. وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ))[٦] والله دَرُّ القائل:

---

(١) التعريفات ٢١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٧/١٠.

(٣) البخاري، ٦٠٣٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٥٤، ومسلم ٢٥٩١.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٣م، ١٥٢-١٥٣.

(٦) أخرجه أحمد ٤٠٥/١ رقم ٣٨٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩٠/٦.

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً وشرُ الناس من يهوى السبابا [(١)]

خامساً- من موضوعات الدعوة: الحث على حسن الخلق:

هذا مما يستنبط من الحديث الأول حيث أخبر أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقًا، وهو القدوة والأسوة الحسنة لجميع المسلمين وفي هذا حث على التحلي بحسن الخلق، وكذا ما أشار إليه نص الحديث الثاني في قوله ﷺ "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" قال النووي: (فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه، قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة قال: وحكى الطبري خلافاً للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره)[(٢)].

وقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق ببيان عظيم فضله فقال: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[(٣)] قال صاحب عون المعبود (... وإنما أعطى صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوساً كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد)[(٤)].

---

(١) مكارم الأخلاق. قافية الباء ص ٣١، العقد الفريد. قافية الألف ١٣٢/٢، كتاب السحر الحلال. قافية الباء ١٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٢).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق بن العظيم آبادي، ٢٠٨٣.

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في حسن الخلق في الحديث في قول أنس ﵁ "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا" وهذا من أعظم المرغبات، وكيف لا؟ وقد تحلى القدوة العظمى، وصاحب الصفات العليا بحسن الخلق، فهل يوجد مسلم يرجو الهداية و الثواب، ولا يرغب أن يتخلق بما اتصف به خير الخلق محمد ﷺ، كما ورد الترغيب في الحديث الثاني من قوله ﷺ "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" (والترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي ينبغي للداعية استخدامها في دعوته مما يشوق نفس المدعو إلى ما رغبت فيه، فيحملها ذلك على الانقياد والقبول، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)[1]. وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في حسن الخلق.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٢١.

الحديث رقم (٦٢٢)

٦٢٢- وعنه، قَالَ: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ ﷺ[(١)].

لَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألاَ فَعَلْتَ كَذَا؟ متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

دياجاً: الثوب المصنوع من الحرير[(٣)].

أُفٍّ: كلمة تضجُّر وتكرُّه[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره أسلوب نفي (مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ) يقرر جانبا من جماله الظاهري ﷺ، وهو لين كفه ﷺ وطيب رائحته، ويقرر الراوي عن طريق أفعل التفضيل (ألين - أطيب) أنه فاق الجميع في لين يده، وطيب رائحته، وتنكير كلمة ديباج، وحرير يفيد التعميم ويفضلها على رمز النعومة مما هو معروف عندهم من أنواع الثياب، وتأكيد النفي بلفظ (قط) يؤكد طيب النشر تأكيدا ينفي وهم المبالغة، ويقرر التفوق على كل ريح طيب شمها أنف أنس ﷺ، وقوله (وَلَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين) أكد الخبر باللام الموطئة للقسم، وقد التي

(١) أخرجه البخاري ٣٥٦١ واللفظ له، ومسلم ٢٣٣٠/٨١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩/٥١ واللفظ له.

تنبيه: الحديثان جمعهما المؤلف، وفرّقهما البخاري ومسلم، وكذا الحميدي في جمعه، وجميع من أخرج رياض الصالحين، لم ينتبه إلى أنهما حديثان فاعتبروه حديثًا، وهذا قصورٌ في التخريج.

(٣) اللسان في (د ب ج).

(٤) الوسيط في (أ ف ف).

تفيد التحقيق بدخولها على الماضي، ثم بالماضي الدال بصيغته على سبق التحقق، وذكر المدة يفيد تأكيد طول الملازمة، ومعرفة الأحوال التي تهيأ صواب الحكم، والخبر بمؤكداته غرضه لازم فائدته، وهي التمهيد، والتأكيد لحسن خلقه المتمثل في عدم نطقه بقول ناي يجرح، ويدل على الضجر، أو يفيد مجرد الاعتراض، وهو ما قرره في قوله (فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألاَ فَعَلْتَ كَذا؟) وكلمة (أف) الأف كل مستقذر من وسخ كقلامة الظفر، وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به، ويقال أيضا عند كره الشيء، وعند التضجر من الشيء، وهي أقل ما يقوله المتضجر، وفي ذكرها مبالغة في نفي قوله أي كلمة قبيحة لأن نفي الأقل يستلزم نفي الأكثر، ونفي قوله (ألا فعلت كذا؟) الذي يشير إلى التحضيض على إتيان فعل دون فعل، والذي يوحي بشيء من الرفض للفعل الأول دليل على لون من الأخلاق لا يتكرر مع طول الزمان، واتساع المكان مما يدل عل عظيم حلمه، وخلقه ﷺ.

فقه الحديث

التسامح في حظوظ الإنسان:

قال ابن حجر: (يستفاد من هذا فائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخدم بترك معاتبته، وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعًا فلا يتسامح فيها، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات النبي ﷺ: طيب رائحته ولين مسه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان حسن معاملة النبي ﷺ للناس.

ثالثاً: من مهام الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن معاملة الناس.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٤٦٠.

أولاً- من صفات النبي ﷺ: طيب رائحته ولين مسه:

هذا ما ظهر جلياً من قول أنس رضي الله عنه: "ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ"، قال النووي: (وفيه بيان طيب ريحه ﷺ وهو مما أكرمه الله تعالى، قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات، مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين)[١]، وهذا ما أكده أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ. وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ. فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا. فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: ((يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟)) قَالَتْ: هـذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا. وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ[٢]. وفي رواية: قَالَتْ: (عَرَقُكَ أَدُوفُ بِهِ طِيبِي)[٣].

(وقد كانت أم سليم ذات محرم من النبي ﷺ من الرضاعة، وفي ذلك جاز الخلوة مع المحارم، والنوم عندهن...، وقولها أدوف به طيبي: أي أخلطه)[٤]، وفي ذلك بيان على طيب ريحه وعرقه ﷺ ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة[٥].

وقد أشار الحديث إلى لين مسه ﷺ،وهذا ما أكده جابر بن سمرة رضي الله عنه في قوله: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَىٰ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِداً وَاحِداً. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيحاً كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ)[٦]. قال القاضي عياض:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٣٢.

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٧/٧ – ٢٩٨.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ص ١٥٢.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣٢٩.

(والجؤنة، بضم الجيم، كالسقط يجعل فيه العطار متاعه)[١]، وقال ابن حجر: (وفيه أنه ﷺ كان على أكمل الصفات خلقاً وخلقاً فهو كل الكمال وجل الجلال وجملة الجمال عليه أفضل الصلاة والسلام)[٢]. وقال د. الحسيني هاشم في حديث الباب: (ضم الرسول ﷺ إلى جانب الجمال المعنوي بحسن الخُلُق الجمال الحسي بحسن الخلق، فهذا أنس رضي الله عنه يجد راحة في مس يد النبي ﷺ لما فيها من حنو ورقة وطيبة ونعومة، وهي اليد التي طالما مارست الشؤون الدنيوية، وأمسكت بآلات الحرب وخاضت حامي المعارك، ويستنشق من رائحة الرسول ﷺ ما لا تدانيه رائحة العطور)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان حسن معاملة النبي ﷺ للناس:

قد كان من مقاصد البعثة المحمدية إتمام محاسن الأخلاق لقوله ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأتَمِّمَ صَالِحَ ألاخْلاَقِ))[٤]، فكما كان النبي ﷺ يدعو الناس بلسان مقاله، فإنه أيضاً كان يدعوهم بأخلاقه وكريم فعاله)[٥]، وهذا ما ورد في نص الحديث من قول أنس رضي الله عنه: "... ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: أف ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا".

وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (يقول ولقد خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ، يعني ما تضجر منه أبدًا، عشر سنوات يخدمه ما تضجر منه، والواحد منا إذا خدمه أحد وصاحبه أحد لمدة أسبوع أو نحوه لا بد أن يجد منه تضجرًا، لكن الرسول ﷺ عشر سنوات وهذا الرجل يخدمه، ومع ذلك ما قال له أفٍّ قط.

ولا قال لشيء فعلته لما فعلت كذا؟ حتى الأشياء التي يفعلها أنس اجتهادًا منه ما كان الرسول ﷺ يؤنبه أو يوبخه أو يقول لما فعلت كذا، مع أنه خادم، وكذلك ما

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٥/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٥/٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٢٠٧).

(٥) انظر: مكارم الأخلاق، محمد بن عثيمين ص ١١.

قال لشيء لِمَ لَمْ تفعل كذا وكذا فكان ﷺ يعامله بما أرشده الله سبحانه وتعالى إليه في قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١].

أتدرون ما العفو؟ ما عفا من أخلاق الناس وما تيسر، يعني خذ من الناس ما تيسر، ولا تريد أن يكون الناس لك على ما تريد في كل شيء، من أراد أن يكون الناس له على ما يريد في كل شيء فاته كل شيء، ولكن خذ ما تيسر، عامل الناس بما إن جاءك قبلت، وإن فاتك لم تغضب، ولهذا قال: ما قال لشيء لم أفعله لِمَ لمْ تفعل كذا وكذا، وهذا من حسن خلقه ﷺ)[٢].

وفي بيان حسن معاملته ﷺ للناس قالت عائشة رضي الله عنها: ((ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّرَ بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله عز وجل فيكون هو ينتقم لله عز وجل))[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ أَعْرَابياً بالَ في المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ أُناسٌ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ دَلْوَاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[٤]، (فالنبي ﷺ لم يوبخ هذا الأعرابي ولم يأمر بضربه، بل إنه تركه حتى قضى بوله، ثم أعلمه أن المساجد لا تصلح لما فَعَل، إنما هي للصلاة والذكر وقراءة القرآن)[٥]، وهذا من كمال خلق النبي ﷺ وحسن معاملته للناس، وقد شمل حسن خلقه ﷺ الأطفال، فكان يلاطفهم ويلاعبهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((إن كان النبيُّ ﷺ ليخالطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: يا أبا عُمَير،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٠٧/١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٣٢/٦ رقم ٢٥٩٥٦، وقال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٠٩/٤٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٢٨، ومسلم ٢٨٤.

(٥) مكارم الأخلاق، محمد بن عثيمين ص ٥٤.

ما فَعلَ النغَير؟))[١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كنتُ ألعَبُ بالبنات عندَ النبي ﷺ، وكان لي صَواحبُ يَلعبنَ معي، فكان رسولُ الله ﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ منه، فيُسَرِّبهنَّ إليَّ فيلعَبْنَ معي))[٢].

قال ابن عثيمين: (ولم يتخلق أحد بمثله ﷺ، في كل شيء، خُلق مع الله، خُلق مع عباد الله، في الشجاعة والكرم وحسن المعاملة، وفي كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن يتأدب بآدابه، يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه)[٣]، فكان ﷺ أحسن الناس معاملة مع عباد الله.

ثالثاً- من مهام الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن معاملة الناس:

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، وإذا كان هذا مطلب عامة المسلمين لا يسعهم إلا ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤]، (فهو في حق الدعاة ألزم وأوجب، ذلك أن الدعاة إنما يدعون إلى هدي النبي ﷺ، ومنهجه، وطريقته، وهديه هو سبيل النجاة من كل شر والفوز بكل خير وبر، والنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره؛ لأن الدعاة يدعون بالأقوال والأفعال، بالبيان والقدوة، والناس يرون في أفعال الدعاة وسيرتهم تطبيقاً حياً لما يدعون إليه، فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ متتبعين منهجه مقتدين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٣٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٩٠٥/١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٥) صفات الدعاة، د. عبد الرب نواب الدين ص ٥٨ - ٥٩.

وقد بين ابن القيم منهج النبي ﷺ في حسن معاملة الناس فقال: (وكان النبي ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت...، وكان ﷺ يكون في بيته في خدمة أهله، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، وكان ﷺ يحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم ويجالس المسكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، ليّن الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم...، وكان ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة... ويجيب دعوة العبد"[1]، وفي ذلك بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته ومعاملته للناس، فعلى الدعاة أن يجعلوا ذلك لهم منهاجاً وطريقاً، وفي ذلك عظيم الفائدة وكمالها في إنفاذ الدعوة ووصولها إلى قلوب المدعوين.

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/١١١ - ١١٢.

الحديث رقم (٦٢٣)

٦٢٣- وعن الصعب بن جَثَّامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أهديتُ رسولَ الله ﷺ حِمَاراً وَحْشِياً[١]، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي، قَالَ: ((إنّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلاَّ لأنَّا حُرُمٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

الصَّعْب بن جثّامة: واسمه يزيد بن قيس بن ربيعة بن يعمر اللَّيثي الحجازي، وكان حليفاً لقريش، هاجر إلى النبي ﷺ وكان الصعب ينزل ودّان، والأبواء من أرض الحجاز، كان له صحبة ورواية، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عوف بن مالك. وكان رضي الله عنه فيمن شهد فتح فارس.

أما عن وفاته فجاء في معظم كتب الرجال أنه توفي في خلافة أبي بكر، وخطّأ ابن حجر والسندي هذا القول، إذ أن الصعب بن جَثَّامة شهد فتح فارس وعاش إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً[٣].

غريب الألفاظ:

حرم: محرمون بالحج أو العمرة[٤].

---

(١) هذا لفظ حديث الليث، ومعمر، وصالح، عن الزهري، عند مسلم ١١٩٣/٥١.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣/٥٠.

تنبيه: الشطر الأول من الحديث، هو لفظ مسلم برقم ١١٩٣/٥١، والشطر الأخير عند مسلم أيضًا برقم ١١٩٣/٥٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٤٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٩/٣، ٢٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٠٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥٢/٣، ٤٥٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/٢، والسندي ٣٥١/٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر م).

الشرح الأدبي

قول الراوي (أهديتُ رسولَ الله ﷺ) يشير إلى المحبة، والتودد منه لرسول ﷺ، كما يبشر بالقبول لما هو معروف عنه ﷺ أنه يقبل الهدية، ويأكل منها، ولا يقبل الصدقة على نفسه، وآل بيته بل ينفقها على الفقراء، وقوله (حِمَاراً وَحْشِيّاً) يبين موضع الخلاف وسبب الرد الذي ترتب عليه (فرده عليَّ) كناية عن رفضه قبوله منه وقوله (فَلَمَّا رأى مَا فِي وجهي) كناية عن علامات الحرج والحياء، والكآبة - وكانوا ﷺ في قمة الحرص على رضاه - وقول الرسول ﷺ (إنّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ لأنّا حُرُمٌ) احتراس ينفي وهم كره لشخص المهدي أو الطعن فيه، ويبين السبب وراء الرد بما يذهب كآبة الرجل، وحزنه، ويزيل سبب الحرج، وهو من رعايته لمشاعر الناس، ورقته في معاملتهم ﷺ.

فقه الحديث

١-أَكْلُ المُحْرِم من صيد غير المحرم "الحلال":

قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على تحريم الأكل من لحم الصيد على المحرم مطلقاً، لأنه اقتصر في التعليل على كونه محرمًا، فدل على أنه سبب الامتناع خاصة، وهو قول عليٍّ وابن عباس وابن عمر والليث والثوري وإسحاق؛ لحديث الصعب هذا، ولما أخرجه أبو داود وغيره من حديث عليٍّ أنه قال لناس من أشجع: أتعلمون أن رسول الله ﷺ أهدى له رجلٌ حمار وحشٍ وهو محرم فأبى أن يأكله؟ قالوا: نعم[(١)]، لكن يعارض هذا الظاهر ما أخرجه مسلم من حديث طلحة أنه أُهْدي طير وهو محرم، وطلحة راقد فمنا من أكل ومنا من تورع فلما استيقظ طلحة وفّق من أكله، وقال: أكلناه مع رسول الله ﷺ[(٢)] وحديث أبي قتادة: (فلما أتوا رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا كنا أحرمنا، وقد كان أبو قتادة لم يحرم، فرأينا حمر وحش، فحمل

(١) أخرجه أبو داود ١٨٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم ١١٩٧.

عليها أبو قتادة فعقر منها أتانًا، فنزلنا فأكلنا من لحمها ثم قلنا: أنأكل لحم صيد ونحن محرمون؟ فجعلنا ما بقي من لحمها، قال: منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟ قالوا: لا قال: فكلوا ما بقي من لحمها)[١]... وبالجواز مطلقًا قال الكوفيون [الحنفية] وطائفة من السلف، وجمع الجمهور بين ما اختلف من ذلك بأن أحاديث القبول محمولة على ما يصيده الحلال لنفسه ثم يهدي منه للمحرم، وأحاديث الردّ محمولة على ما صاده الحلال لأجل المحرم. قالوا: والسبب في الاقتصار على الإحرام عند الاعتذار للصعب أن الصيد لا يحرم على المرء إذا صيد له إلا إذا كان محرمًا، فبين الشرط الأصلي وسكت عمّا عداه فلم يدل على نفيه. وقد بينه في الأحاديث الأخر، ويؤيد هذا الجمع حديث جابر مرفوعًا: ((صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصاد لكم))[٢])[٣].

٢-الحكم بالعلامة: قال ابن حجر: (وفي حديث الصعب الحكم بالعلامة؛ لقوله "فلما رأى ما في وجهي")[٤].

٣-جواز رد الهدية لعلة: قال ابن حجر: (فيه جواز رد الهدية لعلة، وترجم له المصنف [البخاري] (من ردّ الهدية لعلة)[٥])[٦].

٤-ملك الهبة لا يكون إلا بالقبول: قال ابن حجر: (وفيه أن الهبة لا تدخل في الملك

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٢٤، ومسلم ١١٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود ١٨٥١، والترمذي ٨٤٦، والنسائي ٢٨٣٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي دود ٤٠١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٣-٢٤. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٨/٨٥-٨٦، وانظر كذلك: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني ٢/٢٧٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٢/٣١٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧/٣٢٠، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢/٤٦٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٢١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٤.

(٥) الباب رقم ١٧ من كتاب الهبة من صحيح البخاري، الحديث ٢٥٩٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٤.

إلا بالقبول، وأن قدرته على تملكها لا تصيره مالكًا لها)[(١)].

٥-استحباب اعتذار من أهديت له هدية فردّها لمعنى شرعي: بوّب النووي على هذا الحديث في كتاب الأذكار: باب استحباب اعتذار من أهديت له هدية فردّها لمعنى شرعي بأن يكون قاضيًا أو واليًا أو كان فيها لون شبهة أو كان له عذر غير ذلك)[(٢)].

٦-إرسال المحرم ما في يده من الصيد الممتنع عليه اصطياده: قال ابن حجر: (وفيه أن على المحرم أن يرسل ما في يده من الصيد الممتنع عليه اصطياده)[(٣)].

٧-قبول الهدية: قال ابن حجر: (مفهوم قوله ﷺ: "لم نرده عليك إلا أنا حرم" مفهومه [أي مفهوم المخالفة] أنه لو لم يكن محرمًا لقبله منه، وفيه أنه لا يجوز قبول ما لا يحلّ من الهدية)[(٤)]، وقال ابن حجر كذلك: (واستنبط المهلب رد هدية من كان ماله حرامًا أو عرف بالظلم)[(٥)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإهداء للنبي ﷺ.

ثانياً: من صفات الداعية: الحرص على تطييب نفس المدعو.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإهداء للنبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أكثر الناس حباً وتعظيماً وإجلالاً لرسول الله ﷺ ،وقد كان ما يدل على حبهم رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ إهداءه والحرص عى

---

(١) المرجع السابق ٣٤/٤، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء. انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣١٠/٧، والشرح الكبير ١٠٠/٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٧٥/٥، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢٧٧/٥.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٣٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/٥

(٥) المرجع السابق ٢٣١/٥.

ذلك، وهذا ما أشار إليه الحديث من قول الصعب بن جثامة رضي الله عنه: "أهديت رسول الله ﷺ..." إلخ، قال النووي: (فيه جواز قبول الهدية للنبي ﷺ بخلاف الصدقة)[١].

وفي بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على إهداء النبي ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ النَاسَ كانوا يَتحرَّونَ بهداياهُم يومَ عائشةَ يَبتَغونَ بها -أو يَبتَغونَ بذلكَ- مَرْضاةَ رسولِ الله ﷺ))[٢]، والمقصود بالتحري: أي: "القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول"[٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الاخَرُ أم سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَّرَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أم سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أم سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً، فَسَأَلْنَهَا. فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئاً. فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّمِيهِ. قَالَتْ فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضاً، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً، فَسَأَلْنَهَا. فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئاً. فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ. فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ. فَقَالَ لَهَا: لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي، وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ.... إلخ))[٤].

وعنها رضي الله عنها قالت: ((....، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ))[٥]، وعن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٧٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥٨١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٦٧، ومسلم ٢٥٨١.

جابر رضي الله عنه: ((أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْناً...))(١)، وفي ذلك بيان الحرص من الصحابة رضي الله عنهم على الإهداء إلى النبي ﷺ حباً وتعظيماً وإجلالاً وإكرامًا له ﷺ.

ثانياً- من صفات الداعية: الحرص على تطييب نفس المدعو:

قد ورد ذلك في الحديث من قول الراوي: (فلما رأى ما في وجهي قال: إنا لم نرده عليك إلا أنا حرُم)، قال النووي: (وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبل هدية ونحوها أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطيباً لقلبه)(٢)، وقال ابن حجر: (وفيه الاعتذار عن رد الهدية تطييباً لقلب المهدي)(٣).

(فعلى الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في حرصه على تطييب نفس الصحابة رضي الله عنهم، فإن من أعظم معايير نجاح الداعية في دعوته: أن تجتمع عليه القلوب بالحب والمودّة وأن يجد الناس في قربه الأنس والطمأنينة، وارتياح النفس، وانشراح الصدر)(٤)، وهذا لا يكون إلا بالحرص على تطييب نفوس المدعوين، وليس أدلّ على ذلك من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِى قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِى الأَنْصَارِ مِنْهَا شَىْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَىُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار شيء قال: ((فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يا سَعْدُ؟)) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا؟. قال: ((فَاجْمَعْ لي قَوْمَكَ في هَذِهِ الحَظِيْرَةِ)). (قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة). قال: فجاء رجل من

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٧٤٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٤.

(٤) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبد المجيد البيانوني ص ١٣٢.

المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال: فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: ((يا مَعْشَرَ الأنصار مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتكم ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ؟، وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فألَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟)) قالوا: بَلْ الله ورسوله أمنّ وأفضل، قال: ((أَلاَ تُجِيبُونني يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟)) قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنّ والفضل؟ قال: ((أَمَا والله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ، وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ - يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ - فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا؟ أَلَّفْتُ قَوْماً لِيُسْلِمُوا؟ وَوَكَلْتُكُمْ إِلى إِسْلاَمِكُمْ؟ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ)). قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْماً وَحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا[1]. وهذا أعظم دليل على أهمية تطييب نفوس المدعوين لما في ذلك من أثر في قبول الدعوة ونفاذها.

ثالثاً- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم:

قد ورد حسن تعامل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم في الحديث من تطييب النبي ﷺ لقلب الصعب بن جثامة رضي الله عنه عندما رد النبي ﷺ عليه هديته وذلك في قوله ﷺ: "إنا لم نرد عليك إلا أنا حرم"، قال ابن عثيمين: (إنه ينبغي للإنسان أن يجبر خاطر أخيه إذا فعل معه ما لا يحب، ويبين السبب لأجل أن تطيب نفسه، ويطمئن قلبه، فإن هذا من هدي النبي ﷺ)[2]. وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالتأسي بالنبي ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم، وفي كل دقيق وجليل من أمور حياته ﷺ فقال:

---

(١) مسند أحمد ٧٦/٣-٧٧ رقم ١١٧٣٠، وقال محققوا المسند: إسناده حسن ٢٥٣/١٨-٢٥٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٠٨/١.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [١]، وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً مع أصحابه رضي الله عنهم، (فالسير على نهجه ﷺ وترسم طريقه، والاقتداء به، من أمر الله، وطاعة لله جل وعلا، وامتثالاً لأمره سبحانه وتعالى)[٢].

وقد كان النبي ﷺ أحسن الناسُ خُلقاً مع أصحابه رضي الله عنهم، وليس أدل على ذلك من قول أبي هريرة رضي الله عنه: ((قَالُوا يا رسولَ الله إِنَّكَ تُدَاعِبُنا؟ قَالَ: إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا))[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ. فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللّهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ. مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ. فَضَحِكَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))[٤].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءتِ امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ ببُردةٍ. فقال سهلٌ للقوم: أتدرون ما البردةُ؟ فقال القوم: هي شَملةٌ فقال سهلٌ: هي شملة منسوجةٌ فيها حاشيتُها. فقالت: يا رسولَ الله، أكسوكَ هذهِ، فأخذَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فلبسَها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابةِ فقال: يا رسولَ الله، ما أحسنَ هذهِ، فاكسُنيها. فقال: نعم... إلخ))[٥].

وفي ذلك بيان على حسن تعامل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم وكمال خلقه، وفي تأسي المدعو بذلك يكون الفلاح والقرب من النبي ﷺ يوم القيامة لقوله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً... إلخ))[٦].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري ص ٢٧٣.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٢١).

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٨، ومسلم ١٠٥٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣٦.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

الحديث رقم (٦٢٤)

٦٢٤- وعن النَّوَاس بنِ سمعان رضي الله عنه، قَالَ: سألتُ رسولَ اللّه ﷺ عن البِرِّ وَالإثم، فَقَالَ: ((البِرُّ: حُسنُ الخُلقِ، والإثمُ: مَا حاك في نفسك، وكَرِهتَ ان يَطّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩٠).

غريب الألفاظ:

حاك: أثّر ورسَخَ[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يوضح، ويحدد مفهوم البر، ومفهوم الإثم اللذين عليهما مدار الحسنة، والسيئة، واللام في لفظ (البر) للجنس حتى يشمل المفهوم جميع أنواع البر، وقد عرفه الرسول ﷺ بكلمة (حسن) واللفظ يوحي بجمال في جودة، وقبول، وإضافته للخلق تضبط حركة البار بميزان المعاملة مع الله، ومع الناس ببذل نفسه في تحمل أذاهم ورده بالمعروف، وقد قابله بالأثم الذي عرفه بأنه (مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) والتعبير بالحياكة لبيان شدة الأثر في القلب مع ما يوحي به من حركة في حنايا النفس، وقوله (وكرهت) يشير إلى الشعور ببغضه، وقبحه، وتوقع رفضه، والتعبير بالإطلاع يوحي بأنه مستور، كما أنه يحتاج إلى تكلف، وتعب لمعرفته، وهذا التحديد للإثم يزيد مفهوم البر وضوحا؛ لأن النفس لا تردد فيه، ولا يكره الإنسان إطلاع الناس عليه، كما أن تعريف البر بالحسن، يتضمن وسم الإثم بالقبيح، ويترك كل مصطلح في تمام الوضوح بإزاء ضده، فإن كثيرا من أصحاب

---

(١) برقم ٢٥٥٣/١٤، وتقدم برقم ٥٩٠. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٨٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ي ك).

العقول الفاسدة يجد في تزييف المصطلحات، وتلبيسها على الناس سبيلا لتضليلهم، وحملهم على الباطل.

المضامين الدعوية [١]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٩٠).

الحديث رقم (٦٢٥)

٦٢٥- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً ، وكان يَقُولُ: ((إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاَقاً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

الفاحش: ذُو الفحش في كلامه وفعاله، والمتفحش الذي يتكلف ذلك ويتعمّده[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقدم نموذجا حيا في حسن الخلق يُرفع للمؤمنين يقتدون به في كل زمان، ومكان، وقد استخدم الراوي أسلوب النفي الصريح الواقع على فعل الكينونة الذي يقرر عدم التلبس بالصفات المذكورة، وهي الفحش، والتفحش، وأصله الزيادة بالخروج عن الحد قوله (ولا متفحشا) أي ولا متكلفا في الفحش، وحاصله أنه لم يكن الفحش له لا جبليا، ولا كسبيا، ونفي هذه الصفات يثبت ضمنا عكسها، وقول الرسول ﷺ (إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاَقاً) توكيد قولي للتأكيد السابق العملي الذي كان عليه الرسول ﷺ، والتعبير بالخيار يشير إلى جماع الخير منهم في الدنيا مع الناس، ومن الله معهم في الآخرة، والتعبير بالأحسن يشير إلى مجموعة الصفات التي تجعل العبد قريبا من عباد الله الصالحين، وقريبا من رب العالمين، وجمع الأخلاق يشير إلى ذلك.

المضامين الدعوية[3]

(١) أخرجه البخاري ٣٥٥٩ واللفظ له، ومسلم ٢٣٢١/٦٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٩٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٢٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٢١).

الحديث رقم (٦٢٦)

٦٢٦- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه : أن النبي ﷺ ، قَالَ: ((مَا مِنْ شَيْءٍ أثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ)) رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

البَذيُّ: الذي يتكلم بالفُحْشِ، ورديء الكلام[2] .

الشرح الأدبي

تأكيد الراوي الخبر عن النبي ﷺ إحساس منه بعظمة من يحدِّث عنه، وإحساس بعظمة الخبر، وقول الرسول (مَا مِنْ شَيْءٍ أثْقَلُ فِي مِيزَانٍ) أسلوب نفي مستغرق شامل لكل شيء، والتعبير بأفعل التفضيل (أثقل) يشير إلى خاصية في الوزن، لأنه متعلق بقوله (في ميزان)، وإضافته للعبد يعطي الميزان خصوصية تحقق مزيدا من التشويق، والترقب للخبر، واللام في لفظ العبد للجنس، ووصفه بالمؤمن تخصيص بطائفة عنيت بالتنافس في الخيرات، وتحصيل الصالحات، وتقييده بالظرف (يوم) وإضافته للقيامة يعطي الصورة أبعادا أخرى من حيث طبيعة الموزون، وأهميته في تحقيق الفلاح وقوله (مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ) بيان للراجح في ميزان العبد بكل شيء، وفيه تنويه على فضل وعظمة ثواب حسن الخلق، مما يرغب في التخلق بالأخلاق الحسنة.

---

(١) برقم ٢٠٠٢. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٥٦٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠١.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الخلق الحسن يوم القيامة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بغض الله تعالى لأصحاب الخلق السيئ.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإخبار:

الإخبار من الأساليب الدعوية التي تستعمل في تبليغ الدعوة إلى الله، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بالإخبار عنه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، وقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[2]، وقد حثّ تعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3]، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخباره ﷺ بعظم وأهمية حسن الخلق في إثقال ميزان العبد يوم القيامة، وبيان بغض الله تعالى لسوء الخلق.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الخلق الحسن يوم القيامة:

(إن الخلق الحسن من الخصال الحميدة التي سعى الإسلام إليها، حثاً وتأييداً ودعا إليها تخلقاً وعملاً، ورغّب فيها بالأجر وحسن النتيجة)[4]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)، قال المباركفوري: (قوله: "ما من شيء" أي ثوابه أو صحيفته أو عينه المجسد "من خلق حسن" فإن الله تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه)[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٤) سوء الخلق "مكانته وحقيقته"، د. محمد بن سعد الشويعر ص ٢٢.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٦١/٢.

قال ابن عثيمين: (وفي الحديث الحث على حسن الخلق، وأنه من أثقل ما يكون في الميزان يوم القيامة وهذا من باب الترغيب فيه)[١]، (وحسن الخلق أن يكون المرء سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة)[٢].

(ولحسن الخلق مكانة عظيمة فهو تربية ربانية، ومنهج سماوي، اختاره الله للأنبياء والرسل عليهم السلام وهم صفوة الخلق، كجزء من مهمتهم في تبليغ رسالة الله إلى خلقه... ومن حكمة الله جلّت عظمته أن جعل حسن الخلق في الكلام، وحسن الخلق في المعاملة، من البراهين المعينة على تقبل الدعوة، ومعرفة حقيقتها؛ لأن الفؤاد لا يصفو، والعقل لا يتبصّر، والأعصاب لا تهدأ، والنفس لا تتقبل إلا مع الخلق الحسن، والاستمالة اللينة في الحديث، والرقة في المعاملة)[٣].

ومن أجل ذلك عظّم الشرع مكانة ومنزلة حسن الخلق يوم القيامة فقال النبي ﷺ: ((أَتَى اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّه مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّه حَدِيثاً﴾. قَالَ يَا رَبِّ: آتَيْتَنِي مَالاً، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بذلِكَ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي))[٤]. وقال ﷺ: ((أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ))[٥]، بل إن حسن الخلق لا يقل درجة عن بقية العبادات بل يرتقي بصاحبه إلى مصاف العباد الزهاد؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))[٦] قال

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/١٩٠.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٣٧.

(٣) حسن الخلق "مكانته وحقيقته"، د. محمد الشويعر ص ٢٦ - ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٦٠.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٠٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤١٠٥).

(٦) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤٠١٣).

العظيم آبادي: (أي إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة صائم النهار قائم الليل، وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد)[1]. وفي ذلك بيان لفضل الخلق الحسن يوم القيامة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بغض الله تعالى لأصحاب الخلق السيئ:

(إن سوء الخلق عمل مرذول، ومسلك دنيء، به يُبذل القبيح، ويكف الجميل فضلاً عن التحلي بالرذائل، والتخلي من الفضائل، يمقته الله عز وجل ويبغضه الرسول ﷺ)[2]، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (... وإن الله يبغض الفاحش البذيء)، أي: إن الله يبغض الفاحش يتكلم بما يكره سماعه أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي)[3]، (والبذيء في النهاية من البذاء بالمد ويعني الفحش في القول)[4]، وفي ذلك قال الأحنف بن قيس: (ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدني، واللسان البذيء)[5]، بل إن سوء الخلق من أسباب دمار الأمم، وانهيار الحضارات وصدق شوقي إذ يقول:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلاً[6]

وقد بين ابن القيم: (أن منشأ جميع الأخلاق السافلة، وبناؤها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ٢٠٨٢، ٢٠٨٣.

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٧٣، وسوء الخلق، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٦١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٦٩.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٦٠.

(٦) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد ص ١٣.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصاً والنقص كمالاً.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والنَّهمة والجشع، وإفراط النفس في الذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه، ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق أخلاق مذمومة. وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراطها في الضعف وإفراطها في القوة فيتولد من إفراطها في الضعف: المهانة، والبخل، والخسة، واللؤم، والذل، والحرص، والشح، وسفاسف الأمور والأخلاق، ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم والغضب والحدة، والفحش والطيش)[1].

ومن أجل ذلك نجد أن النبي ﷺ قد رهّب من سوء الخلق ببيان سوء عاقبة صاحبه يوم القيامة في قوله: ((وإنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةَ الثَّرثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قالُوا: يا رسولَ الله قَدْ عَلِمْنَا الثَّرثَارِينَ وَالمُتَشَدِّقِينَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قال المُتَكَبِّرُونَ))[2]، وقال ﷺ: ((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاظُ وَلاَ الْجَعْظَرِيُّ))[3].

والجواظ: الغليظ الفظ، بتشديد الظاء، أي: سيء الخلق...، وقد قيل: الجواظ كثير اللحم المختال في مشيه، وقيل: الجموع المنوع، وقيل: القصير البطيء الجافي القلب، وقيل: الفاجر، وقيل: الأكول، والجعظري: الفظ الغليظ المتكبر وقيل: هو

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٥/٣ - ٧٦.

(٢) اخرجه الترمذي ٢٠١٨، وقال الألباني: حديث حسن، (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

(٣) اخرجه ابو داود ٤٨٠١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٦).

الذي لا يصدع رأسه، وقيل: هو الذي يتمدح وينفخ بما ليس عنده وفيه قصر[١]، وفي ذلك بيان على بغض الله تعالى لأصحاب الخلق السيء.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

قد ورد أسلوب الترغيب في الحديث من قوله ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)، قال ابن عثيمين: (وفيه أيضاً الحث على حسن الخلق...، وهذا من باب الترغيب فيه)[٢]، أما الترهيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "... وإن الله يبغض الفاحش البذيء"، (فالنفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين...، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه...)[٣].

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة[٤].

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩١٠/١.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٤) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

الحديث رقم (٦٢٧)

٦٢٧- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: ((تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ))، وَسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: ((الفَمُ وَالفَرْجُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

السؤال عن الجنة سؤال عن الطريق إلى الغاية العظمى في موطن الخلود، وعن المطلوب الأكبر لجماعة العقلاء الذين فتح الله بصائرهم، وقوله (عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟) فيه خصوصية في السؤال اكتسبها من استخدام أفعل التفضيل (أكثر) وهي خصيصة تجعل المراد من السؤال هو المقدم على الجميع في إدخال الناس الجنة، وهو سؤال ذكي، والتعبير بالفعل المضارع يصور تجدد الفعل بتتابع الداخلين بالعمل المذكور، وقول الرسول ﷺ (تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ) مبني على إيجاز يستلزمه مقام السؤال، والجواب، والتقدير: أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله..، وتقوى الله، تحدد المعاملة مع الله وهي: اسم جامع لكل ما يحقق تنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وحسن الخلق اسم جامع لكل ما يحقق المودة، والتراحم، والتلاحم بين جموع المسلمين من وجهين: الأول: تحمل أذاهم، والرد بالحسنى، والثاني: بذل ما يحقق المحبة من طلاقة الوجه، والتهادي والصلات وغيرها؛ ولذلك كان لها عظيم الأثر في إدخال الناس الجنة، والسؤال المقابل لهذا السؤال هو قوله: (وَسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟) ومقابلة الضد بضده تجعله في أتم الوضوح، وقوله (الفم والفرج) يقرر خطرهما، وما يمكن أن يبلغا بالعبد في دركات الهلاك مما يستلزم الحرص منهما، والحذر المؤدي للسلامة.

---

(١) برقم ٢٢٠٤ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٧٦، وقال الحاكم ٣٢٤/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٠٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل التقوى وحسن الخلق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من آفات اللسان والفرج.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد ورد ذلك في الحديث من قول الراوي: "سُئل رسول الله ﷺ...؟ قال: ..."، والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على استحضار أذهان المدعوين، فضلاً عن وضعهم في حالة استعداد فكريّ ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[1]، وقد أفاد السؤال والجواب في هذا الحديث أهمية حرص المدعو على معرفة الأمور التي تكون سبباً في دخول الجنة، ومعرفة الأمور التي تكون سبباً في دخول النار.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل التقوى وحسن الخلق:

قد جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[2]، وهذا ما رغّب فيه النبي ﷺ من الحديث في قوله - عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ - قال: (تقوى الله وحسن الخلق)، "وتقوى الله كلمة جامعة لفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، فيكون بها اتخاذ الوقاية والاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وتقوى الله في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر،

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٥٩/٢.

(٢) الفوائد، ابن القيم ص ٨٤ - ٨٥.

وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل: محافظة آداب الشريعة[(١)].

وللتقوى ثمرات عظيمة، وفضائل عميمة، فبها تكون محبة الله تعالى، وهي الغاية لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]، وهي طريق معية الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٣)]، وقد جعلها الله تعالى طريق الفلاح فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٤)]، وبها تكون الكرامة عند الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[(٥)]، وقد جعل الله الفوز والنجاة وحسن الجزاء لصاحبها فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[(٦)]، وقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[(٧)].

ولله درُّ القائل:

وإذا تناسبت الرجال فما أرى ... نسباً يقاس لصالح الأعمالِ

إذا بحثت عن التقى وجدته ... رجلاً يُصدِّق قوله بفعالِ

وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه ... فتراه بين مكارم ومعالِ

وعلى التقيِّ إذا ترسخ في التقى ... تاجان سكينةٍ وجلالِ[(٨)]

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٩٤، وانظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة ٥٩/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠٠.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٦) سورة النور، آية: ٥٢.

(٧) سورة الزمر، آية: ٢٠.

(٨) التقوى، صلاح الدين مارديني ص ١٦٢.

أما حسن الخلق، فهو خلق فاضل عظيم، أساسه الصبر، والحلم والرغبة في مكارم الأخلاق، وآثاره العفو، والصفح عن المسيئين، وإيصال المنافع إلى الخلق أجمعين، فهو احتمال الجنايات، والعفو عن الزلات ومقابلة السيئات بالحسنات، وقد جمع الله ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1][2].

وقد كان لحسن الخلق فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة، فبه يكمل الإيمان لقوله ﷺ: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إيمَاناً أَحْسَنُهمْ خُلُقاً . وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقاً))[3]. وهو سبب رفع الدرجات لقوله ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[4].

(وهو سبب لكسب القلوب في الدعوة إلى الله، فهو يحبب صاحبه للبعيد والقريب وبه ينقلب العدو صديقًا، ويصبح البغيض حبيباً، ويصير البعيد قريباً، وبحسن الخلق يتقرب المرء للناس، ويتمكن من إرضائهم على اختلاف مشاربهم، وطبقاتهم، فكل من جالس حَسَن الخلق أحبه، ورغب في مجلسه وفي ذلك عظيم الفائدة في الدعوة إلى الله)[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من آفات اللسان والفرج:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ عندما سُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال لهم: الفم والفرج، ويقصد من الفم اللسان، واللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير حجمه، عظيم طاعته وجرمه... وهو رحب الميدان ليس له مرد،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٧٤.

(٣) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٥) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد ص ٣٨.

ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبه اللسان، وأهمله مرخى العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله...، ومن أخطر الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤنة في تحريكه قد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده، وحبائله، وأنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان)[١].

ولذلك قال النبي ﷺ: ((أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ))[٢].

وقال ﷺ: ((لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إلاَّ يَشْكُو إلى الله اللِّسَانِ عَلَى حِدَّتِهِ))[٣].

ولذلك كان اللسان سبباً من أسباب دخول النار لقوله ﷺ: ((وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إلاَ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[٤]، وقوله ﷺ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ حَيْثُ بَلَغَتْ يَهْوِى بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً))[٥].

(أما الفرج فله شهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على العقل، إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه، ويخشى من اقتحامه، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز، أو لخوف أو لحياء، أو لمحافظة على جسمه، وليس في شيء من ذلك ثواب، فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر..وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب)[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٤٢/٣ - ١٥٤٣.

(٢) اخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، وحفظ اللسان ط/٢، دار الاعتصام: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٨/٤١، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣٤.

(٣) المرجع السابق ١٣/٣٩، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٢١١٠.

(٥) اخرجه البخاري ٦٤٧٧، ومسلم ٢٩٨٨.

(٦) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٣٤/٣.

(ولهذا سدّ النبي ﷺ كل باب يكون سبباً لهذه الفاحشة فمنع خلو الرجل بالمرأة فقال ﷺ: ((لا يَخلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تُسافِرَنَّ امرأةٌ إلا ومعَها مَحْرَم))[١]، ونهى المرأة أن تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[٢]، إلى غير ذلك من السياج المنيع الذي جعله النبي ﷺ حائلاً دون فعل الفاحشة؛ لأن هذه الفاحشة تدعو إليها النفس، فلهذا أكثر ما يدخل الناس النار: أعمال اللسان وأعمال الفرج، ومن أجل ذلك عظّم النبي ﷺ جزاء من حفظ لسانه وفرجه فقال: ((اضْمَنُوا لي ستاً، أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إذا حَدَّثْتُمْ، وأَوْفُوا إذا وَعَدْتُمْ، وأَدُّوا إذا ائْتُمِنْتُمْ، واحْفَظُوا فُروجَكُم، وغُضُّوا أبْصارَكُم، وكُفُّوا أيْدِيَكُم))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وما بينَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ))[٤]، قال ابن حجر: (أي: من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام، ضمن النبي ﷺ له الجنة)[٥].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

الترغيب والترهيب أسلوبان ناجعان للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب، فهما يحركان النفس وينشطانها لعمل، ويحذرانها من التفريط في حق الله[٦]، وقد رد هذا الأسلوب الدعوي

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٢.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥ رقم ٢٢٧٥٧، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات ٤١٧/٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٥/١١.

(٦) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ص ٩٧.

في الحديث من ترغيبه ﷺ في تقوى الله وحسن الخلق، وترهيبه من سلبيات الفم والفرج، وذلك عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: (تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج).

الحديث رقم (٦٢٨)

٦٢٨- وعنه، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أكمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)) رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في حسن الخلق له خصوصية في التركيب لأنه عمد إلى تمييز أهل الأفضلية من الطائفة الطاهرة ذات الطموح في منازل الجنة العليا؛ لذلك اختار المؤمنين، وأضاف لهم أفعل التفضيل أكمل ليرتقي بهم قمة المتصفين بالإيمان، لخصيصة تميزوا بها، وإن وجدت في بقية المؤمنين وهي حسن الخلق، ولكن هؤلاء ارتقوا قمة حسن الخلق، وحازوا السبق فيه فاستحقوا درجة الكمال واستقروا على أعلاها، وقوله (وَخِيَارُكُمْ خيَارُكُمْ) جناس يقرر أن الخيرية المطلقة ترتبط بالخيرية في الأهل لأنهم أولى الناس بها، وهم أكثر من يحتاج لذلك لكثرة احتكاكهم ببعضهم لاسيما النساء لطبيعة خلقتهن، وحاجتهن للرحمة، والمودة مع كثرة ما يقعن فيهن من خطأ، وتقصير يستلزم مزيد صبر من الرجال عليهن.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان التلازم والصلة بين كمال الإيمان وحسن الخلق.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حسن معاملة النساء وإكرامهن.

---

(١) برقم ١١٦٢ وزاد: (خلقًا). وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٧٩، وقال الحاكم ٣/١: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٧٦. وتقدم برقم ٢٧٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان التلازم والصلة بين كمال الإيمان وحسن الخلق:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقًا"، لأن كمال الإيمان يوجب حسن الخلق والإحسان إلى كافة الناس[١]، وفي بيان هذا التلازم والصلة بين كمال الإيمان وحسن الخلق، قال ابن عثيمين: (وفي هذا دليل على أن الإيمان يتفاوت، وأن الناس يختلفون فيه فبعضهم في الإيمان أكمل من بعض بناء على الأعمال، وكلما كان الإنسان أحسن خلقًا كان أكمل إيماناً، وهذا حث واضح على أن الإنسان ينبغي له أن يكون حسن الخلق بقدر ما يستطيع)[٢]، وقال ابن علان: (فكلما كان العبد أحسن أخلاقًا كان أكمل إيمانًا، وفيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه)[٣]، وفي ذلك بيان على الصلة والتلازم بين كمال الإيمان وحسن الخلق.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن النفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها -ذكراً كان أو أنثى صغيراً كان أم كبيراً- يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، وبيان أن المرء إذا قام بما أوجبه الله عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف، وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤][٥]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في حسن الخلق، ببيان أن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وبيان أن خير الناس خيرهم لأهله.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٨٤/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩١١/١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حسن معاملة النساء وإكرامهن:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "... وخياركم خياركم لنسائهم"، وذلك بالبشاشة وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى والصبر إلى إيذائها[١]، فينبغي للإنسان أن يكون مع أهله خير صاحب وخير محب، وخير مربي لأن الأهل أحق بحسن خلقك من غيرهم[٢]، لأنهن محل الرحمة لضعفهن[٣]. وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٤]، أي: (طيبوا أقوالكم لهن وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله...)[٥]، وقال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ. وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي))[٦]، (وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك)[٧]، قالت: ((سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَقْتُهُ))[٨].

(ومما يدخل في حسن العشرة وجميلها أن يترفق الزوج بزوجته ولا يؤذيها، وأن يغض طرفه عمّا قد يكون من نقص أو تقصير ما لم يكن في ذلك إخلال بشرع الله، وإلى هذا أرشد النبي ﷺ بقوله: ((لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))[٩]، وعلى الزوج ألا يؤذي زوجته بفعل ولا بقول لقوله ﷺ لما سأله أحد

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٩١١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٨٤/١.

(٤) سورة النساء، آية: ١٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجة ١٩٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٦٠٨).

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٢.

(٨) أخرجه ابن ماجة ١٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٦٠٨).

(٩) أخرجه مسلم ١٤٦٩.

الصحابة رضي الله عنهم: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال ﷺ: ((أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ))[1] [2].

وقال ﷺ: ((أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ. فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً. وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً. فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ))[3]. وفي ذلك بيان عظيم على أهمية وضرورة حسن معاملة النساء وإكرامهن، وكانت هذه الوصية إحدى البنود الرئيسة في حجة الوداع التي جمع فيها النبي ﷺ معظم الفوائد والقواعد التي تبنى عليه حياة المسلمين، ومنها قوله ﷺ: "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله..."[4] وفي ذلك الحث على مراعاة حق النساء والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ٢١٤٢، وقال الألباني: حديث صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٨٧٥).

(٢) انظر: فقه الزوج في ضوء الكتاب والسنة، د. صالح بن غانم السدلان، ط/٢ دار بلنسية، الرياض: ١٤١٦هـ ص ١٢٧.

(٣) أخرجه الترمذي ١١٦٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٩٢٩).

(٤) من حديث طويل أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٧٥.

الحديث رقم (٦٢٩)

٦٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ ، يقول: ((إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يتميز هذا الحديث بإيجاز القصر حيث تضمن معاني كثيرة في عبارة قصيرة موجزة صدرت في أسلوب خبري مؤكد بكثير من المؤكدات منها حرف التوكيد، ثم تقرير الثبات، والدوام المفهوم من اسمية الجملة ثم لام التوكيد الداخلة على جملة الخبر (ليدرك) وتخصيص المؤمن لأنه المَعْنِيّ بتحصيل الدرجات العلى، وقوله (بحسن خلقه) الباء للسببية، أي بسبب حسن خلقه، وقوله (دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ) أي مثل درجة الصائم القائم، وقيل عن سر ذلك أن الصائم، والقائم يجاهدان أنفسهما؛ لأن الصيام والقيام مخالفة النفس، إذ النفس حظها، واستمتاعها بالمطاعم، والشراب والنكاح، والصائم يمنع عن هذه الأشياء، والنفس أمارة بالسوء، تدعو إلى هذه، وبهذه الأشياء تتقوى هذه النفس، بالنوم تربو، وتنمو، والقيام يمنع النوم، والصائم، والقائم يجاهدان كل واحد منهما نفسه، ومن جمعهما فإنما يجاهد نفسا واحدة، فيعظم قدره، وتعلو رتبته بمجاهدته نفسه، ومن حسن خلقه، فإنما يجاهد نفسه في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس؛ لأن الحسن الخلق هو الذي لا يحمل غيره ثقله، ويتحمل أثقال غيره، وهو جهاد كبير، فأدرك هذا بحسن خلقه درجة الصائم القائم؛ لأنه يجاهد نفسه كما يجاهدها الصائم القائم، فاستويا في الرتبة لاستوائهما في الفعل الذي هو مجاهدة النفس.

---

(١) برقم ٤٧٩٨. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٨٠، وقال الحاكم ٦٠/١: صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: منزلة حسن الخلق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام والقيام.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعملها الداعية لبيان أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه وهذا ما أكده النبي ﷺ في بيان فضل حسن الخلق فقال في الحديث: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: منزلة حسن الخلق:

(إن حسن الخلق له مكانة عالية في نماء المجتمعات وسعادتها، لأنه يدعو إلى التآلف والترابط، ويحث على الأعمال الفاضلة التي هي جزء من تعاليم الإسلام، فهو يشدّ القلوب، ويأسر النفوس، ويربطها بوشائج التقارب، ويباعدها عن المؤثرات بما يدعو إليه من التسامح والتحمل...، ولأهمية حسن الخلق في قوام المجتمعات، وتمكين روابط المحبة بين الأفراد، جاء حث الإسلام عليه)[١].

وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث من قوله: (إنّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)، أي: "قائم الليل في الطاعة وإنما أعطى صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوساً كثيرة فادرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد"[٢].

وقال ابن علان في شرح الحديث: (أي: ليبلغ بحسن خلقه الداعي له إلى التحلي

---

(١) حسن الخلق "مكانته - حقيقته"، د. محمد بن سعد الشويعر ص ٧ - ٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨٢ - ٢٠٨٣.

بالمحامد والتخلي عن المذام "درجة الصائم القائم" أي: أعلى الدرجات فإن أعلى درجات الليل درجات القائم في التهجد، وأعلى درجات النهار درجات الصائم في حر الهواجر)(١).

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام والقيام:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"، وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل الصيام والقيام، فقال في فضل الصيام: ((إنَّ في الجنَّةِ باباً يُقالُ لهُ الرَّيّانُ، يَدخُلُ منهُ الصائمونَ يومَ القيامةِ لا يَدخُلُ منه أحدٌ غيرُهم، يقال: أينَ الصائمون؟ فَيقومونَ، لا يَدخلُ منهُ أحدٌ))(٢)، وقال: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ. إلاَّ بَاعَدَ اللَّهُ، بِذَلِكَ الْيَوْمِ، وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً))(٣).

قال النووي: (فيه فضيلة الصيام في سبيل الله وهو محمول على من لا يتضرر به ولا يفوت به حقاً ولا يختل به قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ومعناه: المباعدة عن النار والمعافاة منها والخريف السنة والمراد سبعين سنة)(٤).

وفي ذلك بيان على عظم فضل الصيام، أما القيام فبين ﷺ عظيم فضله فقال: ((إنَّ في الجنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُها مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّها اللَّهُ لِمَنْ أَطعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ))(٥).

وقال ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بقِيَامِ اللَّيْلِ فإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى ربكم مكفرة للسيئات وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ))(٦)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (شرف المؤمن قيامه بالليل)، وقال وهب بن منبه: (قيام الليل يشرف به الوضيع ويعز به الذليل)، وقيل للحسن: (ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٠٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٠، ومسلم ١١٥٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧١٤.

(٥) صحيح ابن حبان ٥٠٩، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٥٤٩، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٤).

من نوره نوراً، وقال: ما عمل الناس من عمل أثبت في خير من صلاة في جوف الليل)، وعن سعيد بن جبير قال: (قال ابن عمر رضي الله عنهما حين حضرته الوفاة: ما آسي على شيء من الدنيا إلا على ظمأ الهواجر ومكابدة الليل...)[١]، وفي ذلك بيان على عظيم فضل القيام. إضافة إلى ما ينعم به مُقيم الليل من أسباب السكينة النفسية، فالصلاة عامة - وقيام الليل خاصة- لحظات ارتقاء روحي يفرغ المرء فيها من شواغله في الدنيا ليقف بين يدي ربه ومولاه ويثني عليه بما هو أهله ويفضي إليه بذات نفسه داعيًا راغبًا ضارعًا، وفي ذلك قوة للنفس ومدد للعزيمة وطمأنينة للروح.

لهذا جعل الله الصلاة سلاحًا للمؤمن يستعين بها في معركة الحياة ويواجه بها كوارثها وآلامها[٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[٤]، وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب للترغيب في حسن الخلق وشحذ الهمم لبلوغه، وذلك في قوله: "... ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

إن أسلوب الترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير التي قد تدفع عن الإنسان الصوارف النفسية التي تصرفه عنه إذ تستعطف شهواته مغريات أخرى واقفة في اتجاه سبل الشر المختلفة[٥].

---

(١) مختصر قيام الليل، محمد المروزي ص ٥٨، ٦٢ - ٦٣.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٢٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٥) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٣.

الحديث رقم (٦٣٠)

٦٣٠- وعن أَبي أُمَامَة الباهِلِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإنْ كَانَ مُحِقّاً، وَببَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإنْ كَانَ مَازِحاً، وَببَيْتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)). حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الزَّعِيمُ: الضامن[2].

ربض الجنة: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع[3].

المراء: الجدال[4].

الشرح الأدبي

الحديث من باب حسن الخلق يبين مكانة حسن الخلق في الجنة، وقول الرسول ﷺ ((أنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ)) كون المسند إليه الرسول ﷺ والمسند الزعامة وهي الضمان، والكفالة يشير إلى تأكيد تحقق المضمون، والتعبير بالبيت يشير إلى السكن، والطمأنينة، والراحة، والربض هو ما حول البيت مما اتصل به والمراد فِي طَرَفِ الْجَنَّة دَاخِلهَا لا خَارِجًا عَنْهَا، وإضافته للجنة تعطيه أبعادا إيحائية

---

(١) برقم (٤٨٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩١٢).

(٢) رياض الصالحين ٢٧٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ب ض).

(٤) الوسيط في (م ر ي).

ينطلق فيه الخيال حتى يتصور ما يستطيع من جمال، وكمال لقصر في الجنة، وقوله (لمن ترك المراء) أي للذي ترك المراء وقيل: حد المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما لفظا، أو معنى، أو في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الاعتراض، والإنكار، فكل كلام سمعته، فإن كان حقا فصدق به، وإن كان باطلا، ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه، وقوله (وَإنْ كَانَ مُحِقّاً) جملة شرطية محذوفة الجواب لدلالة السابق لبيان ضرورة الترك، ولو كان صاحب حق لأن التمادي في المراء يذهب الدين، وينقص المروءة، ويضيع اللذة، ويشغل القلب وقوله (وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإنْ كَانَ مَازِحاً) ارتقى بالمنزلة من الريض وهو الطرف، والجانب إلى الوسط ترغيبا في ترك الكذب، وقوله (وَبِبَيْتٍ فِي أعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ) ارتقى بالمنزلة من وسط الجنة إلى أعلاها؛ لأن حسن الخلق يجمع ما سبق مع شمول لجملة الأخلاق المحمودة من الله، ومن الناس، وهو يشير إلى قيمة حسن الخلق، وينبه إلى ضرورة تحسينه لمن لا يجد ذلك في نفسه، وليجعل هذا التحسين قربة لله يسكن بها أعلى الجنة، ويكون بها قريبا من رسوله ﷺ.

فقه الحديث

قال النووي: (ومما يذم من الألفاظ: المراء والجدال والخصومة: قال أبو حامد الغزالي: المراء: طعنك في كلام الغير لإظهار خلل فيه، لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه، قال: وأما الجدال: فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. قال: وأما الخصومة فلجاج في الكلام يستوفي به مقصوده من مالٍ أو غيره، وتارة يكون ابتداءً وتارة يكون اعتراضًا، والمراء لا يكون إلا اعتراضًا، هذا كلام الغزالي)[1].

والجدل قسمان: ممدوح ومذموم:

فأما الممدوح فهو الذي قصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل، أو أفضى إلى ذلك

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ص ٤١٣، ٤١٤.

بطريق صحيح، وقد يكون فرض عين إذا تعين على شخص ما الدفاع عن الحق. وقد يكون فرض كفاية بأن يكون في الأمة من يدافع عن الحق بالأسلوب السليم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) والجدل المذموم هو كل جدل بالباطل أو يستهدف الباطل أو يفضي إليه، أو كان القصد منه التعالي على الخصم والغلبة عليه، فهذا ممنوع شرعًا. ويتأكد تحريمه إذا قلب الباطل حقًا أو الحق باطلاً. وقد يكون الجدل مكروهًا إذا كان القصد منه مجرد الظهور والغلبة في الخصومة.

وعلى ذلك فالنصوص الشرعية الآمرة بالجدل محمولة على النوع الأول كقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وأما النصوص الشرعية التي ذمت الجدل فمحمولة على النوع الثاني كقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾(٤))(٥).

الكذب في المزاح: قال النووي: (قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وجماع الأمة منعقد على

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) سورة الكهف، آية: ٥٦.

(٤) سورة غافر، آية: ٤.

(٥) استخراج الجدال من القرآن لناصح الدين بن الحنبلي ص ٥٢-٥٣، والسيرة النبوية لابن كثير ١٢٠/٣، ٢٠٢، ٣١٩، ٣٢٠، والرد على المنطقيين ص ٤٦٧-٤٦٨، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١٢٠/٢-١٢٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٢٥٧/١٠، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢٥/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٦/١٥-١٢٧)، وانظر كذلك: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٤ ط/ مكتبة الصفا.

تحريمه مع النصوص المتظاهرة: ... قال أبو حامد الغزالي: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يكن بالصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل المقصود مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأله عنه، وجب الكذب بإخفائه ... وكذلك لو كان مقصود حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بكذب، فالكذب ليس بحرام، وهذا إذا لم يحصل الغرض إلا بالكذب، والاحتياط في هذا كله أن يورِّي... وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدقة، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضررًا فله الكذب، وإن كان عكسه أو شكَّ حرم عليه الكذب، والحزم تركه في كل موضع أبيح إلا إذا كان واجبًا)[1].

وأما الكذب في المزاح فحرام كالكذب في غيره[2] لحديث أبي هريرة مرفوعًا: ((لا يؤمن العبدُ الإيمان كلّه حتى يترك الكذب في المزاح ويترك المراء وإن كان صادقًا))[3] وحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((إني لأمزح ولا أقول إلا حقًّا))[4].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤٢١-٤٢٢ ط/ مكتبة الصفا، وانظر: إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٨٨/٩، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٤٥/١ وما بعدها، ط/٣، مؤسسة الرسالة، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠/١٦/٨، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٠/٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٥٢/١.

(٣) أخرجه أحمد ٣٥٢/٢-٣٥٣، رقم ٨٦٣٠، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٧٨/١٤.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٩/١١، ١٣٤٤٣، وقال الهيثمي في المجمع ٨٩/٨، إسناده حسن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المراء والجدال.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن الكذب.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من آداب المدعو: التمسك بالخلق الحسن.

اولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الدعوة إلى الله تعالى من أكرم الأعمال عند الله، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد، وقد حثّ الحق تبارك وتعالى على تبليغها والإخبار بها فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فالإخبار من أهم الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دين ربه وسنة نبيه ﷺ، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخباره ﷺ وبيانه لدرجات الجنة وكيفية بلوغها وذلك في قوله: (أنا زعيم بيت في الجنة في ربض لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة... إلخ).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اهمية ترك المراء والجدال:

إن من أهم أصول الدين تحقيق الجماعة ونبذ الفرقة، فالجماعة من لب الدين، والفرقة من صميم الشرك، وإن من أهم ما يضرب بجذوره في القضاء على الجماعة هو المراء والمجادلة، ومن أجل ذلك عظّم النبي ﷺ جزاء من ترك المراء والجدال وإن كان محقاً بأن ضمن له بيتاً في ربض الجنة، وهذا ما ورد في نص الحديث، والبيت كما قال الخطابي: (هو القصر، وهو كائن في ربض الجنة، أي: ما حولها خارجاً عنها تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع، وكل ذلك لمن ترك المراء أي الجدال)[2]،

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي ص ٢٠٨٢.

(وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير، بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم)[١]، وقيل: (هو المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب)[٢]، (وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين، فأسكت عنه)[٣]، (والجدال والمراء روح خبيث شرير، شديد الأثر في مَحْق المحبة، وهدم الجماعة، فضلاً عن توريث البغضاء والكراهية)[٤]، وقد شدد النبي ﷺ في ذمه والنهي عنه بقوله: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّه ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾))[٥][٦].

(والجدال قد يكون محموداً إذا تعلق بإظهار الحق وقد أمر بذلك النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٧]، وقد يكون مذموماً إذا شغل عند ظهور الحق ووضوح الصواب)[٨]، وهذا ما عدّه الذهبي من الكبائر في قوله: (إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدال في مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه)[٩].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٦٠/٣.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ١١٤.

(٣) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٦٠/٣.

(٤) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٦٥.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٥٨.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٢٥٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٩٣).

(٧) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٨) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ١١٤، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٣٣٩/٩.

(٩) الكبائر، ط/٢، مؤسسة الريان للتوزيع والنشر، لبنان: ١٤١٧هـ ص ٢١.

وقد حذر من ترك المراء والجدال الصالحون وأوصى بتركه العالمون، فعن مسعر ابن كدام يوصي ابنه كداماً قائلاً:

إنّي منحتُكَ يا كِدَامُ نَصيحَتي فاسْمَعْ مَقَالَ أَبٍ عَلَيْكَ شَفيْقِ
أَمَّا المُزَاحةُ والمِراءُ، فَدَعْهُما خُلُقَانِ لا أَرْضَاهُما لِصديقِ
إنّي بَلَوْتُهُما فَلَمْ أَحْمَدْهُما لمُجَاوِرٍ جَاراً ولا لِرَفيقِ [١]

وقال مصعب بن عبدالله:

أأقعُدُ بعدَما رَجَفَتْ عِظَامي وكانَ الموتُ أقربَ ما يَلِيني
أُجَادِلُ كلَّ معترضٍ خَصيمٍ وأجعَلُ دينَه غرضاً لديني
وأترُك ما عَلِمْت لرأي غيري وليسَ الرأيُ كالعِلْمِ اليَقِينِ [٢]

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن الكذب:

(إن الكذب من دلائل خسة النفس، ودناءتها، فهو جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه)[٣]، وقد رغب النبي ﷺ في البعد عنه ولو كان المرء مازحاً، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "... وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً"، والكذب: (هو الإخبار بخلاف الواقع، والمراد ترك المذموم منه وهو ما لا مصلحة راجحة فيه فيكون عاماً مخصوصاً بما عدا ذلك...، وفي قوله ﷺ: "وإن كان مازحاً" أي: بكذبه غير قاصد به الجد)[٤].

وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن كان الكذب مسلكه ونهجه فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ٩٥٢/٢، والأبيات: حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني ٢٢١/٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٧٠/٧.

(٢) المرجع السابق ٩٣٦/٢ - ٩٣٧.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٥٣، والأبيات: بغية الطلب قافية الياء ١٣٨٢/٣.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠٦.

لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١]، وبيّن النبي ﷺ أن الكذب من علامات النفاق فقال: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))[٢]، وقد توعد النبي ﷺ من اتخذ الكذب وسيلة لإضحاك الناس فقال: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ))[٣].

وقد بين ابن القيم أضرار الكذب فقال: (إياك والكذب فإنه يفسد عليك تصوُّر المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس. فإن الكاذب يصور المعدوم موجوداً، والموجود معدوماً، والحق باطلاً والباطل حقاً، والخير شراً والشر خيراً، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له. ثم يصور ذلك في نفس المخاطب والمغتر به الراكن إليه فيفسد عليه تصوره وعلمه. ونفس الكاذب مُعْرضة عن الحقيقة الموجودة، نزَّاعة إلى العدم، مؤثرة للباطل. وإذا فسدت عليه قوة تصوره علمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي، فسدت عليه تلك الأفعال، وسرى حكم الكذب إليها، فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان؛ فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله.

ولهذا كان الكذب أساس الفجور، كما قال النبي ﷺ: ((وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ))[٤].

وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله؛ فيعمّ الكذب أقواله وأعماله وأحواله؛ فيستحكم عليه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة، إن لم يتداركه الله بدواء الصدق يقلع تلك المادة من أصلها"[٥].

---

(١) سورة المرسلات، آية: ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣١٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٥).

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٥) الفوائد ١٩٩.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب الدعوية التي تشتاق النفس فيها إلى فعل الأمر المرغب إليه والثبات عليه، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في ترك المراء وترك الكذب والتحلي بمكارم الأخلاق، وذلك في قوله ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقاً وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

خامساً- من آداب المدعو: التمسك بالخلق الحسن:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "... وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"، وقد بين ابن القيم: (أن النبي ﷺ جعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق. والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها، وهو ترك المماراة، وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله)[1].

وقد حض النبي ﷺ على التحلي بحسن الخلق في كثير من الأحاديث منها ما أخرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن))[2] وجعله النبي ﷺ أكمل خصال الإيمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا))[3] وأخبر النبي ﷺ أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ما من شيء أثقل في الميزان من حسن خلقه))[4].

إن حسن الخلق صفة سامية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهي تطهر صاحبها من آفات اللسان وترتقي به إلى مراتب الإحسان مع خالقه ومع سائر الناس[5].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٢/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٨).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٦٨٢، قال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابي داود ٣٩١٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٤).

(٥) انظر: كيف تطيل عمرك، د. محمد ن إبراهيم النعيم ص ٢٥.

وقد وصف الله رسوله محمدًا ﷺ بأنه على خلق عظيم ووجه له الوصف على سبيل الخطاب الذي يمدحه ويثني عليه فيه؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فهذا النص القرآني يثبت أن محمداً ﷺ على خلق عظيم، أي: فهو متمكن من أخلاقه العظيمة المثلى قابض على ناصيتها... وإذا وصف الله رسوله بأنه على خلق عظيم، وجّه المؤمنين إلى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، فعلى المدعو أن يتمسك بالخلق الحسن لما في ذلك من الاقتداء بالنبي ﷺ[3]، فضلاً عن بلوغ عظم الأجر والثواب.

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ١٩٨.

الحديث رقم (٦٣١)

٦٣١- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إليَّ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أحَاسِنَكُم أخْلاقاً، وَإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)) قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا (الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ)، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: ((المُتَكَبِّرُونَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الثرثار: كثير الكلام تكلفاً[2].

المتشدِّقُ: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصُحاً وتعظيماً لكلامه[3].

المتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأُ فَمَهُ بالكلام، ويتوسَّعُ فيه، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً، وإظهاراً للفضيلة على غيره[4].

الشرح الأدبي

التعبير عن المعنى بأفعل التفضيل له خصوصية الرتبة، وصدارتها ارتفاعا في الصفة، أو انخفاضا، وهي بذلك تحقق التشويق للخبر للحاجة إلى معرفة الفاضل، والمفضول، والتعبير بفعل المحبة يشير إلى خصوصية وجدانية لها تعلق بالقلب، وحرف الجر المتصل بضمير المتكلم العائد على الرسول ﷺ (إليَّ) يعطي بُعدا آخر لفعل المحبة لا يتساوى فيه مع غيره؛ لأن محبة الرسول ﷺ لا تعدلها محبة ثم إن تكرار أفعل

(١) برقم ٢٠١٨ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩١٤. وسيكرره المؤلف برقم ١٧٤٠.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

التفضيل في حديث واحد يدل على أعالي طبقات الأعمال، وأعالي طبقات العاملين، ويحافظ على درجة الترقب، والانتباه إلى نهاية الحديث، وقوله (وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ) قول الرسول ﷺ (مني) يشير إلى شرف هذا المجلس وتنكير لفظ (مجلسا) للتعظيم، وتقييده بيوم القيامة يشير إلى أهمية المجلس، وحاجة كل مؤمن بل كل إنسان إليه لأنه حتما سيكون مجلسا في أعلى الجنة في قلب النعيم، بينما من لم يدرك هذا المجلس من الناس فهو مرهون بعمله وقوله (أَحَاسِنَكُم أَخْلاَقاً) جمع أحسن، ويشير الجمع إلى التكثير، والعبارة تبين فضل حسن الخلق في الموقف العظيم، ثم إن مقابلة البغض بالمحبة، والبعد بالقرب في الصورة المقابلة بيان بليغ لتفاضل ما بين الخلقين، ومدى تفاوت العاقبتين بينهما في قوله (وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ) والنوعية المذكورة في الجانب المقابل للرسول ﷺ، وأصحابه البعيدة عن منزلة الزلفى هم أهل الجدل والكبر (الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ) والتعبير بالثرثرة يوحي بالخبط في الحديث دون تعقل يمنع من تجنب الخطأ، والتعبير بالتشدق يدل على محاولة الرياء بالفصاحة أو تمويه الحق بالخداع اللفظي، والتفيهق التكبر كما أجاب الرسول ﷺ السائل، وفي الحديث مع الترغيب في حسن الخلق ترهيب من هذه الصفات التي تجعل صاحبها في الجهة المقابلة للرسول ﷺ وصحبه، وكلنا نعلم أين - أعاذنا الله -.

فقه الحديث

قال النووي: (يكره التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون وزخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك تكلف السجع، وكذلك التحري في دقائق الإعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظًا يفهمه صاحبه فهمًا جليًا ولا يستثقله؛ وما في معناه [1]، كحديث الباب، عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول

(١) ستأتي هذه الأحاديث بنصها في الباب رقم ٣٢٨ من رياض الصالحين، وهو بعنوان: باب كراهة التقعر في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحش اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبته العوام ونحوهم، الأحاديث ١٧٣٨-١٧٤٠.

الله ﷺ: ((إِنَّ الله عز وجل يَبْغضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا))[1].

ولا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب، لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله عز وجل، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطر كثرة الكلام والتشدق به والكبر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

إن التوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تأكيد الأمر وبيانه في أذهان المدعوين، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من تأكيده ﷺ على أن حسن الخلق هو سبب القرب من مجلسه يوم القيامة، وأن سوء الخلق هو سبب البعد عن مجلسه يوم القيامة. فقال ﷺ: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحسانكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون... إلخ).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق:

إن من أجلّ العبادات وأفضلها حسن الخلق، "فبه يبذل الندى، ويكف الأذى، ويتحلى بالفضائل، ويتخلى من الرذائل"[3]، وقد عظّم النبي ﷺ فضل صاحب الخلق الحسن بأن جعله أقرب الناس منه مجلساً يوم القيامة وهذا ما أكد عليه نص الحديث

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٠٥، والترمذي ٢٨٥٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٨٥).

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٥، ٤١٦ .

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٧٣/٣.

في قوله ﷺ: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً).

قال ابن علان: (إن من أحبكم إليّ، أي: أكثركم حباً إليّ؛ أي: اتباعاً لسنتي وقوله: "وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة"، أي: في الجنة، أحسنكم أخلاقاً"[(١)]، "وليس أدلّ على فضل حسن الخلق من أنه يراد به التخلق بأخلاق الشريعة والتأدب بآداب الله التي أدّب بها عباده في كتابه كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)])[(٣)].

وقد بين ابن القيم: (أن حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، ولا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة. والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء؛ وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة والنميمة. والشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش؛ كما قال النبي ﷺ ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[(٤)]، "وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإمساك والإسراف والتبذير وعلى خلق الحياء الذي

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٠٧.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢١.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

هو توسطا بين الجبن والتهور؛ وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس)[١].

وقد بيّن النبي ﷺ عِظم فضل حسن الخلق فقال: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[٢]، وقال ﷺ: ((مَا شيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ))[٣]، وقال الماوردي في فضل حسن الخلق: (إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقلّ مُعادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب)[٤]، وفي ذلك بيان على فضل حسن الخلق.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر كثرة الكلام والتشدق به والكبر:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: ".. وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون.. إلخ" وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (... وأبعد الناس منزلة من رسول الله ﷺ الثرثارون والمتشدقون، والمتفيهقون، والثرثارون: الذين يكثرون الكلام ويأخذون المجالس عن الناس)[٥].

وقال ابن علان: (هم الذين يتعمقون في الكلام، والتشدق تكلف السجع والفصاحة والتصنع بالمقامات)[٦].

وورد في النهاية أن معنى الثرثارون والمتشدقون، أي: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم، وقال ابن القيم: (والمتشدق هو المتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعاظماً وتطاولاً، وإظهاراً لفضله على غيره)[٧]، والمتفيهقون هم الذين يتوسعون في الكلام، ويفتحون به أفواههم، مأخوذ

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٧٣ - ٧٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٢٩).

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٧.

(٥) شرح رياض الصالحين ٩١٢/١.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٠٧.

(٧) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٧٢ - ٧٣.

من الفهق وهو الامتلاء والاتساع[١]، وقيل: (هذا من الكبر والرعونة)[٢]، وهذا لا شك خلق ذميم، ويجب على الإنسان أن يحذر منه، ولهذا جاء في الحديث: من الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم: ((عائل مستكبر))[٣][٤]، وفي ذلك بيان على الحذر من كثرة الكلام والتشدق به والكبر؛ إذ إن هذه الصفات السلبية من أسباب الشقاء المورد لصاحبها موارد الهلكة وأكبر جرمًا الكبر والتعالي، قال الغزالي: (مفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومتبع الشقاوة الكبر والغفلة، فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمي القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدي، والمتكبرون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء، فالمتكبر هو الذي لم تتفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدًا والشيطان دليلاً.

فالكبر آفة عظيمة هائلة، فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه، والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له[٥].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

(الترغيب من الأساليب التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[٦]،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٤٧٠، ٧٢٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ص ١٧٦٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٩١٢.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣/٣٤٥.

(٦) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ١٩٢.

وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في التحلي بمحاسن ومكارم الأخلاق وذلك في قوله: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً).

(أما الترهيب فهو وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ من كثرة الكلام والتشدق به والكبر، وذلك في قوله ﷺ: (وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون... إلخ)، والترغيب والترهيب أسلوبان ناجعان للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب، فهما يحركان النفس وينشطانها للعمل، ويحذرانها من التفريط في حق الله[2].

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. النحلاوي ص ٢٥٧.

(٢) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان ص ٩٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية التي تبرز حسن الخلق، ومن أبرز هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية الخلقية:

إن من أهم جوانب التربية الإسلامية التربية الخلقية، ويتضح هذا من باب حسن الخلق الذي أورد الإمام النووي تحته جملة من الأحاديث ترغب في حسن الخلق ومنها "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا"، ومنها: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق..."، وهذه الأحاديث وغيرها تنمي في المسلم، وتربي فيه مَلَكَة الأخلاق الحميدة الحسنة.

"إن حقيقة التربية الأخلاقية في الإسلام هي تنشئة الشخصية الإنسانية منذ الصغر، وتكوينها تكوينًا متكاملاً من الناحية الأخلاقية بحيث تكون سباقة إلى كل خير وفضيلة، ومتوقفة عن كل شر ورذيلة، والقرآن الكريم تضمن كثيرًا من القواعد الخلقية، وتحلي الشخصية الإنسانية بالأخلاق والتأدب بآداب النبي ﷺ يعتبر مصدر السعادة لها، لأن هذه الأخلاق والآداب تحمل في طياتها أسباب السعادة التي تجلب لها الصحة الكاملة وتقيها شر الأمراض النفسية، والعقلية، والخلقية، فعن طريق التربية الأخلاقية يتم تحسين الأخلاق التي هي السبب في سعادة الشخصية دنيا وآخرة" [(١)].

ثانيًا- التربية بالقدوة:

إن من أساليب التربية الناجعة التربية بالقدوة لما لها من أثر فعال في إقناع المتربي، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالقدوة في مجال الأخلاق ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا"، وقوله: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟"، وما جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا...".

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٥٩٠-٥٩٦.

وهذه الأحاديث تبرز كيف كان رسول الله ﷺ قدوة لغيره في الأخلاق الحسنة.

"إن الأخلاق تعتبر المجال الثاني من مجالات التربية بالقدوة في نطاق التربية الإسلامية، ولا يخفى أن كثيراً من القيم الأخلاقية تكتسب عن طريق القدوة والأسوة الصالحة، لأن السلوك الأخلاقي من أكثر القيم السلوكية تأثرًا بالمخالطة والصحبة. ومهما يكن من أمر فإن الأصل في التربية بالقدوة الصالحة في مجال الأخلاق التأسي بطريقته ﷺ في تربيته أصحابه الكرام رضي الله عنهم على قيم الدين الحنيف في مجال الأخلاق، فالمربي القدوة يتمثل أخلاق الرسول الكريم ﷺ ابتداءً ويترجمها إلى سلوك عملي أصيل بحيث يكون نابعًا من ذاته، ولا مكان للتكلف فيه، لأن الناشئ أو الشخص المستهدف بالتربية يدرك مدى صدق المربي، وقناعته بسلوكه" [1].

ولا شك أن التربية بالقدوة لها أثر فاعل في بناء الشخصية، ويرجع ذلك إلى "أن القدوة الحسنة تحتل مكانة مرموقة في المجتمع وتحظى بالاحترام والتقدير من غالب المجتمع، وهذا يكون حافزًا قويًا لمحاكاتها، وتقليدها في السلوك الحسن، ومن هنا: يكتسب الفرد شخصية متحلية بالفضائل، ونجد أن القدوة الحسنة ذات الفضائل الخلقية الرفيعة تكوّن لدى الأفراد ممن حولها الاقتناع الكامل بأن الوصول إلى هذه الفضائل والتحلي بها ممكن وغير مستحيل، والإنسان مفطور على المحاكاة والتقليد، وهذا مما يسهل عليه اكتساب الفضائل والسلوك الإسلامي إذا جعل أمام عينيه قدوة حسنة يقتدى بها والمنهج الإسلامي اتخذ من القدوة الحسنة وسيلة من وسائله لترقية الإنسان في سلم الكمال السلوكي"[2].

ثالثًا- مراعاة مشاعر الآخرين:

إن من القيم التربوية المهمة التي ينبغي أن ينشأ عليها المتربون مراعاة مشاعر الآخرين، وعدم إحراجهم، وفي أحاديث الباب ما يشير إلى ذلك، ففي حديث الصعب

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. امين ابو لاوي ص ٧٩، ٨٠.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٢٠٣، ٢٠٤.

ابن جثامة رضي الله عنه قال: أهديت رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا، فردّه عليّ، فلما رأى ما في وجهي قال: إنّما لم نرده عليك إلا أنا حُرُم"، ففي الحديث لما رأى النبي ﷺ في وجه الصعب التغير لعدم قبول هديته بيّن له النبي ﷺ السبب في ذلك وهو أنه مُحْرِمٌ، وفي هذا مراعاة لخاطره ومشاعره، "ولما كان الإسلام هداية للناس جميعًا على اختلاف خصائصهم وقدراتهم الفكرية والنفسية والجسدية الطبيعية، ولم يكن لفئة منهم دون فئة، اقتضت الواقعية في أسسه أن يراعى كل صنف من أصناف الناس بإعطائه ما يناسبه من بياناته التعليمية وأساليبه التربوية، وأن يراعى فروق الاستعدادات والقدرات والخصائص الفردية لدى محاسبة كل منهم؛ لذا سبق الجميع في اهتماماته بالجوانب النفسية للأفراد، وعدم إهمالها عند إرادة التربية أو التوجيه له، والرسول ﷺ كان يراعي الجوانب النفسية عند المسلمين ويحسب لذلك حسابًا، ويعامل كل فرد بما يناسب استعداده النفسي"[1].

إن الأخلاق هي المظهر الجمالي للإسلام وللإنسان، وقد حرص الإسلام على صبغ المسلمين بهذه الصبغة، ليكون المظهر الجمالي للمجتمع، ومع أن رسول الله ﷺ قد جمع من الفضل الشيء الكثير إلا أن القرآن قد أثنى على حسن خلقه بأسلوب الإجمال في قول الحق سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وبأسلوب التفصيل من خلال وصفه بالرأفة والرحمة ونفي الغلظة والفظاظة وتطبيقه للشورى وخفضه الجناح لأتباعه فضلاً عن صدقه وإخلاصه وأمانته وكل ما يمدح به إنسان.

ومما أظهره رسول الله ﷺ من حسن خلق عملي ما يلي:

أولاً: تعامله مع الأجراء برفق ولين ورحمة، وهذا الخلق غاب عن كثيرين في هذا الزمان، إن كثيرين يظنون أنهم مالكي هؤلاء الأجراء، ومنهم من يطلب من هؤلاء ما حرم شرعًا، ومنهم من يكلفه بما هو فوق الطاقة دون إعانة، ومنهم من يضرب وجهه ويسب دهره.. إلخ.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

إن رسول الله ﷺ لم يقل يومًا لخادمه قط "أف" وهي أقل كلمات التضجر ولم يعتب عليه شيئًا فعله ولم ينكر عليه شيئًا لم يفعله، إنها أقصى درجات ضبط النفس. ولا يعني هذا ترك الخطأ دون تنبيه، وترك الفساد دون عتاب، حتى لا يستمرئ هؤلاء ما يتأتى، وأظن أننا لو وجدنا خادمًا مثل أنس فلن نجد مخدومًا مثل رسول الله ﷺ.

ثانيًا: مراعاة مشاعر الآخرين من باب حسن الخلق، فإذا أراد الإنسان الإعراض عن أمر من الأمور فعليه أن يبين السبب وبخاصة إذا كان في الإعراض إيلام نفسي للمعرض عنه، والبصير من يدرك الانفعالات على وجه الآخرين، ويتعامل معها حسب ما تبدي من أمر صاحبها.

إن جرح الشعور لا يقل عن جرح السهام، وإن جراح السهام تلتئم ولكن جرح المشاعر لا يندمل، إلا إذا أبان الإنسان عن علة التصرف حتى تفهم الأمور صوابًا.

ثالثًا: إن ضبط الانفعالات مطلوب شرعًا وبخاصة إذا كان رد الفعل غير حميد.

رابعًا: إن الكلمة الملقاة أمانة، واختيار اللفظة مسؤولية شرعية، وكل لفظة تخدش الحياء العام لا يتأتى النطق بها، وكم حذر رسول الله ﷺ من إساءة استخدام الكلمة وامتدح حسن الاختيار، كما ورد في الحديث الشريف: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ. لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا. فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا))[1].

خامسًا: سوء الخلق يضيع ثواب العمل، وفي الحديث الشريف: ((أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ»؟ قالوا: المُفْلِسُ فينا يا رسولَ اللَّهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لهُ ولا مَتَاعَ لهُ، فقال: «المُفْلِسُ مِن أُمتي يَأْتي يَوْمَ القيامةِ بِصَلاتِهِ وصيامهِ وزَكاتِهِ، فيأتي وقَدْ شَتَمَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيَقْعُدُ، فيُعْطَى هذا من حَسناتِهِ، وهذا من حسناتِهِ، فإن فَنِيَتْ حسناتُهُ قَبْلَ أنْ يُعْطِيَ ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهُمْ، فَطُرِحَ عليهِ، ثُم طُرِحَ في النارِ))[2].

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٨، ومسلم ٢٩٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

سادسًا: والخلق الحسن مردوده غير قاصر على صاحبه في الدنيا، بل له من الإيجابيات في الآخرة ما لا يحد، ومن هذه الإيجابيات ما يلي:

١) إنه من أثقل موازين الخير يوم القيامة.
٢) أنه أكثر ما يدخل الجنة بعد تقوى الله.
٣) يدرك به المسلم درجة الصائم القائم.
٤) ضمان بيت في أطراف الجنة لمن ترك المراء، ووسط الجنة لمن ترك الكذب، وأعلى الجنة لمن حسن خلقه.
٥) جوار رسول الله ﷺ في الجنة مضمون لمن حسن خلقه، وعلى النقيض من هذا من ساء خلقه وكثر كلامه بالثرثرة وتكلف الكلام فيما لا قبل له به ومن تكبر فهل بعد جوار الرسول ﷺ جوار؟ وهل بعد الجنة دار؟

رابعًا- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب حيث يولد في نفس المتربي الحماس على الإقدام على الأعمال الصالحة، والفضائل الخلقية، وفي أحاديث الباب ورد ما يدل على الترغيب في حسن الخلق من خلال قوله ﷺ: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق...". وقوله لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق...، وقوله: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا..."، وقوله: "إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم"، وقوله: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقًا... وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

وما من شك في أن هذه الأحاديث وغيرها ترغيب في حسن الخلق، وتحفيز للمؤمن أن ينال هذه البُشْريات والدرجات من خلال حسن الخلق.

"والترغيب تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو منفعة آجلة مؤكدة خيرة خالصة من الشوائب مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى، ولما كان الإسلام هداية للناس جميعًا وواقعيًا في جوانبه العملية كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عنصر الترغيب في وسائله التربوية للناس، وذلك في كل ما

يهديهم إليه من خير، ويدعوهم إليه من فضيلة، وما ذاك إلا لكي يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان ودلهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، ومن ثمَّ كانت التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية، والتربية الترغيبية أسلوب رائع يساعد على نشر مكارم الأخلاق"[1].



(١) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص ١٨٦، ١٨٧.

٧٤- باب الحلم والأناة والرفق

قَالَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت: ٣٤-٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣].

الحديث رقم (٦٣٢)

٦٣٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: ((إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأنَاةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الأناة: التَّمهُّل والتّرفُّق[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ للأشج عبد القيس ما قال يشير إلى أنه كان يبني في نفوس أصحابه حب الخير، والتخلق بمحاسن الأخلاق، ويرفع من أخلاق بعضهم الحسنة نموذجا يقتدون به في فضائل الخير لأنهم يرون أنه مثلهم لا يتميز عنهم كما يتميز

(١) برقم ١٧/٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧١.

النبي ﷺ بخصائصه مما يقوي الرغبة في تحصيل هذه الخصال الممدوحة من الرسول ﷺ، وقوله (إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ) قدَّم الجار والمجرور فأفاد الاختصاص أي فيك خاصة، وقوله (خصلتين) أسلوب توشيع ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة، والترقب، والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (خصلتين...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكَّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وقد صعَّد التشويق بجملة (يُحِبُّهُمَا اللَّهُ) لما لمحبة الله تعالى من قيمة في قلب كل مؤمن، وقوله (الحلم، والأناة) يفسر المثنى السابق، ويكشف عن قيمة هذين الخلقين، ويرغب في التخلق بهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حب الله للحِلْم والأناة.

ثالثاً: من آداب الداعية: مدح المدعو بما فيه من الخصال الطيبة إذا أمن عليه من الغرور.

رابعاً: من أساليب الدعوة: المدح.

خامساً: من واجبات الداعية: تنمية جوانب الخير في نفوس المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين"، وأسلوب التوكيد من أبرز الأساليب الدعوية أثراً لما فيه من اقناع المخاطب وحمله على قبول الدعوة والاستجابة لها، ولا شك أن التأكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[1].

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حب الله للحلم والأناة:

جاء الحديث صريحاً بحب الله لصفتي الحلم والأناة، فقال ﷺ لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)، وذلك لما في الحلم من عقل، بل هو العقل ذاته، قال أبو العباس القرطبي: (والحلم هنا هو العقل، والأناة الرفق والتثبت في الأمور، وقد يقال الحلم على الأناة وقد ظهر من حديث أبي داود أن نبي الله ﷺ إنما قال ذلك للأشج لما ظهر له منه من رفقه وترك عجلته)[١] "فعن زراع وكان في وفد عبدالقيس" قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيته فلبس ثوبيه ثم أتى النبي ﷺ فقال له: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة")[٢]، وقال النووي: (وفي الأناة من التثبت وترك العجلة وهاتان الصفتان إذا اجتمعتا في إنسان دلتا على صحة عقله ونظره للعواقب)[٣].

والحلم من صفات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٤]، ومعناهُ: الصبور، وقيل: هو الذي لا يستخفه عصيان العصاة، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو مُنته إليه [٥]، وقيل: حلم الله: هو تأخيره العقوبة عن المستحق لها، فيؤخر العقوبة عن بعض المستخفين ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم، وقد يعجِّل العقوبة لبعضهم[٦]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[٧]، فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العِرض وسلامة الجسد واجتلاب الحمد[٨].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٧٨/١.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥٣).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٥.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ٢١٠/١١/٦.

(٦) موسوعة الأسماء الحسنى، أحمد الشرباصي ١٨٢/١.

(٧) سورة النحل، آية: ٦١.

(٨) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٠٢.

ثالثاً- من آداب الداعية: مدح المدعو بما فيه من الخصال الطيبة إذا أمن عليه من الغرور لإثارة التنافس في الخير:

إن من آداب وفقه الداعية استخدامه الحوافز للمدعوين، وذلك استثماراً لميولهم العاطفية والانفعالية والاجتماعية، ومن ذلك مدح المدعو بما فيه من الخصال الطيبة شريطة أمن الفتن والغرور[١]، ونجد في الحديث مدحه لأشج عبدالقيس والتنويه بخصاله فخاطبه بقوله: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة). قال أبو العباس القرطبي: (وفيه: جواز مدح الرجل مشافهة بما فيه إذا أمنت عليه الفتنة)[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: المدح:

لقد كان رسول الله ﷺ يُسر إذا لاحظ في بعض أصحابه خلقًا فاضلاً وسلوكًا حسنًا، ويثني به عليه ويشجعه على التمسك به لاستخراج عناصر الخير من النفوس وتدعيمها وتقويتها[٣]، ومن الأمثلة على ذلك ما نراه في الحديث من تنويه الرسول ﷺ بخصال الأشج والثناء عليها وبيان محبة الله لها فقال: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)، وأسلوب المدح من الأساليب الدعوية الهادفة لما فيه من تحفيز المدعوين على الإقبال على الدعوة والاستمساك بها، وكان رسول الله ﷺ يمدح ويثني لظهور خصال أو أعمال تستحق التنويه والإشادة مما ينبغي الاستمرار عليه[٤]، كما هو بيّنٌ في الحديث.

إن المدح والثناء من أبرز الأساليب لجذب المدعوين وإقبالهم عليه، وذلك من المعالم البارزة في دعوة الرسول ﷺ، ومن دلائل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال ﷺ: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ))[٥]، فلنتخيل موقف

---

(١) علم النفس الدعوي، د. عبد العزيز بن محمد النغيمشي ص ١٠٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٧٩/١.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٩٠.

(٤) المرجع السابق ١٠٩.

(٥) أخرجه البخاري ٩٩.

أبي هريرة رضي الله عنه وهو يسمع هذا الثناء وهذه الشهادة من النبي صلى الله عليه وسلم بحرصه على العلم، بل وتفوقه على الكثير من أقرانه، ولنتصور كيف يكون أثر هذا الشعور دافعاً لمزيد من الحرص والاجتهاد والعناية[١]، وحين سأل أُبيّ بن كعب أبا المنذر: أي آية في كتاب الله أعظم فقال أبي: آية الكرسي، فقال له صلى الله عليه وسلم: ((وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ))[٢].

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسرُّ إذا لاحظ في بعض أصحابه رضي الله عنهم خلقاً فاضلاً وسلوكاً حسناً، ويثني به عليه ويشجعه على التمسك به لاستخراج عناصر الخير من النفوس وتدعيمها وتقويتها[٣].

خامساً- من واجبات الداعية: تنمية جوانب الخير في نفوس المدعوين:

إن الإنسان غالباً ما يكون مفطوراً على الخير، ولكن قد يحتاج في بعض الأحيان إلى من يلفت نظره وانتباهه إليه لينمّيه فيه، وذلك ما ينبغي على الداعية أن يضطلع به، وإن ذلك فيه من الإثارة القوية، وحث الهمة إلى الفضيلة[٤]، كما رأينا في الحديث كيف لفت النبي صلى الله عليه وسلم نظر الأشج إلى ما فيه من خصال حميدة قائلاً له: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة).

---

(١) المدرس ومهارات التوجيه، حمد بن عبدالله الدويش ص ٣٢.

(٢) أخرجه مسلم ٨١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٩٠.

(٤) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ١٣٠.

الحديث رقم (٦٣٣)

٦٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ رفيقٌ، يُحبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الرفق خلق كريم من شأنه أن يزلل العقبات بين الناس، ويمنع كثيرا من تبعات العنف المقابل له، والتي تؤدي إلى تعقيد الأمور، والقطيعة بين المسلمين، وقول الرسول ﷺ (إن الله رفيق) خبر مؤكد تعظيما لصرف الانتباه إلى فضله، وأريد به بيان لازمه، وهو الترغيب فيه عن طريق الإخبار به لحرص المؤمن على ما يرضي ربه، وعلى أن يتخلق بأخلاق الله، وقوله (يحب) يوحي بالرضا، والقبول، وبين (رفيق، ويرفق) جناس يؤكد المعنى الذي يدور حوله الحديث، وقوله (في الأمر كله) اللام في الأمر للجنس فتشمل كل شؤون الحياة التي يصادفها الإنسان، و (كله) توكيد لهذا الشمول يعمم الحكم حتى يصطبغ بحياة المؤمن، وتصبغ به، ويصير ثمة غالبة على جميع المؤمنين.

فقه الحديث

حكم الرفق:

حكم الرفق على وجه العموم الاستحباب، فهو مستحب في كل شيء، لأحاديث الباب، وقد يخرج عن الاستحباب كالرفق بالوالدين فإنه واجب، والرفق بالكفار الحربيين فإنه ممنوع لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2][3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٢٧ واللفظ له، ومسلم ٢١٦٥/١٠.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/١٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢/ ٢٩١-٢٩٢.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الرفق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التحلي بالرفق واستصحابه.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الرفق.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أثر الرفق على النفوس.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الأحاديث في قوله ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق" وقوله: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه"، والتوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد الكلام وإيقاعه في قلب المدعو موقع القبول والاستجابة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الرفق:

يظهر فضل الرفق واضحاً جلياً ببيان رسول الله ﷺ أنه من صفات الله تعالى ومحبته له فقال: "إن الله رفيق يحب الرفق"، والرفيق هو الكثير الرفق وهو اللّين والتسهيل وضده العنف والتشديد والتصعيب، وقد يجيء الرفق بمعنى الإرفاق، وهو: إعطاء ما يرتفق به، قال أبو زيد: يقال رفقت به وأرفقته بمعنى نفعته، وكلاهما صحيح في حق الله تعالى، إذ هو الميسر والمسهِّل لأسباب الخير والمنافع كلها، والمعطي لها، فلا تيسير إلا بتيسيره ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره، وقد يجيء الرفق أيضًا بمعنى: التمهل في الأمر والتأني فيه، يقال منه: رفقت الدابة أرفقها رفقًا: إذا شددت عضدها بحبل لتبطئ في مشيها وعلى هذا فيكون الرفيق في حق الله تعالى بمعنى الحليم فإنه لا يعجل بعقوبة العصاة، بل: يمهل ليتوب من سبقت له السعادة ويزداد إثمًا من سبقت له الشقاوة، وقوله: "إن الله رفيق يحب الرفق" أي يأمر به ويحض عليه، وحب الله للطاعة شرعه لها وترغيبه فيها، وحب الله لمن أحبه من عباده: إكرامه له (٢).

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٣٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٣٤، ٦٣٥).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٧٦/٦، ٥٧٧.

وتتجلى أهميته وآثاره في أنه ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه[١]، فقال ﷺ: "إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ".

والرفق من الخلال الحميدة والصفات الرفيعة.

قال السعدي: (ومن أسمائه تعالى "الرفيق" في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق وشرع الأحكام شيئاً بعد شيء وجريانها على وجه السداد واليسر ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة إذ خلق الخلق أطواراً ونقلهم من حالة إلى أخرى بحِكَم وأسرار لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً، ومع ذلك لا يُفوِّت الفرص إذا سنحت ولا يهملها إذا عرضت)[٢].

وقد أمر الله الأنبياء بانتهاج الرفق واللين في دعوتهم بالمدعوين ومن الأمثلة على ذلك ما قاله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[٣].

وبين الحق سبحانه أن اللين والرفق سبب لتأليف القلوب وإقبال الناس على الدعوة، وذلك ما غلب على منهج رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التحلي بالرفق واستصحابه:

في بيان رسول الله ﷺ بأن الرفق من صفات الله ومحبة الله له وبيان الأثر الإيجابي للرفق وبيان الأثر السلبي لفقدانه حَثٌّ على التحلي بالرفق واستصحاب الإنسان

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩١٧/١.

(٢) توضيح الكافية الشافية ١٢٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

له في شئونه وأحواله جميعها، رفيقا في معاملة أهله وإخوانه وأصدقائه ومعاملة عامة الناس، ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة، والإنسان إذا عامل الناس بالرفق يجد لذة وانشراحاً بخلاف ما لو عاملهم بعنف وغلظة(١).

وقد جاءت الأحاديث النبوية حاثّة على الرفق وذلك في كل شيء، ففي ولاية الأمور أرشد الرسول ﷺ إلى الرفق ودعا الله بأن يرفق به كما رفق بمن ولى أمره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت من رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))(٢). ولا يقتصر ذلك على مواطن القيادة وزمام الأمور وإنما يمتد ليشمل كافة مناحي الحياة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في مسير له فحدا الحادي فقال رسول الله ﷺ: ((ارْفقْ يا أنجَشةُ -ويحك- بِالقَوَارِير))(٣).

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالرفق، فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٤) فهذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: "خذ العفو" دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين(٥). وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٦) فكان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى في الامتثال، بالرفق في الأمور عامة والدعوة إلى الإسلام وعرضه على الناس، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: ((بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ .

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٧، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩١٧/١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٠٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٤٤/٧/٤.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٥، ٢١٦.

إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللَّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))(١)، قال النووي: (قوله: "فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه" فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ من الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه)(٢).

فلو أن المسلمين تمسكوا بهذا الخلق الرفيع من الرفق في الدعوة وحسن النصح والإرشاد لعاشوا سعداء ولما كانت بينهم مشاحنات ولوصلوا إلى الغاية المنشودة من أقرب طريق.

وهكذا يكون أسلوب الدعوة وأسلوب النصح والتذكير خاصة مع الجاهل، فلله ما ألطف أخلاق الرسول ﷺ وما أروع تربيته وما أحوج المسلمين إلى مثل هذه التربية الحميدة الرشيدة التي تخرج العظماء والأبطال (٣).

رابعاً- من أساليب الدعوة: الرفق:

وردت الإشارة إلى الرفق كأسلوب في الدعوة ومنهج حياة في الأحاديث ببيان محبة الله وعطاء الله عليه فقال ﷺ "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه"، والرفق من أعظم الأساليب الدعوية لما فيه من جذب لقلوب المدعوين، ورد الإنسانية إلى الدين الحق، فبالرفق تساس الطباع ويعرف مكمن الداء، ويعطي الدواء لتستقيم الأنفس على الخير وتقبل دعوة الله،

---

(١) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠٩.

(٣) انظر: من كنوز السنة، محمد علي الصابوني ص ١٣٧، ١٣٨.

ويزول ما في الصدور ما حلّ فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء[١].

وليكن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة الذي كان الرفق عنواناً لأفعاله وسلوكه كما هو وارد في أقواله، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى منها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناسُ ليَقَعوا به، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: دَعوهُ وأهريقوا على بولهِ ذَنوباً من ماء أو سَجْلاً من ماء - فإنما بُعِثتم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسرين»[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: أثر الرفق على النفوس:

جاء في الأحاديث التي معنا التصريح بعظيم الأجر وجزيل الثواب على الرفق، وأن الله يعطي عليه ما لا يعطى على غيره، فقال ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه" فاللين والرفق صورة من صور الرحمة يضعها الله في قلب العبد، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٣]، والهين اللين يحظى بمحبة الله تعالى[٤]، كما صرح بذلك الحديث "إن الله رفيق يحب الرفق".

إضافة إلى ما في الرفق من حوز للخير وما في التجافي من الحرمان من الخير، روى عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من يحرم الرفق يحرم الخير))[٥]. فدلت النصوص على أن الرفق في الأمور والرفق بالناس واللين والتيسير من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية وأنه من صفات الكمال، وأن الله تعالى من صفاته أنه رفيق وأنه يحب من عباده الرفق، فهو يوصيهم به ويرغبهم فيه ويعدهم عطاء لا يعطيه على شيء آخر، فالواجب على المسلم لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها، إذ أن الرفق

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علون ص ٦١ ص ٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٨

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) انظر: اخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٤٦٤، ٤٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٩٢.

يـصلح النفـوس ويـؤثر فيهـا تـأثيراً لطيفـاً حـسناً ويـستعطفها إلى المطلـوب منهـا أفـضل استعطاف، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية بخلاف معاملتها بالعنف، فإنه يولد لديه صلابة التحدي والعناد وعدم الاستجابة للمطلوب منها، فالرفق يؤلف قلوب النـاس ويمتلك مودتهم ويطوعهم، أمـا العنـف في معاملة النـاس فإنـه يـورث العداوات والأحقاد ورغبات الانتقام متى سنحت الفرصة لتنفيذه[١].

(١) اخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ٨٩، ٩٠.

الحديث رقم (٦٣٤)

٦٣٤- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يدور حول الترغيب في الرفق، وبيان فضله كما اتفق مع سابقه في الأسلوب، وقد زاد عليه في المعنى بزيادة في المبنى، وهي قوله (وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ) وفي العبارة فضل ترغيب لم يرد في الحديث السابق عن طريق التعبير بالعطاء في جانب الرفق، وسلب العطاء في جانب العنف، وهو طباق يؤكد المعنى، والفرق بين الرفق، وبين العنف ليوضح الفارق بين الخلقين تمام الوضوح، كما طابق بين يعطي، ولا يعطي، وهو طباق سلب يبين أن الرفق يفتح باب العطاء، وأن العنف يغلق باب العطاء، وهو أمر مشاهد في تعاملات الناس فيما بينهم، وحذف مفعول العطاء في الجملتين يفيد التوسع في الدلالة الإيحائية: في تخيل مفعول العطاء، وهو من الأبعاد النفسية التي تفيدها ظاهرة الإيجاز، ويتمثل في فتح باب التخيل، والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي ليفيد منه بحسب خبرته، ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يوحي به النص، وينسجم معه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٥٩٣/٧٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٤٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٣٥)

٦٣٥- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

زانه: حسّنه[٢].

شانه: عابه وقبحه[٣].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه مع اختلاف في بسيط في الألفاظ، والأسلوب حيث قام المعنى في هذا الحديث على أسلوب القصر مع المقابلة، فقد قصر معنى وجود الرفق على الزين، وقصر نزع الرفق عن الشيء على الشين وهذ الأسلوب يفيد توكيد المعنى لأن فيه توكيدا من طريق النفي ثم بالإثبات عن طريق الاستثناء، وفيه مقابلة بين يكون، وينزع، وبين زانه، وشانه، ليضع الرفق، وعاقبته، إزاء العنف، وعاقبته في صورة واحدة ليتضح بحسن الحسن قبح القبيح، ويتضح بقبح القبيح حسن الحسن ويترك الصورة في تمام الوضوح للمؤمن ليختار فعلا بعاقبته.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم ٧٨/٢٥٩٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٤٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ز ي ن).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ش ي ن).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٣٣، ٦٣٤).

الحديث رقم (٦٣٦)

٦٣٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((دَعُوهُ وَارِيقُوا[1] عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ليقعوا فيه: يقال: وقع فلان في فلان وقيعة ووقوعاً: سبّه واغتابه وعابه[3].

أراقهُ: صبّه[4].

سَجْلاً: دلوًا ممتلئةً[5].

الذنوب: وهي أيضاً الدلو الممتلئةُ ماءً[6].

الشرح الأدبي

الحديث يتناولا تطبيقا عمليا لخلق الرفق يبين لهم كيفية تعاطيه لأن التطبيق العملي من أقوى أسباب تثبيت المعنى النظري، وقوله (بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ) يصور الحدث الذي أثار حفيظة الحاضرين لأنهم يرون للمسجد قدسية لا يجب أن تمس بفعل خارج عن الأدب منجس للموضع الواجب تطهيره وقد صوَّر الراوي رد فعلهم (فَقَامَ النَّاسُ

---

(١) لفظ البخاري برقم ٢٢٠ (هريقوا)، وفي ٦١٢٨ (اهريقوا). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذريُّ والمؤلفُ.

(٢) برقم ٢٢٠ والسياق للحميدي في جمعه ٢٤٠/٣، رقم ٢٥٠٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٥٥.

(٣) الوسيط في (و ق ع)، وينظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٢.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ر و ق).

(٥) رياض الصالحين (٢٨٠).

(٦) المرجع السابق.

إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ) الفاء التي تفيد السرعة في القيام، والجمع الذي يوحي به لفظ (الناس) واللام التي تشير للعلة مع الفعل المبين لها (ليقعوا فيه) والعبارة كناية عن رغبتهم في عقابه، والتعبير بالوقوع مع الجار، والمجرور (فيه) يشير شدة تمكنهم منه، وقد جاء رد النبي ﷺ سريعا في الرفق سرعتهم في العقاب بقوله (دعوه) أمر بترك في وداعة يدل الرفق، تبعه بالتصرف اللائق بالرفيق المصحح للخطأ في يسر (وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ) ثم يتبع الأمر بالعلة المحققة للإقناع القلبي بعد الإقناع العقلي المنبعث من يقينهم بوجوب طاعة رسول الله ﷺ (فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ) وأسلوب القصر يتعاضد في العبارة مع أسلوب الطباق في التأكيد على معنى كونهم أمة التيسير، وليسوا أمة التعسير، ويدعوهم ضمنا إلى العمل بموجب هذا الأمر الذي يستلزم الرفق في كل الأمور.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-نجاسة بول الآدمي: أجمع الفقهاء على نجاسة بول الآدمي[١].

٢-دفع أعظم المفسدتين بارتكاب أيسرهما[٢]: قال النووي: (قال العلماء: كان قوله ﷺ "دعوه" لمصلحتين: إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به، والثانية أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد)[٣].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٣٦، ومجمع الأنهر ١٤٨/١، والقوانين الفقهية ص ٣٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٧٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٢/٢.

(٢) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، جلال الدين السيوطي ١٦١/١، والمنثور في القواعد ٤٠٠/١، وغمز عيون البصائر ١١٩/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي مج٢/٣/١٩٤ ط/ دار عالم الكتب، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد، ٥٨، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٢/١.

هل يتعين الماء لإزالة النجاسة؟ ذهب الحنفية عدا زفر إلى أن الأرض إذا أصابها نجس، فجفت بالشمس أو الهواء أو غيرهما وذهب أثره طهرت وجازت الصلاة عليها، لقوله ﷺ: ((أَيُّمَا أَرْضٍ جَفَّتْ فَقَدْ ذَكَتْ))[١].

وذهب المالكية والحنابلة، والشافعية في الأصح عندهم، وزفر من الحنفية إلى أنها لا تطهر بغير الماء، لأمره ﷺ أن يصبّ على بول الأعرابي ذَنُوب ماء، ولو كفى ذلك لما حصل التكليف بطلب الماء[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حلم ورفق النبي ﷺ بالمدعوين.

ثانياً: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان حلم ورفق النبي ﷺ بالمدعوين:

في هذا الحديث بيان لصورة من صور حلمه ﷺ ورفقه بأمته[٣]، فلم يعنف النبي ﷺ ذلك الأعرابي الذي بال في المسجد بل رفق به وعلمه وأنكر على من أراد أن يقع به، كما هو واضح في الحديث "فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين" وذلك من

---

(١) هذا الحديث ذكرته كتب الحنفية، لكن لم نعثر عليه في كتب الأحاديث، كما ذكروا الحديث بلفظ: "زكاة الأرض يبسها" قال ابن حجر في التلخيص الحري ٣٧/١: احتج به الحنفية ولا أصل له في المرفوع، نعم ذكره ابن أبي شيبة ٥٧/١ موقوفاً على أبي جعفر محمد بن علي الباقر، ورواه عبدالرزاق لوابن أبي شيبة ٥٧/١[عن أبي قلابة من قوله.

(٢) الاختيار ٤٦/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٦/٢، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٩/٢.

(٣) انظر: أخلاق النبي وآدابه، الأصفهاني ص ٦١، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩١٢.

رحمته بالمؤمنين، وكما وصفه الله بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فلقد كان الرفق ديدن دعوة الأنبياء السابقين، فقد دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً قبل أن يغرقهم الطوفان، استخدم معهم أنواعاً من الأساليب ليقبلوا على دعوته ويقبلوا منه، لكن المحصلة كانت قليلة، وكذلك عاش إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء على لأواء أقوامهم يدعونهم إلى الله برفق وعدم عجلة، حتى نص القرآن الكريم على وجه من توجيهات الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في دعوتهما لفرعون ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢]،[٣]. (فهذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، فكانت دعوة موسى وهارون عليهما السلام بكلام رقيق لين قريب سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٤])[٥].

فما أحرى بالدعاة أن يكون الرفق عنوان رسالتهم وديدن أخلاقهم، فبالرفق تُساس الطباع ويعرف مكامن الداء، ويعطي الدواء لتستقيم الأنفس على الخير وتقبل دعوة الله عزوجل ويزول من الصدور ما حلَّ فيها من عوارض البغض وأسباب الشحناء، ولاشك أن الدواء لهذا كله بلسمُ الرفق[٦].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٥٤.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٩٤/٥.

(٦) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٧٤.

ثانياً- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

إن من أهم الآداب اللازمة للداعية التي ينبغي ألا تنفك عنه بأى حال من الأحوال تأسيه برسول الله ﷺ في شئونه كلها خاصة في عَرْض دعوته على المدعوين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، ومن الصفات التي يقتدى بها ما ورد في الحديث من رفق النبي ﷺ بالأعرابي، فلقد كان من خلق نبينا محمد ﷺ الذي اشتهر وعرف به: الرفق في دعوته للناس ومعرفة أحوالهم ومراعاة شؤونهم وعدم المشقة عليهم بأي وجه من الوجوه وتلمس العذر لهم[2]. فلكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات فلابد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله، وأن يتصف بلين الجانب وسهولة المعاشرة حتى يفتح لدعوته مغاليق القلوب، وينفذ بنصحه إلى أعماق النفوس[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير:

ورد ذلك في الحديث بلسان حال النبي ﷺ من الرفق والتيسير بالأعرابي وعدم نهره وبلسان مقاله، فقال ﷺ: فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" وإن من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية، والنصوص التي استنبطت منها، فسوف يجد لا محالة أنه قد روعى فيها التخفيف والتيسير على العباد، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جلية، وذلك مما يدل على أن مبدأ اليسر ودفع الحرج والمشقة أصل من أصول التشريع الإسلامي[4]، بل إنَّ الدين قوامه اليسر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاّ غَلَبَه، فَسَدِّدوا وقارِبوا، وأَبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة))[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) انظر: الأصول العلمية للأمر المعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٣٣٦.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٨٥.

(٤) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ٨.

(٥) صحيح البخاري، ٣٩.

قال ابن حجر: والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغْلَب، قال ابن المنير في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته -إلى أن قال- وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تَنَطّع[(١)]، وإنما الواجب السداد والمقاربة وذلك بين الإفراط والتفريط فلا غلو ولا تقصير[(٢)].

رابعاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

ورد في الحديث التعليم كوسيلة من وسائل تبليغ الدعوة وذلك في تعليم النبي ﷺ لذلك الأعرابي لما بنيت من أجله المساجد، كما جاء في رواية ابن ماجه: ((إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بنى لذكر الله وللصلاة))[(٣)]، وذلك التعليم الذي ورد في الحديث الممزوج بالتيسير والرحمة، إشارة إلى أنه ينبغي على الداعية التيسير على المدعوين، والتعامل معهم بما يناسبهم، وذلك ما يدفع المدعوين إلى حرصهم ومتابعتهم وعنايتهم بالدعوة، ومن ثَمَّ إحداث الأثر الدعوى المناسب[(٤)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٧.

(٢) انظر: شرح مسلم، النووي، ٥١٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٥٢٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٤٢٨).

(٤) انظر: علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٩٩، ٣٠١.

الحديث رقم (٦٣٧)

٦٣٧- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ولا تنفروا: لا تلقوا النّاسَ بما يحملهم على النفور من الغلظة والشدة[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يقوم على الأساليب الإنشائية بين الأمر، والنهي يدعمهما الطباق في تقرير المعنى فقوله (يسروا) أمر ندب، وإرشاد تبعه بنهي يعضده (وَلاَ تُعَسِّرُوا) تدعيما لخلق الرفق، وقوله (وبشروا) أمر بالبشارة التي تدخل السرور على الناس وتجعلهم يقبلون على ما يرضي الله، وقد دعمه بنهي عن ضده (وَلاَ تُنَفِّرُوا) قال الإمام النووي (جمع في هذه الألفاظ بين الشيء، وضده؛ لأنه قد يفعلهما في وقتين فلو اقتصر على (يسروا) لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات فإذا قال (ولا تعسروا) انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في بشروا، ولا تنفروا وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف، وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩ واللفظ له، ومسلم ١٧٣٤/٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٥٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٣) شرح النووي علي صحيح مسلم حديث (١٧٣٤) بتصرف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التبشير وعدم التنفير.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: التيسير والتبشير.

اولاً- من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير:

إن من أهم الأسس التي بنى عليها الإسلام التيسير، وقد جاءت النصوص متضافرة بالأمر بالتيسير والنهى عن التعسير، ومنها هذا الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ "يسروا ولا تعسروا"، قال القاضي عياض: (وفيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور والرفق بالناس وتحبيب الإيمان إليهم وترك الشدة و التنفير لقلوبهم لا سيما فيمن كان قريب العهد به)[١]، وفي ذلك بيان لما أراده الله تعالى من التيسير، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾[٣]، وقد التزم النبي ﷺ بمبدأ التيسير ولم يفارقه، ودليل ذلك ما روى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه"[٤] وكان ينهى أصحابه عن التشدد، ويأمرهم بالأخذ بما هو أيسر وأسهل عليهم في الدين والدنيا[٥]. كما في الحديث "يسروا ولا تعسروا" وقد اتبع العلماء الحاذقون هذا الأسلوب في فتاويهم وعرضهم الدعوة على الناس كابن تيمية الذي كان يرى أن أمور التشريع تؤخذ بالاستطاعة، ويراعى فيها تحصيل المصالح وتعطيل المفاسد[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٧/٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩.

(٥) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٤، ١٥.

(٦) منهج شيخ الإسلام، ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني ٦٦٥/٢.

ثانياً- من أساليب الدعوة: التبشير وعدم التنفير:

ورد التصريح في الحديث باتباع أسلوب التبشير طريقاً ومنهاجاً فقال ﷺ: "وبشروا ولا تنفروا" لما في ذلك من تأليف القلوب، لذا ينبغي التبشير والتلطف مع المدعوين، ليكون أدعى إلى القبول، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأنَّ الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه انبساطاً، وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده[1]، وكان التبشير أحد أساليب النبي ﷺ في الدعوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

فالتبشير يكسب الداعية حب المدعوين واستئناسهم به[3]، وإقبالهم عليه، فالتبشير أمر محبوب إلى النفوس وهو ذات قيمة تأثيرية عظيمة، لذا ينبغي على الداعية أن يلج إلى قلوب المدعوين من خلال أسلوب التبشير بغية التأثير فيهم وتأليف قلوبهم وكسبها، فضلاً عن أن التبشير ينبغي أن تصبغ به أحوال المسلمين عامة، قال ابن عثيمين: (ينبغي للإنسان إدخال السرور على إخوانه المسلمين ما أمكن بالقول أو بالفعل ليحصل له بذلك خير كثير وراحة وطمأنينة قلب وانشراح صدر)[4].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: التيسير والتبشير:

قعَّد الحديث القاعدة التي ينبغي أن يتعامل بها الداعية مع الآخرين، والتي يجب أن تحكم أسلوب الدعوة والداعية، وهي قاعدة التيسير والتبشير[5]، فقال ﷺ: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" لذا كان من أهداف الدعوة التبشير، والبعد عن كل ما يجلب المشقة حتى يقبل الناس على الدعوة وتتحقق استجابتهم لتوجيهات الإسلام.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٩٧/١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٨١١/٢.

(٤) القول الحفيد على كتاب التوحيد، محمد بن عثيمين، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٥هـ، ٥٤/١.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٧٥.

فإن علاج الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير من الصفات التي تساعد الدعاة على تحقيق الأهداف الدعوية بين الناس، وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه الداعية.

ولقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة [١]، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]، ويسر الله الأخذ بتعاليم الإسلام فجعلها مقدورة من جهة، ويتفاوت التكليف عند حدوث المشقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أهلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ مسائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ))[٤]. وإن من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية والنصوص التي استنبطت منها فسوف يجد لا محالة أن هذه الأحكام قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جلية في ابتدائها ودوامها[٥].

والأدلة على ذلك من التشريع الإسلامي كثيرة، فمثلاً أوجب الله الصلاة على المكلف في اليوم خمس مرات، وأوجب عليه أن يؤديها من قيام، وهذا تكليف يسير لا حرج فيه ومع ذلك فقد رخص أن يؤديها من قعود، أو كما يقدر إذا لم يستطع القيام، وكذلك الصيام فرضه الله شهراً في السنة فالمشقة فيه لا تصل إلى درجة العسر والحرج ومع هذا فقد أباح له الفطر في حالات تعظم فيها المشقة، فأباح الفطر للمسافر والمريض والحامل والمرضع، وقد حرم الله الميتة ولكن أباحها عند المخمصة، وشرع التيمم عند

---

(١) المرجع السابق ٧٥، ٧٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٢٨٨، ومسلم١٣٣٧.

(٥) انظر: الفقه الإسلامي أساس التشريع، محمد مصطفى شلبي ص ١٢٨.

فقد الماء، والقصر في الصلاة، وشرع الكفارات لتمحو آثار الذنوب، إلى غير ذلك مما يدل على أن مبدأ اليسر ودفع الحرج والمشقة في الأحكام الشرعية أصل من أصول التشريع الإسلامي سواء أكان الحكم منصوصاً عليه صراحة في الشريعة أم مستنبطاً بواسطة الفقهاء والمجتهدين[1].

(١) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ٢/١٩٧.

الحديث رقم (٦٣٨)

٦٣٨- وعن جرير بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يقولُ: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الرفق ورد في أسلوب الخبر القصير الذي يصدر كلافتة قصيرة تعجل بالحكم وتعتمد الإجمال في تقرير المعنى المراد حيث قرر أن فقدان الرفق فقدان لكل خير، عن طريق الموصول (من) بمعنى الذي، وصلته (يحرم) الواقع على الرفق مع بناء الفعل (يحرم) لما لم يسم فاعله وبهذا التركيب فإن الحكم يصدق على كل من كانت هذه صفته بغض النظر عن زمانه، ومكانه، وجملة (يحرم الخير كله) تقرر أهمية الرفق، وفضله في التأثير على فتح أبواب الخير له لأن المفهوم ضمنا من العبارة أن من يعطى الرفق يعطى الخير كله، ولفظ كله في الحديث ينفي المبالغة، ويمنع الشك؛ لأنه يؤكد الشمول المفهوم من لام الجنس في كلمة الخير مما يوجب على العاقل مراجعة نفسه في تعامله مع خلق الله لأنه بذلك يفتح لنفسه باب الخير، أو يغلقه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: خطورة الحرمان من الرفق.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على الأمور النافعة.

---

(١) برقم ٢٥٩٢/٧٤ بدون قوله: (كله). أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٤٧ وقال: ورواه مسلم وأبو داود مختصرًا: (من يحرم الرفق يحرم الخير)، وزاد أبو داود: (كلّه). وجمع المؤلف بين اللفظين من دون ان يشير إلى ذلك.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء أسلوب الترهيب في الحديث، حيث رهَّب النبي ﷺ من مجانبة اللين والرفق والميل إلى العنف مبيناً أن ذلك سبباً للحرمان من الخير فقال ﷺ: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، وأسلوب الترهيب من أشد أساليب الدعوة تأثيراً في جذب الناس حول الحق خوفاً من العقاب وخوفاً من فقدان الخير والسلامة والأمن[١].

إن الحرمان من الخير من أشد أساليب الترهيب، فإن بيان النتائج على الأعمال من نعيم وعذاب تحدث في النفس التطلع إلى فعل الخير والاتصال بالفضيلة، ومجانبة الذنوب والمعاصي ولزوم التوبة والإنابة إلى الله عز وجل[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: خطورة الحرمان من الرفق:

إن خطورة الحرمان من الرفق والتجافي عنه تكمن في حرمان الإنسان من الخير كما صرح بذلك رسول الله ﷺ فقال: ((من يحرم الرفق يحرم الخير كله))، أي يفض به ذلك إلى أن يُحرم خيرَ الدنيا والآخرة[٣]. وقال النووي: (وفي هذا فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، والرفق سبب كل خير)[٤]، والعنف سبب للحرمان من كل خير، ثم إن صورة الإنسان الشديد الغليظ العنيف، صورة مشينة معيبة تنفر منها الطباع البشرية، بينما صورة السهل الرفيق اللين اللطيف، صورة تزين صاحبها، وترتاح إليها النفوس، وتأنس إليها القلوب[٥]، وهذه المعاني وغيرها ضَمَّنها النبي ﷺ في قوله: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[٦].

لذا جاءت النصوص الكثيرة في ذم العنف والنهي عنه، ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا: "السام عليكم" فقالت عائشة رضي الله عنها:

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٣١.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبدالله دراز ص ٣٨٨.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٧٨/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٥٤٧.

(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٤٦٥

(٦) أخرجه مسلم، ٢٥٩٤.

"عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم"، قال: ((مهلاً ياعائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ))[1]. إضافة إلى ما ينم عن العنف من سوء الخلق، فترى صاحبه فظاً غليظاً لا يتراخى ولا يتألف ولا يلذ إلا المهاترة والأقذاع، ولا يتكلم إلا بالعبارات النابية التي تحمل في طياتها الخشونة والشدة والغلظة والقسوة، وذلك كله مدعاة للفرقة والعداوة ونزغ الشيطان وعدم قبول الحق.

فهذا النبي ﷺ مع انه مرسل من الله ومؤيد بالوحي، ومع أنه جاء بالهدى ودين الحق، قال ربه عز وجل في حقه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، [3]. قال البغوي: (قوله تعالى: "فبما رحمة من الله" أي فبرحمة من الله، و"ما" صلة وقوله: "لنت لهم" أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك "ولو كنت فظًا" يعني جافيًا سيء الخلق قليل الاحتمال "غليظ القلب" قال الكلبي: فظا في القول غليظ القلب في الفعل "لانفضوا من حولك" أي لنفروا وتفرقوا عنك ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم)[4].

إن الإنسان الكيِّس الفطن يحرص على معرفة أبواب الخير والولوج إليها، ويبتعد عن أسباب الحرمان من الخير، وفي هذا الحديث بيان لمغلاق من مغاليق الخير ألا وهو العنف، والحرمان من الرفق، فقال ﷺ: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، فالواجب الحرص على ملازمة خلق الرفق لأن به انتظام خير الدارين واتساق أمرهما وفي العنف ضد ذلك، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٠ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سوء الخلق، مظاهره، أسبابه، علاجه، محمد إبراهيم الحمد ص ١٤.

(٤) انظر: معالم التنزيل ١٢٣/٤/٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

قال ابن عثيمين عن أثر الرفق في الواقع والحياة العملية: (وهذا الشيء مجرب ومشاهد، إن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة، فإنه يحرم الخير ولا يناله، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر، حصل على خير كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رفيقاً حتى ينال الخير)[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٩٢٤.

الحديث رقم (٦٣٩)

٦٣٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رَجُلاً قَالَ للنبيِّ ﷺ : أوْصِنِي. قَالَ: ((لاَ تَغْضَبْ))، فَرَدَّدَ مِرَاراً ، قَالَ: ((لاَ تَغْضَبْ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ بفراسته، وبنور الله في قلبه يدرك بواطن المخاطبين، وطبائعهم تتكشف له في حوراهم فيجيب كل سائل بما يصلح حاله، ويناسب طبيعته، والحديث يروي قصة هذا السائل الذي جاء يطلب وصية رسول الله ﷺ بقوله (أوصني) وهو أمر قصد به طلب الاسترشاد والنصيحة، وقول الرسول ﷺ (لا تغضب) نهي عن الاسترسال مع الغضب بأن يسيطر على نفسه ويكبح جماحها حتى لا تتساق مع الغضب إلى الانتقام، وقوله (فردد مرارا) كأنه يريد شيئا آخر غير هذه الوصية، فكرر له الرسول ﷺ نفس النهي (لا تغضب) ولعله كان عيبه الذي يمكن أن يهلكه في الدنيا بالتسبب له في عقوبة مهلكة، أو يهلكه في الآخرة بأن يتسبب في ضياع حسناته إذا ما حمله الغضب على أذى الناس فالغضب جمرة تشتعل في قلب الغضبان فتعمي بصره بغشاوة الانتقام ويسيطر عليه الشيطان، وعلاجها أن يترك الاسترسال مع الغضب، ويسيطر على نفسه.

المضامين الدعوية[٢]

(١) برقم ٦١١٦، أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٤٦. وتقدم برقم ٤٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٨).

الحديث رقم (٦٤٠)

٦٤٠- وعن أبي يعلى شَدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إنَّ اللَّه كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإذَا قَتَلْتُم فَأحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ[1]، وَليُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبيحَتَهُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

شداد بن أوس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٦).

غريب الألفاظ:

القِتْلة: هيئة القتل وحالته[3].

الذبحة: هيئة الذبح[4].

وَليُحِدَّ: ليشحذ، وذلك لتكون أقطع وأمضى إذا حَدَّ سنها[5].

شفرته: سكينه التي سيذبح بها[6].

الشرح الأدبي

الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين تخطت رحمته حدود البشر إلى الحيوان بل إلى الجماد، وقصة حنين الجزع دليل على ذلك، وهذا الحديث يعرض صورة من صور هذه الرحمة في الرفق بالحيوان، وقوله (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...) مقدمة عامة شملت الحكم المراد تقريره، وتوكيد الخبر لتفخيمه والتعبير بالكتابة يفيد تأكيد الثبوت أيْ أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ الإِحْسَان فِي كُلّ شَيْء فَكَلِمَة عَلَى بِمَعْنَى فِي وَمُتَعَلّق الْكِتَابَة

---

(١) لفظ مسلم: (الذبح).

(٢) برقم ١٩٥٥/٥٧. أورده المنذري في ترغيبه ١٦٣٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٤٢، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٤٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٥.

(٥) الوسيط في (ح د د).

(٦) الوسيط في (ش ف ر).

مَحْذُوف، ولفظ الشمول (كل) وإضافته إلى النكرة (شيء) أفاد عموماً يجعل الإحسان مبدأ عاما يحكم كل تصرفات المسلم، وقوله (فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ) أسلوبي شرط يربطان القتل، والذبح بالإحسان وهما من ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً إليها لغفلة الناس عنها؛ لأنها أفعال لا يعتبرها الإنسان موطن رحمة، وهي من أهم المواطن التي تحتاج إلى رحمة لشدة ما يلاقيه المشرف على الموت من الألم، وقد لفت الرسول ﷺ برحمته المسلمين إلى هذه المواطن رفقا بالمذبوح، أو المقتول، ولأن قتل الإنسان يكون في أوقات، وظروف محددة كالحروب، والحدود، وغيرها، وقتل الحيوان، والطير للأكل كثير مستمر نبه إليه الرسول ﷺ بالأمر بحد الشفرة، وإراحة الذبيحة في قوله: (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِحِ ذَبِيحَتَهُ) رحمة، وإحسانا بها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

آداب الذبح: يستحب في الذبح أمور:

أ- إحسان الذبح: وهو بالإجماع، ويتحقق ذلك بإحداد السكين، ونحوه، وسرعة القطع، وأن يوجِّه الذبيحة للقبلة، وأن يسمي عليها، ويكبر.

ومن إحسان الذبح أن يحد السكين، قبل أن يضجع الذبيحة، ويكره له في قول الجمهور أن يحدها بين يدي الذبيحة، أو يذبح واحدة أمام أخرى، أو يجرها إلى مذبحها.

ب- إضجاع الذبيحة: وهو بالإجماع، لأنه أرفق بها، ويكون الإضجاع على الجانب الأيسر، لأنه أيسر للذابح في أخذ السكين باليمنى، وإمساك رأس الذبيحة باليسرى، ولا يتعين ذلك، بل كيفما تيسر له فعل[1].

---

(١) مراتب الإجماع ١٧٨، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢/ ٢٩، وحاشية الصاوي ١٢٥/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٠/٩ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٣٩٠/١١، ٣٩٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الإحسان وفضله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: مظاهر الإحسان.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة المؤثرة لما فيه من إقناع المدعو بما يلقي إليه وإقراراه به ووقعه في قلبه موقع القبول. فإن تأكيد الكلام يعطيه قوة في نفس السامع، وقد استخدم القرآن التوكيد في تقرير كثير من القضايا والأحكام، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنياً في الحديث بإحسان القتل والذبح، فقال ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" ولا يجازي الله على الإحسان إلا إحسانا". قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[2]. وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[3].

والترغيب من أبرز أساليب الدعوة شيوعاً في القرآن والسنة قال الزرقاني: (الترغيب والترهيب يفيض بهما بحر الكتاب والسنة، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير وأن يحميها من كل شر، سواء ما كان فيهما من عاجل وما كان من آجل، وشواهد الترغيب والترهيب كثيرة في الكتاب والسنة

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠

فمددهما فياض بأوفى ما عرف العلم من ضرورة الترغيب والترهيب وفنون الوعد والوعيد وأساليب التبشير والإنذار على وجوه مختلفة)[١]، ومن نماذج ترغيبات القرآن ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الإحسان وفضله:

إن مما يزيد من أهمية الإحسان ويرفع من شأنه أنه ليس من قبيل المباحات أو المندوبات، وإنما هو أمر واجب كما في الحديث "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" قال ابن رجب الحنبلي: فهذا الحديث في وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال[٣]، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[٥]، والإحسان يدخل في جميع الأقوال والأفعال ومع سائر الأصناف إلا ما حرم الإحسان بحكم الشرع، وإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول وفروع الآداب والأخلاق[٦].

ولأهمية الإحسان أمر الله به بني آدم، فعندما نشر الله أبناء آدم فوق الثرى وناط بهم رسالة الحياة كلفهم أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات ولم يستريحوا إلى نقص

---

(١) مناهل العرفان، ٣٠٨/١، ٣٠٩.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٥-١٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٨١/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٥٥/١٤/٦، ٢٥٦.

أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع كما جاء في الحديث: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"، وذلك يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به، إتقان من يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على عمله وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات[١]، فالإحسان يثمر الرقي لأنه يعني التفضل والعطاء دون مقابل من الجزاء أو الشكر، ويؤدي إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون[٢]؛ فإن المؤمن إذا أراد أن يكون من أهل الإحسان فعليه أن يشعر قلبه أن عين الله ترقبه في كل زمان ومكان، وأنه لا يخفى على الله منه خافية، فإذا أشعر المؤمن نفسه بمراقبة الله له، فإنه ولا شك سيراقب الله بقلبه وفكره في جميع الأعمال التي يقوم بها، والأحوال التي يكون عليها، وبذلك يجني ثمار الإحسان[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: مظاهر الإحسان:

إن مظاهر الإحسان متعددة متنوعة كالإحسان إلى الوالدين والأرحام، والإحسان في الإتيان بالمأمورات على وجه كمال واجباتها، والإحسان في ترك المحرمات والصبر على المقدورات، وغير ذلك ومنها ما ورد في الحديث "فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوحاها من غير زيادة في التعذيب[٤]. وذلك مثال للإحسان، فإنه ما من شعبة من شعب الإيمان ولا ركن من أركان الإسلام إلا وقد قرن به إحسان لائق به بدليل عموم قوله ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"[٥].

والإحسان إلى المخلوقات حتى فيما جاء في الحديث من صور الإحسان بإحسان الذبح يأتي تبعاً لحال التعامل مع الله تعالى، فمن كان لله أقرب كان من ظلم هذه

---

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي ص ١٩٢.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٤٤.

(٣) انظر: المختار من كنوز السنة، شرح اربعين حديثًا، د. محمد عدالله دراز ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ١/٣٨١، ٣٨٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩١٥.

المخلوقات أبعد، ومن كان متأدباً مع الله تعالى كان لنفسه مؤدباً تجاه مخلوقات الله، والإحسان إلى المخلوقات يعتمد على أصول منها:

أ- الالتزام نحوها بما شرعه الله من الأدب تجاهها وعدم ظلمها.

ب- استثمارها والانتفاع بها وفق ما أباحه الله له وشرعه، والبعد عن التعدي في ذلك او التقصير فيه.

ج- التعرف على ما شرعه الله له في التعامل معها بحسب ما تدعو إليه حاجة التعامل نحوها.

د- استشعار الإنسان بكونها مخلوقة لله تعالى، عابدة له، قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]،[2].

هـ - تقدير كل ذي روح ورعايته حقه من مطعم ومشرب إن كان محبوسًا له، يقوم بذلك بنفسه أو غيره، مع مراعاة عدم التعذيب ل، وذلك كالحبس للمصارعة بين الحيوان والطيور وما شاكل ذلك.

و - الإحسان إلى الأرض التي يقيم عليها الإنسان وذلك بإماطة الأذى ودفع الروى وتيسير السبل ورعاية حق الطريق.. إلخ.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٢) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٩١، ٩٢.

الحديث رقم (٦٤١)

٦٤١- وعن عائشة ﵂، قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ أَخَذَ أيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثماً، فَإنْ كَانَ إثماً، كَانَ أبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إلاَّ أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ[1] للهِ تَعَالَى. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

تنتهك حرمة الله: تُخرق وتؤتى[3].

الشرح الأدبي

يقرر الحديث تطبيق الرسول ﷺ مبدأ اليسر في كل الأمور المباحة تطبيقا عمليا أشارت إليه أم المؤمنين ﵂ بقوله (مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ أَخَذَ أيْسَرَهُمَا) وهو أسلوب قصر لمعنى التخيير على اختيار الأيسر، والتعبير بالأخذ أقوى في الدلالة على الاختيار ووقوع الأخذ على أفعل التفضيل يشير إلى التطبيق العملي لمبدأ اليسر، وقوله (مَا لَمْ يَكُنْ إثماً) احتراس يخرج المحرم من فعله ﷺ، وأسلوب الشرط يقرر أنه أبعد الناس عن الإثم، والجناس بين (انتقم.. فينتقم) يؤكد معنى كونه لا ينتقم إلا عندما تنتهك حرمة من حرمات الله وبذلك يكون انتقام النبي ﷺ لله تعالى وينفي انتقامه لنفسه لأن الفعل الأول منفي وهو انتقامه لنفسه، والثاني مثبت يؤكد سمو الرسول ﷺ، وتعاليه على حظوظ النفس، وملاحظتها عند إتيان كل عمل قلبي أو بدني، كما يقرر وقوفه على أمر الله - عز وجل -.

---

(١) عند البخاري زيادة: (بها).

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٦ واللفظ له، ومسلم ٢٣٢٧/٧٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن هـ ك)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٦.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١-استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا[١]:

وقال ابن حجر: (وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء العُسْر، والاقتناع باليسر، وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه، ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ)[٢].

٢-أنه يستحبّ للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بالعفو والحلم واحتمال الأذى فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى[٣]. قال القاضي عياض: (وقد أجمع العلماء على أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادته له)[٤].

وقال ابن حجر: (وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكنًا من ذلك بحيث يؤمن الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة)[٥].

٣-الندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحلّ ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات النبي ﷺ: اليسر والحلم والعفو.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: يسر الإسلام.

ثالثاً: من صفات الداعية: التيسير على المدعوين.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الغضب عند انتهاك محارم الله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٨/١٥/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٨/١٥/٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٤/٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٦.

(٦) المرجع السابق ٥٧٦/٦.

أولاً- من صفات النبي ﷺ: اليسر والحلم والعفو:

لقد منح الله سبحانه نبينا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده، وجمع له محاسن الصفات وأحاسن الآداب[1]، ومنها اليسر والحلم والعفو كما أخبرتنا بذلك السيدة عاشة رضي الله عنها، فوصفت ميوله لليسر ومجانبته للعنف والمشقة قائلة: "ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسَرَهما، ما لم يَكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه"، وعن حلمه وعفوه قالت: "وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِهِ في شيء قطُّ، إلا أن تُنتَهَكَ حُرمة الله، فيَنتقمُ لله تعالى». فقد اشتهر النبي ﷺ بالسماحة والعفو عند المقدرة على إنزال العقاب، فلقد طرح حظوظ الذات، وأعرض عن مطالب الأنا، فليس له غرض في التشفي أو الانتقام لحقوقه، فلقد تحلى ﷺ بأخلاق القرآن المحضة فلم ينطق أو يتصرف في الرضا والغضب والسخط إلا حقاً وخيراً ومن هنا جاء تنازله ﷺ عن حقوقه الشخصية عجيباً مدهشاً، وإغضاؤه عن إساءة الآخرين فوق تحمل البشر العاديين وطاقتهم، مما لا يقدر عليه إلا إنسان مؤيد بمدد إلهي عظيم[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: يسر الإسلام:

إن الإسلام هو دين اليسر، فمع وفائه بكل مقومات الحياة، فهو تشريع سهل سمح ليس فيه ما يشق على الناس فهمه أو يصعب عليهم العمل به، وهو تشريع مرن يتسع لكل ما فيه مصلحة وعدل، فحيثما توجد المصالح فثم شرع الله[3]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[4]. ولقد أعطانا النبي ﷺ أنموذجاً تطبيقياً ليسر الإسلام وسماحته. وكما قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث: "ما خُيِّرَ رسولُ

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٢) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ١١٣.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٧٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسرَهما، ما لم يَكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه".

قال ابن حجر: وفيه الحث على ترك الشيء لعسر، والاقتناع باليسر[1]، ما لم يؤد ذلك إلى الوقوع في الإثم.

وبهذا يتبين أن اليسر من أهم وأبرز ما يتميز به الإسلام "فلقد جمع الله عز وجل، شريعة الإسلام بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل[2]، فإن الله سبحانه لم يكلف النفس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى غاية الطاقة والمجهود[3]، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، وقال قتادة: قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[5]، فاريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم[6].

ثالثاً- من صفات الداعية: التيسير على المدعوين:

إن الداعية في دعوته متأسٍ برسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[7] ومما يجب التأسي به التيسير على المدعوين الذي ندب إليه القرآن: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[8] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٦/٦.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١٥٨/١.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ٢٠٤/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٥٦/١.

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

حَرَجٍ﴾[١] فلا يجشمهم صعباً ولا يكلفهم عسراً يتأذون به، أو تتململ منه نفوسهم، فإذا صلى بهم إماماً لا يطيل في صلاته بل يخفف كتخفيف رسول الله ﷺ فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة، وإذا أراد نهيهم عن قبيح، وإقلاعهم عن باطل سلك بهم في الزجر سبيلاً سهلاً خالياً من الغلظة في القول، والقسوة في الموعظة[٢]، وليكن التيسير شأنه والتبشير ديدنه.

فإن التيسير من الصفات التي تساعد الدعاة على الإيغال بدعوتهم بين الناس، فالقاعدة النبوية في التعامل تبدو واضحة جلية في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))[٣].

إن سماحة الداعية ولينه وسهولة معشره هى التي تفتح مغاليق القلوب وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب، وهذا الخلق يجب أن يغطى مساحة حياة الداعية كلها، وأن يكون ملازماً في كل شأن من شئون دعوته، وفي حياته اليومية وفي حياته العامة[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الغضب عند انتهاك محارم الله:

إن من كمال الإيمان الغضب عند انتهاك محارم الله، كما هو حال النبي ﷺ، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى"، وفي ذلك ما كان عليه الصلاة والسلام من الحلم والصبر والقيام بالحق والصلابة في الدين، ونضرب مثالين أحدهما في بيان حلمه وعفوه والآخر في غضبه لمحارم الله تبارك وتعالى، فأما عن حلمه وعفوه، فقد ورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((كنتُ أمشي مع رسولِ الله ﷺ وعليه بُردٌ نَجْرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبَذَه بردائهِ جَبذَةً شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عاتقِ

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٢، ١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

(٤) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٧٥، ٧٦.

النبيُّ ﷺ وقد أثرَت فيها حاشيةُ البرد من شدَّة جَبْذته، ثم قال: يامحمد، مُرْ لي من مالِ اللَّه الذي عندَك. فالتفتَ إليه فضحك، ثم أمرَ له بعطاء))(١).

وأما عن غضبه لمحارم الله إذا ما انتهكت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أنَّ قريشاً أهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزوميةِ التي سَرقَت، فقالوا: ومَن يكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومَن يَجترِىء عليه إلا أسامةُ بنُ زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمهُ أسامةُ، فقال رسول الله ﷺ: أتَشفعُ في حدٍ من حُدودِ الله؟ ثم قام فاختطَبَ ثم قال: إنما أهلكَ الذين قبلَكم أنهم كانوا إذا سرَقَ فيهمُ الشريفُ تركوه، وإذا سرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليهِ الحدَّ. وأيمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدَها))(٢).

فإن الغضب لانتهاك حرمات الله غضب محمود، وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام في مواضع عديدة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾(٣)، وقوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾(٤).

وبهذا يكون المسلم سمحًا سهلاً لينًا هاديًا مهديًا لا يثور ولا يغضب إلا إذا رأى حقًا يُضاع أو ظلمًا يقع فيغضب لله دون سواه، وأولى الناس بهذا هم الدعاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٤٩، ومسلم ١٠٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٤.

(٤) سورة طه، آية: ٨٦.

الحديث رقم (٦٤٢)

٦٤٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ألا أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارِ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ (لَيِّنٍ) [1]، سَهْلٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

قوله (ألا أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟) استفهام عرض، وتشويق، وترهيب، يفهم العرض من دلالة الأداة (ألا) التي تفيد العرض، والتنبيه، ويفهم التشويق من عرض الخبر الصادر من رسول يوحى إليه مع تعميم الخطاب المفهوم من اتصال الفعل بكاف الخطاب، وميم الجمع، ويفهم الترهيب من ذكر لفظ النار، وهو من الألفاظ التي وضعت علما للألم، والعذاب، والهول، وقوله (بمن يَحْرُمُ عَلَى النَّار) من اسم موصول بمعنى الذي، والفعل (يحرم) منسوب إليه أي هو لا يقرب منها، وفي قوله (تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار) أي النار لا تقربه، ويفهم من حرمته على النار أو حرمة النار عليه ضمنا أنه من أهل الجنة، وقوله (تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ) إعادة الفعل لتوكيده، لأنه مدار الفلاح قال تعالى: (... فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران١٨٥)، والصفات المذكورة صفات تجاوب، وتفاعل مع الناس في المعاملات، والعادات، وقضاء حوائج الناس، والصفح، والعفو، وغيرها، وهو ترغيب للمسلمين في لين الجانب وحسن المعاملة، وصفاء القلب.

---

(١) (ليّن) لا توجد عند الترمذي، وهذه الزيادة عند أحمد في المسند ٣٩٣٨، وابن حبان، الإحسان ٤٦٩.

تنبيه: المؤلفُ تبع فيه المنذريَّ في ترغيبه ٣٩٥٨، حيث أورده بهذه الزيادة.

(٢) برقم ٢٤٨٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٦٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل التعامل الحسن مع الناس.

رابعاً: من آداب المدعو: التحلي بالحلم والخلق الحسن.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قوله ﷺ: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من نقل الحقائق للمدعوين وحملهم على الاستجابة لما فيها.

فإن الإخبار عن أحوال الناس يوم القيامة ومصائر المكلفين وتباينها، والإيمان بذلك على الوجه الصحيح يفضي إلى سلامة النفس ورشد التصور واستقامة السلوك ورقي الحياة، وهو ضمان ليقظة القلب وعلو الهمة واستعلاء النفس [1]، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [2].

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في التجمل بمكارم الأخلاق وسامي الآداب بالتحريم على النار فقال ﷺ: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل"، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخداماً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه [3].

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. محمد ساداتي الشنقيطي ص ٣٠٨.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١٤-١٦.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

والترغيب يتخذ صورًا متعددة، منها الترغيب بالوعد بالخير في العاجل والآجل، فمما لا شك فيه أن لكل أجير أجره، ولكل عامل أجر على عمله، ورب العزة والجلال أعطى عباده العمال الأجر العظيم على إيمانهم، واستقامتهم على طاعته والتزامهم بمنهجه سبحانه وتعالى، وهذا في الدنيا حيث السعادة والاطمئنان النفسي وراحة النفس واستقرارها[(١)]، وفي الآخرة حيث الجنة وكريم الأجر وحسن الثواب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل التعامل الحسن مع الناس:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بوجوب الإحسان مع كل شيء فقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ))[(٣)]. ومنه الإحسان في معاملة الخلق ومعاشرتهم[(٤)]، وقد بين النبي ﷺ في الحديث ألواناً من إحسان المعاملة مع الناس والصفات الواجب التحلي بها فقال: "كل قريب هين لين سهل" أى كل قريب إلى الناس سهل طلق حليم لين الجانب سهل الخلق كريم الشمائل[(٥)] وحسن الخلق والتعامل مع الناس دلالة على كون صاحبه كريما محموداً[(٦)] وسبب لجلب محبة الله تعالى للإنسان، كما قال رسول الله ﷺ لأشج عبدالقيس: ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))[(٧)].

وقد أمر الله عز وجل بحسن المعاملة وسعة دائرة الإحسان لتضم المجتمع الذي

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) أخرجه مسلم، ١٩٥٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٣٨٢/١.

(٥) تحفة الأحوزي، المباركفوري، ١٩٣٥/٢.

(٦) أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري ص ٥٥.

(٧) أخرجه مسلم، ١٧، ١٨.

يعيش فيه الإنسان[1]، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[2]. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه المتواضع لعباد الله المنقاد لأمر الله وشرعه الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل.

ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه غير منقاد لأوامر ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله[3].

رابعاً- من آداب المدعو: التحلي بالحلم والخلق الحسن:

إن التحلي بمكارم الأخلاق والتجمل بأحاسن الآداب علاج للمفاسد[4] ودعامة المجتمع الصحي الآمن،لذا كان التخلق بها من الواجب على الداعية والمدعو على حد سواء، وكما ذكر الرسول ﷺ في الحديث جانباً من صفات الشخصية الإسلامية السوية ومن تحرم عليه النار، فقال: "كل قريب هين لين سهل"، وفي ذلك بيان لفضل لين الجانب، وسهولة الأخلاق، وقرب المأخذ، والتواضع[5] فالمؤمن ليس بجاف ولا فظ ولا غليظ[6]، وقد وصف الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[7]، وعباده المؤمنين بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية، ماجد الكيلاني ص ١٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٢.

(٤) أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري ص ٦.

(٥) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا ص ٢١٧.

(٦) أخلاق العلماء، الآجري، تحقيق: أمنية عمر الخراط ص ٥٨.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[١]، فتلك الصفات تَحلّ بالكمالات الدينية وفعل الخيرات[٢].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أعظم المثل في حسن الخلق والمعاملة الحسنة فلقد كان ﷺ مطبوعاً على الحلم والعفو مع القدرة على الانتقام أو المحاسبة، متمثلاً أوامر ربه ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣]، وحلمه ﷺ أوسع من أن يحاط بجوانبه، ولولا هذا الحلم بعد توفيق الله تعالى له ما استطاع أن يسوس شعباً كالعرب، يأنف أن يطاع أو ينصاع[٤]، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥].

لقد جاءت النصوص الإسلامية توجه الاهتمام العظيم والعناية الكبرى لقيمة حسن الخلق في الإسلام، وتذكر الخلق الحسن بتمجيد كبير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا))[٦].

فربط رسول الله ﷺ الارتقاء في مراتب الكمال الإيماني بالارتقاء في درجات حسن الخلق، وذلك لأن السلوك الأخلاقي النابع من المنابع الأساسية للخلق النفسي في الإنسان موصول هو والإيمان وظواهره وآثاره في السلوك ببواعث نفسية واحدة.

فصدق العبادة لله تعالى عمل أخلاقي كريم لأنه وفاء بحق الله على عبيده.

وحسن المعاملة مع الناس وفاء بحقوق الناس المادية والأدبية، فهي بهذا الاعتبار من الأعمال الاخلاقية الكريمة.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٦٨/٨/٣، ٦٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ص ٣٩٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

فإذا تعمقنا أكثر من ذلك فكشفنا أن الإيمان إذعان للحق واعتراف به، رأينا أن الإيمان أيضًا هو عمل أخلاقي كريم بخلاف الكفر بالحق فهو دناءة خلقية.

فإذا ضممنا هذه المفاهيم إلى المفهوم الإسلامي العام الذي يوضح لنا أن كل أنواع السلوك الإنساني الفاضل فرع من فروع الإسلام والإسلام التطبيقي آثار للإيمان وثمرات عملية له.

إذا جمعنا كل هذه المفاهيم وجدنا أن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا كما قال رسول الله ﷺ فأحسن الناس خلقًا لابد أن يكون أصدقهم إيمانًا وأخصلهم نية وأكثرهم التزامًا بما يجب على العباد نحو ربهم من عبادة وحسن توجه له وصلة به وأكثرهم التزامًا بحقوق الناس المادية والأدبية[1].

(١) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٩، ٥٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الإسلام على الحد من الاندفاع والعجلة والحدة، ومن أجل هذا سلك السبل التالية:

أولاً- غرس قيمتي الرفق والتيسير:

إن من القيم الرئيسة التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين الرفق والحلم والتيسير، لما لها من أثر طيب في العلاقات بين الأفراد والجماعات.

وفي هذا الباب -باب الحلم والأناة والرفق- أورد النووي جملة من الأحاديث تغرس في نفوس المتربين الرفق والتيسير والحلم والأناة، ومن هذه الأحاديث "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"، وقوله: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"، وقوله" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"، وقوله" فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" وقوله "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"، وقوله "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، وفي هذه الأحاديث وغيرها دعوة إلى هذه القيم النبيلة.

"إن من أخطر الأمور على المسلم أيام الفتن عجلته وتسرعه وتركه الرفق والأناة والتودد، فكم من الذين تورطوا في الفتن أيًا كان نوع هذه الفتن، قد أقروا بندمهم على تسرعهم وتعجلهم في أمر كان لهم فيه أناة، ولكن حين لا ينفع الندم في بعضها، وإذا كان الحلم والأناة والرفق صفات محمودة في كل آن وحال فإنها في أيام الفتن واضطراب الأحوال تكون محمودة بشكل أكبر والحاجة إليها تكون أشد" (١).

ولاشك أن الرفق والأناة والتيسير والحلم كلها قيم مطلوبة في حياتنا وتصرفاتنا، ويجب أن نربي على ذلك أبناءنا.

"إن حياتنا تحتاج إلى رفق نرفق بأنفسنا ونرفق بإخواننا، ونرفق بالمرأة، فالرفق

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، د. عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٣/٥٣٧.

شفيع لا يُرَدُّ في طلب الحاجات، قال بعض السلف: إن من فقه الرجل رفقه في دخوله منزله وخروجه منه، وارتداء ثوبه، وخلع نعليه وركوب دابته. إن العجلة والهوج والطيش في أخذ الأمور وتناول الأشياء كفيلة بحصول الضرر وتفويت المنفعة، لأن الخير بني على الرفق، وإن الرفق في التعامل تُذعن له الأرواح، وتنقاد له القلوب، وتخشع له النفوس. إن الرفيق من البشر مفتاح لكل خير، تستسلم له النفوس المستعصية، وتثوب إليه القلوب الحاقدة:

ترفق أيها القمر المنير ... ولاتك كالرياح لها زئيرُ
فإنك بالسناء ملأت وجهي ... ووجهك في دياجينا نضيرُ
وتلك الريح هاجت في عتوٍّ ... فزلزلت المنازل والقصورُ [1]

إن الإنسان مطبوع على العجلة، قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[2]، وفيه من الحدة والشدة الشيء الكثير، ولهذا حرص الإسلام على دعوة المسلم إلى التأني في الأمور، والرفق في التصرف، وهو لون من مجاهدة النفس لا يرقى إليه إلا الصفوة من المسلمين.

إن الهدوء في التصرف يؤدي إلى ائتلاف القلوب، وإن الشدة تؤدي إلى النفرة والقسوة، والهدوء في ذاته يكسب الإنسان راحة نفسية ويحول دون الانفعال الذي يفضي إلى الموت أو الهلكة.

كما أن عدم العجلة في اتخاذ القرار يؤدي إلى دراسة الأمر كما ينبغي، ويمكن الإنسان من تجنب رد الفعل السريع الشديد والذي لا يحمد في كثير من الأحيان، لأن الصدمة الأولى قد تفقد الإنسان القدرة على اتخاذ القرار، ومثل ذلك البشارات المفاجئة قد تدفع إلى التصرف فيما لا يحمد.

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني ص ٤٦٨-٤٧١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٧.

ورسول الله ﷺ قد اتسم بهذه الأخلاق في كثير من المواطن، فكم هوجم فصبر وكم أوذي فاحتمل، وكم قال له الأعراب ما لا يحمد فكان لا يقابل السيئة بالسيئة بل يقابلها بالحسنة والعفو، قال له أعرابي: إنكم قوم مطل، وكان عمر حاضرًا فهم أن يضربه فمنعه الرسول ﷺ وقال له: أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك تأمره بحسن الطلب وتأمرني بحسن الأداء.

والرفق في الإسلام يشمل كل صور التعامل، لأن العنف يفضي إلى الهلاك وخير الرفق ما كان مع الإنسان، لأنه يؤدي إلى الألفة ويحمل على الاستجابة ويستبقي المودة، وهو مظهر جمالي في كل صور التعامل.

إن العنف سبيل للهلكة، والرفق كذلك في الفتاوى مطلوب، فالأصل في الإسلام اليسر ورفع الحرج ورسول الله ﷺ كان يدع بعض الأمور حتى لا يشق على الصحابة الالتزام بها، مثل ترك صلاة التراويح في رمضان في جماعة، وعندما واصل في الصيام بين العلة وذكر النهي بحق المسلمين.

وكثيرًا ما كانت تصدر عنه البدائل القائمة على الرفق بالسائل أو السائلين مثل النص على كون التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة يكسب أجر الصدقات وزيادة..

ورفق الإنسان بنفسه مطلوب، وليس للإنسان أن يبالغ في العبادة حتى يفضي إلى قتل نفسه، ورسول الله ﷺ قد أقر سلمان الفارسي على تقسيم الحقوق مع الدعوة إلى القيام بها، حين قال لأبي الدرداء: إن لبدنك عليك حقًا وإن لزوجك عليك حقًا وإن لربك عليك حقًا وإن لأهلك عليك حقًا، فاعط كل ذي حق حقه.

إن الأمة كلها مطالبة بإظهار هذه الجوانب في تعاملها، إن قوله عليه السلام (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[1] فيه دلالة على أن هذه الأمة مكلفة بإظهار الإسلام بصورة سمحة وأن التشدد في الأقوال والأفعال منهي عنه.

---

(١) اخرجه البخاري ٢١٧.

ثانيًا- الثناء على المتربي وتشجيعه:

إن من أساليب التربية الرئيسة الثناء على المتربي وتشجيعه ليستمر على ما هو عليه من خير، ويتشجع للمداومة عليه، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب قول الرسول ﷺ لأشج عبدالقيس رضي الله عنه: "إن فيك خصلتين يحبها الله: الحلم والأناة".

"ومن هديه ﷺ في التربية أنه كان يثني على مَنْ ظهر منه ما يستحق الثناء ويبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله عز وجل" (١).

إن الثناء والمدح يقوي العزيمة، وينمي الموهبة، ويندب الباقين للقيام بما قام به الممدوح أو المثنى عليه، وهذا أسلوب تربوي هام يجب استصحابه مع المتربيين.

"لقد استخدم الرسول ﷺ التشجيع مع أصحابه رضي الله عنهم لأن المعرفة لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بل لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية، تحفز الإرادة، وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والبعد عن الشر، كما أن النفوس تتفاوت في الاستعداد للتأثر، فلابد من تنويع وسائل التربية مهما بلغ الإنسان من الحضارة والرقي والتشجيع الذي استخدمه الرسول ﷺ إما: لفعل لم يقع، أو لفعل قد وقع" (٢).

ثالثًا- التربية على النظافة والطهارة:

إن من القيم التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين التربية على النظافة والطهارة، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب ما وجه إليه النبي ﷺ أصحابه عندما بال أعرابي في المسجد فقال: "دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء"، وفي هذا الإرشاد ملمح تربوي إلى ضرورة الحرص على نظافة المكان وطهارته من النجاسات.

"إن ديننا الحنيف يهتم بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا، إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة فمن العبادات ما يقوم على الطهارة ولا تقبل بدونها، وديننا الإسلامي الذي هو حريص على صحة وسلامة المسلم، لا يقصر النظافة على نظافة البدن، بل يتعدى ذلك إلى نظافة كل ما من شأنه أن يجلب نفعًا أو يدفع

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٢.

(٢) أساليب الدعوة والتربية د. زياد محمود العاني ص ٢٢٥.

ضررًا، فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن، ونظافة المكان والبيئة والمجتمع، ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كبر أو صغر كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه؛ لما لذلك من انعكاسات إيجابية صحية وجمالية على المستوى الفردي والجماعي والإنساني"[1].

رابعًا- التربية بالمواقف:

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في بول الأعرابي في المسجد، فقد قال النبي ﷺ لأصحابه، وقد أراد أن يقعوا في الأعرابي، قال لهم: ((دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))، فقد ربى أصحابه ﷺ في هذا الموقف على الرفق بالناس، ليكون ذلك سجية لهم فيما بعد ذلك.

خامسًا- التربية بالتمهيد:

كما في قوله ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أو بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟))، فقد مهد النبي ﷺ لما يلقيه على أصحابه بهذا السؤال الذي جذب انتباههم وشد أسماعهم.

سادسًا- من موضوعات التربية: الجودة والاعتماد التربوي:

وهذا واضح في حديث شدّاد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا: ((إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ...)).

فقد تناول الحديث الشريف قضية الإحسان، والإحسان في تأدية الأعمال، وهو من الأمور التي تعرف الآن بأنظمة الجودة في التعليم، حيث تتمحور الأبحاث التربوية الآن وتلهث المؤسسات التعليمية وراء أفكار الغرب التي تنادي بالجودة في العملية التعليمية، وقد تناسوا أن الإسلام جاء بكل مضامين الجودة، بل فاقها في كل الأمور من حيث إن بعض المفاهيم كالإتقان والإحسان من المفاهيم التي تتضمن العمليات التي يقوم بها الإنسان، وتفوق ما تنادي به أنظمة الجودة الغربية.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٥٤.

٧٥- باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وقال تَعَالَى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[الحجر: ٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾[النور: ٢٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الحديث رقم (٦٤٣)

٦٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أشَدُّ مَا لَقيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلَى مَا أرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ اسْتَفِقْ إلاَّ وَأنَا[1] بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأسِي، فَإذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإذَا فِيهَا جبريلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ الله إلَيْكَ مَلَكَ الجبَالِ لِتَأمُرَهُ بمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الجبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي[2] إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ)). فَقَالَ النبي ﷺ: ((بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

---

(١) (وأنا) لفظ البخاري، وليس عند مسلم، وهو كذلك في الجمع للحميدي ٧٤/٤، رقم ٢١٨٤.

(٢) لفظ مسلم: (ربك).

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٣١، ومسلم ١١١/١٧٩٥ واللفظ له.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أُحُد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد التي وقعت سنة ٣هـ[١].

ليلة العقبة: ليلة عرض النبي ﷺ الإسلام على اثني عشر رجلاً من الأنصار في موسم الحج عند العقبة فآمنوا به وبايعوه وهذه هي العقبة الأولى، أما الثانية فقد حدثت في الموسم التالي وكان عدد الأنصار ٧٣ رجلاً وامرأتين[٢].

قرْن الثعالب: ويسمى قرْن المنازل وهو: اسم موضع يحرم منه أهل نجد ويبعد ٨٠ كم عن مكة المكرمة[٣].

أطبقت: جمعتُ، أي: هدمت هذين الجبلين عليهم[٤].

الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة. والأخشب: هو الجبل الغليظ[٥].

أصلابهم: جمع صلب، وهو الظهر والمراد من ذريتهم[٦].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض نموذجا من الرحمة البشرية في أعظم صورها وقد بدأ الحديث على إثر سؤال من أم المؤمنين عائشة تستدرج به ذكريات النبي ﷺ عن الحدث (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟) وقوله (وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ) أفعل التفضيل تشير إلى أنه كان أشد عليه من يوم أحد لأنه كان يوم العقبة وحيدا غلق

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٧١، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٧٢.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٠٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ن).

(٤) اللسان في (ط ب ق).

(٥) رياض الصالحين ٢٨٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل ب).

الناس دونه أبوابهم جاءهم بكل الخير، فقابلوه بكل شرورهم، يدل على ذلك قوله (إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي) الذي يوحي بضعفه بالقياس العادي لفرد يحمل دينا يخالف بلدا كاملا بل يخالف أهل الأرض جميعا وقوله: (فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ) الذي يقرر رد دعوته، وتبدد أمله، وقوله: (فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ) الذي يوحي باستمرار حالة الضعف بل زيادتها، وقوله (عَلَى وَجْهِي) كناية عن سيره دون قصد اتجاه محدد، وإنما سير المهموم ينفس عن نفسه بسيره، ويؤكده قوله (فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ) وهو ميقات لأهل نجد وقوله (فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبرِيلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ) يشير إلى بداية التحول السريع للأحداث والتي توالت في سرعة دل عليها الربط بالفاء في الجمل ثم تتابع العطايا بداية بظل السحابة ثم رؤيته جبريل عليه السلام، وندائه إياه ثم عرضه للتفويض الذي جاء به بهلاكهم (لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ) ومعه قوة ملك يستطيع أن يهلكهم بكلمة، ولا يبقي لهم أثرا، وقول الملك (أنا ملك الجبال) استعراض للقوة المطلقة في مواجهة القوة المحدودة حتى تحقق الطمأنينة القلبية للرسول ﷺ وقد جعل نفسه بأمر الله رهن أمره (وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ) وهذا الجناس بين (لِتَأْمُرَنِي) وبين (بِأَمْرِكَ) يؤكد التفويض، ثم عرضه عليه نموذجا مما يسيطيع فعله بهم (، إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ) وهما الجبلان المحيطان بمكة، وهو ما لا يبقي لهم أثرا، وقول الرسول ﷺ (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً) بل للإضراب عن السابق وهو ما عرضه الملك من هلاكهم، والتعبير بالرجاء يشير إلى إمكان تحقق المرجو وقوله (أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ) كناية عن إسلام أبنائهم، والتعبير بالصلب إشارة إلى الأصل الذي يستلزم الحفاظ على هؤلاء، وإن كانوا مشركين رحمة بزراريهم فتأمل بعد نظره ﷺ مع رحمته التي أربت على كل نماذج الرحمة البشرية.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان تحمل النبي ﷺ وصبره على الأذى والشدائد في سبيل الدعوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مؤازرة الله لنبيه ﷺ.

رابعاً: من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح.

خامساً: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ..." إلخ الحديث.

فقص إيذاء المشركين له ﷺ، ومؤازرة الله له بإرسال جبريل ﷺ له وملك الجبال وعفوه وصفحه ﷺ.

إن القصة وسيلة دعوية لا يستغنى عنها الداعية، وخاصة إذا كان القصص من القرآن أو السنة النبوية، وذلك راجع إلى أثر القصة في النفس البشرية وما تحدثه فيها من إقناع العقل، وإمتاع العاطفة. والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالقصص الذي يجد فيه الداعية طريقاً ووسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تناسب حالة كل مدعو، سواء أكان من علية القوم أو من الضعفاء أو من الأغنياء أو من الفقراء. من أجل ذلك كانت القصة في القرآن والسنة ركيزة هامة من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على اليقين والإقناع العقلي والاطمئنان القلبي، بما تدعو إليه من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدر، وبما تحمل من مثل في مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء في سبيل الدعوة إلى الحق، والتوجيه إلى الخير والهدى والتنكر للباطل والضلال، والصمود في وجه الظلم والطغيان[١].

---

(١) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب ص ٨، نقلاً عن وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ص ١٢٩.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان تحمل النبي ﷺ وصبره على الأذى والشدائد في سبيل الدعوة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عندما سألته: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ لأن يوم أحد كان شديداً على رسول الله ﷺ[١].

فقال النبي ﷺ "نعم"، وذكر لها قصة ذهابه إلى الطائف، لأن النبي ﷺ لما دعا قريشاً في مكة ولم يستجيبوا له خرج إلى الطائف لنشر دعوة الإسلام، ودعا أهل الطائف. لكن كانوا أسفه من أهل مكة، حيث اجتمعوا هم وسفهاؤهم وجعلوا يرمونه بالحجارة والحصى حتى أَدْمُوا عَقِبه ﷺ، وخرج مغموماً مهموماً، ولم يفق إلا وهو في قرن الثعالب، فأظلته غمامة فرفع رأسه فإذا في الغمامة جبريل ﷺ فقال له: هذا ملك الجبال يقرؤك السلام، فسلم عليه، وقال: إن ربي أرسلني إليك فإن شئت أطبق عليهم - يعني الجبلين- فعلت[٢].

ولكنه رفض وقال: (لا بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، وتحمل وصبر على الأذى في سبيل الدعوة. ومن يتأمل هذا الحديث ينكشف له من حاله ﷺ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٣])[٤].

ومن أعظم ما كان: أنه كان ذات يوم ساجداً عند الكعبة يصلي لله فقال أبو جهل وناس من قريش.. وقد نحرت جزور بناحية مكة من يأت بلاها؟ فأرسلوا، فجاءوا من سلاها وطرحوا عليه، فجاءت فاطمة فألقته عنه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ((أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى

---

(١) انظر: الأحاديث الواردة عن غزوة أحد في صحيح البخاري في المغازى من الحديث رقم ٤٠٤١، ٤٠٨٢

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩٣٠/١، ٩٣١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٥٤/٣.

القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغير شيئًا لو كان لي منعة قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرع رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات فشق عليهم إذا دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى "اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط" وعد السابع فلم نحفظه قال: فو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر))[١].

فقد أوذي رسول الله ﷺ كثيراً ولكنه تحمل وصبر في سبيل تبليغ دعوة الحق ودين الإسلام.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مؤازرة الله لنبيه ﷺ:

يظهر ذلك في تظليل الغمامة له ﷺ وإرسال جبريل ﷺ وملك الجبال، ليرد عليهم أذيتهم له إن شاء وفي ذلك مؤازرة من الله لنبيه في شدته ولا غرو في ذلك فهو نبيه الذي اصطفاه لتبليغ رسالته وحبيبه الذي اجتباه. ووعده بالنصر فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[٢].

ووعده المؤمنين معه بالمدد منه تعالى بالملائكة فقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٣].

ووعده بالحفظ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤]، أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يقتلك عليه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٠، ومسلم ١٧٩٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٥١/ ١٥٢.

قال القاضي عياض: لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم، بتعظيم الله قدر نبينا ﷺ، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، ونبه به على جليل نصابه، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه...، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعودا، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال، والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة...، والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره، ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا، "ﷺ كثيراً"[١].

رابعاً- من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح:

يظهر ذلك من رفضه ﷺ عقاب من آذوه وقوله: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً". إن هذا الحديث ليبين بوضوح الأخلاق والعفو والحلم الذي جُبل عليه الرسول ﷺ يأتي ملك الجبال في ساعة ضيق وحرج ويأتي إليه لكي ينتصر له وأي نصر إنه هلاك القوم، ولكنه يعفو ويصفح[٢].

إن الحلم والاحتمال، والعفو مع القدرة، والصبر على ما يكرهه. مما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٣] وقد سأل عليه الصلاة والسلام جبريل عن تأويلها، فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وقال له: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ

(١) الشفا ١١٨ بتصرف.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود، ٣٠٠/١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[(١)]، ولقد تضافرت الأخبار على اتصافه عليه الصلاة والسلام بهذه الأوصاف، فما من حليم إلا عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ونبينا ﷺ لا يزيد مع كثرة الإيذاء، إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً[(٢)].

خامساً- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

يظهر هذا من عموم الحديث فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره[(٣)]، لذا ينبغي للداعية أن يقتدي بالرسول ﷺ بالحلم والعفو ولا ينظر إلى الساعة التي هو فيها. الانتقام من المدعو أو الذي حصل لديه رد فعل جراء دعوته، بل يعفو ويحلم ويصفح فلعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل سبب عفوه ومسامحته وكلمته الطيبة هداية لا ضلال بعدها[(٤)].

وقد ندب الله تعالى المسلمين إلى العفو والصفح، ومقابلة الإساءة بالإحسان، فقال تعالى واصفاً المتقين من أهل الجنة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٧)]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[(٨)].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) انظر: صفات الدعاة: عبدالرب نواب ص ٩.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود، ١/٣٠٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٦) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٨) سورة الحجر، آية: ٨٥.

والعفو يدل على نبل الأخلاق ودماثتها، وطيب سجايا العافين، وانتصارهم على هوى النفس وحمية الانتقام، والعفو له وقع كبير في نفس المعفو عنه، بل قد تتقلب عداوته إلى مودة حميمة كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[١].

والعفو والسماحة لا يسكنان إلا قلباً خالياً من الأحقاد والأضغان، ومن يعمل ليقود الخلق إلى الحق لا بد أن يكون نظره إلى ما هو أمامه، ولا ينظر إلى الوراء.

والأحقاد والأضغان، ومحاسبة كل امرئٍ على ما كان منه، إنما تشد بصاحبها إلى الوراء. فلا يكون تفكيره إلى ما يجب عليه القيام به في المستقبل، بل يكون تفكيره في شفاء غيظه من أسقامه التي كانت في الماضي، ومن يأتي برسالة داعيا إلى الحق لا يكون دبري النفس، يشغله الماضي عن الحاضر، بل يكون عاملاً للمستقبل[٢]، فلا غرابة إذن أن يكون الرسول ﷺ القدوة الحسنة والأسوة المثلى في عفوه عن الناس، لكمال خُلقه، ولما للعفو من أثر كبير في قلوب الناس واستمالتهم نحو العافي الذي ما أرسل إلا ليكون القدوة في ذلك، والرحمة للعالمين[٣].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٢) خاتم النبيين، محمد أبو زهرة ١/٢٥٠.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

الحديث رقم (٦٤٤)

٦٤٤- وعنها، قالت: مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

نيل منه شيء: أصيب بأذى من قولٍ أو فعل[2].

ينتهك: تُخرَق وتُؤتَى[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب النفي؛ لأن أم المؤمنين رضي الله عنها تريد أن تقرر معنى عدم استخدام الرسول ﷺ يده في الضرب، ولذلك أوقعت الفعل المنفي على المفعول النكرة في سياق النفي (شيئا) وبذلك ضم تحته كل الكائنات، وليس الآدمي فقط، ثم إنها أرادت أن تقول أن هذا الكلام ليس على وجه المقاربة أو المبالغة، بل هو على سبيل الحقيقة، والواقع فاستخدمت لفظ (قط) لتأكيد النفي؛ لأن من يعرف بيئتهم يرى أن عدم استخدام الإنسان يده في الضرب، لكائن ما كان أمر مستحيل أو مستبعد جداً، والباء في (بيده) للاستعانة (وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً) من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيها على خصوصية فيه، وهي أن أكثر ما يحتك بالرجل احتكاكا يوميا هي المرأة، والخادم، وقوله (إلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ) استثناء من النفي السابق لأن الجهاد مفروض ليس فيه اختيار، وقولها (وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ) كناية عن

---

(١) برقم ٢٣٢٨/٧٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن هـ ك).

خلق الحلم، والعفو، ومعناه أنه لم ينتقم لنفسه من أحد (إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى) استثناء من حكم النفي السابق؛ لأنه كان يغضب لله، ويرضى لله، ويعاقب لله، ويصفح لله، أما فيما يخصه فقد كان أكثر الناس حلما، وعفوا ومواقف صفحه، وعفوه حفلت بها كتب السيرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرفق والعفو والغضب لمحارم الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه... إلا أن ينتهك...".

وأسلوب النفي والإثبات من أساليب الدعوة التي تستخدم في نفي شيء أو فعله وكذلك إنكاره. والإثبات في إثبات هذا الشيء في موضع آخر أو جزء منه وهذا يسمى بالقصر من أساليب الدعوة التي تجذب الانتباه إلى الدعوة وإلى كلام الداعية.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله:

إن من موضوعات الدعوة في هذاالحديث الجهاد في سبيل الله، ويظهر ذلك في قولها رضي الله عنها: إلا أن يجاهد في سبيل الله.

قال د. الحسيني هاشم: الجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2] وقوله تعالى:

---

(١) سورة الحج، آية:٧٨.

(٢) سورة التوبة، آية:٤١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١].

والمجاهدة تكون بالمال واليد واللسان قال ﷺ: ((جاهدوا المشركينَ بأموالِكُم وأنفسِكُم وألسِنَتِكُم))[٢])[٣].

ورسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم جاهدوا في سبيل الله للذود عن الإسلام ونشره؛ وقد وجههم الله إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]. ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

وقد أمر الله رسوله بالجهاد فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٦].

قال السعدي: يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم بإقامة الحجة عليهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله، وينقاد لحكمه، فإن هذا، يُجاهد ويغلظ عليه[٧]. والجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال وأعظمها أجراً.

---

(١) سورة الأنفال، آية:٧٢.

(٢) أخرجه النسائي ٣٠٩٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩٠٠).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٣٩٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٣.

(٦) سورة التحريم، آية: ٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٠٩.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[(١)].

وقال رسول الله ﷺ ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[(٢)].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرفق والعفو والغضب لمحارم الله:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ... إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى.

لم يستخدم الرسول ﷺ طاقته البدنية إلا في طاعة الله والدفاع عن الدين، ولم ينتقم لنفسه مما أصابه عن جهل أو شراسة من صاحبها -كما حدث من الكفار وبعض جهلة المسلمين- رغم قدرته على الانتقام، ما دام الأمر لم يتعد شخصه الكريم إلى أمور دينية كارتكاب ما يوجب حداً أو عقوبة أو الاستهتار بالسنة أو التلاعب بالدين[(٣)].

وهذا يدل على رفق النبي ﷺ وعفوه في الأمور كلها إلا في حدود الله ومحارمه.

قال القاضي عياض: (وقولها: "وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحب إلا أن ينتهك شيئاً من محرام الله تعالى، فينتقم لل تعالى": فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم والصبر. وما كان عليه من القيام بالحق والصلابة فيه، وهذا هو الخلق الحسن المحمود، فإنه لو كان يترك ذلك كله في حق الله تعالى وفي حق غيره كان ضعفاً ومهانة، ولو كان ينتقم أيضاً لنفسه في كل شيء لم يكن ثَمَّ صبر ولا حلم ولا احتمال، وكان هذا الخلق بطشاً وانتقاماً، فانتفى عنه الطرفان المذمان، وبقي وسطها، وخير الأمور أوسطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ٢٩٥.

ويحتمل قوله: "ينتهك شيء من محارم الله" استثناء مما تقدم في حقه من أذاه ﷺ فيما فيه غضاضة عن الدين، فذلك من انتهاك حرمات الله.

قال بعض علمائنا: لا يجوز أن يؤذى النبي بفعل مباح ولاغيره، وأما غيره من الناس فتجوز إذايته بما يباح للإنسان فعله، ولا يباح أن يمنع من إذايته، واحتج بقول النبي ﷺ في مراده على تزويج بنت أبي جهل، أي لا أحرم ما أحل الله، ((وأن فاطمة يؤذيني ما آذاها، ولا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل أبداً))[1]. وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾[2] فأطلق وعمم، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾[3]. فقيد وشرط: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾.

قال مالك: كان النبي ﷺ يعفو عن شتمه، وقد عفا عن الذي قال له: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، وهذا وإن كان فيه غضاضة على الدين فقد يكون عفوه عنه لأنه لم يقصد الطعن عليه في الميل عن الحق، بل اعتقد أنه من رأي مصالح الدنيا الذي يصح الخطأ فيه والصواب، أو كان هذا استئلافاً لمثله كما استألفهم بماله ومال الله رغبة في إسلام مثله، أو تثبيت قومه[4]، لكن ينبغي أن يفهم أن صفحه عمن آذاه كان مخصوصاً به وبزمانه وأما بعد ذلك فلا يعفى عنه بوجه)[5].

قال القاضي عياض: (وأجمع العلماء أن من سب النبي كفر. واختلفوا هل حكمه حكم المرتد يستتاب؟ أو حكم الزنديق !يقتل ولا يستتاب! ولا تقبل توبته؟ وهو مشهور مذهب مالك، وقول الليث والشافعي وأحمد وإسحاق ورأوا أن قتله وإن تاب للحد، وأن حد من سب النبي ﷺ القتل لا يدفعه التوبة، كما لا يدفع التوبة حد قذف غيره من

---

(١) انظر ما أخرجه البخاري ٥٢٣٠، ومسلم ٢٤٤٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية:٥٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٢/٧-٢٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١١٩/٦.

المسلمين، وسواء كانت توبته عندهم بعد القدرة عليه، أو جاء معترفاً تائباً من قبل نفسه. لكن هذا تنفعه توبته عند الله ولا يسقط حد القتل عنه. كذا بينه شيوخنا رحمهم الله. وقال أبوحنيفة والثوري: هي كفر وردة ويُقبل توبته إذا تاب، وهي رواية الوليد بن مسلم عن مالك.

واختلفوا إذا سبه بغير الوجه الذي كفر، فعامة العلماء على أنه يقتل لحق النبي كالمسلم. وأبو حنيفة والثوري والكوفيون لا يرون قتله، قالوا: وما هو عليه من الكفر أشد.

واختلف أهل المدينة وأصحاب مالك في قتله إذا كان سبه بالوجه الذي كفر به من تكذيبه أو جَحْد بنبوته، والأصح والأشهر قتله. وقد اختلفوا في إسلام الكافر بعد سبه، هل يسقط ذلك القتل عنه؟ فالأشهر عندنا سقوطه؛ لأن الإسلام يجب ما قبله. وحكى أبو محمد بن نصر في درء القتل عنه بإسلامه روايتين.

وقد يكون قوله: "إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله منها" استثناءً منقطعاً أيضاً، أي لا ينتقم لنفسه وحقوقه الذي له العفو عنها، وإنما ينتقم لحقوق الله وحدوده التي لا خيار له في تركها ولا رخصة.

وهذا الحديث أصل مما يجب للحكام وأولي الأمر والقدرة امتثاله بترك الانتقام لأنفسهم، والتجافي عمن أذاهم تأسياً بالنبي ﷺ، وأخذاً بالفضل والخلق الحسن. وقد أجمع العلماء أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لايجوز شهادة له[1].

فينبغي للداعية أن يتأسى برسول الله ﷺ في رفقه بالمدعوين. قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[2].

وقد دعا رسول الله لمن رفق بأمته فقال ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ))[3].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٣/٧-٢٩٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

أما الغضب لانتهاك محارم الله فهذا ما كان يفعله ﷺ، أنه كان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[(٢)].

أي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيء منها[(٣)].

فيجب على الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في رفقه وعفوه وغضبه لانتهاك محارم الله.

فالمحمود من الغضب هو: الغضب الذي ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ حيث يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هوالاستقامة التي كلف الله بها عباده، وهو الوسط بين الطرفين.

فمن مال غضبه إلى الفتور، حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة، وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه.

ومن رقا غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور، واقتحام الفواحش، فينبغي أن يعالج نفسه ليُنْقِص من سَوْرة الغضب، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم، وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه؛ كما قال النبي ﷺ: ((ليس الشديدُ بالصّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغضب))[(٤)].

فليس من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفع من بعض.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٤/١٢/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

والإنسان إذا أُخذ منه محبوبه غضب لا محالة، وإذا قُصد بمكروه غضب لا محالة، فمن قُصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب، وكذلك إذا أخذ منه ثوبه أو ماله أو طعامه فلابد أن يغضب.

وكذلك المسلم يغضب إذا انتهكت محارم الله فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها، ومن غضب على من يتعرض لها[1].

(١) انظر: موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم التويجري ٤/٢١٧٢-٢١٧٣.

الحديث رقم (٦٤٥)

٦٤٥- وعن أنس ﷺ، قَالَ: كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبيِّ ﷺ، وَقَدْ أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذي عِنْدَكَ. فَالتَفَتَ إِلَيْهِ رسول الله ﷺ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

برد نجراني: هو كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب، يُنسب إلى نجران[2].

غليظ الحاشية: غليظ الطرف والجانب[3].

فجبذه: فجذبه[4].

صفحة العاتق: وجهه وجانبه. والعاتق: ما بين المنكب والعنق[5].

الشرح الأدبي

والحديث من نفس باب سابقه فيه دلالة على السمو النفسي للنبي ﷺ حيث صبر، وحلم على تطاول هذا الأعرابي الذي تعدى على ذي السلطان في مقر سلطانه بهذا الأسلوب العنيف فقد آثرت جذبته في صفحة عنق النبي ﷺ والتي صورها الجناس في قوله (فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً) التي توحي بالسرعة، والمفاجأة والقوة التي أكدها قوله

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٠٩ واللفظ له، ومسلم ١٠٥٧/١٢٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٨/١٠، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ش ى).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٥) انظر الوسيط في (ص ف ح) و (ع ت ق)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ) ثم ناداه (يا محمد) نداء متعجرف متكبر حيث ناداه باسمه الصريح دون صفة الرسالة، أو النبوة، وهو لا يقل في غلظته عن جذبته، ثم الأمر المتعالى (مر لى) وعلى قدر ما حملت عبارات الأعرابي، وأفعاله من سوء الأدب، والغلظة على قدر ما حمل تصرف الرسول ﷺ من حسن الخلق، وطلاقة الوجه فقد قابل جفاء الأعرابي في جذبته بالالتفات إليه إقبالا عليه بوجهه الشريف مع ضحك يعكس دماثة خلق ن ولين عريكة، وسمو نفس، وقابل نداءه الفظ، وأمره المتعالى بأن أمر له بعطاء، فهل رأيت سماحة كسماحته، ونبلا كنبله؟!، وهل تستطيع أن تقتدي بنبيك في حسن الخلق، وتحمل أذى الناس؟

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح.

ثالثاً: من صفات الداعية: الإعراض عن الجاهلين.

رابعاً: من آداب الداعية: الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني..." فقد ذكر أنس قصة الأعرابي مع النبي ﷺ وما حدث فيها. وتمتاز القصة بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص وحركاتهم، وأخلاقهم، وأفكارهم واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال، ومضيت مع الحوار والنقاش، عرفت ما يَستكِنُّ في النفوس من طباع وما يهجس فيها من خواطر وانشرح صدرك لأهل الخير، وضقت ذرعاً بأهل الشر.

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب[1]، وقد أفادت القصة في هذا الحديث بيان حلم النبي ﷺ وصفحه

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤، ٤٥.

وعفوه عن الجهلاء، وسعة صدره ﷺ، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية من الحلم والعفو.

ثانياً- من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه ... فأدركه أعرابي فجَبَذه بردائه جَبْذَةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء، من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

وهذا يدل على حسن خلق النبي ﷺ وعفوه وصفحه؛ فانظر إلى هذا الخلق الرفيع؛ لم يوبخه النبي ﷺ ولم يضربه ولم يكفهر في وجهه، ولم يعبس؛ بل ضحك ﷺ ومع هذا أمر له بعطاء[1] فهذا الرسول الذي قال الله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

قال القرطبي: (وهذا الحديث يدلُّ على ما وصف الله به نبيه ﷺ: أنه على خُلُق عظيم، وأنه رؤوف رحيم. فإنَّ هذا الجفاء العظيم الذي صدر من هذا الأعرابي، لا يصبرُ عليه، ولا يحلم عنه مع القدرة عليه إلا مثله، ثم ضحكه ﷺ عند هذه الجبذة الشديدة التي انشق البردُ لها، وتأثر عُنُقِه بسببها حتى انفلت عن وجهته، ورجع إلى نحر الأعرابي، دليلٌ على أن الذي تم له من مقام الصبر والحلم ما تم لأحد، وهذا نظيرُ صبره وحلمه يوم أحد؛ حيث كسرت رباعيته، وشُجَّ في وجهه، وصُرع على جنبه، وهو في هذا الحال يقول: ((اللّهمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يَعلمون))[3]، ﷺ، وشرَّف وكرَّم[4].

ثالثاً- من صفات الداعية: الإعراض عن الجاهلين:

يظهر ذلك في مقابلة فعل الأعرابي وجبذه له بالضحك من النبي ﷺ وأمره له

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٩٣٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) أخرجه الطبراني ٥٦٩٤، وابن حبان ٩٧٣، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن.

(٤) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٣/١٠١-١٠٢.

بالعطاء وهذا من حلمه ورفقه بالجهال وإعراضه عن جهالاتهم.

وقد أمره الله تعالى بذلك فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[١]، قال ابن عاشور: (فأمر الرسول ﷺ بأن يعفو ويصفح وذلك بعدم المؤاخذة بجفائهم وسوء خلقهم، فلا يعاقبهم ولا يقابلهم بمثل صنيعهم كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢])[٣].

وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جاء أعرابيٌّ فبالَ في طائفةِ المسجد، فزجَرَهُ الناسُ، فنَهاهُمُ النبيُّ ﷺ. فلمّا قَضَى بَولَهُ أمرَ النبيُّ ﷺ بذَنوبٍ مِن ماء فأُهْرِيقَ عليه))[٤].

فالداعية يجب أن يقتدي برسول الله ﷺ في عفوه عن الجاهلين ومقابلة جهلهم بالحلم ويصبر على صفاتهم حتى يحتضنهم ويدعوهم بالحسنى.

والإعراض عن الجاهلين سبب لعلو الهمة، ورفعة المنزلة، ووفور الكرامة، والبعد عن موجبات الذلة.

فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه.

فبالإعراض يحفظ الرجل على نفسه عزتها؛ إذ يرفعها عن مجاراة الطائفة التي تلذ الإقذاع والمهاترة.

قال الشافعي:

أعرض عن الجاهل السفيه ... فكل ما قال فهو فيه

ما ضر نهر الفرات يوماً ... لو خاض بعض الكلاب فيه[٥]

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤/٩/٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢١.

(٥) ديوان الشافعي ٢٢١. قافية الهاء. بحر.

وقال:

إذا سبّني نذلٌ تزايدتُ رفعةً ... وما العيبُ إلا أن أكونَ مساببَه

ولو لم تكنْ نفسي عليّ عزيزةً ... لمكنْتُها من كل نذلٍ تحاربُه[(١)]

وقال الأصمعي: بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً.

فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

(وشتم رجل الحسن وأربى عليه، فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئاً، وما يعلم الله أكثر)[(٢)].

وقال ابن المقفع: (واعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه سيطلع منك حقداً. فإن عارضته أو كافأته بالسفه فكأنك رضيت ما أتى به، فأحببت أن تحتذي مثاله. فإن كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته. فأما أن تذمه وتمتثله فليس في ذلك سداد)[(٣)].[(٤)].

رابعاً- آداب الداعية: الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى:

يظهر ذلك في صبر النبي ﷺ على الأعرابي الذي آذاه بَجبْذه هذه الجَبْذَة الشديدة.

والصبر على الأذى من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية، قال تعالى في صفات المتقين: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٥)].

قال السعدي: أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية، توجه غيظهم -وهو امتلاء قلوبهم من الحنق الموجب للانتقام بالقول والفعل- هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

"والعافين عن الناس" يدخل في العفو ترك المؤاخذة، مع السماحة عن المسيء، وهذا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عيون الأخبار ٣/٢٨٥، ٢٨٧.

(٣) الأدب الصغير والأدب الكبير ١٥٥.

(٤) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١٨٢-١٨٤.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[(١)](٢). فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الصبر مع المدعوين.

وترجع أهمية الصبر في حياة الدعاة إلى عدة عوامل من أبرزها ما يلي:

١-أن الناس تأنس بالدعاة، وترى فيهم الإنقاذ والخلاص من كثير مما ينوبهم، ولذا يلجأون إليهم سائلين، ويفصحون لهم عن دواخلهم شاكين، على أمل أن يجدوا لديهم ما يزيل همومهم ويعيد الطمأنينة إلى نفوسهم، ويستلزم ذلك: أن يكثر المترددون على بيت الداعية، والمقتحمون عليه أوقات راحته.

وإزاء هذا لابد للداعية من التحلي بالصبر، والتجمل بطول البال حتى تؤتي الدعوة ثمرتها، وتحقق رسالتها.

٢-أن الداعية سيواجه جيوشاً جرارة من أصحاب العقائد الباطلة تتفانى في سبيل إقرارها ودعوة الناس إليها، وتبذل في سبيل ذلك المليارات في كل يوم.

فإذا طمع الداعية في التغلب على أولئك المفسدين من غير بذل من ماله ووقته وجهده فقد أعرب عن فشله، وذهبت جهوده سدى[(٣)].

لأن الذي يحمل هدي الله للدنيا وما فيها ما لم يكن له حظ من الصبر يفوق حظ المتربصين به المعاندين له كان عمله في الناس شبيها بالمصل الضعيف أمام الجراثيم المدمرة، لا يلبث أمامها طويلاً حتى تأتي عليه[(٤)].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١١٦.

(٣) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٧٠-١٧١.

(٤) انظر: في موكب الصبر والصابرين، د. يحيى إسماعيل، عدد رقم (٥) من سلسلة نحو النور، دار التوزيع والنشر الإسلامية ص ٢٩.

ومن الضروري أيضاً ألا تُعْجب جهودُ الدعاة أصحاب هذه العقائد الباطلة أو من يتأثر بهم، فتبدأ المضايقات والمناوشات للدعاة، مما يترتب عليه تعرضهم للأذى أحياناً، وملاقاتهم للمكاره في سبيل إحقاق الحق.

ويستلزم هذا من الداعية أن يوطن نفسه على تحمل مثل هذه المكاره، والتي أشار القرآن الكريم على أنها قرينة التمسك بالحق والدعوة إليه، فقال تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (عَلِمَ - أي لقمان - أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر. وقوله "إن ذلك من عزم الأمور" أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور)[٢].

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٢٣٨.

الحديث رقم (٦٤٦)

٦٤٦- وعن ابن مسعود ﵁، قَالَ: كأني أنظر إلَى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

أدموه: أسالوا دمه من أثر ضربهم[2].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الرفق، والحلم، والأناة يحكى فيه الصحابي الجليل تجربته الشعورية كما انطبعت في نفسه، والمشهد ما زال قائما بين عينيه (كأني انظر) والتعبير بأداة التشبيه (كأن) والتي تعكس شدة الشبة في الموقف المحكي بالموقف المشاهد من قبل، وكلمة (أنظر) بصيغة المضارع التي تفيد التجدد، والاستمرار فكأنه يعاد في نفسه من خلال تداعى الذكريات بكل انطباعاته الوجدانية لكي ينقل إلينا من خلال هذه الانطباعات النفسية حجم الموقف بكل أبعاده صورة نبي من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، والصورة إلى هنا ترسم في الخيال هيئة الوقار في شخص النبي ﷺ الذي جاء يحمل إلى قومه خيري الدنيا، والآخرة؛ فقابله قومه بالإهانة، والضرب حتى أدموا وجهه الشريف، قمة التناقض الخلقي في مقابلة الإحسان بالإساءة من القوم، وباقي الحديث يحمل موقف الرسول الذي جاء بمنتهي الخير، وقوبل بمنتهي الشر قد مسح الدم عن وجهه الشريف، ودعا لقومه لا عليهم، وإذا تتبعنا سمو نفسه خلال ألفاظه لوجدناها تحمل الصدق المطلق في الشعور المفعم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٢٩ واللفظ له، ومسلم ١٧٩٢/١٠٥، تقدم برقم ٣٦. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٤.

(٢) اللسان في (د م و).

بكل التسامح الذي علا حتى فاض رحمة، وشفقة حتى على من آذوه، تجد ذلك ابتداء من لفظ النداء (اللهم) التي تتصدر كل عظيم في دعاء النبي ﷺ إعلانا للتوجه إلى الله في كامل تفخيمه وكمال إجلاله - لا ليدعو على قومه - بل يدعو لهم ثم يأتي أسلوب الأمر دعاءً (اغفر) طلبا لستر ذنوبهم يعكس مدى السمو النفسي، أضف إلى ذلك ما ليس فوقه مطمح لمتسامح، وهو التماس العذر في دعائه لقومه، وكأنه لا يريد أن يحمِّلهم خطأ إيذائه فيقول: (فإنهم لا يعلمون) وانظر إلى إصرار النفس الذكية على تأكيد العذر بـ (إن) تنزيلا للمخاطب منزلة المتردد، وهو - وحاشاه لا يقصد إزالة التردد في ندائه لربه - ولكنه انعكاس صدى نفسه المشفقة على من آذوه، وسلوكا بالأسلوب كل مسلك للإقناع تأكيدا على ما يضمن نجاتهم من انتقام الله ممن آذوا نبيه إن حق عليهم القول، إن الموقف الوجداني يحمل أعظم مواقف البشرية تناقضا بين أسمى صور البشرية في الرحمة المحيطة، والتسامح المطلق من جانب رسول ضُرب وأُدمي وجهه - وهو يمسح الدم عن وجهه ويدعو لقومه- لا عليهم بأعظم صيغ الدعاء مع التماس الأعذار، والتأكيد، والإصرار على الدفاع عنهم، وبين قوم جاءهم بشير خير يحمل لهم أعظم الخيرات فيقابلونه بالإهانة، والضرب يمكنك أن تتخيل قمة الوقار، والعظمة الخاشعة في شخصه المهيب، وهيئة سفهاء القوم يقذفونه بالحجارة، ومن يقذفون نبي الله ﷺ؟ وهو يستطيع أن ينتقم - لكنه توجه إلى الله بقلب مفعم بالتسامح، والرحمة وهو يمسح الدم عن وجهه، وكأنه يمسح آثار جريمتهم، وجنايتهم عليه قبل أن يطلب لهم المغفرة من الله - لكنه؛ قد علم أن الله مطلع على سيئ فعلهم؛ فبحث لهم عن عذر بعدم العلم وصدره بـ (إن) ؛ لأنه يريد أن ينفي من نفسه كل شك في براءتهم يمكن أن يكون سببا في دعائه عليهم فيكون فيه هلاكهم، إن نداءه (اللهم) ودعاءه (اغفر) بما حمل من خلجات نفسية - مثال ماثل في أعين الدهر - وباقة من التسامح فواحة بأعبق الزهر.. رجع حديث يتردد ونبع عطاء يتجدد... به استحق أن يكون خير الخلق عند الخالق[1].

---

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٥٠٤ ، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من صفات الأنبياء: الصبر والصفح والعفو.

ثالثاً: من آداب الداعية: التماس الأعذار للمدعوين رحمة بهم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: أثر الصفح والعفو على الدعوة إلى الله تعالى.

اولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

يظهر ذلك في قول ابن مسعود رضي الله عنه: "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء...".

قال د. الحسيني هاشم: "لا ندري مم نتعجب؟ أمن قوة تأثير الرسول ﷺ، أو من استيعاب أصحابه رضي الله عنهم لتعاليمه طول حياتهم؟ فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يستحضر حكاية الرسول ﷺ حتى كأنه يعاينها رغم مرور زمن على سماعها، حيث حكى الرسول ﷺ مدى صبره على أذى قومه "دون تصريح بذلك" وهو يدعو لهم بالمغفرة، لعلمه أن ذلك من جهلهم وسوء تقديرهم وعدم معرفتهم بعلو مرتبته، إذ لو عرفوه لقدروه حق قدره"[(١)].

"والحكاية من قولك: حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية، وحكيت عنه الكلام حكاية"[(٢)].

فالحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط"[(٣)].

والحكاية من وسائل الدعوة التي ورد استخدامها في كثير من أحاديث رسول الله ﷺ، منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((بَينا أيُّوبُ عليه السلام

(١) شرح رياض الصالحين ص ٣٩٦.

(٢) اللسان في (ح ك ى).

(٣) الوحدة الموضوعية، د. محمد محمود حجازي، نقلاً عن القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣١.

يَغتَسِلُ عُرياناً فَخَرَّ عليه جَرادٌ من ذَهبٍ، فجعَلَ أَيُّوبُ يَحتثي في ثَوبهِ، فناداه ربُّه: يا أيُّوبُ ألم أكُنْ أَغنَيْتُكَ عَمّا تَرى؟ قال: بَلَى وعزَّتِكَ، ولكنْ لاغِنى بي عن بَرَكَتِكَ))[1]، فالحكاية من وسائل الدعوة التي يحكي بها الداعية ما رآه أو سمعه للمدعوين كما هو.

ثانياً- من صفات الأنبياء: الصبر والصفح والعفو:

يظهر ذلك في قول ابن مسعود رضي الله عنه: (كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه حتى أدموا وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

قال النووي: (فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا ﷺ يوم أحد مثل ذلك)[2].

وقال ابن عثيمين: (هذا من حلم الأنبياء وصبرهم على أذى قومهم، وكم نال الأنبياء من أذى قومهم؟)[3]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾[4]، قال ابن كثير: (... وهذا أَمْرٌ له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، وَوَعْدٌ له بالنصر كما نُصِرُوا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ)[5].

إن رسل الله السابقين عليهم السلام تحملوا كثيراً من أذى قومهم وصبروا عليها وشأن الرسول ﷺ هو شأنهم وها هي قضيتهم تعرض عليه ليكون مثلهم صبراً وتحملاً.

---

(١) اخرجه البخاري ٧٤٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٣٣/١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/٣.

وقد أمره بذلك فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[1].

فشأن الرسل عليهم السلام أنهم ذوو عزم دائم وقوة صلبة يتحملون بهما تكذيب القوم وأذاهم وفي النهاية يأتي نصر الله لرسوله ﷺ وتقع الهزيمة على أعدائه لا محالة. هكذا مع كل رسول بلا تخصيص ومن هنا يرجح أن تكون "من" في قوله: "من الرسل" في الآية الأولى بيانية. وضعف أن تكون تبعيضية، وأيضاً فإن الرسل عليهم السلام جميعاً كُذبوا وجميعهم تحمل وصبر ولم يتحدث القرآن عن نبي وصل إلى النصر بلا عناء ومشقة أو استقبله قومه بالتصديق والإيمان لأول وهلة.

فلزم أن يتخلق كل رسول بالعزم والقوة. وإن تفاوت الرسل فيهما فإن تملك الجميع لأصل هاتين الصفتين مؤكد وضروري حيث لا يختار الله من الناس إلا الكفء للرسالة. ومن الكفاءة في الرسول أن يكون قوياً ذا عزم وجلد[2].

ولم يكتف القرآن بمجرد ذكر صبر الرسل عليهم السلام وتحملهم ولا بمجرد أمر الرسول ﷺ بذلك، وإنما أخذ يبين للرسول حقيقة من الحقائق الثابتة التي تدفع إلى الصبر والتحمل، هذه الحقيقة أن النصر الإلهي حتمي، وعلى الرسول أن يصبر حتى ينتصر، وهذا النصر سوف يأتيه بلا ريب حتى يكون التأميل في النصر مُسلّماً هو الآخر، يذكر القرآن أن النصر واضح من انتصار الرسل ودعواتهم بعد كل ما تحملوه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[3].

وهكذا الشأن مع كل الرسل السابقين حيث نصرهم الله وجعل جندهم غالباً وهزم المعارضين المعاندين، والدعوة تبين ثبات هذه الحقيقة فمع نوح عليه السلام نقرأ قوله

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٢) الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

ومع هود عليه السلام نقرأ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾(٢).

ومع صالح عليه السلام نقرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾(٣).

ومع شعيب عليه السلام نقرأ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾(٤).

وهكذا اتبع القرآن في تثبيت قلب النبي ﷺ من خلال ذكره للدعوات السابقة ما سبق من أمره بالصبر والتحمل كالرسل السابقين. والتأميل في النصر بعد الصبر. وتسهيل كل المشاق عليه بسبب هذه المشابهة بينه وبين إخوانه السابقين.

ولئن كان هذا درساً للرسول فهو درس كذلك للدعاة، يبين الطريق ويعرف بالنصر ويؤكد أن الفوز بالصبر، والنجاح بالتحمل والعمل، ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين(٥).

ثالثاً- من آداب الداعية: التماس الأعذار للمدعوين رحمة بهم:

إن من آداب الداعية التماس الأعذار للمدعوين رحمة بهم، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله ﷺ: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، وإذا تأمل الفطن هذا الدعاء في مثل

---

(١) سورة هود، آية: ٤٩.

(٢) سورة هود، آية: ٥٨.

(٣) سورة هود، آية: ٦٦.

(٤) سورة هود، آية: ٩٤.

(٥) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ١٨٨.

تلك الحال علم معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(١)]، فإنه ﷺ لم يدع عليهم فينتصر، ولم يقتصر على العفو حتى دعا لهم، ولم يقتصر على الدعاء لهم حتى أضافهم لنفسه على جهة الشفقة، ولم يقتصر على ذلك حتى جعل لهم جهلهم بحاله كالعذر، وإن لم يكن عذراً.

وهذا غاية الفضل والكرم التي لا يُشارك فيها ولا يوصل إليها)[(٢)]. وهذا يدل على شفقة النبي ﷺ على قومه فرغم إيذائهم له نجده لا يَدْعُ عليهم للانتصار لنفسه، بل يلتمس لهم الأعذار ويدعو لهم بالمغفرة رحمة بهم، ويظهر ذلك في رده ﷺ على إيذاء قومه له فالتمس لهم ﷺ عُذْرَ عدم العلم بمكانته وفضله ووجوب تكريمه وتوقيره ودعا لهم.

وهذا من آداب الداعية وذلك لما كانت مخالطة الناس ومعاشرتهم - لا بد - وأن يعتريها شيء من التقصير والتفريط والتعدي من بعضهم على بعض إما بقول أو فعل[(٣)].

فيستحب للداعية أن يلتمس الأعذار للمدعوين رحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[(٤)].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أثر الصفح والعفو على الدعوة إلى الله تعالى:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث بيّن صفح وعفو رسول الله ﷺ عمن ضربوه وآذوه.

وقد كان عفو رسول الله ﷺ وصفحُه عمن أساء إليه سبباً في انتشار الدعوة الإسلامية، والتفاف الناس حوله وقبولهم دعوته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[(٥)]، أي: برحمة الله لك ولأصحابك،

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٥٠/٢.

(٣) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبد العزيز الشلهوب ص ٢٣٥.

(٤) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك"[١].

والعفو عن الزلات والهنات والمظلمات ليس ضعفاً ولا نقصاناً، بل هو رفعة لصاحبها وعزاً. قال رسول الله ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[٢].

فالعفو والصفح من الداعية للمدعوين يزيد المحبة بينهم ويعمل على نشر الدعوة فيما بينهم.

والداعية الذي يهدف إلى استمالة القلوب وهدايتها لا يقسو لأن "القسوة التي استنكرها الإسلام جفاف في النفس لا يرتبط بمنطق ولا عدالة، إنها نزوة فاجرة تتشبع من الإساءة والإيذاء، وتمتد مع الأثرة المجردة والهوى الأعمى"[٣]، ومن أعظم مواقف العفو عفو النبي ﷺ عن المشركين يوم فتح مكة[٤].

وهكذا فإن برحابة الصدر وسماحة النفس تنتظم الرحمة التي تدعو إلى الحلم الذي يقود إلى العفو، فيكون من وراء ذلك التأثير التلقائي؛ لأن الإنسان يتأثر بالإحسان كما في قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٥].

وهذا أمر مشاهد، حيث نرى أن من كان سمح النفس يستطيع أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له، وثقة الناس به؛ لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب، والتغاضي عن السيئات والنقائص، فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رقيقاً ليناً، سمحاً هيناً، يسر بالنصيحة، ولا يريد الفضيحة، يسد الثغرات ولا ينشر

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٢٠٧.

(٤) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(٥) سورة فصلت، آية: ٣٤.

الزلات والعثرات[١].

وإن سيرة المصطفى ﷺ كلُّها دلالات وآيات بينات على سماحته التي وسعت كل الناس، ورحمته التي ظللتهم في مواقف الشدة، وحلمه الذي آواهم به إلى كنفه بعيداً عن الغضب والحدة، وعفوه الذي استمال نفوسهم بالتسامي عن الانتصار للنفس، ولقد كانت سيرته كلُّها مثلاً عظيماً للدعاة لتأليف القلوب وتحبيب النفوس، وتطييب الخواطر، كان منه الصبر على بعض الأعراب القُساة، واللين في النصح للآخرين، وتأليف قلوب بعضهم بالمال ونحوه، والتوجه بالتجاوز عن عثرات ذوي الهيئات، وتقدير منازل الناس وإنزالهم إياها مراعاة لطبائع النفوس، وإفساح الصدر للآراء المخالفة، مع أنه ﷺ نبي مرسل، ودعوة الناس إلى الشورى، والإبانة لهم عما هو رأي له ﷺ وما هو وحي يوحى لفتح المجال أمام بسط الآراء المخالفة في الموقف[٢]، ونحو ذلك مما يؤصل ويؤكد هذه السمة ويبين أهميتها.

إننا نريد الداعية ذا الصدر الرحب، والسماحة الفياضة حتى يقول الناس عنه:

قد عهدناك تُوسِعُ الناسَ حِلْماً ... وعهدناك تُوسِعُ الناسَ زجراً

وعهدناك كلما اتسع الخطبُ ... حواليك كنتَ أوسعَ صدراً [٣]

---

(١) الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة ٢/٤٤٣.

(٢) مسافر في قطار الدعوة، نقلاً عن مقومات الداعية الناجح د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٢.

(٣) ديوان اليازجي ص ٤٤، نقلاً عن مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٢ - ١٢٣.

الحديث رقم (٦٤٧)

٦٤٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصُّرَعَة: المبالغ في الصِّراع، الذي لا يُغلبُ[2].

الشرح الأدبي

سلك الرسول ﷺ في هذا الحديث مسلكاً لطيفاً في بيان أثر الغضب، وشدته باستخدام أسلوب الإحلال والتجديد لتصحيح المفاهيم؛ فنفي بداية مفهوم الصرعة المعهود في ذهن العربي بأن الصرعة: هو الذي يقهر الرجال، ولا يقهرونه، ويطرحهم، ولا يطرحونه، وإنما الشديد حقاً الذي يملك نفسه عند ثوران الغضب، فيقهرها بحلمه، ويصرعها بثباته، ولا يمكنها من أن تسترسل مع تيار الغضب فتشتم وتسب، وتضرب وتقتل... تلبية لداعي الانتقام، وقد استخدم الرسول لتحريك المفهوم القديم للصرعة وتأكيد المعنى الجديد بغرض التنبيه على خطر الغضب حيث ثورة الانفعال وسيطرة الشيطان وغياب العقل استخدم عدة أساليب بلاغية، فقد بدأ بأسلوب التشويق والإثارة بذكر الخبر الغريب حيث نفى مفهوماً راسخاً في أذهان المخاطبين (ليس الشديد بالصرعة...) مما أثار دهشتهم وحقق استشرافهم لمعرفة ما يتلوه، وبذلك حقق الرسول ﷺ ما يريد من ضمان الإنصات، وتحقيق الترقب، وتحريك المفهوم في

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩/١٠٧ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ٤٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٥٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ر ع).

الأذهان، ثم يأتي أسلوب القصر في قوله ﷺ: (إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) وهو قصر موصوف (الشديد) على صفة (الذي يملك نفسه عند الغضب) وهو قصر قلب ؛لأنه ﷺ قلب المفهوم الراسخ في أذهان المخاطبين عن الصرعة وأنه الذي يطرح غيره، وجعل الصرعة الذي يطرح غضبه وهو جزء من انفعالاته فكأنه يطرح نفسه الغضبية، ومن الملاحظ في أسلوب القصر في الحديث أنه استخدم طريق القصر بـ (إنما) وهي تستخدم في الخبر الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره، أو لما ينزل هذه المنزلة كما قال الإمام عبد القاهر: "اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفعه أو لما ينزل هذه المنزلة، وعلى ذلك نرى في استخدام الرسول ﷺ لـ (إنما) طريقاً للقصر تنزيلاً لمفهوم الصرعة الجديد والذي يملك نفسه عند الغضب تنزيل الأمر المجهول منزله المعلوم الذي لا ينكره المخاطب إشارة إلى تمام وضوحه، وقوله ﷺ (يملك نفسه) استعارة حيث شبه النفس بشيء مادي وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الملك على سبيل الاستعارة المكنية ليصور شدة التمكن في السيطرة على النفس، وهو ما يجب أن يكون عليه المؤمن[1]".

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١٤٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

"العَفُوّ" اسم من أسماء الله، والعَفو صفة من صفاته، والمسلم مطالب بالتخلق بأخلاق الله، والسبيل إلى ذلك يكون بـ:

أولاً- التربية على خلق العفو والتسامح:

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية غرس التربية الخلقية في نفوس المتربين، ويعتبر خلق العفو والتسامح من أبرز الجوانب الخلقية التي ينبغي على المؤمن أن يجعلها واقعًا في سلوكه وتصرفاته، وفي هذا الباب -باب العفو والإعراض عن الجاهلين- أورد النووي جملة من الأحاديث كلها تغرس في نفوس الناشئة والمتربين خلق العفو، وتبين تطبيقاته العملية من سنة النبي ﷺ، ومن ذلك ما قاله عندما جاءه ملك الجبال يأتمر بأمره "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا" وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "... وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى"، وقوله ﷺ عندما حكى إيذاء قومه له: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، وقوله: ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)).

وما من شك في أن صاحب العفو والتسامح دليل على تمتع صاحبه بالصحة النفسية "إن الحلم والصفح والعفو هو خلق المسلم المتمتع بالصحة النفسية حيث تكون نفسه حليمة مع تصرفات الآخرين عافية عن حقها الذي اعتدى عليه من قِبَل الآخرين، وذلك ابتغاء وجه الله تعالى، والعفو من صفات المتقين، ودعا الله المؤمنين إلى التزامه، وقد كان من أخلاق الأنبياء الحلم والصفح"(١).

إن العفو من الأصول النفسية التي يسعى الإسلام لغرسها في نفوس أتباعه "وهو شعور نفسي نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدى ظالمًا

---

(١) انظر: التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع ص ٤٩٣، ٤٩٤.

وجائزًا.. بشرط أن يكون المعتدى عليه قادرًا على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين، ومقدسات الإسلام... وإلا... كان العفو ذلة ومهانة واستسلامًا وخضوعًا... والعفو بهذا المعنى، وبهذه الشروط شيمة أصيلة تدل على إيمان راسخ، وأدب إسلامي رفيع، ومن المعلوم بداهة أن نفسية المؤمن حينما تكون متخلقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح... فإنه يكون مثلاً يحتذى في الملاطفة وسمو الخلق، ولين الجانب وحسن المعشر.... بل يكون كالمَلَك يمشي على الأرض نبلاً وطهرًا وصفاءً"[(١)].

إن الانتصار من النفس خير من الانتصار لها، لأن الإنسان إذا أراد أن ينتصر من نفسه، فهو أمام ذات واحدة، يعرفها ويعرف قدراتها ويعرف مواطن القوة والضعف فيها، فإمكانية الانتصار متاحة، وما أشبهها صاحبها بفرس له لجام في يده، فإن أمسك باللجام دائمًا، لم تتفلت منه، وإن ترك لها اللجام أو ألقى الحبل على الغارب، فقد يتعذر عليه التحكم فيها.

إن البوصيري كان حكيمًا حين وصف النفس بقوله:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وخير مواطن التحكم في النفس إذا يسرت السبل للانتقام لها، بعد إساءة إليها ونزول أذى بها، وكان الانتقام محققًا حال قبوله، وكان الإعراض مؤلمًا إلا أنه يحقق إشباعًا في الانتصار على الذات.

إن هذا ما حدث مع الرسول ﷺ حين لاقى من قومه ما لاقى، وأتاه ملك الجبال سامعًا مطيعًا، وعرض عليه كيفية إبادة مكذبيه، رأي العين، أطبق عليهم الأخشبين، وأمام هذا كله قال ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا)[(٢)].

إننا في هذا الزمان نسعى إلى هذا وذاك من المعارف، والأصدقاءن لننتقم لأنفسنا

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ١/٢٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٥٩، ومسلم ١٧٩٥.

ولغيرنا في كثير من الأحيان، وكم نسعى لإيذاء أناس لم يؤذونا ولكنهم لم يقدرونها كما نتصور نحن، فكان لا بد من إثبات من نحن؟ بطريق الأذى المباشر أو غير المباشر، وكم يعتذر المخطئون فيكون التعنت في قبول الاعتذار، وفرض قيود وشروط ما أنزل الله بها من سلطان، كم نطلب مالاً وكم نطلب مطالب فيه ذلة وإهانة لراغب الاعتذار، وما درينا أن العفو يكسب الإنسان قوة ويعلي الإنسان قدرًا.

إنه ليس بإمكان الإنسان أن ينتصر لنفسه من الآخرين دومًا، فمنهم أصحاب المنعة ومنهم - بمقياس الدنيا - أهل الرفعة، ومنهم من آذى وتفلت، ومنهم من فرّ وكم يتردد، ومنهم من فرضت عليه الضرورة سوء الخلق ومنهم من دعته الحاجة إلى رفع الصوت، ومنهم المريض الذي رأى التفريج عن نفسه في كلمة يقولها أو إشارة يبديها أو نميمة يخفيها.

إن الإنسان ليتعامل مع آلاف البشر في هذه الحياة، وخير ما يأتلف قلوبهم الحلم والأناة والإحسان.

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

إن من أساليب التربية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، وفي أحاديث الباب ما يشير إلى هذا الأسلوب، ومن ذلك موقف النبي ﷺ يوم العقبة عندما عرض نفسه على ابن عبديا ليل بن عبد كلال فلم يجبه ... ثم مجيء مَلَك الجبال له لينظر بما يأمر، وأن يطبق عليهم الأخشبين فكان جواب النبي ﷺ "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا" فكان هذا الموقف والحدث أسلوبًا عمليًا في بيان العفو والإعراض عن الجاهلين، ومن ذلك أيضًا ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

"إن من طرق التربية الفعالة التربية بالأحداث، أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين. وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في

أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث - تلقائية، كانت أم مخططة- تذهب سُدَىً بغير عبرة توجيهية في الاتجاه المرغوب" (١).

ثالثًا- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية المؤثرة في نفوس المتربين التربية بالقدوة حيث يقدم المربي للمتربين التطبيق العملي لما يدعو إليه من قيم وأخلاق، ومن شواهد أحاديث الباب التي تبين التربية بالقدوة ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة لا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى، ومنها ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة... فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء"، وما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

"إن القدوة الصالحة هي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي، ولذا اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سلم الكمال السلوكي فالقدوة الصالحة هي من أنجح الوسائل لبناء الشخصية الإسلامية خصوصًا في مرحلة الاكتساب، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدى بها، أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسير الصالحة التي يسمعها، ولذا حرص الإسلام أشد الحرص على إيجاد القدوة الصالحة والمثل الطيب للإنسان لأن المحاكاة غريزة كامنة في النفس"(٢).

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ١٧٧، ١٧٨.

وإذا كان الأمر كذلك فواجب القائمين على التربية الاهتمام بإيجاد القدوة الحسنة أمام المتربين ليجدوا الترجمة العملية، والتطبيقات الفعلية للقيم والأخلاق، والسلوكيات الصالحة.

رابعًا- التربية على عدم الاستجابة لنوازع الغضب:

وهذا يتضح من فعل النبي ﷺ وقوله: ما فعله ﷺ عندما لقي من فوق ما لقيه يوم العقبة، فقال عن نفسه: ((فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ...)) الحديث، فالنبي ﷺ قد أصابه الهمّ لإعراض قومه عن الاستجابة لما يدعوهم إليه مما فيه نفعهم وخيرهم، فانطلق على وجهه، وانتقل من المكان الذي وقع فيه الهمّ والغضب إلى مكان آخر ليس فيه ذلك، وهذا مما لاشك يخفف عنه شدة الغضب والهمّ، فإن الإنسان -كما تشهد التجربة- إذا كان مهمومًا فإن غادر مكان الهمّ وخرج إلى مكان فسيح يتأمل فيه خلق الله من أشجار وخضرة وأزهار أو جبال ووديان وسهول، فإن ذلك يسري عنه كثيراً مما يحس به من غضب وضيق. وهذا ما تنادي به التربية الحديثة، وهو الخروج إلى المنتزهات عند وقوع غضب أو نحو ذلك.

وما سبق كان من فعله ﷺ، أما قوله ﷺ فهو ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))، فبيّن ﷺ: أن القوي الشديد هو من تحكم في نفسه وكظمها عن الاستجابة لنوازع الغضب وبلغ غيظه وضيقه ولم يفسح المجال لغضبه بل أغلق الطريق أمامه وجعل سدًا منيعًا بينه وبين أن يؤثر عليه في التصرفات والأفعال الظاهرة على الأقل.

والمقصود أنه ينبغي أن تكون التربية على عدم الاستجابة لنوازع الغضب من الأساسيات في التربية والتنشئة.



٧٦- باب احتمال الأذى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣] وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

الحديث رقم (٦٤٨)

٦٤٨- وعن أَبي هريرة رضي الله تَعَالَى عنه: أنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رسول الله، إنّ لي قَرَابةً أصِلُهم وَيَقْطَعُوني، وأُحسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلُمُ عَنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: **((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))** رواه مسلم[1].

وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في بَابِ صلة الأرحام.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تسفهم: تطعمهم[2].

المَلّ: الرمادُ الحارُّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم[3].

ظهير: ناصر ومعين[4].

---

(١) برقم ٢٥٥٨/٢٢، وتقدم برقم ٣١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٧١٦.

(٢) الوسيط في (س ف ف).

(٣) اللسان في (م ل ل).

(٤) الوسيط في (ظ هـ ر).

الشرح الأدبي

أسلوب النبي ﷺ قائم على أسلوب الشرط ثم التشبيه في قوله ﷺ (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ) وأسلوب الشرط بهذه الصياغة له فائدتان: الأولى: تعميم الحكم حتى لا يقيد بشخص معين، وإنما يشمل كل من كانت هذه حاله كل زمان ومكان - إذ لو قال ﷺ للرجل (إنك تسفهم المل) لاحتمل أن يكون خاصاً به لكن تعليق الرسول ﷺ للجواب على الشرط يعطى الحكم شمولية يندرج تحتها كل من كانت هذه حاله، وهذه إحدى فوائد أسلوب الشرط الثانية: تعليق الجواب على الشرط من الرسول ﷺ لكونه لا ينطق عن الهوى، ولو قال ﷺ: إنك تسفهم المل لكان حكماً بصدق الرجل، وإشارة إلى أنه قد استوفى ما عليه تجاه قرابته ولعله ﷺ لم يرد إثباته، وأراد الجواب معلقاً على الشرط (إن كنت كما قلت) حتى يبحث الرجل في نفسه، ويتأكد من أنه لم يقصر في حقهم، ويبحث أوجه التقصير فيما فعل فيتمه، ثم جاء التشبيه في جواب الشرط مرتبطاً بالفاء (فكأنما تسفهم المل) والمل: هو الرماد الحار، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شئ على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإيذائه، والحديث يحث على تحمل الأذى، والرد الجميل، والإحسان لأولي القربى في حال إحسانهم، وفي حال إساءتهم[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د: ناصر راضي الزهري، ٣٥٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية التي تربي المؤمن على الخلق الحسن وتحمل الأذى، ومن أبرز هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والمناقشة، حيث إن هذا الأسلوب يعطي مساحة للأخذ والرد، والسؤال والجواب، وفي حديث الباب دار الحوار والنقاش بين الرجل السائل ورسول الله ﷺ: "إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ... فقال ﷺ: لئن كنت كما قلت فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ...".

"لقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة، والذي له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى والتقليد المجرد من الإقناع، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي قامت على المحاورة وطَرْحِ الأسئلة والاستفسارات. ولقد كان علماء المسلمين يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة، ويوجبون عليهم التمرُّن عليها، فعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة ليشحذ أذهانهم ويقوي الحجة لديهم ويُعوِّدهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس" (١).

ثانيًا- التربية على تحمل الأذى وسعة الصدر:

إن من أهداف التربية الإسلامية تدريب المسلم وتعويده على تحمل الأذى وسعة الصدر خصوصًا مع الأقارب والأهل، ويتضح هذا من حديث الباب، وفيه قوله ﷺ للرجل الذي يشكو من إيذاء قرابته "لئن كنا كما قلت فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ولا يزال معك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك".

فالواجب على المسلم "ألا يحزن من أذية الآخرين له ويعفو عمن أساء إليه، فإن ثمن القصاص الباهظ، هو الذي يدفعه المنتقم من الناس الحاقد عليهم، يدفعه من قلبه ومن

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨١، ١٨٣.

لحمه ودمه، من أعصابه ومن راحته، وسعادته وسروره، إذا أراد أن يتشفى، أو غضب عليهم أو حقد. إنه الخاسر، بلاشك وقد أخبرنا الله سبحانه بدواء ذلك وعلاجه، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾(١)، وقال جل شأنه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(٣)(٤).

إن التربية على تحمل الأذى تساعد على توطيد العلاقات الاجتماعية، وإدامة الحب والصلة بين الأهل والأقارب والجيران، "واحتمال الأذى يكون بعدم مقابلة الإساءة بمثلها، وإنما يكون بأحد وجهين:

فأولاً: مقابلة الإساءة بالعفو والإعراض عنها، وقد رغب الله تعالى في العفو حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٥). فشرع تعالى العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل، وهو العفو ولا يضيع ذلك عند الله تعالى.

وثانيًا: مقابلة الإساءة بالحسنة، وقد رغب الإسلام في ذلك وحث عليه، وصلة القاطع تكون بالسلام والإكرام، والدعاء له، والاستغفار له والثناء عليه والزيارة له، وأن تَعْطِيَ مَنْ حَرَمَك، ويكون ذلك بالتعليم والمنفعة والمال، وأن تعفو عمن ظلمك فيكون ذلك في دم أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب، والواجب مثل أن تصل من قطعك من الأرحام، والمستحب مثل أن تعفو عمن ظلمك"(٦).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٤) لا تحزن، د. عائض القرني ص ٩٢.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٦) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ١٦٩-١٧٠.

ولا شك أن عدم احتمال الأذى يزيد من القطيعة والجفاء، ويؤدي إلى الخصام والعناد، ويضعف حبال المودة والتواصل، والوئام.

"ومن الأمور التي تؤدي إلى قطيعة الرحم قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم، فبعض الناس لا يتحمل أدنى شيء من أقاربه، فبمجرد أي هفوة، أو زلة، أو عتاب من أحد من أقاربه يبادر إلى القطيعة والهجر"(١).

وواجب المشتغلين بالتربية في جميع المراحل أن يهتموا بغرس هذه القيمة، وأن يدربوا المتربين على احتمال الأذى ابتغاء وجه الله تعالى ورضوانه وطمعًا في ثوابه وغفرانه.

قد يتقبل الإنسان الصدمة من الآخرين ويبرر ذلك لنفسه أنه ليس كل الناس أسوياء في التصرف ولا محبين لغيرهم، وكم دفعت النعم بأصحابها إلى النقم، حيث جلبت عليهم حقد الحاقدين ومكر الماكرين وغيرة الغيورين، الذين يتمنون زوال النعمة ويكيدون لصاحبها ويحرصون على آذاه في غير ذنب جنته يداه، إلا أن الله امتن عليه وأعطاه.

وأشد ما يؤلم الإنسان ويؤذيه أن يكون الإيذاء من ذويه، وبخاصة الذين يعطيهم فلا يشكرون، ويمد يده إليهم فيجحدون، ومع هذا يقابلون الصلة بالقطيعة والحسنة بالإساءة والحلم بالجهل.

إن الإنسان يصبح في حيرة من أمره أمام هؤلاء، ماذا يفعل معهم، لقد حدث هذا في حياة الرسول ﷺ وجاءه صحابي يشكو حاله من أهله، فبين الرسول ﷺ أن صنيعه هذا يكسبه أمرين:

الأمر الأول: أنه ألزمهم الحجة وأقام عليهم البرهان وكأنما جعلهم يسفون التراب الحار.

الأمر الثاني: أن الله سيمده بعون من عنده يظل ناصرًا له ما بقي على هذه الحال وكم احتمل ﷺ الأذى من غير المسلمين كما احتمله من الأعراب المسلمين واحتمله كذلك من المنافقين، وما كان ينتصر لنفسه قط.

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٦٩.

إن الانتصار للنفس في الإسلام مقيد إن وقع وتركه أولى، أما الترك الأولى ففي قول الحق سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، وقول الحق: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقول الحق: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وأما الانتقام لها ففي قول الحق سبحانه: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[5]، ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[6].

وهذا الانتصار للنفس مقيد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[7]، إذن فالإنسان أمام المظالم التي تقوم به بين خيارات ثلاثة:

١) العفو المطلق أو بلا مقابل.

٢) العفو بمقابل.

٣) الأخذ بالحق.

وأما انتهاك حرمات الله والخروج على الشرع أو الازدراء به، وتعمد المخالفة الشرعية كل هذا مما يوجب الانتصار لدين الله، رأينا ذلك واضحًا في كثير من المواقف، التي استوجبت غضب الرسول ﷺ سواء التي أطال فيها الإمام الصلاة حتى آذى المصلين، أو قطعة القماش التي فيها صور قد تؤدي إلى الشرك، أو شفاعة أحد

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٤) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤١.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٨.

(٧) سورة النحل، آية: ١٢٦.

الصحابة في تعطيل حد، أو في تصرف غير حميد، حين بصق إنسان في المسجد، كل هذا ومثله قد حرك غريزة الغضب عند الرسول ﷺ انتصارًا لدين الله.

إن المسلمين لو طبقوا ذلك في حياتهم لتبدلت أحوالهم.

إن أرض الإسلام تُسلب وإن دماء المسلمين تُسفك وإن أعراض المسلمات تنتهك وما تحرك ساكن ولا بعث كامن، بل حكمنا على كل من يقاوم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

إن موائد القمار أصبحت تدار في عدد من ديار الإسلام، منها ما هو بترخيص رسمي ومنها ما هو بتجاهل عمدي، وما هو ناتج عن غض الطرف.

إن بيوت الدعارة وشقق العهر وعصابات الاتجار فيها قد وجدت لها موطئ قدم في ديار الإسلام.

إن الفطر في رمضان أصبح في كثير من بلدان الإسلام جهارًا نهارًا، وإن البارات والحانات والمطاعم والمقاهي لتفتح أبوابها في نهار رمضان كغيره من شهور العام في بعض بلاد المسلمين.

إن ترك الفرائض داخل الأسرة الواحدة، قد بدا في السنوات الأخيرة، وإن حمل الأبناء على الطاعة قد قلّ، وإن المراقبة قد ضعفت، وفي بعض الأحيان تلاشت، فكان من آثارها ما كان. إن المجاهرة بحقوق الإنسان وحقوق المرأة بخاصة في ضوء مؤتمر بكين والقاهرة وغيرهما من المؤتمرات ليبشر بشر مستطير، دون أن نسنهض لدين الله. إن المصطلحات الأجنبية التي حلت محل المصطلحات الإسلامية فأبعدتها عن الساحة، وأقصتها عن الاستعمال، وحلت محلها دون وقفة من أهل العلم الشرعي لدليل على التهاون في الانتصار للحق، لقد سمى أعداء الإسلام الجهاد إرهابًا، ودعوا المقاومة بالتطرف، والمتمسكين بالدين بالراديكاليين، والمتحللين منه بالليبراليين.

إن أفراد الأمة مطالبون بالانتصار لدين الله على النحو التالي:

١- الانتصار لدين الله بإحيائه في نفس الإنسان قولاً وعملاً ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[(١)].

٢- الانتصار لدين الله بإحيائه في أهل الإنسان قولاً وعملاً ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[(٢)].

٣- الانتصار لدين الله بإحيائه في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[(٣)].

٤- الانتصار لدين الله بإحيائه في المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[(٤)].

٥- الانتصار لدين الله بإحيائه في حال الاعتداء على الأمة ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾[(٥)].

٦- الانتصار لدين الله بإحيائه بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

٧- الانتصار لدين الله بإحيائه بمراعاة آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا- من الأساليب التربوية: التشبيه والتربية بالمواقف:

ورد في حديث الباب من الأساليب التربوية ما يلي:

أ-التشبيه: وهذا واضح من قول النبي ﷺ: ((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ))، والتشبيه يستخدم لتقريب المعاني المجردة باستخدام معاني حسية يشترك في معرفتها المتعلمون.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة العصر، كاملة.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة البقرة، آيات: ١٩٠، ٢٤٤.

ب-التربية بالمواقف: فقد استثمر النبي ﷺ موقف الرجل مع ذوي رحمه، وموقفهم معه، وعلّمه التصرف الصحيح الذي يسلكه والمنهج السليم الذي ينهجه معهم، وهذا يبين حرص النبي ﷺ على تعليم صحابته في المواقف الحياتية المختلفة التي يمرون بها.



٧٧- باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشّرع والانتصار لدين الله تعالى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧].

وفي الباب حديث عائشة السابق في باب العفو[(١)].

الحديث رقم (٦٤٩)

٦٤٩- وعن أَبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: إنِّي لأَتَأخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطيلُ بِنَا! فَمَا رَأيْتُ النَّبيَّ ﷺ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ قَطُّ أشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئذٍ؛ فَقَالَ: ((يَا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأيُّكُمْ أمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ (وَالصَّغِيرَ)[(٢)] وَذَا الحَاجَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مُنَفِّرين: جمع مُنَفِّر: من يلقى الناس بالغلظة والشدة، فينفرهم من الإسلام والدين[(٤)].

فليوجز: فليخفف[(٥)].

---

(١) تقدم برقم ٦٤٣.

(٢) لفظ البخاري ومسلم: (والضعيف)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٩٣/١، رقم ٧٩١.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤، ومسلم ٤٦٦/١٨٢ واللفظ له.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٢.

الشرح الأدبي

قول الرجل (إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا !) أكده بعدة مؤكدات تعكس إصراره على بيان سبب التأخير بسبب إطالة الإمام، وأنه السبب في التأخير لا غيره مما استثار غضب النبي ﷺ والذي صوره الراوي بأسلوب النفي في قوله (فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ)، وقد بدا هذا الغضب في بناء عبارته حيث صدَّر عبارته بالنداء العام الذي يتصدر العظائم، ثم توكيد العبارة بأكثر من مؤكد بيانا لخطر الأمر ثم الأمر المصحح للخطأ المبين للصواب في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ)، وقوله: (فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ) الفاء للتعليل وإن حرف توكيد، ونصب تشير إلى عنايته ﷺ بالخبر، واهتمامه به، وتقريره، وتأكيده لمضمونه، والظرف (وراءه) يرصد حال المصلين، وقد طال وقوفهم ما بين كبير خارت قواه يراوح بين قدميه، وضعيف يئن، وذي حاجة تمزقه الرغبات، وكل من كانت هذه حاله، فهو قلق مضطرب فاقد للخشوع منقطع عن الذكر مشغول بحاله، وهو ما يفرغ الصلاة من مضمونها، وهذا ما يفسر سر انفعال الرسول ﷺ في تقويمه لخطأ الإطالة رغم أن الذي أطال مجتهد في العبادة راغب في التقرب.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم التطويل في الصلاة: يستحب لمن صلى إماماً ألا يطيل على وجه يمل منه القوم؛ لأنه يصير سبباً للتنفير وذلك مكروه، إلا إذا طلبت منه الجماعة ذلك، أو فهم منه[1].

---

(١) المبسوط ٤٧٣/١، وحاشية الخرشي ٢٨٥/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٥٠/٢.

وهل يعتبر التطويل عذراً يرخص في ترك الجماعة؟ نعم، هو كذلك عند المالكية، والشافعية، والحنابلة إذا كان المأموم لا يصبر على التطويل لضعف أو شغل، مثلاً[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على سؤال النبي ﷺ عما يشغلهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ وإنكاره الإطالة في الصلاة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النداء، والموعظة.

رابعاً: من صفات الداعية: التيسير والتخفيف على الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على سؤال النبي ﷺ عما يشغلهم:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا؟) وهذا سؤال للنبي ﷺ واستفتاء عن فعله، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على سؤاله واستفتاءه في أمور دينهم لأنه معلم الأمة وهاديها إلى شرع ربها، وقد ورد الكثير من الأحاديث والآثار التي تدل على حرص الصحابة ﷺ على سؤال رسول الله ﷺ فيما يشغلهم من أمور دينهم ودنياهم، منها ما ورد عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ، قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قالت: قدمت عليّ أمي وهي راغبة أَفَأَصِلُ أمي؟ قال: ((نعم، صِلي أُمَّك))[2].

وعن عائشة ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال:

---

(١) حاشية الدسوقي ٢/٤٣٠، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٢٥٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٦٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٢٠، ومسلم ١٠٠٣.

((إلى أقربهما منكِ باباً))[(١)]، وعن أبي مليكة: أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ))[(٢)]، وغيرها من الأحاديث التي لا حصر لها، وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أصول الدين من رسول الله ﷺ والإتيان بالعمل بما يتفق وشرع الله عز وجل.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ وإنكاره الإطالة في الصلاة:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود: "فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذٍ"، قال ابن حجر: (قوله: "أشد"، بالنصب نعت لمصدر محذوف، أي غضباً أشد وسببه إما لمخالفة الموعظة أو للتقصير في تعلم ما ينبغي تعلمه، كذا قال ابن دقيق العيد... قال: ويحتمل أن يكون ما ظهر من الغضب لإرادة الاهتمام بما يلقيه لأصحابه ليكونوا من سماعه على بال لئلا يعود من فعل ذلك إلى مثله، وأقول: هذا أحسن في الباعث على أصل إظهار الغضب)[(٣)].

وقال النووي: (فيه الغضب لما ينكر من أمور الدين والغضب في الموعظة)[(٤)]، وغضب رسول الله ﷺ لأنه يريد لأمته التيسير عليهم وليس المشقة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(٥)].

فغضب رسول الله ﷺ حرصاً منه على الرحمة بأمته والشفقة عليهم فهو يريد التخفيف على أمته في أمور دينهم ودنياهم ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه لأصحابه العشاء، فطوّل

(١) أخرجه البخاري ٢٢٥٩، ٢٥٩٥، ٦٠٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٠٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢/٢٣٢ - ٢٣٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٧٩.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

عليهم، فانصرف رجل منا فصلى، فأخبر معاذ عنه، فقال إنه منافق، فلما بلغ ذلك الرجل، دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبي ﷺ: ((أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فَتَّاناً يَا مُعَاذُ؟ إِذَا أَمَمْتَ النَّاسَ فَاقْرَأْ ﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾. و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾. و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾))(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ. فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَالْمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ))(٢).

وقد دعا رسول الله ﷺ على من شقّ على أمته، ودعا لمن رفق بأمته فقال: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))(٣).

وغضبُ رسول الله ﷺ كان دائماً لانتهاك حرمات الله، فكان ﷺ مثالاً يُحتذى في غضبه عند انتهاك محارم الله(٤).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النداء والموعظة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يا أيها الناس! إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز"، فالنداء في قوله ﷺ: "يا أيها الناس..."، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في لفت انتباه المدعوين، وتركيزهم، وذلك بتوجيه النداء إليهم. والموعظة في وعظه ﷺ المطيل في الصلاة بأنه منفر، وتوجيه العظة لمن يؤم الناس بالتخفيف، ولا ريب أن للموعظة الحسنة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء اتخذت صفة النصح، أو التذكير أو الترغيب والترهيب، وغير ذلك من صفات وأساليب الموعظة الحسنة.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٣، ومسلم ٤٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود ٢٠٦/١.

وتتضح أهمية الموعظة في احتفاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بها، واعتناء سلف الأمة الصالح وأخذه بها[١].

فمن القرآن قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[٢]، ومن السنة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعِظَةِ في الأيامِ، كَرَاهةَ السَّآمةِ علينا)[٣].

رابعاً- من صفات الداعية: التيسير والتخفيف على الناس:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من هذا الحديث: التيسير والتخفيف على الناس، يظهر ذلك من عموم الحديث فقد أنكر وغضب رسول الله ﷺ على من أطال بالناس وأمر من يؤم الناس بالتخفيف والتيسير على المدعوين، وهذا ما ينبغي أن يتصف به الداعية؛ لأن التيسير من الصفات التي تساعد الدعاة على الإيغال بدعوتهم بين الناس ومعالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير، إن القاعدة النبوية في التعامل مع الآخرين والتي يجب أن تحكم أسلوب الدعوة والداعية تبدو واضحة جلية[٤] في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا))[٥].

والتيسير والتبشير من أساليب التربية عند الرسول ﷺ، كما مرّ في الحديث أعلاه. وهو من وسائل التحفيز للإنسان، لا سيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته، فلا بد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف، يرافقها التبشير، حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه البهجة ولا تشعر بثقل التكاليف والواجبات عليها، وهي ما زالت تنوء بحمل كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها. لأن

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٧١.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومُنفّرة من الإسلام وأهله، تؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها، بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء، ومسوغاً واضحاً للمتصيدين في الماء العكر لمحاربة الإسلام وأهله وإبعاد الناس عنه"(١).

ومن هنا نرى أن الرسول ﷺ كان يعرض الإسلام عرضاً سهلاً وبسيطاً دون تعقيد أو تكلف، فحين سأله رجل فقال: يا رسول ما الإسلام؟ قال: ((لاَ تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ))(٢).

وكان يختار أيسر الأمور وأسهلها، كما أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللّهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ منه))(٣).

ذلك أن الإسلام جاء بالتيسير ورفع الحرج، فليست العبادة فيه انقطاعاً عن الدنيا وأهلها، بل هي تفاعل مع الدنيا وأهلها، وفقاً لمنهج الله الذي أراده ديناً للناس كافة، ملائماً لكل الأزمان والأجيال والعصور، فالعبادة في الإسلام معتدلة ومقدورة لكل إنسان بكل سهولة ويُسر، ومن أراد التطوع في مزيد منها فلا مانع في ذلك، والباب مفتوح أمامه(٤).

والحكمة من التيسير في التكاليف أن الإسلام يراعي طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم، في ضوء هذا النظر الواقعي، جعل الإسلام حدًّا أدنى أو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه، لأن هذا المستوى ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحو معقول، ولأنه أقل ما يمكن

---

(١) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد ص ١١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠، ٤٤٧٧، ومسلم ٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ٦١٢٦.

(٤) النظم الإسلامية، د. منير حميد البياتي، وفاضل شاكر النعيمي ص ٥٤ - ٥٥.

قبوله من المسلم ليكون في عداد المسلمين، ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع إلى مستوى الكمال[١][٢].

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٨٤.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٣٢ - ٢٣٥.

الحديث رقم (٦٥٠)

٦٥٠- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ، وقال: ((يَا عائِشَةُ، اشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ!)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

السهوة: كالصُّفَّة تكون بين يدي البيت[٢].

القِرام: سِتر رقيق[٣].

هتكه: أفسد الصورة التي فيه[٤].

تماثيل: جمع تمثال: وهي الشيء المصّور سواء ما نحت من حجر أو صنع من نحاس ونحوه أو الصورة في الثوب ونحوه[٥].

يضاهون بخلق الله: يشبهون ما يصنعون بما يصنعه الله[٦].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين رضي الله عنها : (قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ) يشير إلى أنه لم يكن حاضرا عند اتخاذ أم المؤمنين لهذا الثوب سترا يدل على ذلك قولها (فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ) الذي يوحي بالمفاجأة، وتعبيرها بالهتك يعكس شيئا من شدة الغضب

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٥٤، ومسلم ٢١٠٧/٩٢، والسياق للحميدي في جمعه ٢٢/٤، رقم ٣١٤٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٨٣. وسيكرره المؤلف برقم ١٦٨١.

(٢) رياض الصالحين ٢٨٤.

(٣) رياض الصالحين ٢٨٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٨٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٠، والمعجم الوسيط في (م ث ل).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٠.

ويؤكده التصوير بالكناية عن شدة الغضب في قولها (وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ) كما أكده بناء عبارته التي حملت قدرا كبيرا من الترهيب في قوله (يَا عائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ !) والنداء تنبيه يشير إلى أهمية ما بعده تلته أفعل التفضيل (أشد) المضافة للعذاب الذي بلغ معها المدى بالهالك الموعود زادها ترهيبا بالظرف (عند) المضاف لله مما يجعل للعذاب بُعدا خاصا يفارق به كل تصور بشري، ويفوق به وَهْم كل عبقري، ثم صعَّده بذكر الظرف (يوم) المضاف للقيامة الذي يعطي العذاب صفة الخلود ثم عرَّفهم بالمسند إليه (الذي) للذم، والتعبير بالمضاهاة يشير إلى ارتباط العمل اليدوي بالتصوير، والتمثيل بغطرسة، وكبر، ومناظرة لله فيما خلق مما استوجب هذا المصير الأسود الذي حاق بهم، - والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية تغيير المنكر.

ثانياً: من واجبات الداعية: الغضب لانتهاك محارم الله.

ثالثاً: من فقه الداعية: بيان عِلّة إنكار المنكر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية تغيير المنكر:

يظهر ذلك في فعل النبي ﷺ الذي ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترْت سَهوَة لي بقِرَام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه. وهذا يدل على أهمية تغيير المنكر وهذا ما حثّ عليه رسول الله ﷺ في قوله: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[1].

فتغيير المنكر من الأشياء ذات الأهمية، خاصة مع انتشار المنكرات في هذا العصر انتشاراً ذريعاً.. وتغلغلها في المجتمعات الإسلامية، مما يؤدي إلى ابتعاد المسلمين عن التمسك بدينهم، فهي تتازعهم من كل جانب، وتلاقيهم من كل منتدى وموضع،

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

فيجب التصدي لهذه المنكرات والسعي إلى إزالتها، سواء كانت مشاهدة في الواقع، أو متغلغلة في العقول والقلوب والأفكار"[١].

ثانياً- من واجبات الداعية: الغضب لانتهاك محارم الله:

إن من واجبات الداعية التي يجب أن يقوم بها: الغضب لانتهاك محارم الله، يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه.

وذلك لأن الداعية لا بد أن يظهر الاعتزاز بالإسلام وقواعده ومحارمه، وتظهر صفة انتماء الداعية لدينه بارزة من صفاته واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، فهذه الآية تبين قدر الداعية من خلال انتمائه للإسلام فتعلي قدره، وتجعله عزيزًا على غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٣].

إن الداعية قد تجاوز درجة التدين الشخصي والذاتي إلى درجة الدعوة إلى هذا الدين بالقدوة، والقول، والفعل ولذلك الشرف وهذه المكانة فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

والداعية الحق هو الذي اقتنع بفكرته وقضيته التي يدعو إليها، فهو يدافع عنها، ويتحمس لها لأنه يعتز بالانتساب إليها ويفخر ويتشرف بالانتماء إليها[٤].

فإذا كان الداعية مأموراً بالحلم والرفق في دعوته فينبغي ألا يكون حلمه وعفوه عن ضعف وخوف وجبن. وأيضاً لا يكون ذلك عند انتهاك حرمات الله تعالى. فيغض الطرف عن ذلك ويعتبره من الحلم والعفو المشروع، لا، فالله سبحانه وتعالى أثنى على من يعظم حرمات الله. ولقد كان الرسول ﷺ مثالاً يحتذى في غضبه عند انتهاك محارم الله.

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"، خالد بن عثمان السبت ص ٥٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤٨ - ٤٩.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1]، أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل[2].

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ))[3].

والشاهد هو تغير وجه الرسول ﷺ وتأثره عند انتهاك حرمة الله تعالى فليتبين ذلك الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر[4].

ثالثاً- من فقه الداعية: بيان علة إنكار المنكر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يا عائشة: أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله)، فبيّن علة إنكاره اتخاذ السترة التي بها التماثيل وهذا كان شأنه ﷺ في بيان علة إنكاره للشيء حتى يزيل اللبس عن الذي أنكر عليه فعله فهذا أسامة بن زيد ﷺ عندما كلمه في أمر المرأة المخزومية التي سرقت ليشفع لها عنده فأنكر رسول الله ﷺ ذلك وقال: ((أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟)). وبيّن علة إنكاره على أسامة بقوله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ))[5]، فبيّن علة إنكاره عليه.

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٩/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٠، ومسلم ٤٦٦.

(٤) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود ٣٠٦/١ - ٣٠٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ٦٧٨٨، ومسلم ١٦٨٨.

وهذا من فقه الداعية في دعوته حتى يبين للمدعوين أن إنكاره مستندًا إلى دليل من كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ فهو لا ينكر بالهوى، ولا يقول بغير علم، لأن هذا من أكبر الكبائر لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول.

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكمة والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى، كقوله في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، وفي الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، وفي الحج: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[5].

فإذ كان هذا في الأمور التعبدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن طلبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيراً من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرءاً عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون. وحتى يكون

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٥) سورة الحج، آية: ٢٨.

تعليل الداعية للأحكام صحيحاً[(١)].

فلا بد أن يكون الداعية على دراية بعلم أصول الفقه، حتى يعرف الأدلة المتفق عليها بين فقهاء الأمة وهي الكتاب والسنة، والتي اتفق عليها جمهورهم، وهي: الإجماع والقياس والتي اختلفوا فيها بعد ذلك بين مثبت ونافٍ، ومضيق وموسع ومتوسط، وهي أدلة ما لا نص فيه من الاستحسان والاستصلاح والاستصحاب، وشرع من قبلنا، وقول الصحابي وما إلى ذلك مما اختلفت فيه وجهات النظر.

وإذا كان الكتاب والسنة هما الأصلين والمصدرين الأساسيين، فكيف تستنبط منهما الأحكام؟ ومن يجوز له الاستنباط أو يجب عليه؟ ومن يحل له التقليد أو يحرم عليه؟

هنا نجد مسائل كثيرة، بعضها اتفقوا عليه، وبعضها اختلفوا فيه (ولكل وجهة هو موليها)، ولا بد للداعية أن يعرف الراجح من المرجوح ليأخذ بالراجح، ويعذر الآخذين بالمرجوح، أو يقنعهم إذا استطاع[(٢)].

وحتى يستطيع ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة، وما أرشد إليه من اعتبارات أخرى، كالإجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان وغيرها من أدلة ما لا نص فيه... وذلك لأن الدليل يكسو الحكم أو الفتوى نوراً وجمالاً[(٣)].

---

(١) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي.

(٢) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٩١ - ٩٢.

(٣) المرجع السابق ٨١.

الحديث رقم (٦٥١)

٦٥١- وعنها: أن قرَيشاً أهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأةِ المخزومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى؟!)) ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: ((إنَّمَا أهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله، لَوْ أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أهمَّهم: أجلب إليهم الهمَّ وأقلقهم[2].

يجترىء عليه: من الجرأة وهي الإقدام على الأمر بإدلال[3].

حِبُّ: محبوب[4].

أتشفع: من الشفاعة وهي: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، وتكون فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨/٨ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٤٦٣. وسيكرره المؤلف برقم ١٧٧٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٠/١٢.

(٣) المرجع السابق ٩٥/١٢.

(٤) المرجع السابق ٩٦/١٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

الحد: الذنب الذي يُوجب العقوبة المكتوبة كالسَّرقة والزنا[١].

فاختطب: فخطب[٢].

وايمْ الله: هو حلف وقسم أصله: أَيْمُنُ جمع: يمين[٣].

الشرح الأدبي

حارب الرسول ﷺ السرقة بكل صورها، كما تصدى لخطأ التفريق في إقامة الحدود بين الناس على أساس الشرف، والضعف، الأمر الذي يوغر صدور الضعفاء، وهم الأكثرية، ويولد في نفوسهم كراهية إخوانهم بل، وكراهية المجتمع، ويذهب بانتمائهم، ويجعلهم في أوطانهم بلا هوية مما يفضى إلى تدمير المجتمع، و قد حقق الرسول ﷺ ذلك باستخدام عدة أساليب بلاغية اتسمت بالانفعال والنبرة العالية التي تتساوق مع عظم الخبر، وخطره منها:

١- أسلوب الاستفهام: في قوله ﷺ (أتشفع في حد من حدود الله؟) وهذا الاستفهام في إطار تقويم خطأ في حد من حدود الله، وقد خرج عن حقيقته إلى معنى الإنكار أي لا ينبغي أن يكون ذلك منك، وقول الرسول ﷺ (في حد من حدود الله) ومعلوم أن الحدود حدود الله، وإنما نصَّ رسول الله ﷺ على هذا المعلوم ليبيِّن أنه ﷺ لا يملك هذه الحدود، ولا أملك قبول شفاعتك، وحدود الله إذا بلغت الحاكم فليس لها مترك.

٢- أسلوب القصر في قوله ﷺ: (إنما ضل من قبلكم) والمتأمل لبلاغة هذه الجملة في إطار تقويم الخطأ يجد أنها تناولت الموضوع من عدة جهات منها: دقة اختيار هذه الصياغة بهذا الأسلوب، وإثارتها دون غيرها ليس في مبناها فحسب؛

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د د)، وانظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٥٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٩٧.

(٣) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٤٥٠، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧٩. وهمزته همزة وصل لا قطع (مادة: أي. م) المعجم الوجيز.

لأنه ﷺ لم يقل مثلاً: إن أسامه تشفع إليّ، وقد رفضت شفاعته لأن الحدود حدود الله، وأنه ضاد الله في أمره، أو في ملكه، أو يذكر العقوبة المترتبة على ذلك كما قال في حديث ابن اللتبية [1].بل ترك رسول الله ﷺ ذلك وما يشبهه، واستخرج من الموقف أمراً بعيد المغاص، ونبه إلى أن التفريق بين الناس في تطبيق الأحكام، وقبول المجتمع لوجود فئة تعاقب على ذنبها، وتقطع يدها إذا سرقت، وفئة لا تقطع يدها؛ لأن وجود هذا في المجتمع خطر يفضى إلى تدمير المجتمع[2].

ومنها: استخدام الرسول ﷺ لأسلوب القصر الإدعائي وهو قصر صفة على موصوف حيث قصر صفة إهلاك الأمم السابقة على موصوف هو الفعل المؤدى إلى التفريق بين أفراد المجتمع من حيث النباهة، والخمول، والشرف، والضعف ونفاه عن كل ما سوى هذا الفعل مبالغة في بيان شدة خطره حتى يلفت الأذهان إلى مبدأ مهم يحقق الانتماء، ويعمق الشعور بالعدل، والأمن، وهذا المبدأ هو مبدأ المساواة في الحقوق، والواجبات، ومنها: استخدم الرسول ﷺ (إنما) دون غيرها من طرق القصر، ومن المعلوم أن (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة. والرسول ﷺ بذلك يجعل أمر هلاك الأمم لغياب مبدأ المساواة والتفريق بين أبناء المجتمع الواحد في الحقوق، والواجبات هو السبب في ذلك دون غيره لكمال صفة الهلاك في هذا الأمر، ويجعله من الوضوح بحيث لا ينكر، ومن العلم بحيث لا يجهل إمعاناً في تأكيده.

٣- أسلوب التوكيد: وقد وردت عدة أشكال من التوكيد في إطار تقويم خطأ الطبقية، والتفريق في إقامة الحدود، وتنبيهاً إلى خطر الأمر، ودفعا للتساهل أو الاستهانة، وذلك في قوله (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد)، وليس المراد بالقسم إزالة الشك عند المخاطبين، أو لغرابة الخبر كما يقول البلاغيون في غير هذا المقام؛ لأن الأمة تأخذ عن رسول الله ﷺ وتتلقف ما يقول بالقبول، والإذعان، ورسول الله ﷺ يعلم

---

(١) انظر: حديث ابن اللتبية في صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، حديث رقم ١٨٣٢.

(٢) انظر: شرح أحاديث من صحيح البخارى ص ٣٢٤، ٣٢٥ بتصرف.

ذلك، وإنما أراد بالقسم بيان مزيد العناية بالأمر المقسم عليه، وهو ضرورة إنفاذ أمر الله في القريب، وفي البعيد، وفي الصغير، وفي الكبير لا يستثنى من ذلك أحد، لأن الحد حد الله، والخلق خلق الله لا فرق بين خلقه في إنفاذ حده.[1] أضف إلى ذلك ما يُضفيه القسم الشريف على السياق من شعور بالهيبة والإجلال اللذين يمهدان القلب بالخشوع، والعقل بتأكيد الإقناع، والقبول.

كما استخدم من أساليب التوكيد في الحديث ما يعالج خواطر النفس، وتحافظ على توازن الأسلوب العالي النبرة ليمضى على نفس الدرجة من الجزالة، والقوة مع نبرة الانفعال الموازية لحجم الخطأ المقوَّم استخدامه ﷺ (أن) في قوله (لو أن فاطمة بنت محمد) والجملة تحتاج لهذا التوكيد لما سبق ذكره، ولغرابة الخبر المذكور بعدها، وهو الفرض المستحيل مبالغة في إقامة حد الله، ولو على أقرب الناس، وأحبهم إليه.

٤- أسلوب الشرط، والشرط معناه، وقوع الشيء لوقوع غيره[2] فيوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه، الأمر الذي يجعل أسلوب الشرط شديد الاتصال، قال الإمام عبد القاهر: "ووزان هذا أن الشرط، والجزاء جملتان، ولكنا نقول أن حكمهما حكم جملة واحدة من حيث دخل في الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل الفائدة"[3]، وعلى ذلك، فإن المخاطب إذا سمع جملة الشرط استشرف إلى معرفة الجزاء بما يحقق الترقب، واليقظة، ويحقق متابعة المخاطب حتى نهاية الحديث، وتمام المعنى، وقول الرسول ﷺ (أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) أسلوب شرط فعله (سرق) وفاعله (الشريف) وجواب الشرط تركوه، واستخدام الرسول ﷺ لأداة الشرط (إذا) فيه إشارة إلى أن هذا الفعل كان من عادة هؤلاء القوم ؛لأن (إذا) من بين أدوات الشرط تستعمل في مواضع الشرط الواجب الذي

---

(١) شرح احاديث من صحيح البخارى صـ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) انظر: المقتضب للمبرد ٢/ ٤٦.

(٣) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهرصـ ١١١.

لابد أن يتحقق، وكذا في قوله ﷺ (وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) وهذا الفعل منهم هو الذي عجل بهلاكهم، لأنه جعل المجتمع طبقات يحقد بعضها على بعض ويحتقر بعضهم بعضاً شرفاؤهم ينغمسون في ملذاتهم اعتماداً على نفوذهم، وضعفاؤهم يثبطهم الإحساس بالظلم والإحباط، فيفقدون الانتماء، والرغبة في خدمة مجتمعهم، فيصير المجتمع دون أبناء مخلصين يذودون عنه.

وقوله ﷺ (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) و (لو) أداة شرط غير جازمة تدل على الزمن الماضي، والمتأمل لمعنى (لو) في الحديث الشريف يجد أنها توحي بمعانٍ أكثر عمقاً بحسب السياق التي ترد فيه، وهذا الشرط الافتراضي من الرسول ﷺ له عدة دلالات منها: تعظيم أمر إقامة الحدود على الجميع دون أي اعتبار لشخص المحدود من ناحية الشرف، أو عدمه، ومنها: ضرورة تأسيس مبدأ المساواة في الحقوق، والواجبات، ومنها: أن على القائد أن يكون أول المطبقين لشرائع الأمة على نفسه، وخاصته، ومنها: بيان غَيْرة الرسول ﷺ، وحرصه على أمته، ومنها: ضرورة أن يعتبر القادة، وغيرهم بدروس التاريخ، وأسباب اضمحلال الأمم لاجتنابها، وأسباب ازدهارها للاستفادة منها.

٥- الكناية: وقد وردت في قوله ﷺ (في حد من حدود الله) ومعلوم أن الحدود حدود الله، وإنما نص رسول الله ﷺ على هذا المعلوم ليبيِّن أنه ﷺ لا يملك هذه الحدود، ولا يملك قبول شفاعته، فالكلام كناية عن صفة عدم الملك لقبول الشفاعة، وعدم القدرة على التصرف فيها.

٦- أسلوب المقابلة: وقد وردت المقابلة في إطار تقويم الخطأ بغرض توضيح المفارقة في إقامة الحدود بين طبقات المجتمع في الأمم السابقة، والذي أودى بها وأوردها موارد الهلكة، وذلك في قوله ﷺ (إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) حيث قابل الشرط الأول، وجزاءه بالشرط الثاني وجزائه بياناً للخطأ وتوضيحاً لأبعاده بغرض التحذير منه.

وقوله (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) هذه الجملة معطوفة على ما قبلها من باب عطف المعنى على المعنى لاختلافهما خبراً، وإنشاءً، وقد وقعت هذه الجملة من القلوب والعقول موقعاً حميداً، وذلك لجزالة اللفظ، وقربه، وعذوبته، وخفته، ولأنها تعلم الناس أنبل مبادئ السيادة، والشرف، وأصدق أصول السياسية، ،وأرشد أصول العمران، وهل ترى أصدق في سياسية الناس من أن يطبق الحاكم على نفسه، وولده ما يطبقه على أضعف طبقات الناس الذين يسوس أمرهم، وأن يقطع هو بيده يد أحب الناس إليه؟ وهل تفيض القلوب بالحب لأوطانها، وشعوبها بدافع أفضل من هذا الدافع؟[(١) (٢)].

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الشفاعة في الحدود: اتفق الفقهاء على حرمة الشفاعة في الحدود، إذا بلغت الإمام، فإذا رفعت إليه فلا شفاعة، ووجب عليه إقامتها.

فترك الحدود، والمداهنة فيها، وإسقاطها عن الأكابر من أسباب الهلاك، وإقامتها على كل أحد، من غير فرق بين شريف، ووضيع من أسباب الحياة، يقول ﷺ: ((حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ ، خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا -ثلاثين- أَرْبَعِينَ صَبَاحاً))[(٣)]. أما قبل ذلك، فيجوز العفو، ويكون الستر هو الأفضل وفي الحديث: "تعافوا الحدود بينكم فما بلغ من حد وجب"[(٤)].

٢-هل شرع من قبلنا شرع لنا؟ ذهب الحنفية، والمالكية، والحنابلة، إلى أنه شرع

---

(١) ينظر: شرح أحاديث من صحيح البخاري، د. أبو موسى ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري ٣٢١.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٣/٢ رقم ٨٧٣٨، وضعّف إسناده محققو المسند، وانظر تتمة تخريجه في المسند ٣٥١/١٤.

(٤) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٣٢٠/١١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٣٢/١٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩٧/٢٠، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٧٤/١١، والحديث في المستدرك ٤٢٤/٤.

لنا ما لم يرد ناسخ، وذهب الشافعية في الصحيح إلى أنه لا يعد شرعاً لنا[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكاره على أسامة رضي الله عنه لشفاعته في حد من حدود الله.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

رابعاً: من تاريخ الدعوة: هلاك الأقوام السابقين بسبب تركهم إقامة الحد على الشريف وإقامته على الضعيف.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترهيب والقسم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وسلم:

يظهر ذلك في قول قريش: "من يجترئ عليه إلا أسامة وأباه زيد حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال النووي: وفي هذا منقبة ظاهرة لأسامة رضي الله عنه"[2]. وأسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما صحابيان جليلان لهما منزلة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيه وفي أبيه، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((بعثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بَعثاً وأمَّرَ عليهم أسامةَ بنَ زيدٍ، فطَعن بعضُ الناسِ في إمارتِهِ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم إن تَطعنوا في إمارتِه فقد كنتم تطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبلُ. وايمُ اللهِ إنْ كان لَخليقاً للإمارة، وإنْ

---

(١) رد المحتار ٢٢٣/١، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ١٦٣/١٦، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢١٩/٧، وحاشية الخرشي ١٦/١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٩٨/٣، وإعانة الطالبين ٣٠٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٠/٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٤/٢، والتقرير والتحبير ٣٠٧/٤ وما بعدها، والبحر المحيط ٢٩٨/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٨٣

كان لَمن أحبِّ الناسِ إليَّ، وإنَّ هذا لَمن أحبِّ الناس إليَّ بَعدَه))[١]. وقوله ﷺ "وإن كان لخليقًا للإمارة" أي: حقيقًا بها[٢].

وقد ورد في صحيح البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: حدَّث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول: ((اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا))[٣].

قال ابن حجر: قوله: (اللهم أحبهما فإني أحبهما) هذا يشعر بأنه ﷺ ما كان يحب إلا لله وفي الله، ولذلك رتب محبة الله على محبته، وفي ذلك أعظم منقبة لأسامة والحسن رضي الله عنهما[٤].

قال الذهبي: كان أسامة أكبر من الحسن بأزيد من عشر سنين. وكان شديد السواد، خفيف الروح، شاطراً، شجاعاً، رباه النبي ﷺ، وأحبه كثيراً[٥].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لا يَنْبَغِي لأحَدٍ أَنْ يَبْغَضَ أُسامة بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ فَلْيُحِبَّ أُسامة))[٦].

وعنها رضي الله عنها قالت: ((أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَحِّيَ مُخَاطَ أُسامة، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعْنِي حتَّى أنَا الَّذِي أفْعَلُ. قَالَ: يَاعَائِشَةُ أحِبِّيهِ، فَإِنِّي أُحِبُّهُ))[٧].

فمنزلة أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ عظيمة وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون هذه المنزلة، وكانوا يسمون أسامة رضي الله عنه: حِبُّ رسول الله ﷺ بكسر المهملة أي محبوبه لما يعرفون من منزلته عنده ﷺ، وليس أدل على محبة النبي ﷺ لأسامة من فعله ﷺ عند موته، فعن محمد بن أسامة بن زيد، قال: ((لما ثقل رسول الله ﷺ

---

(١) اخرجه البخاري ٣٧٣٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٤٧٨.

(٣) اخرجه البخاري ٣٧٣٥

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١١/٧

(٥) سير اعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنووط ٤٩٨/٢.

(٦) اخرجه احمد ١٥٦/٦ رقم ٢٥٢٣٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٧) اخرجه الترمذي ٨١٣٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٠١).

هبطت وهبط الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يده عليَّ ويرفعها فأعرف أنه يدعو لي))[١].

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب رسول الله ﷺ وإنكاره على أسامة رضي الله عنه لشفاعته في حد من حدود الله

يظهر ذلك في إنكار رسول الله ﷺ على أسامة رضي الله عنه شفاعته، وقال له: "أتشفع في حد من حدود الله".

ورسول الله ﷺ، غضب لشفاعة أسامة بن زيد رضي الله عنهما في حد من حدود الله، فالغضب لله محمود، وهو من هدى الرسول ﷺ، ودليل على غيرة الإنسان على محبته لإقامة شريعة الله[٢]. وقد كان رسول الله ﷺ يغضب عند الموعظة لانتهاك حرمات الله، قال جابر رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا خطب يوم الجمعة احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم"[٣].

أي أن الغضب يكون محموداً إذا كان لله عز وجل عندما تنتهك حرماته وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام في مواضع عديدة[٤] منها: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا...﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾[٥]. ومنها قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨١٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٠).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١/ ٩٤٠.

(٣) أخرجه مسلم ٨٦٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١١/٥٠٧٩.

(٥) سورة الأعراف، الآيات: ١٤٨-١٥٤.

غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

قال القرطبي: والمعنى: مغاضباً من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك أي من أجلك. والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عُصي[٣].

كما أن النبي ﷺ كان يغضب في بعض الأحيان لله عز وجل لا لنفسه[٤]، في أحاديث عديدة منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رخص رسول الله ﷺ في أمر، فتنزه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فغضب، حتى بان الغضب في وجهه، ثم قال: «ما بال أقوام يرغبون عما رُخِصَ لي فيه، فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٥].

ومنها عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ لأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ خَمْسٍ. فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ. فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ. قَالَ: أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ قَالَ الْحَكَمُ: كَأَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا))[٦].

---

(١) سورة طه، آية: ٨٦.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢٩/١١/٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٠٧٩/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٠١، ومسلم ٢٣٥٦ واللفظ له.

(٦) أخرجه مسلم ١٢١١.

قال النووي: (قولها: فدخل علي وهو غضبان فقلت: من أغضبك يارسول الله أدخله الله النار، قال: أوما شعرت أني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون) أما غضبه ﷺ فلانتهاك حرمة الشرع وترددهم في قبول حكمه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، فغضب ﷺ لما ذكرناه من انتهاك حرمة الشرع، والحزن عليهم في نقص إيمانهم بتوقفهم، وفيه دلالة لاستحباب الغضب عند انتهاك حرمة الدين)[2].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ثم قام فاختطب.

والخطابة هى أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم والحث على الفضائل، وجمع الشمل وإرهاب الأعداء، وقد كانت الخطبة وسيلة الرسول عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى سبيل الله، لإيقاظ الضمائر، وتدبر الكون والإيمان بالله الواحد الأحد، ومعرفة أوامر الدين ونواهيه التي تحقق سعادة البشرية.

فعلى الداعية أن يصور الحدث أو الفكرة بكل دقة ووضوح في خطبته حتى ينسجم معه المستمع ويشاركه في انفعالاته.... ويكون متمكناً من علمه وثقافته... عارفًا بأبعاد فكرته، ومستوعباً عناصر الموضوع كله[3].

رابعاً- من تاريخ الدعوة: هلاك الأقوام السابقين بسبب تركهم إقامة الحد على الشريف وإقامته على الضعيف:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد" فذكر من تاريخ الدعوة هلاك بني إسرائيل بسبب إقامة الحد على الضعفاء وترك إقامته على الشرفاء،

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦٤.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٦-١٠٧.

وهذا ما بينه في قوله ﷺ: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الْوَضِيعُ قَطَعُوهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُهَا))(١).

قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: الظاهر أن هذا الحصر ليس عاماً، فإن بني إسرائيل كان فيهم أمور كثيرة تقتضي الإهلاك، فيحمل ذلك على حصر مخصوص وهو الإهلاك، بسبب المحاباة في الحدود فلا ينحصر في حد السرقة، قال ابن حجر قلت: يؤيد هذا الاحتمال ما أخرجه أبو الشيخ في (كتاب السرقة) من طريق زاذان عن عائشة مرفوعاً، (أنهم عطلوا الحدود عن الأغنياء وأقاموها على الضعفاء)(٢).

خامساً- من أساليب الدعوة: الترهيب، والقسم:

يظهر الترهيب في قوله ﷺ: "إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد".... حيث رهب من ترك إقامة الحد وبين أن ذلك كان سبباً في هلاك السابقين.

وأسلوب الترهيب له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله لأن بعض الناس لا يجدى فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتضييق وكسر حدة النفس ونتوئها وإعراضها عن الحق وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة، فكان الترهيب والتخويف مناسباً لذلك. وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب لكى يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله ﷻ(٣).

ويظهر أسلوب القسم في قوله ﷺ: وايم الله، ويعد القسم من الأساليب الدعوية: وذلك لبيان أهمية الأمر ولفت انتباه المدعوين إليه. وقد أقسم النبي وهو الصادق المصدوق لبيان أهمية الأمر، وحثهم على تجنبه.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٣٢، والنسائي ٤٩٠٠ واللفظ له.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/ ٩٧.

(٣) انظر: وسائل الدعوة: د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩٤-١٩٥

قال النووي: (قوله ﷺ: (وَايْمُ اللَّه لو أن فاطمة) فيه دليل لجواز الحلف من غير استحلاف وهو مستحب إذا كان فيه تفخيم لأمر مطلوب كما في الحديث)[1].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٨٣.

الحديث رقم (٦٥٢)

٦٥٢- وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى نُخَامَةً في القبلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ في وَجْهِهِ؛ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: ((إن احدَكُمْ إذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبيْنَ القِبلَةِ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ احدُكُمْ قِبَلَ القِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أوْ تَحْتَ قَدَمِهِ)) ثُمَّ أخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: ((أوْ يَفْعَلُ هكذا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النخامة: البزقة التي تخرج من أقصى الحلق أو من الصدر[٢].

فشق ذلك عليه: كره ذلك كرهاً شديداً حتى ظهر ذلك على وجهه[٣].

يبزقن: البزاق: البصاق وهو: إلقاء النخامة إلى خارج الفم[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أمور من الأدب في المسجد، وقوله (حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ) كناية عن كراهيته لهذا الفعل، وقوله (فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ.....) حتى يزيل أثر العادة السيئة بالفعل، ويمنع غيرها بالقول عن طريق الترهيب تهديدا بإعراض الله عمن يبصق قبل وجهه؛ لما ينم عنه من سقم في الذوق وسوء في الأدب، وعدم تقدير للموقف بين يدي الله، وهو مقبل عليه، وقوله (إن أحدَكُمْ) يشمل الجميع بالحكم (إِذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ

(١) أخرجه البخاري ٤٠٥ واللفظ له، ومسلم ٥٥١/٥٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن خ م)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٥/١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

(٤) المعجم الوسيط في (ب ز ق)، وقال النووي: والأمر بالبصاق عن يساره أو تحت قدمه هو فيما إذا كان غير المسجد. فأما المسجد فلا يبصق إلا في ثوبه. رياض الصالحين ٢٨٥.

فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ) أسلوب شرط ينوه على شرف الموضع، ورفعة المقام التي تستلزم مزيد أدب، والتعبير بالمناجاة يوحي بالقرب، والمحبة التي لا تتناسب مع فعل البصق، وذكر لفظ رب، وإضافته للضمير العائد على المصلي يشير إلى ضرورة أن يقدر له قدره بما يليق من أقوال، وأفعال وقوله (وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ) كناية عن شدة قربه الذي يستلزم مزيد الخشوع، والتذلل، والأدب، وقوله لاَ يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) نهي عن هذا الفعل الذي يؤذي الملائكة، ويؤذي المصلين، ويحدث نفورا من المكان، في حين أنه مكان خشوع، وسكينة، وقد أتبع البيان القولي للحكم بالبديل لمن اضطره البصاق (ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: ((أَوْ يَفْعَلُ هكذا) وهو تصرف فيه أدب، ولا يسبب الاستقذار، ولا النفور لأن لم يظهر.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

التنخم في المسجد: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحرم إلقاء النخامة ونحوها في أرض المسجد وعلى جدرانه وعلى حصيره، بل يجب أن يصان المسجد عن كل قذر وقذارة وإن لم تكن نجساً كالنخامة ونحوها. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: ((البزاق خطيئة وكفارتها دفنها))[(١)]. وكتب الخطيئة بمجرد البصاق يدل دلالة واضحة على أنها حرام، ولكنها تزول بالدفن وتبقى بعدمه[(٢)]، وإن كانت على حائطه وجب إزالتها وتطييب موضعها لفعله عليه الصلاة والسلام. وقال المالكية: إن البصق في أرض المسجد مكروه مع حكّه وعن الإمام مالك أنه قال: إن كان محصباً فلا بأس أن يبصق بين يديه، وعن يساره وتحت قدمه، ويدفنه، وإن كان لا يقدر على دفنه فلا يبصق في المسجد بحال، سواء كان مع ناس أو كان وحده[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٥ ،ومسلم ٥٥٢.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٤٦٠.

(٣) بدائع الصنائع ٨١/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٩/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠٢/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٢/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٦٠/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تغيير النبي ﷺ للمنكر باليد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ لانتهاك حرمة قبلة المسجد وعدم نظافتها.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على نظافة المساجد والحفاظ عليها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تغيير النبي ﷺ للمنكر باليد:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق عليه ... فقام فحكه بيده"، أي: تولى ذلك بنفسه وقام بإزالة النخامة بيده، وفي ذلك تعليم منه ﷺ لأمته وللدعاة بأهمية أن يغير الإنسان المنكر بيده، إذا رآه وكان يستطيع تغييره، ولا ينتظر لأن الأمة الإسلامية من خير الأمم وقد جعل الله تعالى من صفاتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

والداعية عندما يغير المنكر بيده يكون قدوة لغيره، ويكون عمله مطابقًا لقوله فهو ينهي عن المنكر بلسانه ويغيره بيده، وله في ذلك الأسوة والقدوة الحسنة في إمام الدعاة محمد ﷺ.

والأصل في تغيير المنكر باليد، الكتابُ والسُنة وإجماعُ المسلمين على ذلك.

يقول تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[2]، فإبراهيم عليه السلام كسر الأصنام بيده.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾[1].

فأخبر سبحانه وتعالى عن كليمه موسى عليه السلام أنه أحرق العجل الذي عبد من دون الله ونسفه في اليم.

ويقول تعالى آمراً نبيه أن يقول: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[2].

وذلك حينما دخل مكة عام الفتح فأخذ يطعن الأصنام بعود بيده وهو يتلو هذه الآية.

ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده. ويقول: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[3]»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده»[5] الحديث.

فهذا نص صريح من الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير المنكر باليد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا. فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))[6].

---

(١) سورة طه، آية: ٩٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٢٠.

(٥) أخرجه مسلم ٤٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٢٢٢.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبيَّ بن كعب من فضيخ زَهوٍ وتمر، فجاءهم آتٍ فقال: إنَّ الخمرَ قد حُرِّمت. فقال أبو طلحة: قم يا أنسُ فهرِقها، فهرَقتها))[١].

وفي رواية لمسلم: فقال أبو طلحة: ((يا أنس قم إلى هذه الجرة فاكسرها فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت))[٢].

فهذه الأحاديث دليل واضح بالقول والفعل من الرسول ﷺ وصحابته على تغيير المنكر باليد[٣].

قال أبو العباس القرطبي في شرحه لحديث: ("من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"[٤]، هذا الأمر على الوجوب، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإيمان ودعائم الإسلام، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة...

ولوجوبه شرطان:

أحدهما: العلم بكون ذلك الفعل منكراً أو معروفاً.

والثاني: القدرة على التغيير.

فإذا كان كذلك تعين التغيير باليد إن كان المنكر مما يحتاج في تغييره إليها مثل كسر أواني الخمر، وآلات اللهو كالمزامير والأوتاد والكبر، وكمنع الظالم من الضرب والقتل وغير ذلك. فإن لم يقدر بنفسه استعان بغيره فإن خاف من ذلك ثوران فتنة، وإشهار سلاح، تعين رفع ذلك، فإن لم يقدر بنفسه على ذلك غير بالقول المرتجى نفعه من لين أو إغلاظ حسب ما يكون أنفع وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرياسة، فإن خاف من القول القتل أو الأذى، غير بقلبه)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٨٢

(٢) أخرجه مسلم ١٩٨٠.

(٣) درجات تغيير المنكر د. عبدالعزيز أحمد المسعود ص ١٧-٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٤٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١/٢٣٢ - ٢٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ لانتهاك حرمة قبلة المسجد وعدم نظافتها:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه، حتى رؤى في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبلة القبلة).

قال المازري: (وكأن تلك الجهة علامة على أن قاصدها موحد وأنها عَلَمٌ على التوحيد ولها حرمة لكون المصلي متقرباً بتوجيهه إليها إلى الله سبحانه)[1].

وقال النووي: قوله ﷺ: (فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه) أي: الجهة التي عظمها، وقيل فإن قبلة الله، وقيل ثوابه ونحو هذا، فلا يقابل هذه الجهة بالبصاق الذي هو الاستخفاف بمن يبزق إليه وإهانته وتحقيره)[2].

وقال العيني: (ولا يصح هذا الكلام على ظاهره، لأن الله تعالى منزه عن الحلول في المكان، فالمعنى على التشبيه، أي: كأنه بينه وبين القبلة)[3].

قال ابن حجر: قال الخطابي: (معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه، فصار التقدير كأن مقصوده بينه وبين قبلته، قيل على حذف مضاف أي عظمة الله أو ثواب الله).

قال ابن عبدالبر: هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة[4].

قال القرطبي: (وهذا يدل على تحريم البُصاق في جدار القبلة، وعلى أنه لا يتكفر بدفنه، ولا بحكه، كما قال في حلة المسجد: "البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها"[5]، فلو يكفر البزاق في القبلة بالحك لما غضب، إذ قد كان تكفي الكفارة

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/١٧٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤١٦.

(٣) موسوعة فتح الملهم، ٤/٨٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٠٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤١٥، ومسلم ٥٥٢، والنسائي ٧٢٣ واللفظ له.

في ذلك، وهي الحك، كما اكتفى بها في حديث الأعرابي الذي وطىء في نهار رمضان، ولم يذمه ولا غضب عليه. وقد ظهرت خصوصية جهة القبلة حيث نزلها منزلة الرب تعالى، كما تقرر. وظهر أيضاً التخفيف في ساحة المسجد، كما قد ضرب رسول الله ﷺ فيه خيمة لسعد بن معاذ بعدما رُمي في أكحله، فكان الدم يسيل من خيمته إلى جهة الغفاريين، هذا مع ما قيل: إن هذا كان لضرورة داعية إلى ذلك وقد ذكر مسلم في حديث جابر الطويل[١]: أن النبي ﷺ جعل مكان النخامة عنبراً، وروى النسائي الحديث الأول من طريق أنس[٢]، فقال: غضب حتى احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكّتها، وجعلت مكانها خلوقاً، فقال رسول الله ﷺ ((ما أحسن هذا)). ويصح الجمع بين هذه الأحاديث، بأن يقال: كان ذلك في أوقات مختلفة: ففي وقت حكها ﷺ وطيبها بيده، ومرة أخرى فعلت هذه المرأة ما ذكر. ويمكن أن يقال: نسب الحك والطيب للنبي ﷺ من حيث الأمر به، والمرأة من حيث المباشرة[٣].

فالقبلة يتوجه المسلم إليها قبل وجه ربه فحرص رسول الله على تنزيهها ورهب من البصاق إليها وقد ورد في ذلك عنه الكثير من الأحاديث الدالة على ذلك منها: قوله ﷺ: «مَنْ تَفِلَ تُجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ))[٤].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ يَخْطُبُ يَوْماً إِذْ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَغَيَّظَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَكَّهَا قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: فَدَعَا بِزَعْفَرَانٍ فَلَطَّخَهُ بِهِ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قِبَلَ وَجْهِ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى فَلاَ يَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْهِ))[٥]. وغيره من الأحاديث التي تبين حرص النبي ﷺ على تعظيم القبلة وغضبه إذا انتهكت حرمتها.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٨.

(٢) أخرجه النسائي ٧٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٧٠٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٥٨/٢.

(٤) أخرجه ابو داود ٣٨٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٣٢٣٩).

(٥) أخرجه البخاري ٤٠٦، ومسلم ٥٤٧.

ثالثاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليمه ﷺ أمته تغيير المنكر إذا رأوه باليد إن استطاعوا.

والتعليم من وسائل الدعوة التي حث عليها الإسلام ودعا إليها رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله.

فلم تعرف البشرية دينا رفع مكانة العلم، وأعلى من شأنه مثل الإسلام ويكفي أن نعلم أن الله تعالى جعل شهادة أولي العلم بعد شهادة الحق سبحانه، وشهادة الملائكة المقربين، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، ولقد كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه تقوم على الاعتناء بالعلم غاية الاعتناء، وحث الأمة على التعلم والتعليم[٢]. فينبغي الاهتمام بالتعليم كوسيلة من وسائل الدعوة المؤثرة.

رابعاً- من آداب الداعية: حث المدعوين على نظافة المساجد والحفاظ عليها:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه فقام لحكه بيده فقال: (إن أحدكم إذ قام في صلاته ... الحديث)، قال النووي: وفي هذا الحديث تعظيم المساجد وتنزيهها من الأوساخ ونحوها وفيه استحباب تطييبها[٣].

والمسجد له أهمية عظمى في المجتمع الإسلامي، وذلك لما يؤديه من وظائف سامية في إعلاء كلمة الله والدعوة إلى دين الله، ولذا فقد أولى الإسلام للمسجد المكانة اللائقة به عمارة واعتناء بكل ما يحتاجه ويتطلبه، فالمسجد بيت الله، وفي هذا دلالة على قدسية المسجد ونزاهته، وخلوه من الأغراض والمقاصد الدنيوية، والأشياء المستقذرة، فمن يدخله لابد أن يكون عمله خالصاً لله وحده[٤].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٢) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، عبدالمجيد البيانوني ص ١٥٤.

(٣) شرح مسلم، ١٧٢٥.

(٤) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٢١٧.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[(١)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ: «لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا لِلْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ . قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[(٢)].

قال النووي: (قوله ﷺ: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله وقراءة القرآن" أو كما قال رسول الله ﷺ فيه صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقذار والقذى والبصاق ورفع الأصوات والخصومات، والبيع والشراء وسائر العقود وما في معنى ذلك) [(٣)].

وقد حث رسول الله ﷺ على نظافة المساجد والحفاظ عليها فعن عائشة ﷺ، قالت: "أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب"[(٤)].

فعلى الداعية حث المدعوين على الاهتمام بنظافة المساجد والحفاظ عليها وهذا من واجبات جميع المسلمين نحو بيوت الله.

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٩، ٢٢١، ومسلم ٢٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٨٧.

(٤) أخرجه ابو داود ٤٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود، ٤٣٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

ما لم تتحرك غريزة الغضب لحرمات الشرع، ضاعت القيم وغابت الأخلاق وانتهكت الحرمات وساد الفساد وعمت الفوضى، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية وبيانها كالتالي:

أولاً- توجيه انفعال الغضب إلى أن يكون لله تعالى:

إن من أهداف التربية الإسلامية توجيه انفعال الغضب إلى أن يكون لله تعالى، وليس من أجل الانتصار للنفس، والانتقام من الآخرين، وذلك من أجل ضبط علاقات الأفراد بعضهم ببعض والسمو والارتقاء بها، ومن أجل تغيير المنكر عندما تنتهك حرمات الله تعالى، وقد أورد الإمام النووي تحت هذا الباب جملة أحاديث تبين مشروعية الغضب، وذلك عندما تنتهك حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى، ومن ذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ تَعَالَى". وفي حديث ابن مسعود وعقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه: «... إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ».

وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «... وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». وفي حديث أنس رضي الله عنه: «أنَّ النبيَّ ﷺ رأى نُخامَةً في القِبلةِ فشقَ ذلكَ عليهِ حتى رُؤِي في وجههِ». ففي جملة هذه الأحاديث بيان أن النبي ﷺ لم يغضب لنفسه إنما كان غضبه لله تعالى، ومن أجل تغيير المنكر، وانتصارًا لدين الله تعالى.

"والغضب من أمراض الباطن التي يغفل عنها بعض الناس فيكون سببًا في اختلال صحتهم النفسية، وإن كان مما ركب في الإنسان إلاّ أن لديه القدرة على التحكم فيه، والتقليل من آثاره على سلوكه، والغضب إنما ركب في طبع الآدمي لدفع الأذى عنه والانتقام من المؤذي له، وإنما المذموم إفراطه، فإنه حينئذ يزيل التماسك ويخرج عن الاعتدال، فيحمل على تجاوز الصواب، وربما كانت مكانته في الغضبان أكثر من

مكانته في المغضوب عليه والغضب حرارة تنتشر عند وجود ما يغضب فيغلى عندها دم اللذات طلبًا للانتقام وربما أثر الحمى"[١].

إن الإنسان لا يخلو عن غضب "فأصل الغضب لا يعتبر عيبًا ولا يعتبر وجوده مرضًا، ولكن هناك غضب في الباطل لا يصح، وهناك غضب ظالم لا يجوز، وإن الغضب في غير محله لا تستقيم معه حياة اجتماعية ولا علاقات صحيحة، فغضبة واحدة قد تفسد جماعة بأسرها فتصدع صفها أو تعرقل أعمالها أو تشل نموها، وإذا أصبح الغضب جزءً من حياة الإنسان عندئذ يكون ما يخربه أكثر مما يعمره، لذلك كان لا بد من السيطرة على الغضب من أجل الدنيا والآخرة، فقد يدخل الغضب صاحبه النار، وقد يفسد عليه أمر دنياه، ونموذج الكمال البشري في الرضا والغضب هو رسول الله ﷺ، وكان من أخلاقه أنه لا يغضب لنفسه، وكان من وصفه أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وكان ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمات الله فلا يقوم لغضبه شيء وهذا الذي يطالب به كل الخلق للقضاء على المنكر"[٢].

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية الناجعة أسلوب الممارسة العملية حيث يبين للمتربي إمكانية تطبيق الفعل المأمور به، ويسوق ترجمة عملية للمتربي، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، ...».

ففي هذا الحديث قام النبي ﷺ بالممارسة العملية بهتك القِرَام وإفساد الصورة التي فيه، وأيضًا ما جاء في أحاديث الباب عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤى في وجهه فقام فحكه بيده...».

---

(١) التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف الصنيع ص ٢١٥.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّي ص ٢٣١، ٢٣٢.

والممارسة العملية للمتربي تتضح في حَكّ النبي ﷺ النخامة التي في القبلة بيده "ولقد كان من أساليب النبي ﷺ الموعظة بالفعل التطبيقي حيث يعطي لأصحابه الأنموذج الحي في أسلوب التعليم والتربية والتكوين"(١).

إن أسلوب الممارسة العملية له العديد من الآثار والفوائد التربوية "كإتقان العمل وتعوُّد الدقة وتَوخّي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة، وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا، والرسول ﷺ اهتم باستخدام أسلوب الممارسة العملية والتطبيق العملي لكل تعاليم الإسلام على شخصه أولاً وفي تربيته لصحابته ثانيًا (٢).

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالمواقف والأحداث حيث يستثمر المربي أي فرصة للتوجيه والإرشاد من خلال الحدث والموقف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا ما جاء عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنّي لأَتَأَخّرُ عَنْ صَلاَةِ الصّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمّا يُطِيلُ بِنَا ، فَمَا رَأَيْتُ النّبِيَّ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ».

وفي موقف المرأة المخزومية ربىّ النبي ﷺ أصحابه من خلال هذا الموقف كما جاء في الحديث"... ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

إن المربي الناجح يستغل المواقف والأحداث في إيصال القيم التربوية والتنشئة عليها.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧١٨/٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

إذ "أن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة، ففي حادثة المرأة المخزومية كان لابد من درس يُثْبِت ويُبْرِز معنى المساواة في العقوبات كما هي ثابتة في التكاليف، ويزيل أوهام الفوارق الطبقية بين الناس، لذا جاء الدرس التربوي في حينه" وموضعه فقال الرسول ﷺ لأسامة "أتشفع في حد من حدود الله" ثم قام فخطب ثم قال: "إنما أهلك الذين قبلكم..."، وهكذا تكون التربية بالحدث ومن خلال الحدث"[(١)].

رابعًا- من أهداف التربية الإسلامية: تحقيق الأمن الاجتماعي:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: ((أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللّهِ تعالى؟، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))، فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على حرص النبي ﷺ على تطبيق حدود الله تعالى في أرضه، وعلى حرصه ﷺ على عدم التفرقة بين الناس في ذلك بسبب شرف أو نسب، كما كانت تفعل في الأمم السابقة فكان سببًا من أسباب هلاكهم؛ لكون ذلك أدى إلى اختفاء الأمن الاجتماعي فيما بينهم، أما الإسلام فكان حريصًا أشد الحرص على تحقيق الأمن الاجتماعي ومنع كل السبل المؤدية إلى زعزعته أو خلخلته.

خامسًا- التربية بتعليل الأحكام:

لما رأى النبي ﷺ النخامة في القبلة- كما في حديث أنس رضي الله عنه- قام فحكها بيده ثم قال: ((إنَّ أحدَكُمْ إذا قامَ في صلاتِهِ فإنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أو إنَّ رَبَّهُ بينَهُ وبينَ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

القِبْلَةِ، فلا يَبْزُقَنَّ أحدُكُم قِبَلَ القِبْلَة))، فقد بيّن ﷺ سبب غضبه لوجود النخامة في القبلة، ومما لاشك فيه أن بيان أسباب الأحكام والتصرفات - إن اقتضى الأمر ذلك- من الأساليب التربوية المهمة، التي تجعل التعليم أشد أثرًا، فضلاً عن أنها تزيد اقتناع المتعلم بما يأمر به أو ينهي عنه.

سادسًا- من مهام المربي: بيان البدائل المشروعة للفعل غير المشروع:

وهذا واضح من قوله ﷺ: ((فَلاَ يَبْزُقَنَّ أحدُكُم قِبَلَ القِبْلَة، وَلكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أو تَحْتَ قَدَمَيْه، ثم أخذ طرف ردائه وبصق فيه ثم ردَّ بعضه عَلَى بعض، فقال: أَوَ يَفْعَلُ هكَذا))، فقد بيّن ﷺ البدائل المتاحة لمن أراد أن يتنخم بعد أن نهى عن النخامة قِبَل القبلة، وبناء على ذلك كان على المربي الفطن إنه إذا منع من يقوم بتربيتهم من شيء دلّهم على الأفعال المقبولة والمباحة، وفي ذلك توسيع عليهم وعدم تضييقه.



٧٨- باب أمر وُلاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

الحديث رقم (٦٥٣)

٦٥٣- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإمَامُ رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أهلِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

المتأمل لبنية الحديث يجد أنها تشير إلى أقوى معاني الترابط والتماسك بين طبقات المجتمع، وتحيط أفراده بمظلة الرعاية المنسوجة من أفراده أنفسهم كل في إطار المهمة المنوط بها تجد ذلك إجمالاً في أمور منها: استهلال الرسول ﷺ لحديثه بلفظ (كل) الذي يفيد التعميم الذي جعل الجميع تحت مظلة الحكم المراد ككتلة واحدة، ثم ختام الحديث بنفس المعنى وكأنه مبدأ يريد تأكيده، ومنها: بداية الحديث بجملة اسمية، تفيد الثبوت والدوام، وهو في تمام المطابقة لمقتضى الحال والوفاء بالمعنى حيث يشير إلى أن هذه المسئولية، والرعاية المذكورة ثابتة لكل فرد في جميع الأحوال،

(١) أخرجه البخاري ٢٥٥٨، ومسلم ١٨٢٩/٢٠، وتقدم برقم ٢٨٣، ٣٠٠. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٧٥.

ودائمة على مر الأزمان، ومنها: شدة التشابك والتلاحم بين جمل الحديث والتي جعلته كجملة واحدة، وهي في مجملها تأكد المعنى العام في وحدة المجتمع، وهو كلية الرعاية، وكلية المسئولية التي بني عليها معنى الحديث، وإذا نظرنا إلى بنية الحديث تفصيلاً نجد أنها تؤكد على ضرورة الترابط والتواصل والرعاية المتبادلة ففي قوله ﷺ (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته) جملة خبرية تؤذن بثقة المتكلم، وشعوره بصلاحية القابل، واستعداده لتلقي مضمون الخبر، وأن الخبر من الظهور بحيث لا يتأتى لمنكر إنكاره؛ لذا لم يؤكد الخبر بأي مؤكدات، ولأن المخاطب خالي الذهن من الخبر، والجملة تقرر مبدأ عاماً يشمل كل أفراد المجتمع المسلم فلفظ (كل) يفيد الشمول بمعناه وإضافته لكاف المخاطب وميم الجمع تؤكد على هذه الشمولية، وقوله: (راع) هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما أؤتمن عليه حفظه، فهو المطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه، ودنياه، ومتعلقاته، فإن وَفَّى ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر، والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كل أحد من رعيته بحقه.

وقوله: (راع) مسند وقع اسماً فأفاد ثبوت الصفة ودوامها وأما تنكير (راع) فلإرادة عدم الحصر، والعهد، والتعيين في المسند حيث يقتضي المقام ذلك؛ لأن كل فرد راع فيما يخصه؛ فالمرعي متعدد بحسب تعدد مسئوليات كل راع وجملة: (وكلكم مسئول عن رعيته) عطفت على ما قبلها بالواو لاتفاقهما من حيث الخبرية، وتناسبهما مع اتحاد المسند إليه فيهما، ولفظ (كل) المضاف لكاف الخطاب وميم الجمع - كما ذكرنا سابقاً - يؤكد عموم المسئولية كما سبق، وأكد عموم الرعاية، وقوله: (رعيته) والرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره' وقوله: (الإمام راع) فصلت عما قبلها (كلكم راع) لكمال الاتصال حيث وقعت الثانية من الأولى موقع البدل من المبدل منه وهو بعض من كل؛ لأن الإمام وما عطف عليه بعض من قوله: (كلكم راع)، وقوله: (الإمام راع) بعد قوله: (كلكم راع) من ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس هذا العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، وكأنه امتاز عن سائر أفراد العام بما له من الأوصاف الشريفة جعل كأنه شيء آخر

مغاير للعام لا يشمله العام، ولا يعرف حكمه منه' ونص الرسول على ذكر المسند (راع) والمسند (مسئول) وتكراره مع كل مسند إليه مع إمكانية تركه لدلالة السابق عليه، فقد كرره مع الإمام والرجل والمرأة والخادم، وذلك ليتقرر المعنى، ويتأكد في النفس مع إفادة الثبوت والدوام لصفة الرعاية والمسئولية لكل فرد ممن ذكر على حدا، وحتى لا نظن أن الحكم الخاص فقط بالأئمة، أو الأمراء، أو فئة دون فئة، أو شخص دون شخص بل الجميع واقع تحت الحكم، والبداية بالإمام تدرج من الأعلى إلى الأدنى ؛لأن رعايته تشمل الجميع، ومسئوليته أكبر.

والمتأمل لحديث رسول الله ﷺ يجد أنه تدرج بمظلة الرعاية والمسئولية من الدائرة العظمى التي تشمل الجميع ابتداءً بالإمام، ومروراً بالرجل، والمرأة والعبد، وكل أفراد المجتمع حتى من ليس له شيء، فهو راعٍ لجوارحه، ومسئول عنها أمام الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1]، هذه المسئولية، والرعاية التي حددها الرسول ﷺ تجعل في عنق كل فرد من أفراد المجتمع أمانة يجب أن يؤديها، وتقرر أنه مسئول عنها أمام الله، هذا الإحساس الذي يبثه الحديث يجعل المخاطب يفتش في نفسه، ويحاسبها عمن يرعاهم ومسئوليته تجاههم مما يجنبه خطأ التقصير في حقوقهم، أو ظلمهم ويجعله عنصراً إيجابياً في المجتمع، وقوله في جملة الختام: (وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) رد للعجز على الصدر وسماه بعض المتأخرين بـ (التصدير) ومن مزاياه أنه نوع من الدلالة فيه تقرير وبيان وتدليل؛ وأن فيه نوعاً من زيادة المعنى، حاصلاً من إيحاء اللفظ الأول بالثاني الذي هو تكرار له، وأن الأول كما أوحي بالثاني فإنه يذكر به... فهو رابط من روابط التذكر، وفيه فوق كل ما تقدم رونق من حسن السبك في الصناعة ومائية وطلاوة من جمال العرض[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ٥٦.

(٣) تقدم هذا الحديث برقم (٢٨٣).

الحديث رقم (٦٥٤)

٦٥٤- وعن أَبي يعلى مَعْقِل بن يَسارٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَستَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ)) متفقٌ عليه[١].

وفي رواية[٢]: ((فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّة)).

وفي رواية لمسلم[٣]: ((مَا مِنْ أميرٍ يلي أمور[٤] المُسْلِمينَ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ[٥]، إلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ)).

ترجمة الراوي:

معقل بن يسار: هو معقل بن يسار بن عبدالله المزني البصري، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، فكان من أهل البيعة. قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافعٌ غصناً من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة[٦].

نزل العراق فسكن في البصرة وبنى بها داراً، وهو الذي حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر، فنسب إليه.

قال يونس بن عبيد: ما كان هاهنا - يعني بالبصرة- أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهنأ من معقل بن يسار.

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٥١، ومسلم ١٤٢/٢٢٧.

(٢) أخرجها البخاري ٧١٥٠ عن ابي نعيم. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٢٦٠.

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث ١٤٢/٢٢٩، بدون رقم من حديث أبي المليح عامر بن أسامة، عن معقل. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٢٦١.

(٤) لفظ مسلم: (أمر) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣٨٣/١، رقم ٦١٥.

(٥) (لهم) لا توجد عند مسلم، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٦) أخرجه مسلم (٧٦-١٨٥٨).

مات في آخر خلافة معاوية، وقيل: في خلافة يزيد. ذكره البخاري في التاريخ الأوسط فيمن مات بين الستين إلى السبعين، حديثه في الصحيحين والسنن[١].

غريب الألفاظ:

يسترعيه: يستحفظه[٢].

رعية: كل من شمله حفظ الراعي ونظره[٣].

يحطها: يكلؤها ويصنها[٤].

لا يَجْهَد لهم: لا يستفرغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في رعاية مصالح الرعية[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول ترهيب من ولي أمور الناس ثم قصَّر فيها، أو ضيعها، وقد جاء في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء لقصر الراعي الغاش على تحريم الجنة مما يعني ضمنا أنه من أهل النار، وقوله (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً) أسلوب نفي مستغرق للجنس عن طريق وقوع النكرة (عبد) في سياق النفي وسبقها بحرف الجر (من)، والتعبير بالعبد للتذكير بالأصل حتى لا يغريه المنصب فيظن نفسه أفضل منهم فيتكبر على رعايتهم، والقيام بأمورهم، والتعبير بالفعل (يسترعي) أي يطلب منه رعايته، ونسبته لله إشارة إلى أن الله هو الذي ولاه، رعايتهم وبالمنطق العقلي سيحاسبه على ما

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٤/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧٤ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٢٤/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٧٣، والسير ٥٧٦/٣ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٦/٧ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٢١/٤ والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٧١/٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٨١٥/٣.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٢٨٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٦٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/١٣.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٥.

ولاه، وقوله (يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ) أي يدركه الموت وهو على حالة الغش، والتعبير باسم الفاعل (غاش) للدلالة على الثبوت، والدوام في الغش، وتكرار الفعل (يموت) في صورة المضارع يصور الوالي الغاش في لحظة الفراق بين الدنيا، والآخرة، يصارع الموت، وما غش الناس من أجله من ملك، أو جاه، ومال لا يغني عنه شيئا، بل يكون حسرات عليه، وهو يرى ما ضيع فيه عمره، ودينه وهو يفارقه دون رجعة، إلى نار دون خروج لأنه حرم نفسه جنة لا تزول بسبب غشه لرعيته، مما يجعل كل مسئول عن قليل، أو كثير يفكر في من تحت يده ما حالي معهم؟!

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث وجوب النصيحة على الوالي لرعيته والاجتهاد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم، وفي قوله ﷺ: "ويموت يوم يموت وهو غاش" دليل على أن التوبة قبل حالة الموت نافعة)[١].

وقال الصنعاني: (والأحاديث دالة على تحريم الغش وأنّه من الكبائر لورود الوعيد عليه بعينه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عظم المسؤولية في الإسلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النصح للمسلمين والإخلاص في ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان مسئولية ولي الأمر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عظم المسؤولية في الإسلام:

إن من المعاني العظيمة التي يغرسها الإسلام في نفوس أتباعه حاكمين ومحكومين مبدأ التبعة والمسؤولية عن التصرفات والأعمال، ويتضح هذا مما جاء في الحديث "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة".

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١٢/١٨١.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٦٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٢٨.

قال ابن حجر: قال ابن بطال هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة، ومعنى حرم الله عليه الجنة، أي أنفذ الله عليه الوعيد، ولم يُرْض المظلومين عنه، وقد جاء في هذه الرواية وهو غاش لرعيته، وفي رواية أخرى فلم يحطها بنصحه، والحاصل فيهما أنه أثبت الغش في إحداهما، ونفى النصيحة في الأخرى، فكأنه لا واسطة بينهما، ويحصل ذلك بظلمه لهم بأخذ أموالهم أو سفك دمائهم، أو انتهاك أعراضهم وحبس حقوقهم، وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهم، وبإهمال إقامة الحدود فيهم، وردع المفسدين منهم وترك حمايتهم[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم المسئولية في الإسلام، وقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((كلُّكم راعٍ، وكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ))[2].

ولعظم المسئولية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[3]، وحذر الله من خيانة الأمانة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]، قال الدكتور دراز: "إن المسئولية تفترض الإلزام سلفاً، وإن ذلك ينتج عنه من ناحية أن الحساب يجب أن يكون موضوعه الطريقة التي تم بها أداء عمل إلزامي، أو إهماله وسواء كان الإنسان مسئولاً أمام نفسه أم أمام الإنسان أم أمام الله سبحانه، فإنه يبقى مسئولاً"[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٥٤، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٥) دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، تحقيق وتعريب، د. عبدالصبور شاهين ١٤٠-١٤١.

وقد جاء في موسوعة نضرة النعيم: "من المبادئ التي قررها الإسلام قصر المسؤولية على المسئول وحده، فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يداه، أو نسب إليه. وقد كان التشريع اليوناني القديم يقضي بالإعدام على المجرم نفسه، وعلى جميع أفراد أسرته في الخيانة العظمى وفي انتهاك الأشياء المقدسة، وحماية للإمام المسلم من الانزلاق في الظلم جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، والراعي والرعية يَدان تتعاونان على خير الأمة ورعاية مصالحها وكفالة الأمن على حياة الناس وأعراضهم وأموالهم، ولا يستقيم أمر الأمة، ولا تتسق شئونها إلا إذا قام كل من الحاكم والمحكوم بمسئولياته، وأخلص المعاونة لصاحبه، ولكي تنجح الأمة في مسيرتها، وتحقق غايتها لابد من أن ينهض كل بمسئولياته"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النصح للمسلمين والإخلاص في ذلك:

إن الإسلام يدعو أفراد المجتمع المسلم إلى التناصح فيما بينهم، وتقديم المشورة لمن يستشير، ويتضح هذا من الحديث مما جاء في رواية "فلم يحطها بنصحه" وفي رواية: "ثم لا يجهد لم وينصح لهم" قال الطيبي: يعني أن الله تعالى إنما ولاه واسترعاه على عباده ليديم النصيحة لهم، لا ليغشهم فيموت عليه، فلما قلب القضية استحق أن لا يجد رائحة الجنة، قال القاضي عياض: (من قلده الله تعالى شيئاً من أمور المسلمين، واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضييع حقوقهم، وما يلزمه من أمور دينهم أو دنياهم، أو غير ذلك فقد غشهم. وتحريم دخول الجنة عليه إما أنه محمول على المستَحِلّ أو أنه محرم عليه دخولها مع الفائزين السابقين)[3].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٠٤/٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٩٤/٧.

وما من شك في أن النصيحة واجبة وقد جاء في الحديث عن تميم الداري ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[(١)]. وجعل الرسول ﷺ النصيحة من حقوق المسلم لأخيه المسلم فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))[(٢)].

قال النووي: (وقوله ﷺ: "إذا استنصحك" فمعناه طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه، ولا تداهنه ولا تغشه، ولا تمسك عن بيان النصيحة والله أعلم)[(٣)].

وقال ابن رجب: (وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك في دنياه كرخص أسعارهم، ويحب صلاحهم وإلفتهم ودوام النعم عليهم ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم)[(٤)].

وقال ابن حجر: (والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم. والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه)[(٥)].

---

(١) اخرجه مسلم ٥٥.

(٢) اخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٥٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢/١

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٧/١.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ"، وفي رواية "لم يجد رائحة الجنة"، وفي رواية "إلا لم يدخل الجنة معهم"، وما من شك في أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة الناجعة في رد النفس إلى الحق، وكبح جماحها عن المعصية والرزيلة، (ومن الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى فطر النفوس الإنسانية على الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة، وعلى الحرص الشديد على الابتعاد عما ينالها منه ألم أو مضرة أو خسارة، أو شيء مما تكرهه وتنفر منه، والمطلوب من الداعية إيصال المدعو إلى الوثوق بصدق ما يقدم له من وعد مؤجل بثواب عظيم، والوثوق بصدق ما ينذر به من وعيد عظيم على المعصية ومخالفة الأوامر والنواهي)[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾[2].

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان مسئولية ولي الأمر:

إن الإمارة أمانة ومن ثم كان ولي الأمر مسئولاً عن رعيته وعن النصح لهم، ويتضح هذا من سياق الحديث ورواياته فولى الأمر مسئول عن رعيته وهذا هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية.

قال القاضي عياض: (وهذا الحديث وما في معناه بيِّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلّده الله شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم ونصبه خليفة لمصلحتهم، وجعله واسطة بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه، ولم ينصح فيما قُلِّده واستخلف عليه إما بتضييع لتعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به والقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل مُتصد لإدخال داخلة فيها، أو

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني ٦٢٥/١.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٣٠-٣٤.

تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم - فقد غشهم. وقد نبه ﷺ أن ذلك من كبائر الذنوب الموبقة المبعدة عن الجنة إذا دخلها السابقون والمقربون، إن أنفذ الله عليه وعيده الموجب لعذابه بالنار، أو إيقافه بالبرزخ والأعراف المدة التي يشاء الله تعالى، أو يحرم الجنة رأساً إن فعل ذلك مستحلاً)[١].

قال ابن تيمية: (والواجب على الوالي المسلم أن يجتهد في القيام بمسئولياته حسب وسعه، فمن ولى ولاية يقصد بها طاعة الله، وإقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين، وأقام فيها ما يمكنه من الواجبات واجتناب ما يمكنه من المحرمات بما يؤاخذ يما يعجز عنه، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار)[٢].

قال أبو يعلي الفراء: (ومما يلزم الإمام من أمور الأمة حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل. ويلزمه تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم حتى تظهر النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم، وحماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين، ويلزمه إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك ويلزمه استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة، ويلزمه أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغش الناصح. ويلزمه تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً، ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد)[٣].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٤٤٦ - ٤٤٧.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ١٤٢.

(٣) الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي ص ٢٧، ٢٨.

الحديث رقم (٦٥٥)

٦٥٥- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول في بيتي هَذَا : ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ امْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارفُقْ بِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فشق عليهم: من المشقة وهي الشدة والثقل والجهد[2].

الشرح الأدبي

في الحديث التالي يسلك الرسول ﷺ في تقويمه للخطأ مسلكاً خاصاً يتسم بالعموم، و ينزع في علاجه منزعاً نفسياً بحتاً من خلال أساليب بلاغية بلغت القمة في الترهيب، والترغيب ببراعة، ودقة، وهو بصدد تقويم خطأ المشقة على الناس ممن تولى أمراً من أمورهم، وصارت حاجة الناس إليه، ومصالحهم في يده، وقد استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية منها:

١- أساليب النداء، وقد جاء بصيغة خاصة هي (اللهم) وهذه الصيغة لها خصوصية علي غيرها حيث أنها - دائما- تتصدر العظائم، وإذا كان النداء عامة يتصدر الأمور المهمة علي اختلاف المنادَي والمنادي فإن صيغة (اللهم) تتصدر أعظم ما ينادى من أجله، وتختص بأعظم منادَىَ، وليدة لحظات القرب، والتعلق بالله خوفاً من ضر، أو رجاءً في خير، وقوله الرسول ﷺ (اللهم من ولي من أمر أمتي) بصيغته هذه للتوجه إلي الله توحي بعظم ما سيليها وأنه يستحق الاهتمام والإنصات وتحقق للأسلوب عدة فوائد: تحقيق اللفت، والتنبيه، و تحقيق الإنصات المهد لبلوغ الخبر لأسماع المخاطبين،

---

(١) برقم ١٨٢٨/١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٥٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

وتحقيق الترقب، والتشويق الباعث علي متابعة الخبر حتى النهاية، وتبعث مشاعر الوجل، والرهبة، والإشفاق بمعونة باقي السياق، وهذا النداء في إطار تقويم الخطأ سوط مشهر يدوى خلف كل من ولي شيئا من أمور الناس يحميه من نفسه الأمارة بالسوء، ويحمى الناس من جوره عليهم.

٢- أسلوب الشرط في قول (من ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه) وجملة الشرط هي قوله (من ولى من أمر أمتي شيئا) بما عطف عليها في قوله (فشق عليهم) وهى توجه جملة الترهيب، وقذفة الوعيد المنبعثه من النداء الخاص في (اللهم) وما تبعها إلى ولاة الأمور، وساسة الناس، وهذا التوجيه من الرسول ﷺ يجعل الأسماع تطرق، والقلوب تخشع لمعرفة خبرهم، أو وجلاً من إدراك سهم الدعاء المنطلق من كنانة مَنْ لا تخطيء له رمية صوب من هذه صفتهم، وهذا الترقب، والإشفاق مبعثه أسلوب الشرط علاوة على ما حملت جملة الشرط من ألفاظ تدل علي المشقة المتداركة بالعذاب من الله.

ثم إضافة الرسول ﷺ الأمة لنفسه، والذي يوحي بشمول الحكم لكل من انطبقت عليه الصفة لكونهم جميعا من أمته ﷺ حتى إذا جاءت جملة الجواب (فاشقق عليه) معطوفة علي سابقتها (فشق عليهم) جزاء من جنس العمل غير أن مشقة الله عذاب لا يتصور، ولعنة تطاردهم في كل موقف حتى تسلمهم في قيد المشقة لزبانية جهنم- أو ما شاء الله.

وعلي النقيض من السهم المنطلق من كنانة الرسول ﷺ تجاه الوالي الذي يشق علي رعيته في جملة الشرط الأولى تجد الصورة الثانية طي جملة الشرط (ومن ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به) تتبعث ورودا هفافة ومشاعر رفرافة، وعبقاً يحيط بالوالي الرفيق ينبعث من دعوة الرسول ﷺ في كل مكان وزمان، حتى يستقر في ظل عرش الرحمن معه بطاقة مكتوب فيها (وإمام عادل).

١- التنكير، وهو في إطار تقويم الخطأ يسوِّى كل صغير وكبير في الحكم في كلمة (شيئاً) وتنكيرها يفيد التقليل الإشارة إلي أن الحكم ينال كل من ولي من

أمر المسلمين قليلاً أو كثيراً، ورغم بساطة هذه اللمسة البلاغية في التركيب إلا أنها كانت في استيعابها أعظم مما يتصور، فلم تدع هذه اللمحة شخصاً ذا رتبة، أو منصب في المجتمع المسلم يباشر من خلاله أمراً صغر، أو كبر إلا، وجعلت دعوة الرسول ﷺ سيفاً علي رقبته إن شق؛ أو نبع حنان إن رق، واستخدام كلمة من في قوله (من أمر) استغراق للعمل الصغير، والكبير.

٤- الطباق بين مادة (الشق) في قوله (من ولي من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشفق عليه) وبين مادة (الرفق) في قوله (ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به) تبدو فيه براعة الرسول ﷺ في وضع الضد بإزاء الضد حتى يتضح مدى الفارق بين والٍ تطارده المشقة أينما حل بمشقته على رعيته وبين والٍ تحيط به رحمة الله برفقه على من وليهم، وهذا الأسلوب له بُعد نفسي يتمثل في مراجعة الوجدان مرة بعد مرة لكلتا الصورتين يرى من خلالها المخاطب المنوط بالحكم دعوة الرسول ﷺ لعنة تطارده إن شق في ولايته بينما يرى الرفيق دعوة الرسول ﷺ رحمة تغمر قلبه وترضى ربه كلما رَق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اهتمام النبي ﷺ وشفقته على أمر أمته.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: رفع الحرج ودفع المشقة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

خامساً: من صفات الداعية: الرفق.

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث " يقول في بيتي هذا"، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين، وتبين مدى ثقة الداعي فيما يقول وتمكنه منه ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[1]، وقوله سبحانه:

---

(١) سورة النبأ، آية: ٣١.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[(١)].

قال ابن عثيمين: (والتوكيد معناه: التقوية والتثبيت فيقال مثلاً: وكّد الحديث أو أكّد الحديث، ويقال وكّد الخبر أو أكّد الخبر وما أشبه ذلك. إذن هو التقوية وله ألفاظ مخصوصة ومعينة في اللغة العربية وتعيينه علم بالتتبع والاستقراء)[(٢)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اهتمام النبي ﷺ وشفقته على أمر أمته:

إن الرسول الكريم ﷺ شفيق رحيم بأمته ويظهر هذا من الحديث في قول النبي ﷺ: "اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به"، ومما لاشك فيه أن النبي ﷺ رحيم بأمته قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)].

قال السيوطي: (قال قتادة: جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه من النبوة والكرامة، عزيز عليه عنت مؤمنهم، حريص على ضالهم أن يهديه الله، بالمؤمنين رءوف رحيم، وعن ابن عباس قال: شديد عليه ما شق عليكم حريص عليكم أن يؤمن كفاركم)[(٤)].

وبيّن الله تعالى شفقة النبي ﷺ ورحمته فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[(٥)]، ومما يدل على شفقة النبي ﷺ واهتمامه بأمته ما جاء عن مالك بن الحويرث قال: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عشرينَ ليلةَ، وكانَ رسولُ

---

(١) سورة الفجر، آية: ٢١.

(٢) شرح الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين ص ٢٦٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١٤/٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الله ﷺ رَحِيماً رَقِيقاً، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قد اشْتَهَيْنَا أَهْلِينَا واشْتَقْنَا، سأَلَنَا عمن تَرَكْنَا بعدنا، فأخبرناهُ فقالَ: ((ارجعُوا إلى أهاليكُمْ فأقيمُوا فيهمْ وعلِّمُوهمْ ومروهُمْ))[1].

ومما يدل على شفقته وحرصه ﷺ على أمته ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[2]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[3]. أما يوم العرض فكامل شفقته ﷺ بأمته، لقوله ﷺ: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة"[4].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: رفع الحرج ودفع المشقة:

إن الشريعة الإسلامية جاءت برفع الحرج ودفع المشقة عن الناس والتيسير عليهم، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "فشق عليهم فاشقق عليه"، قال النووي: (وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تكاثرت وتظاهرت النصوص الشرعية على هذا)[5].

ولا شك أن من أهم أهداف الدعوة رفع الحرج عن الناس، ودفع المشقة عنهم قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[6]، قال ابن كثير: (أي: ما كلفكم ما لا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨، ومسلم ٦٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥

(٦) سورة الحج، آية: ٧٨.

تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً، ومما يدل على ذلك الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات)[(١)].

وقال: ابن عاشور: (بين سبحانه تفضيل هذا الدين المستتبع تفضيل أهله بأن جعله ديناً لا حرج فيه لأن ذلك يسهل العمل به مع حصول مقصد الشريعة من العمل فيسعد أهله بسهولة امتثاله، وقد امتن الله بهذا المعنى في آيات كثيرة من القرآن)[(٢)].

وفي بيان رفع الحرج وتيسير الشرع قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾[(٣)]، وقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[(٤)]، ولهذا (كان من مظاهر عدم الحرج في الشريعة الإسلامية، ونتيجة له قلة التكاليف التي كلف الله بها عباده، إذ في كثرة التكاليف من الحرج ما يضعف النفس ويورثها الملل والانقطاع عن الأعمال النافعة، وقد تكرم الله برفع ذلك)[(٥)].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث جاء في الحديث "فاشقق عليه" وهذا ترهيب، "فارفق به" وهذا ترغيب، وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة النافعة التي تكون سبباً في حمل المدعوين على الخير وبعدهم عن الشر، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والترهيب كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[(٦)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٤٥٥/٥.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣٤٩/١٧/٧.

(٣) سورة المائدة، آية : ٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز عزام، ١٣.

(٦) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ١٦٠.

خامساً- من صفات الداعية: الرفق:

يتضح هذا من سياق الحديث ورفق النبي ﷺ بأمته، وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[1]، وفي الحديث أيضاً عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ))[2]. والدعاة أحوج الناس إلى أن يتصفوا بالرفق (فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ)[3].

قال أبو حامد الغزالي: (اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة. فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه. قال سفيان الثوري لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور مواضعها: الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه، وهذه إشارة إلى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السيفِ ... مُضِرّ كوضعِ السيف في موضع [4]

فالمحمود وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدَّة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف)[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٢.

(٣) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ٤٨.

(٤) خزانة الأدب. قافية الأدب ١/ ٢٠٠، نفح الطيب ١/ ٢٨٧، يتيمة الدهر ١/ ٢٥١.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣/ ١٨٤-١٨٥.

الحديث رقم (٦٥٦)

٦٥٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((كَانَتْ بَنُو إسرائيلَ تَسُوسُهُم الأَنبيَاء، كُلَّمَا هَلَكَ نَبيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ، وَإنَّهُ لاَ نَبيَّ بَعدِي، وَسَيكُونُ بَعدِي خُلفَاءُ فَيَكثُرُونَ))، قالوا: يَا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: ((أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل، ثُمَّ اعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ (وَاسأَلُوا الله الَّذِي لَكُمْ)[1]، فَإنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ)) متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تسوسهم: من السياسة وهي القيام على الشيء بما يصلحه والمراد: يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية[3].

البَيْعة: المعاقدة والمعاهدة والتولية وبذل العهد على الطاعة والنصرة. كما أنها عقد بين الأمة والحاكم يرتب على كل منهما تجاه الآخر حقوقاً وواجبات[4].

استرعاهم: استحفظهم[5].

الشرح الأدبي

البداية بالفعل الماضي كان عودة في الزمن لنقل خبر محقق الوقوع سابق للحديث وتعلقه ببني اسرائيل يعطيه طرافة تجذب المخاطبين لعجيب ما أحدثوا مع أنبيائهم، وقوله (تسوسهم الأنبياء) أي تحكمهم وتتولى إمرتهم وقوله (كُلَّمَا هَلَكَ نَبيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ)

---

(١) هذه الزيادة ليست عندهما، وإنما هي عند إسحاق بن راهويه في مسنده ٢٥٦/١، رقم ٢٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٥، ومسلم ١٨٤٢/٤٤ ولفظهما سواء، بدون الزيادة.

(٣) شرح مسلم ١١٩٣.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٩٥.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٢٨٩.

أسلوب شرط يربط هلاك نبي بخلف نبي، وبين الهلاك والخلاف طباق يؤكد تتابع الأنبياء على حكمهم دون فترة يتخللها حكم غيرهم وقوله (وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي) أسلوب نفي مؤكد بحرف التوكيد وضمير الشأن الذي يؤذن بتفخيم ما بعده، وهو خبر انقطاع النبوة بموت الرسول ﷺ (وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ) السين المتصلة بالفعل تدل على المستقبل القريب، وهو من معجزاته ﷺ حيث أخبر بما كان في الماضي وما يكون بعده في المستقبل يدل على ذلك الظرف المضاف لياء المتكلم (بعدي) والخلفاء جمع خليفة وهو ما يتلو السابق، وقول الصحابة: (فَمَا تَأْمُرُنَا؟) يشير إلى أنهم فهموا أنه سيكون هناك خلاف، وهو ما دل عليه قوله (فيكثرون) وقوله (أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل، ثُمَّ أعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ) التعبير بالوفاء يشير إلى الطاعة وتسليم الحق لأهله والترتيب، والتعقيب المفهوم من الربط بالفاء في قوله (الأَوَّل فَالأَوَّل) يشير إلى عدم مبايعة خليفة في وجود خليفة؛ لأن ذلك شق مباشر لوحدة الأمة التي تضعف كيانها، وتضيع البلاد، والعباد كما حدث بعد، وبين قوله (وَاسْأَلُوا... سَائِلُهُمْ) جناس يؤكد المعنى الذي يخص كل فرد بما يسأل عنه بعد الوفاء بما عليه.

فقه الحديث

١- جواز القول هلك فلان (قال النووي في هذا الحديث جواز قول هلك فلان إذا مات، وقد كثرت الأحاديث به، وجاء في القرآن العزيز قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً﴾[(1)])[(2)].

٢- تقديم أمر الدين على أمر الدنيا، لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة[(3)].

---

(١) سورة غافر، آية: ٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤/١٢/٦.

(٣) المرجع السابق ١٩٤/١٢/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٧/٦.

٣- حكم بيعة الأول:

إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة، قال النووي: (سواءً عقدوا للثاني عَالِمين بعقد الأول أم لا، سواءً كانوا في بلد واحد أو أكثر. سواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا. هذا هو الصواب الذي عليه أصحابنا وجماهير العلماء، وقيل: تكون لمن عقدت له في بلد الإمام دون غيره، وقيل: يقرع بينهما، قال: وهما قولان فاسدان.

واتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد سواء اتسعت دار الإسلام أم لا، وقال إمام الحرمين في كتابه الإرشاد: قال أصحابنا: لا يجوز عقدها لشخصين، قال: وعندي أنه لا يجوز عقدها لاثنين في صقع واحد، وهذا مجمع عليه. قال: فإن بعد ما بين الإمامين وتخللت بينهما شسوع فللاحتمال فيه مجال، قال: وهو خارج من القواطع، وحكى المازري هذا القول عن بعض المتأخرين من أهل الأصل، وأراد به إمام الحرمين، وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف، ولظواهر إطلاق الأحاديث)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وذهب المالكية إلى أنه إذا تباعدت البلاد وتعذرت الاستنابة، جاز تعدد الأئمة بقدر الحاجة، وهو قول عند الشافعية)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: سياسة الأنبياء لبني إسرائيل.

ثانياً: من وسائل الدعوة: البيعة وأهمية الوفاء بها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين.

رابعاً: من حقوق المدعو: مناصحة الحاكم المسلم بالحسنى والرفق.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤/١٢/٦.

(٢) جواهر الإكليل ٢٥١/١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٧/١٠، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٢/٤ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٦/٦).

اولاً- من تاريخ الدعوة: سياسة الأنبياء لبني إسرائيل:

حيث جاء في الحديث "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء"، وهذا يعتبر من تاريخ الدعوة الذي يجب أن يستفيد منه الدعاة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، قال النووي: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء" أى يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه)[2]، وقال ابن حجر: (تسوسهم الأنبياء، أى أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم، ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة، وينصف المظلوم من الظالم)[3].

ولعل من أبرز الأنبياء الذين ساسوا بني إسرائيل وجمعوا بين النبوة والملك فيهم هو نبي الله داود وابنه سليمان، وقد أنعم الله عليه أيضاً بالنبوة والملك وآتاه الحكمة. ولقد صور القرآن الكريم سياسة الأنبياء لبني إسرائيل فيما جاء في قصة طالوت وجالوت، قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وفي هذه المعركة كان طالوت قائدًا عليهم ومعه داود عليه السلام وهو الذي قتل جالوت.

قال عفيف عبدالفتاح طبارة: (اجتاز طالوت النهر مع الذين صبروا على العطش والتعب. وقال الفريق المؤمن منهم كم حدث أن جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة العدد

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٧٣/٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤٦.

بإذن الله فلنصبر على لقاء العدو فإن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد. ولما خرج المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا إلى الله ضارعين أن ينصرهم على أعدائهم فاستجاب الله دعاءهم، وقتل داود جالوت، وأعطاه الله ملك بني إسرائيل وعلّمه ما شاء من علم وحكمة)[١].

ثانياً- من وسائل الدعوة: البيعة وأهمية الوفاء بها:

إن وسائل الدعوة متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل البيعة حيث جاء في الحديث "أوفوا ببيعة الأول فالأول" وإن البيعة وسيلة هامة من وسائل الدعوة، قال ابن الأثير: (والبيعة عبارة عن المعاقدة والمعاهدة على أمرٌ كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[٢].

وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب الوفاء بالبيعة التي هى العهد والوعد، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٣]. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٤]. وإذا كانت البيعة معاهدة ومعاقدة على أمر فإن الله تعالى قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[٥].

قال أبو بكر الجزائري: (يأمر الله المؤمنين بأمر عظيم هو الوفاء بالعهود والعقود وأولها الوفاء بالعهود التي بينهم وبينه سبحانه ومثلها في وجوب الوفاء بها عهود الناس فيما بينهم، إذ الكل أمر الله تعالى بالوفاء به لاسيما العهود الموثقة بالأيمان وما كان متعلقاً بحقوق الناس)[٦].

---

(١) مع الأنبياء في القرآن ٢٨٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٨.

(٣) سورة النحل، آية: ٩١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٥) سورة المائدة، آية: ١.

(٦) نداءات الرحمن لأهل الإيمان ص ٧٦.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين:

إن من الأمور الهامة التي تستقيم بها الدول السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين وعدم المنازعة ويتضح هذا مما جاء في الحديث "ثم أعطوهم حقهم"، قال ابن حجر: (أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم)(١). وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾(٢).

قال ابن كثير: (فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ولهذا قال: "أطيعوا الله" أى اتبعوا كتابه، "وأطيعوا الرسول" أى خذوا بسنته، "وأولي الأمر منكم" أى فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله)(٣). وقد جاء في الحديث الشريف: ((السمعُ والطاعةُ على المرءِ المسلم فيما أحب وكره، ما لم يُؤمرْ بمعصية، فإذَا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة))(٤).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللّه . وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللّهَ. وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي))(٥).

قال القاضي عياض: (إن الله تعالى أمر بطاعة رسوله فمن عصاه فقد عصى أمر الله، وأمر الرسول بطاعة أميره فمن عصاه فقد عصى أمر رسوله. ولا خلاف في وجوب طاعة الأمراء فيما لا يخالف أمر الله وما لم يأمر بمعصية. وقد جاء في الأحاديث السمع والطاعة في المنشط والمكره، وهذا يدل على وجوبها فيما يشق ويكره في باب الدنيا لا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٤/٦

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٣٥.

فيما يخالف أمر الله، وقد جاء في الأحاديث: السمعُ والطاعةُ وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف، وإنما أشار بهذا الوصف إلى أدنى العبيد السود، ووحشهم ووغدهم لاستعمالهم في الرعية للإبل وغليظ الخدمة، فقد تتقطع أصابع أرجلهم من خشونة الأرض وشديد الأعمال، على طريق المبالغة في طاعة الأمراء كيف ما كانوا من شرف أوضعة. والطاعة تكون فيما لم يخالف أمر الله)[1].

وقال محمد تقي العثماني: (ومن مبادئ السياسة الإسلامية العظيمة مبدأ طاعة الأمير، وأن المسلم يجب عليه أن يطيع أميره في الأمور المباحة فإن أمر الأمير بفعل مباح، وجبت مباشرته، وإن نهى عن أمر مباح حرم ارتكابه لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]. فلو كان المراد من إطاعة أولي الأمر إطاعتهم في الواجبات الشرعية فحسب لما كان هناك داع لاستقلالهم بالذكر في هذه الآية لأن إطاعتهم في الواجبات الشرعية ليست إطاعة لأولي الأمر وإنما هي إطاعة لله ورسوله، فلما أفردهم الله سبحانه بالذكر ظهر أن المراد إطاعتهم في الأمور المباحة. ومن هنا صرح الفقهاء بأن طاعة الإمام فيما ليس بمعصية واجبة. وهذه الطاعة كما أنها مشروطة بكون أمر الحاكم غير معصية، فإنها مشروطة بكون الأمر صادراً عن مصلحة لا عن هوى أو ظلم، لأن الحاكم لا يطاع لذاته، وإنما يطاع من حيث كونه متولٍ لمصالح العامة)[3].

رابعاً- من حقوق المدعو: مناصحة الحاكم المسلم بالحسنى والرفق:

إن المجتمع الإسلامي يقوم على التناصح والتواصي فيما بين أفراده حكاماً ومحكومين ورؤساء ومرءوسين، ومن حقوق المدعو مناصحة ولي الأمر، ولكن ينبغي أن يكون ذلك بالحسنى والرفق، ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "واسألوا الله الذي لكم" هذا، وقد جعل الرسول الكريم أمر الدين يقوم على النصيحة، فمن تميم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٢٤٠-٢٤٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) تكملة فتح الملهم ٩/٢٦٨، ٢٦٩

الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الدِّينُ النّصيحةُ» ثلاثاً، قُلْنا: لمنْ يا رسولَ اللّهِ؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّةِ المُسْلمين وعامَّتهِمْ))[١].

قال ابن رجب الحنبلي: (وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحُب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل. ومن نصيحتهم - كما قال أبو عمرو ابن الصلاح- معاونتهم على الحق، وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك)[٢].

(ومن الأمور الهامة الرفق في نصيحة ولاة الأمر. "فمن أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِ له علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه، وقد قال الله تعالى خطاباً لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٣]، وإذا كان الرفق في النصيحة واجباً مع العامة فهو مع الحكام أوجب، لما لهم من حقوق، الاحترام والتوقير، ولما نتوخى منهم ويرجى لهم من القبول والاستجابة)[٤].

قال ابن مفلح: (ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظاً له وتخويفاً أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة. قال ابن الجوزي: الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: ياظالم، يامن لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير، لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء. قال: والذي أراه المنع من ذلك لأن المقصود إزالة المنكر،

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢/١، ٢٢٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣-٤٤.

(٤) النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري، ١٣٦.

وحمل السلطان بالانبساط عليه على فعل المنكر أكثر من فعل المنكر الذي قصد إزالته. وأما ما جرى للسلف من التعرض لأمرائهم فإنهم كانوا يهابون العلماء فإذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الأغلب. وقال سفيان: ينبغي لمن وعظ أن لا يعنف، ولمن وعظ أن لا يأنف، ويذكر من يعظه ويخوفه ما يناسب الحال، وما يحصل به المقصود، ولا يطيل ولكل مقام مقال، ولكل فن رجال. ولقد وعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال له: إن الله عز وجل لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعل فوق شكرك شكراً)[1].

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ١/١٩٧، ١٩٨.

الحديث رقم (٦٥٧)

٦٥٧- وعن عائِذ بن عمرو رضي الله عنه: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْد اللهِ بن زِيادٍ، فَقَالَ لَهُ: أيْ بُنَيَّ، إنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ شَرَّ الرِّعَاء الحُطَمَةُ)) فإيَّاكَ أن تَكُونَ مِنْهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عائذ بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩٢).

غريب الألفاظ:

الرِّعاء: جمع راعٍ.

الحُطمة: العنيف برعاية الإبل في السَّوق والإيراد والإصدار، ويُلقى بعضها على بعضٍ ويسعفها، ضربَه مثلاً لوليّ السُّوء[2].

الشرح الأدبي

قوله (: أيْ بُنَيَّ) نداء تودد، وشفقة، وعطف ينبيء عن محبته له، وقوله (إنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول) يشير إلى توثيق الخبر؛ لأنه سمع من الرسول بنفسه فهو أوثق ممن نقله عن غيره، وقول الرسول ﷺ (إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ) أي: الذي يحطم الماشية أي يكسرها، ويضربها إذا ساقها بعنف، وإذا أسامها قصَّر في إسامتها، ولم يراع ضعيفها بين قويها، وصغيرها بين كبيرها، ولم يختر لها المرتع الصالح، وتركها ترتع فيما فيه هلاكها، وهو مثل يضرب في سوء السياسة، لأنه ينبغي أن يحرص الرعي على رعايتها، والنظر فيما يصلحها في معاشها، ومعادها، وقوله (فإيَّاكَ أن نَكُونَ مِنْهُمْ) أسلوب تحذير من حال الرعاة الذين يهلكون رعيتهم بالمشقة، وتحميلهم فوق ما يطيقون، وعدم النصح لهم، والعمل على ما فيه صلاحهم معاشهم، ومعادهم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٣٠/٢٣ فقط، ولم يخرجه البخاري، ذكره الحميدي في جمعه ٣٧٦/١، رقم ٦٠٦ في أفراد مسلم، تقدم برقم ١٩٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ط م).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٩٢).

الحديث رقم (٦٥٨)

٦٥٨- وعن أَبي مريم الأزديِّ رضي الله عنه : أنّه قَالَ لِمعاوية رضي الله عنه : سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((مَنْ وَلاَّهُ اللهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ (يَوْمَ القِيَامَةِ) [١])) فجعل معاوية رجلاً عَلَى حوائج النَّاسِ. رواه أَبُو داود ، والترمذيُّ[٢] .

ترجمة الراوي:

ابو مريم الأزدي: هو أبو مريم الأزدي الفلسطيني ، وقيل إنه يقال له: عمرو بن مرة الجهني.

وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وسكن فلسطين.

شارك في الغزوات والفتوحات، وكان قائماً بالنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

قدم دمشق على معاوية، وروى له هذا الحديث فاستجاب له معاوية وجعل رجلاً لقضاء حوائج الناس كما في الحديث. وفي رواية لابن عساكر: فقال معاوية: ادعوا لي سعداً -يعني حاجبه- فقال: اللهم إني أخلع هذا من عنقي وأجعله في عنق سعد ، من جاء يستأذن عليّ فائذن له. يقضي الله على لساني ما شاء.

وأثنى معاوية على أبي مريم وقال: ما أنعمنا بك يا أبا مريم.

له حديث واحد وهو هذا الحديث[٣].

---

(١) قوله: (يوم القيامة) لا يوجد عندهما ، وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير ٢٢/٣٣١ ، رقم ٨٣٢، والحاكم في المستدرك ٤/٩٣.

(٢) اخرجه أبو داود ٢٩٤٨ واللفظ له، والترمذي ١٣٣٢ ، وصححه الحاكم في المستدرك ٤/٩٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٦٤.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٦/٢٧٩ ، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيني ٢/١٥٥٢ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٤٢٥ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٥٨٦.

غريب الألفاظ:

فاحتجب: امتنع من الخروج أو من الإمضاء عند احتياجهم إليه[(١)].

خَلَّتهم: حاجتهم الشديدة والمعنى: منع أرباب الحوائج أن يدخلوا عليه ويعرضوا حوائجهم[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الترهيب لمن ولي أمرا من أمور المسلمين ثم قصَّر فيما ولاه الله، ومنع نفسه عنهم، وقد جاء المعنى في ثوب الشرط الذي يقرر أن الجزاء من جنس العمل لأنه يربط عمل العبد بجزائه عطاءً بعطاء، أو منعاً بمنع في قوله: (مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ومن اسم موصول متضمن معنى الشرط، وجملة الشرط هي قوله: (وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ) ونسبة التولية لله إشارة إلى أنه عطاء الله له، وتكليف منه يلزم عنه أنه يحاسبه عليه، وتنكير (شيئا) يفيد العموم حتى يدخل تحت الحكم من ولي قليلا، أو كثيرا من أمور المسلمين وحتى لا يظن ظآن أن الوعيد مختص، بالخلفاء، والأمراء فقط دون من ولي ما هو أقل من شؤون المسلمين، وجملة الجواب قوله: (احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وهو جزاء من جنس عمله له بعد نفسي يجعل الوالي إذا ما فكر في منع الناس عنه يرى أنه يمنع عن نفسه رحمة الله، وعطائه، وجنته، وتقييد الاحتجاب بيوم القيامة يرفع درجة الترهيب لأنه يوم لا ينفع فيه غير الله فماذا يفعل إذا احتجب عنه.

فقه الحديث

اتخاذ القاضي أو الأمير حاجبًا:

لا يجوز للقاضي أن يحتجب عن الناس من غير عذر إلا في أوقات استراحته، لحديث الباب.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ١٢٥٣.

(٢) المرجع السابق ١٢٥٣.

وكره الشافعية والحنابلة أن يتخذ القاضي حاجبًا، لأن حاجبه ربما قدم المتأخر وأخر المتقدم، فإن دعت حاجة إلى ذلك اتخذ أمينًا بعيدًا من الطمع.

وأجاز المالكية والحنفية أن يتخذ القاضي حاجبًا لمنع دخول من لا حاجة له وتأخير من جاء بعد، حتى يفرغ السابق من قضيته.

أما الأمير فإنه يجوز له أن يتخذ حاجبًا، لأنه ينظر في جميع المصالح، فتدعوه الحاجة إلى أن يجعل لكل مصلحة وقتًا لا يدخل فيه أحد[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الراعي عن حاجات رعيته.

ثالثاً: من صفات النبي ﷺ: الشفقة والحرص على مصالح أمته.

رابعاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الرسول ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن الداعية الناجح هو الذي يستفيد من الأساليب الدعوية في هداية المدعوين وإرشادهم، ومن أساليب الدعوة الترهيب، حيث جاء في الحديث "احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة"

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يحذر من الوقوع في المخالفات الشرعية، باعتبار أن النفس البشرية بطبيعتها تخاف العقاب وتخشاه، ولابد

---

(١) أدب القضاء لابن أبي الدم ٦٠-٦١، وحاشية الدسوقي ١٣٨/٤، وجواهر الإكليل ٢٢٣/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ١١٤/٦، والمهذب ١٣٩/١١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٣٩/١١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢٤١/٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١٣/٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٦/٩ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٤/١٦-٢٤٦، ٩/١٧).

للنفس من الثواب والعقاب والترغيب والترهيب، حتى تستقيم على الطاعة وتثبت على الحق "ولما كان الترهيب أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، كان لابد أن يكون مبنياً على الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه الأمة، وعلى الداعية إذا أراد أن يرهب من معصية أن يلجأ إلى بحر الكتاب والسنة الصحيحة، فمددهما فياض بأوفى ما عرف العلم من ضروب الترهيب، وفنون الوعيد وأساليب الإنذار على وجوه مختلفة واعتبارات متنوعة، وعلى الداعية أن يجمع بين الترغيب والترهيب، ذلك لأن من طبيعة النفس الإنسانية أن تتحرك تحت عاملين متضادين، عامل الرغبة وعامل الرهبة، وكلاهما يؤثر على النفس تأثيراً تربوياً مباشراً" [1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الراعي عن حاجات رعيته:

إن الحاكم في النظام السياسي في الإسلام مسئول عن رعيته وعن قضاء مصالحها وأحوالها ويتضح هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: ((مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

ولا شك أن هذا يبين مدى مسئولية الراعي في قضاء حاجات رعيته، قال المباركفوري: (قال القاضي: والمراد باحتجاب الوالي أن يمنع أرباب الحوائج والمهمات أن يدخلوا عليه فيعرضوها له ويعسر عليهم إنهاؤها، واحتجاب الله تعالى أن لا يجيب دعوته، ويخيب آماله، وقيل: أبعده الله ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية والدنيوية،

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، ٤٠.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٤٣-٤٨.

(٣) سورة المطففين، الآيتان: ١٥-١٦.

فلا يجد سبيلاً إلى حاجة من حاجاته الضرورية)(١)، (فإن من تولى شيئاً من أمور المسلمين - أي شيء- ولو كان مالاً موروثاً فمنعه عن فقرائهم واشتغل بنفسه عنهم، وتقوقع في أنانيته القاسية، منع الله عنه الرحمة ولم يجب دعاءه ولم يحقق آماله يوم القيامة، ولما سمع معاوية هذا التحذير، عين رجلاً على حوائج الناس لإيصالها إليه وإبلاغه إياها لتخف عنه المؤنة فلا يصعب عليه الأمر، ومسارعة في تنفيذ ما يعلم من أمور الإسلام)(٢).

وقد عدّ أبو الحسن الماوردي ما يجب على الإمام فعله وما يلزمه من الأمور في عشرة أشياء، منها أن عليه: (استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة، كما أن عليه أيضًا أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين، ويغش الناصح، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٣). (فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة، ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع)(٤).

ثالثاً- من صفات النبي ﷺ: الشفقة والحرص على مصالح أمته:

إن النبي ﷺ فطره الله على معاني جليلة، وأخلاق كريمة، ومن ذلك الحرص والشفقة على مصالح الأمة، يظهر هذا من سياق الحديث ومورده، وقد بينت نصوص القرآن الكريم مدى شفقة النبي ﷺ وحرصه على مصالح أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٨٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٠٢.

(٣) سورة ص، آية: ٢٦.

(٤) الأحكام السلطانية ١٦.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال السعدي: (يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله لكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره وتعزيره)[2].

وقال الله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[3]. جاء في الدر المنثور: (يقول: "فبما رحمة من الله لنت لهم" أي والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريباً رحيماً رءوفاً بالمؤمنين، وذُكر لنا أن نعت محمد ﷺ في التوراة: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح. وعن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال: هذا خلق محمد ﷺ نعته الله)[4].

رابعاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الرسول ﷺ:

حيث جاء في الحديث "فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس"، ولا شك في أن أهم

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٨٦/٤.

واجبات المدعو الاستجابة للتوجيهات النبوية لأن فيها الصلاح والخير، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١). وقال جل شأنه: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾(٤) ولم يبح الله تعالى لمؤمن ولا مؤمنة مخالفة حكم الرسول ﷺ أو أمره، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(٥) وقد كان المسلمون الأوائل ملتزمين حدود أمره ونهيه ومتبعين له في عبادتهم ومعاملاتهم، وقد بلغ من طاعتهم للرسول ﷺ واقتدائهم به أنهم كانوا يفعلون ما يفعل، ويتركون ما يترك، ولم يجز واحد منهم لنفسه مراجعة الرسول ﷺ إلا إذا كان هناك أمر غريب عن عقولهم فيناقشونه ليعرفوا الحكمة فيه فقط كما لم يجز واحد منهم مراجعته في أمر إلا إذا كان فعله، أو قوله اجتهادًا منه في أمر دنيوي كما في غزوة بدر حين راجعه الحباب بن المنذر(٦).

وإذا كان الحال هكذا في حياة الرسول ﷺ فإنه أيضًا تجب طاعته واتباع سنته بعد وفاته، لأنه ﷺ حث المسلمين أن يطيعوه ويتبعوه في حياته وبعد وفاته إلى يوم

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣٢.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، ٦٦.

القيامة تمسكًا بالكتاب والسنة، وسيرًا على نهجهما فقال ﷺ: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ))(١).

ولقد أمر الله بالتأسي بالنبي ﷺ ومتابعته، والاستجابة لأمره، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢). قال الإمام ابن كثير: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل)(٣). ولقد تواترت النصوص الشرعية في الحث على اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦/٤ رقم ١٧١٤٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٧٥/٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٥/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإمامة العظمى مما يستقيم به أمر المجتمع، حيث تصان الحقوق والحدود، وترعى الحرمات وتطبق العقوبات، كل هذا أوجبه الدين وأقره العقل، إلا أنهم بشر، يقع منهم ما يقع من بعض البشر، ولهذا كثرت وصايا الرسول ﷺ لهم، وبين ما عليهم وما لهم، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على تحمل المسئولية:

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية غرس وتدريب المتربين على تحمل المسئولية، والقيام بالواجبات، وتحت هذا الباب أورد النووي جملة من الأحاديث التي تؤكد على هذا الجانب، ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، ...». وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... فإن الله سائلهم عما استرعاهم".

فيجب على المربي الاهتمام بتدريب المتدربين على تحمل المسئولية، إذ "أن أساس المسؤولية هو شعور الشخص المسؤول بأهليته لتحمل أعباء المسؤولية، وقدرته على الالتزام بواجباته الأخلاقية، وتحمل نتائجها، فلا يمكن للمرء أن يكون ملتزمًا بالقيم متمثلاً بها في واقع حياته ما لم يكن عنده شعور عام بالمسؤولية، ولهذا كان هذا الموضوع جديرًا بجعله أساسًا من أسس القيم، فالشعور بالمسؤولية أمر على جانب كبير من الأهمية في بناء الأفراد والمجتمعات، والشعور بالمسؤولية لفظًا مجردًا له ميادينه فهناك شعور الفرد بالمسؤولية نحو المجتمع ونحو أسرته ونحو نفسه وهناك الشعور بالمسؤولية نحو مهنته ونحو فكره، فالشخص الذي يشعر بالمسؤولية ويحس بها إحساسًا متزنًا هو شخص سعيد في حياته، لأنه يهتم بنفسه ويحترمها كما يهتم بغيره من الناس ويحترمهم، ويرغب في تحمل نصيبه من العمل وينجز التزاماته ويعتمد على

نفسه دون أن يسبب لغيره متاعب لا داعي لها، يعرف قدر نفسه ويتحمل مسؤولية آرائه وشعوره وتصرفاته"[١].

إن كل إنسان لو قام بتحمل مسؤولياته والوفاء بها لاستقامت أحوال الناس، فإن المطلوب أن يكون كل واحد تحت رعاية من يرعاه ويسأل عنه في الدنيا والآخرة.

"إن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعًا دقيقًا لتنظيم الحياة الاجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كلٍ حسب مهمته وواجباته، فبدأ بالإمام "الإمام راع ومسؤول عن رعيته"، والإمام هو المسؤول الأول في الدولة الإسلامية، وقد أوجب الإسلام عليه أن يقوم بواجبات تمثيل الأمة والوكالة عنها، وفي مقابل ذلك أوجب الإسلام على الأمة تجاهه بعض الواجبات هي كالحقوق له عليهم لأن كل واجب لابد أن يقابله حق والعكس، ومسؤولية الإمام مسؤولية ضخمة وأمانة ثقيلة فيجب على كل من وَلِيَ شيئًا من أمر المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أَصْلَح مَنْ يقدر عليه" [٢].

إن للحاكم العادل من المنزلة الشيء الكثير عند الله، وإنه في الدنيا لسعيد، وإن رسول الله ﷺ قد دعا لكل من ولي من أمر الأمة شيئًا فرفق بهم وعدل بينهم وكان أمينًا على رعاية مصالحهم مجهدًا نفسه من أجل إسعادهم.

وكما دعا لهؤلاء فقد دعا لمن خالف ذلك وبخاصة من ظلمهم أو غشهم أو لم يعدل بينهم أو شق عليهم أو خانهم، والعاقل من هؤلاء من اختار من بين ما سبق..

والرسول ﷺ قد وزع المسؤوليات من خلال أحاديثه النبوية الشريفة، ولم يجعل كل شيء منوطًا بالحاكم بل جعل كل فرد في موقع مسؤولاً عن هذا الموقع، وعبر عنه بأنه "راع" كما عبر عن الأمر كذلك، ثم فصل ما أجمل، ليتحمل كل فرد تبعته فالرجل مسؤول عن البيت من ناحيتين: الدينية والأدبية، والمرأة مسؤولة عن بيتها أو بيت زوجها من ناحية حسن التدبير وعدم التبذير والقيام بحق الزوج والولد ورعاية مشاعر

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٩٨.

الزوج وعدم الإذن في بيته إلا بإذنه، وعدم الإنفاق خارج البيت إلا بعلمه فضلاً عن رعاية ولده وصيانة عرضه والنزول على قسمه.

والخادم راع من مال سيده، لأنه لا رقيب عليه إال الله، وقد عادت ظاهرة الخدم وتبدلت من كونها قاصرة على الإبل والغنم إلى كونها قائمة على مكونات الأمم "البنين والبنات" وبخاصة في الدول ذات اليسار، فليتق الله هؤلاء فيما ائتمنوا عليه فإنهم وإن كانوا أجراء إلا أنهم على هؤلاء أمناء، لا يجوز فتنهم في دين، ولا ذبحهم بالسكين، ولا تصفية حسابات الوالدين من هؤلاء.

وإذا كان الرسول ﷺ قد ذكر حالات من شرائح المجتمع (الإمام -الرجل - المرأة - الخادم) فإن صدر الحديث قد جاء بصيغة العموم (كلكم) فالمدرس والمهندس والطبيب والمحاسب والسائق والصانع والخائط والحائك والحداد والحارس والضابط وكل من هو في موقع هو راع له ومسؤول عنه.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية النافعة التربية بالترهيب لما يتركه من أثر في نفوس المتربين. وذلك لأن من الأنفس من لا ترجع إلا بالزجر، وإذا كانت النعم تسبب الغفلة، فإن الترهيب يبعث اليقظة في كثير من الأحيان، وكم يفكر الناس في أشياء، ثم يتذكرون النتائج السلبية المترتبة عليها فيقلعون عنها مباشرة، وقد استخدم النبي ﷺ في كثير من أحاديثه أسلوب الترهيب كوسيلة لردع النفس عن الغواية واتباع خطوات الشيطان[1].

ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». وفي رواية: "... لم يجد رائحة الجنة"، وفي رواية "... إلا لم يدخل معهم الجنة"، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "اللهم من ولى من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه..."، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "... فإن الله سائلهم عما

(١) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض ص ١٤٢.

استرعاهم"، وفي حديث أبي مريم الأزدي رضي الله عنه : «مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وحديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه : «إن شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» ففي هذه الأحاديث ترهيب لولاة الأمور من عدم الرفق بالرعية، وعدم السعي على مصالحهم ونصيحتهم، وقضاء حاجتهم.

"والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي، ويقوم الترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، فكل من خاف ربه كان إنسانًا فاضلاً عادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستح من ربه يفعل ما يشاء بلا ضابط ولا وازع، له قلب كالحجارة أو هو أشد قسوة"(١).

ثالثًا- غرس قيمة الرفق في نفوس المسئولين:

من القيم التربوية النبيلة قيمة الرفق، وإذا كان أفراد المجتمع بحاجة شديدة للالتزام فإن حاجة المسؤولين وولاة الأمر إليها أشد، ومن ثَمَّ تهتم التربية الإسلامية بقيمة الرفق لما في وجودها والتخلق بها من إصلاح للعلاقات بين الأفراد، والراعي والرعية.

ومن أحاديث الباب التي تؤكد على قيمة الرفق والوصية به ما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : "... ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به"، وفي حديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه «إن شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

والمسئولون وولاة الأمر عندما يتعاملون بالرفق مع الرعية وينصحون لهم ويسدون حاجتهم فإنهم يهتدون بهَدي النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرغم من كونه نبيًا كان في غاية الرحمة والشفقة واللين مع أتباعه ومحبيه.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٢، ٢٣٣.

"فالناس بحاجة إلى كَنَفٍ رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم، وحِلم لا يضيق ذرعًا بجهلهم، وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى مقابل، ويحمل همومهم، ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة، والود، والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئًا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد عاشره، أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكريمة الرحيمة" (١).

رابعًا- التربية على الاستجابة لأوامر الشرع:

من أهداف التربية الإسلامية تدريب وتعويد المتربين على الاستجابة لأوامر الشرع، وتنفيذ المأمور فالاستجابة هي ثمرة التربية الحقيقية، وهي الغاية التي يسعى ويطمح إليها المربون على اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم وأساليبهم.

ومن أحاديث الباب التي تبين الاستجابة لأوامر الشرع حديث أبي مريم الأزدى رضي الله عنه أنه قال لمعاوية رضي الله عنه: «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ وَلاَّهُ الله عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ الله عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ قالَ فَجَعَلَ معَاوِيَة رَجُلاً عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ».

ففي هذا الحديث الاستجابة السريعة من معاوية رضي الله عنه لما سمع الحديث الشريف بأن جعل رجلاً على حوائج الناس، وهذه الاستجابة إنما هي دليل على تعظيم أوامر الله سبحانه وأوامر رسوله ﷺ. "والأساس الذي تتفرع منه سائر فروع الاعتقاد هي تقوية تعظيم الله تعالى في النفوس، فحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس ويملك صاحبه العلم الصحيح، فإنه يسلم له اعتقاده، وتنضبط حياته بشرع الله تبارك وتعالى،

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٨/٢، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٦٨، ٣٦٩.

فالذي يعظم الله تعالى لا يقدم بين يدي قوله وقول رسوله ﷺ ولا يتردد في تصديق الأخبار والتزام الأوامر وترك المنهيات، ولا يتعلق قلبه بغير الله ولا يتجه لمخلوق فيصفو اعتقاده ويستقيم عمله، ويضع للمخلوقين منزلتهم التي يستحقونها"[١].

خامسًا- من الأساليب التربوية: الدعاء والحوار والمناقشة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الدعاء: كما في قوله ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))، والدعاء من الأساليب التربوية التي ترغب في فعل الطيب، وترهب من فعل الشر والقبيح.

ب- الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كانتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسوسُهُم الأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلفَاءُ فَيَكْثُرُونَ، قالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا، قالَ أَوْفُوا بَيْعَةَ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ...)) الحديث.

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعّل دور المعلم في العملية التعليمية وتدفعه إلى أن يكون مشاركًا إيجابيًا فيها.



(١) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٥٤.

٧٩- باب الوالي العادل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[النحل: ٩٠] الآية، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩].

الحديث رقم (٦٥٩)

٦٥٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأ فِي عِبادة الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابًّا فِي اللهِ اجتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنّي أخافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال تحقق سيطرة المتكلم على سمع، وبصر المخاطب منشؤها البداية بنكرة موصوفة تشير إلى معنى الاجتماع تحت ظل الله، وأعظم به من ظل !؛ لأن هؤلاء السبعة اجتمعوا تحت مظلة الطاعة لله، وربط بينهم الإخلاص له، وجملة (يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ) تصعِّد التشويق، ووقوع الفعل على ضمير الجمع شمول لهم بهذه النعمة، وكون الله هو الفاعل يؤكد التحقق، وتقييد الفعل بالجار والمجرور تخصيص للظل يقرر عظمته، وإضافة الظل للضمير العائد على الله تشريف، وتعظيم، وقد صعَّد شوق المخاطب حتى صار لهفة بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ)، ثم بدأ بتفصيل هؤلاء السبعة بعد أن بلغ المخاطبون ذروة الاستشراف إلى معرفتهم، وقد ذكر كل واحد منهم بقيد خاص،

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٣، واللفظ له، ومسلم ١٠٣١/٩١، وتقدم برقم ٣٧٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٦.

فذكر الإمام بقيد العدل، وذكر الشاب بقيد النشوء في عبادة الله، وذكر الرجل بقيد تعلق قلبه بالمساجد، وهو كناية عن حبه للصلاة والمحافظة عليها، وكثرة النوافل، ولذلك جمع المساجد، وذكر الرجلان بقيد التحابب في الله، وقوله (اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ) تضاد يوضح المعنى، ويقرره، وهو كناية عن الإخلاص في التعامل بينهما، وملازمة هذه المحبة لهما، ودوامها، وذكر الخامس بقيد الصبر على المحرمات مهما قويت الدواعي لذلك وصف الداعية بأنها (ذات حسن، وجمال) وذكر السادس بقيد الإخلاص في الصدقة (، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) كناية عن شدة الإخلاص، والطباق بين شماله، ويمينه، يؤكد شدة الإخلاص في الإنفاق حتى عن أقرب المقربين، وذكر السابع بقيد شدة الخشية لله، ونلاحظ في أعمال السبعة أنها يربطها جميعاً خيط واحد، وهو الإخلاص، ولها ارتباط بالقلب بشكل من الأشكال.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٧٦).

الحديث رقم (٦٦٠)

٦٦٠- وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ[1]: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِم وَمَا وَلُوا)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المقسطين: العادلين[3].

ما وَلُوا: الذي كانت لهم عليه ولاية[4].

الشرح الأدبي

بداية الحديث بمؤكدات متتابعة دون أن يواجه المتكلم بإنكار، أو شك تشير إلى أهمية الخبر، ورغبة المتكلم في نقل هذا الاهتمام إلى المتكلم مع تفخيم للخبر يحقق مزيد الإنصات، وقوله (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ) والمقسطين جمع مقسط، وهو العادل، وقوله (عند الله) يوحي بشرف المجلس، وحسن العاقبة المبشرة بالخير، وقوله (على منابر) يوحي بالظهور، والعلو، والرفعة، وسمو المكانة، دل على ذلك حرف الاستعلاء على، والذي يفيد مع العلو التمكن، كما يدل عليه كون الاستعلاء، والتمكن على المنبر الذي يوضع أصلا للعلو، والرفعة وقوله: (من نور) يوحي مع شدة الظهور بالبهاء ولما وصف منزلتهم هذا الوصف البالغ تطلعت النفوس لمعرفة

---

(١) عند مسلم زيادة: (عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين).

(٢) برقم ١٨٢٧/١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥.

حالهم وما بلغ به هذه المنزلة، وحقق هذا الفضل فزادهم وضوحا، وبيانا، بقوله (الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِم وَمَا وَلُوا) والتعريف بالموصول للمدح لهم العدالة في الحكم على الناس، وذكر الأهل تخصيص لهم، وقوله (وما ولوا) يشمل كل ما يقومون بهم من العمال.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل العدل بين الرعية ومنزلة المقسطين يوم القيامة.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن المقسطين" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين حيث إن التوكيد من أساليب الإقناع؛ وهو أسلوب يدلل على مدى اقتناع الداعية أيضاً بما يقول ووثوقه منه. قال القاسمي: (واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به، فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد. وكلما خفَّ، خف التأكيد، وإن توسَّط الاهتمام، توسط التأكيد)[1].

وقد أفاد التوكيد في هذا الحديث المنزلة العظيمة التي بوأها الله للمقسطين في الجنة. ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[4].

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢٧/١.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل العدل بين الرعية ومنزلة المقسطين يوم القيامة:

إن الإسلام يحث على إقامة العدل بين الناس، ومن ثم وعد المقسطين بالمنزلة العالية بكونهم على منابر من نور. ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم". قال القاضي عياض: (المقسطون: العادلون، وقد فسره آخر الحديث بقوله: "الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" فدل هذا الفضل لكل من عدل فيما تقلده من خلافة وإمارة، أو ولاية يتيم أو صدقة أو غير ذلك، أو فيما يلزمه من حقوق أهله أو من يقوم به والأقساط والقسط العدل، وقوله: "على منابر من نور" أصل تسمية المنبر لارتفاعه فيحتمل أن يكون "منابر" كما ذكر على وجهها، أو منازل رفيعة وأماكن عالية)[١].

وقال النووي: (والمنابر جمع منبر سمى به لارتفاعه، والظاهر أنهم على منابر حقيقية يوم القيامة على ظاهر الحديث ويكون متضمناً للمنازل الرفيعة، فهم على منابر حقيقية ومنازلهم رفيعة وهذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده، من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة، أو وقف. وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله والمقسطون في الحديث هم العادلون)[٢].

وقد نص الله تعالى على وجوب العدل بين الرعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[٣]، وأخبر سبحانه أنه خاطب نبيه داود عليه السلام فقال له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٢٢٧.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٤) سورة ص، آية: ٢٦.

قال السيد سابق: (وإذا كان هذا الخطاب موجهاً إلى داود عليه السلام فهو في الواقع موجه إلى ولاة الأمور في هذه الأمة، ولا شك أن العدل في الحكم يمكن للحاكم ويبقى عليه، فإذا تحول عن العدل إلى الظلم والجور، فقد أذن الله بذهابه وزوال ملكه، ويتحقق العدل في الحكم بإيصال كل حق إلى مستحقه، والحكم بمقتضى ما شرع الله من أحكام وبتجنب الهوى، وبالقسمة بين الناس بالسوية"[1]. والعدل مما أمر الله به، قال تعالى: ﴿إن ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[2]، وقد جعل الرسول ﷺ الإمام العادل من الذين يظلهم الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ ...))[3].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس:

إن من المعاني السامية والأهداف الرئيسة التي تحث عليها الدعوة، وتسعى لتحقيقها إقامة العدل بين الناس ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده ويعتبر إقامة العدل بين الناس من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية، قال الماوردي: "إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به البلاد والأموال ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل"[4].

وقد أمر الله المؤمنين بإقامة العدل فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ

(١) عناصر القوة في الإسلام ١٥٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٤١-١٤٢.

(٥) سورة النساء، آية: ١٣٥.

ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

قال القاسمي: (والعدل هو القسط والتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم، وإيصال كل ذي حق إلى حقه. وعن ابن مسعود: إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية. ولما تليت هذه الآية على أكثم بن صيفي قال لقومه: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذناباً)[٢]، وقد دلت الأحاديث على العدل وأهميته فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((بينما رسولُ الله ﷺ يَقسِمُ غنيمةً بالجِعْرانةِ إذ قال له رجل: اعدل. فقال له: لقد شَقيت إن لم أَعدِلْ))[٣]. وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُل قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهَلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ))[٤]. قال ابن حزم: (أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وإيثاره)[٥].

إن العدل إذا ساد في مجتمع كان له الأثر العظيم في كافة نواحي الحياة، في القضاء وفي الحكم وفي مختلف النواحي الاجتماعية بحيث تتاح الفرص المتساوية لأبنائه في طرق الكسب المادي وفي الوضع المعنوي فلا يهضم حق فرد أو فئة فيه، كلٌّ يحصل على حقه دون زيادة أو نقصان؛ فحين نبحث عن الأسس العامة لأحكام الشرائع الربانية يتبين لنا أن العدل أحد هذه الأسس، ولا سيما ما يتعلق من أحكام الشرائع بتنظيم علاقات الناس المادية والأدبية والسياسية لضمان حقوقهم ومصالحهم[٦].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) محاسن التاويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٠/١٠

(٣) أخرجه البخاري ٣١٣٨، ومسلم ١٠٦٣.

(٤) أخرجه ابو داود، ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٠٥١).

(٥) مداواة النفوس، لابن حزم، ٩٠.

(٦) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٦٨.

ونُقل عن بعض البلغاء قوله: إن العدل ميزان الله وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزان ولا تعارضه في سلطانه واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع وكثرة الورع، فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يُبدأ بعدل الإنسان في نفسه ثم بعدله في غيره(١).

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث "إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ترغب المدعو في الطاعة (والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)(٢)، وفي الحديث رغب النبي ﷺ في العدل والقسط من خلال بيان منزلة المقسطين عند الله يوم القيامة بأنهم على منابر من نور في درجات عالية ومنزلة رفيعة.

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٤١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

الحديث رقم (٦٦١)

٦٦١- وعن عوف بن مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ ، يقول: ((خِيَارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ[1]. وشِرَارُ أئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ))، قَالَ: قُلْنَا: يَا رسول اللهِ، أفَلاَ نُنَابِذُهُم؟ قَالَ: ((لاَ، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ. لاَ، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عوف بن مالك الأشجعي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٢٨).

غريب الألفاظ:

أئمتكم: جمع إمام وهو: من يؤتم به من رئيس أو غيره، وإمام المسلمين: الخليفة ومن جرى مجراه[3].

تُصلُّون عليهم: تدعون لهم[4].

ننابذهم: نخالفهم بترك الطاعة لهم[5].

الشرح الأدبي

الحديث يضع علامات تميز أهل الخيرية من الأئمة من أهل الشر وقد اتخذ من أسلوب المقابلة طريقاً إلى ذلك حيث قابل بين خيار أئمتكم، وبين شرار أئمتكم حتى ينظر كل إمام في نفسه، ويسألها من أي طائفة أنا؟ كما قابل بين (تحبونه،

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (ويصلون عليكم، وتصلون عليهم)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٥٣/٣، رقم ٢٩٧٦، وكذا عند مسلم برقم ١٨٥٥/٦٦.

(٢) برقم ١٨٥٥/٦٥ وزاد في آخره: (وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (أ ي م)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٦٨.

(٤) رياض الصالحين ٢٨٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٣٧، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٩٦.

ويحبونكم)، وبين (تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ) ليشير إلى طبيعة العلاقة القلبية بين النوعين، والتي يترتب عليها طبيعة المعاملة، والتعاون بينهم، كما قابل بين رد الفعل المترتب على الشعور القلبي لكل طائفة فقابل بين (وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ) وبين قوله (وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ) وهو تصوير لتطور العلاقة من المحبة إلى الدعاء لهم، أو عليهم، ولا ننسى العلاقة التبادلية بالتجاوب في الشعور محبة أو بغضا، والتي صورتها الأفعال المضارعة (تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ) و (وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ) في جانب الإمام الخير ورعيته، وقوله (تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ!) في جانب الإمام الموصوف بالشر وهذه الصورة الجلية لأئمة الخير في مقابلة أئمة الشر لا تعني أن يشتعل المجتمع المسلم من داخله فيقتل بعضه بعضا دل على ذلك جواب الرسول ﷺ علي سؤال السائلين (أفَلاَ نُنَابِذُهُم؟ قَالَ: ((لاَ، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ. لاَ، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ) وقوله (لا) أي لا تنابذوهم، وتكرارها يؤكد المعنى، ويحذر من المخالفة حفاظا على وحدة الأمة في وجه أعدائها، وحتى لا تتآكل الأمة من داخلها، فتحقق لأعدائها ما يريدون دون أن يبذلوا أي عناء.

فقه الحديث

الخروج على الإمام: أجمع العلماء على أن الإمام إذا كان عادلاً تجب طاعته، ويحرم الخروج عليه، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]. وأما الخروج على الإمام الجائر فذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز الخروج على أئمة الجور، ولا القيام عليهم، ولا خلعهم، بمجرد الظلم أو الفسق، ما لم يغيروا شيئًا من قواعد الإسلام، ككفرهم بعد الإيمان، وتركهم إقامة الصلوات، وأما دون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطأ أمرهم وأمر الناس معهم؛ لأن في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، وفي القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتت الألفة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

وكذلك لا يجوز القتال معهم لمن خرج عليهم عن ظلم صدر منهم؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةٍ))[١] ولحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا: ((لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عز وجل))[٢][٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التآلف والمودة بين الأئمة والرعية.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عدم الخروج على ولاة الأمر وعدم منابذتهم.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس والحفاظ على شعائر الإسلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية التآلف والمودة بين الأئمة والرعية:

إن من الأمور الهامة أن تقوم العلاقة بين أفراد المجتمع على المودة والتآلف والتآخي،وخاصة بين الأئمة والرعية؛ لأن هذا يجنب الأمة شر كبير، ومما يدل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم" أي تدعون لهم في المعونة على القيام بالحق والعدل ويدعون لكم في الهداية والإرشاد وإعانتكم على الخير، وكل فريق يحب الآخر لما بينهم من المواصلة والتراحم والشفقة والقيام بالحقوق، ونقيض ذلك في الشرار لترك كل فريق منهما القيام بما يجب عليه من الحقوق للآخر ولاتباع الأهواء والجور والبخل والإساءة، فينشأ عن ذلك التباغض والتلاعن وسائر المفاسد[٤]. ومما لا شك فيه أهمية التآلف والمودة بين الأئمة والرعية، وقد نص الله على ذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

---

(١) أخرجه الخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٥٧، ومسلم ١٨٤٠.

(٣) شرح ابن بطال ١٦٨/٩، والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧، ورد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٨/١، وحاشية الدسوقي ٢٩٩/٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٥٠/١٠.

(٤) انظر: المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٥/٤.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾[3]، ونهى الله عن التفرق والاختلاف، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[5].

وحث الرسول الكريم ﷺ على التآلف والمودة ونهى عن التباغض والتناجش فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا. وَكُونُوا عِبَادَ اللّهِ إِخْوَاناً))[6]، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتهِ، ومَن فرَّجَ عن مُسلمٍ كُربةً فرَّجَ الله عنهُ كُربةً من كُرباتِ يومِ القيامةِ، ومَن سَتَرَ مُسلماً سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة))[7].

قال السعدي: (ومتى امتثل المسلمون لما جاء في القرآن من الالتزام بكل ما يقوي الألفة ويزيد في المحبة ويدفع العداوة والبغضاء، ومتى سعوا في حصول الاتفاق وإزالة العداوات وأسبابها وكانوا يداً واحدة في السعي في مصالحهم المشتركة ومقاومة الأعداء، وبتحصيل القوة المادية بكل مقدور ومستطاع متى عملوا على ذلك كله،

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.
(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.
(٥) سورة الشورى، آية: ١٣.
(٦) أخرجه البخاري ٦٠٦٥، ومسلم ٢٥٥٩.
(٧) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ٦٩٥١، ومسلم ٢٥٨٠.

حصل لهم قوة عظيمة يستدفعون بها الأعداء، ويستجلبون بها المصالح والمنافع وعاد صلاح ذلك إلى دينهم وجماعتهم وأفرادهم ولم يزالوا في رقي مطرد في دينهم ودنياهم)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عدم الخروج على ولاة الأمر وعدم منابذتهم:

إن من دعائم استقرار المجتمع عدم الخروج على ولاة الأمر، وعدم منابذتهم، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: "قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة"، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "أفلا ننابذهم؟" أي أفلا ننبذ إليهم عهدهم أي: ننقضه، كما قال تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[٢] ونخرج عليهم بالسيف، فيكون المجرور متعلقًا بمحذوف دل عليه المعنى وحذف إيجازًا واختصارًا.

وقوله: "لا ما أقاموا الصلاة" ظاهره: ما حافظوا على الصلوات المعهودة بحدودها وأحكامها وداموا على ذلك وأظهروه، وقيل معناه: ما داموا على كلمة الإسلام، والأول أظهر)[٣]. ومما لا شك فيه أن قيام الولاية والإمامة من أهم الواجبات ولا يتحقق ذلك إلا بعدم الخروج على الولاة ومنابذتهم، قال ابن تيمية: (يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس ولهذا كان السلف - كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان- فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها)[٤].

---

(١) الرياض الناضرة ٥٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٥٨.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٤/٦٥، ٦٦.

(٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ١٢٧ - ١٢٨.

قال ابن حجر: (قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها)[1].

ومما يدل على عدم منابذة ولاة الأمر ما جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: ((إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))[2].

قال النووي: (ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق)[3].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس والحفاظ على شعائر الإسلام:

إن الإسلام جاء بالعدل والمساواة، وحثّ الناس على التحاكم بالعدل، ونشر العدل فيما بينهم، ولذا كان من أهداف الدعوة إقامة العدل، يتضح هذا من الحديث: "ما أقاموا فيكم الصلاة"، ومن سياق الحديث ومورده تعتبر إقامة العدل والشعائر من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية، بهذا أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٠٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٢.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

بِٱلْقِسْطِ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما رسولُ الله ﷺ يَقسِمُ غنيمةً بالجِعْرانةِ إذ قال له رجل: اعدل. فقال له: ((لقد شَقيت إن لم أَعدل))[٣]، وجاء في الحديث أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ. يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ. وَيُتَّقَى بِهِ. فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ. وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ))[٤]، وإقامة العدل من وظائف الرسول ﷺ التي كلفه الله بها، قال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[٥].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستصحبون معنى إقامة العدل في الأرض في الفتوحات الإسلامية، فكان مما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله: ما جاء بكم؟ قال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نفئ إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي)[٦].

قال ابن القيم: (إن من له ذوق في الشريعة وإطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بُغية العدل الذي يسع الخلائق يجد أنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من أحاط علماً بمقاصدها ووضعها موضعها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة. فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣١٣٨ واللفظ له، ومسلم ١٠٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٥٧ واللفظ له، ومسلم ١٨٤١.

(٥) سورة الشورى، آية: ١٥.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: احمد أبو مسلم وآخرون ٤٠/٧.

فالشريعة تحرمها. وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة عَلِمها مَنْ علمها وجهلها من جهلها)[١].

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٤ - ٥.

الحديث رقم (٦٦٢)

٦٦٢- وعن عياضِ بن حمارٍ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((أهلُ الجنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ[١] مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عياض بن حمار: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٠٢).

غريب الألفاظ:

مقسط: عادل[٣].

متعفف: كافٌّ عن الحرام والسؤال من الناس[٤].

الشرح الأدبي

قول الراوي سمعت رسول الله ﷺ يؤكد الخبر لأنه خبر سماع مباشر من الرسول ﷺ، وقول الرسول ﷺ (أهل الجنة ثلاثة) أسلوب تشويق يضمن إنصات المخاطب، وقد جاء التشويق من تركيب العبارة حيث بدأ بكلمة (أهل) التي توحي بالدفء الأسري، والطمأنينة زادها تشويقا بإضافتها للجنة، وهي علم على النعيم الذي يخفق له القلب، ثم ذكر النكرة (ثلاثة) وهي إجمال يحتاج إلى تفصيل تبعه بأولها وهو (ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ) لأن اقتران السلطان بالعدل لا يتأتى إلا لمن جاهد نفسه لله تعالى، وقوله (موفق) يوحي بتوالي أفعاله على وفق ما يرضي الله تبارك وتعالى، وكونه على صيغة المفعول يشير إلى توفيق الله له للعدل، وقوله: (وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ) واجتماع الرحمة مع الرقة يشير إلى خصوصية في الرحمة، وهي

---

(١) عند مسلم زيادة: (مُتصدِّق).

(٢) برقم ٦٣/٢٨٦٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥، ١٦٦٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ف ف).

التفاعل مع كل ذي شدة لاسيما مع أقاربه، ومع المسلمين، وهو ما يشير إلى أنه واصل لرحمه بار بالمسلمين، وقوله: (وعَفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ) جناس يؤكد المدلول الذي جعله ضمن النماذج الثلاثة في الجنة ومعناه أنه عفيف عما لا يحل له متعفف عن سؤال غيره، وقوله (ذو عيال) تكميل بلاغي أفاد تمكن صفة العفة في نفسه، لأن الإنسان قد يصبر ويتعفف عن حاجة نفسه، وقد لا يصبر عن حاجة عياله لاسيما إذا كانوا صغارا، أو نساءً، والحديث ترغيب في التخلق بهذه الأخلاق بجعلها بطاقة الدخول للجنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة الوالي العادل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرحمة والشفقة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل العفة والتعفف.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من أبرز واجبات الداعية بيان وإبراز حقائق الإسلام، وقد بين النبي ﷺ حقائق الدين أوضح بيان وأتمه، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة" ويعتبر بيان الحقائق للمدعوين من أهم واجبات الداعية، ذلك لأن رسالة الداعية تقوم على البيان، وقد قال الله لنبيه ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١) وبالبيان للحقائق تقوم الحجة على المدعوين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٢).

قال السعدي: (هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو:

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا، كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، ودَعَا وأنذر، وبشر ويسَّر وعلَّم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة الوالي العادل:

إن الإسلام يحث على العدل؛ ومن ثم بيّن الحديث منزلة الوالي العادل وأنه من أهل الجنة وهذا يدل على عناية الإسلام بإقامة العدل، ويتضح هذا مما جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق" وهذا يدل على فضل ومنزلة الوالي العادل وقد جعله الرسول الكريم من الذين يظلهم الله في ظله ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظلُّهمُ اللّهُ تعالى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمامٌ عَادلٌ))[٢].

قال القاضي عياض: (وإضافة الظل هنا إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو لله ومن خلقه وملكه وسلطانه وهو ظل العرش، والمراد بذلك يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس، ويشتد عليهم الحر ويأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء إلا ظل العرش. وقد يراد به هنا ظل الجنة أو ظل طُوبى - اسم من أسماء الجنة - وهو نعيمها والكون في دارها. والإمام العادل: هو كل من إليه نَظَرٌ في شيء من أمور المسلمين من الولاة والحكام)[٣].

وقال ابن حجر: (والإمام العادل: اسم فاعل من العدل وقد جاء في رواية بلفظ "العدل" وهو أبلغ لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً، والمراد به صاحب الولاية العظمى،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٦٢.

ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه. والعادل هو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، وقدمه في الذكر لعموم النفع به)[١].

والإمام العادل لا ترد دعوته ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ثَلاَثَ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ))[٢]. وفي رسالة بعث بها الحسن البصري لعمر بن عبدالعزيز قال: (اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونَصَفَة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده، والإمام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم، والإمام العادل كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الرحمة والشفقة:

إن المسلم رقيق القلب جياش العاطفة، وقد جعل الإسلام الرحمة والشفقة سببًا لدخول الجنة، ويتضح هذا من الحديث "ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم" ولا شك أن هذا يدل على فضل الرحمة والشفقة، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] ووصف الله نبيه وأصحابه بالرحمة فقال جل شأنه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[٥] وأمر الجماعة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٩-١٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٢٦، وصححه الألباني دون قوله في نص الحديث: (مم خلق الخلق...)، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٥٠).

(٣) موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ٧٤٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

المؤمنة بالتواصي بالرحمة فقال عز وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾[(١)].

ومن ضروب رحمة النبي وشفقته ما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ))[(٢)].

لقد جعل الإسلام رحمة الناس بعضهم بعضًا سببًا لرحمة الله إياهم، فقال رسول الله ﷺ ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))[(٣)].

وقد كان رسول الله ﷺ أرحم البشر، كان مثالاً للرحمة والرفق ورقة القلب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[(٤)] قال السعدي: (أي برحمة الله لك ولأصحابك منَّ الله عليك أن ألنت لهم جناحك، وترفقت عليهم وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك "ولو كنت فظًا" أي سيء الخلق "غليظ القلب" أي قاسي "لانفضوا من حولك" لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيء.

فالأخلاق الحسنة مع الرئيس في الدنيا تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة مع الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف بغيره.

أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس

---

(١) سورة البلد، آية: ١٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٧ واللفظ له، ومسلم ٤٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله وجذبًا لعباد الله إلى دين الله تعالى)[١].

(إن الرحمة فضيلة والقسوة رذيلة، وهي تكون للناس جميعاً فتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لها، فإن كانت الرحمة خليقتك رحمك الناس كما رحمتهم، وكانوا لك كما كنت لهم ورحمك الرحمن الرحيم: فأسْبَغَ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، وإن تركتها إلى القساوة قست عليك الخليقة فإن نابتك نائبة، أو حلت بك ضائقة أغضوا عنك وفرُّوا منك فتجرعت وحدك صابها، وصليت نارها، وكذلك يصنع الله بك، يرفع عنك رحمته، فإذا أنت في الدنيا في معيشة ضنك لا تنعم بعزة أو هناءة، وفي الآخرة لا ينظر الله إليك، ولا يكلمك، ولك العذاب الهون جزاء بما اكتسبت فارحم تُرْحم وكن للناس يكونوا لك وتخلق بخلق الله يرفع شأنك، ويُعْل نفسك والله لا يضيع أجر المحسنين)[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل العفة والتعفف:

إن المسلم عفيف النفس، لا يمد يده إلى الناس يستجديهم ويطلب منهم، ومن ثم مدح الرسول ﷺ المسلم العفيف، وجعله من أهل الجنة حيث جاء في الحديث "وعفيف متعفف ذو عيال" والعفة والتعفف مما مدحه الله في القرآن قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٣].

قال ابن كثير: (أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم، وهم لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال، فقد ألحف في المسألة)[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢١، ١٢٢.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٢٢-١٢٣.

(٣) سورة البقرة، آية :٢٧٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٧٠٤، ٧٠٥.

وقال القرطبي: (والمراد أنهم من ترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء. والتعفف تفعّل وهو بناء مبالغة من عفّ عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه عن طلبه. وكونهم "لا يسألون الناس إلحافاً" أي لا يسألون ألبتة وهذا على أنهم متعففون عن المسألة عفة تامة، وعلى هذا جمهور المسلمين، ويكون التعفف صفة ثابتة لهم، أي لا يسألون إلحاحاً ولا غير إلحاح قال إبراهيم بن أدهم: سؤال الحاجات من الناس هي الحجاب بينك وبين الله تعالى، فأنزل حاجتك بمن يملك الضر والنفع، وليكن مفزعك إلى الله تعالى يكفيك الله ما سواه وتعيش مسروراً)[1].

وقد بين الرسول الكريم ﷺ صورة هذا التعفف فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهذَا الطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ واللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ. ولكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ. وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. وَلاَ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئاً))[2]. أي أن المسكين الكامل المسكنة الذي هو أحق بالصدقة وأحوج إليها ليس هو هذا الطَّوَّاف، بل هو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له ولا يسأل الناس[3]، وبين ﷺ أن من يستعفف يعفه الله فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ومَن يَستعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغنِ يُغنِهِ اللهُ))[4].

قال السعدي: (ومن استغنى بالله وبرزقه وما قسم له الله وأعطاه ولم يلتفت إلى غير ربه وغير فضله وإحسانه استعف عن الخلق ولم يعلق بهم قلبه لا خوفاً ولا رجاءً ولا طمعاً ولا رغبة وهذه المرتبة أعلى المراتب وأشرفها)[5].

وقال الماوردي: (والنفس الشريفة تطلب الصيانة وتراعي النزاهة، وتحتمل من الضر ما احتملت ومن الشدة ما أطاقت، فيبقى تحملها، ويدوم تصونها فتكون كما قال

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤١/٣/٢-٢٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٥٣٩، ومسلم ١٠٣٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣ واللفظ له.

(٥) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ١٨٦.

الشاعر:

وقد يَكْتَسِي المرءُ خَزَّ الثيابِ ... ومن دونها حالةٌ مُضْنِيهْ
كما يكتسي خدُّه حُمْرةً ... وعِلَّتُه ورم في الرِّيَهْ

فلا يرى أن يتدنس بمطالب الشؤم، ومطالع اللؤم، فإن البهائم الوحشية تأبى ذلك وتأنف منه، قال الشاعر:

وليس الليثُ من جوعٍ بغادٍ ... على جيفٍ يطوف بها الكلابُ [(١)]

فكيف بالإنسان الفاضل الذي هو أكرم الحيوان جنساً، وأشرفه نفساً، هل يحسن به أن يرى لوحش البهائم عليه فضلاً وقد قال الشاعر:

على كل حال يأكل المرء ... على البؤس والضراء

وقد قيل لبعض الزهاد: لو سألت جارك؟ فقال: والله ما أسأل الدنيا من يملكها فكيف ممن لا يملكها. فأما من يسأل من غير ضرورة مَسَّت، ولا حاجة دعت فذلك صريح اللؤم، ومحض الدناءة وقلما تجد مثله ملحوظاً، أو ممولاً محفوظاً، لأن الحرمان قاده إلى أضيق الأرزاق، واللؤم ساقه إلى أخبث المطاعم، فلم يبق لوجهه ماء إلا أراقه ولا ذلاً إلا ذاقه)[(٢)].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة" ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع بالمدعو إلى الإقبال على الخير، لأن النفس بطبيعتها تحب وتميل إلى الثواب والأجر ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[(٣)]. وفي الحديث رغب النبي ﷺ ببيان ثلاثة أنواع من

---

(١) يتيمة الدهر. قافية الباء ٢/٦٠.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) سورة الزمر، آية:٧٣.

الناس يدخلون الجنة، وجعلهم من أهلها وهم ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال. وفي هذا ترغيب لهؤلاء الثلاثة وبشارة لهم بدخول الجنة.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن الولي فرد من أفراد الأمة، يتولى أمرها وفق صور عدة أقرها الشرع، وإن تربية أفراد الأمة على قيم الإسلام ومبادئه، ومن أهم غايات التربية الإسلامية ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية الناجعة التربية بالترغيب، لما له من أثر في تحفيز النفس وحثها على فعل المرغّب فيه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ...»، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»، وحديث عوف بن مالك رضي الله عنه: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم...»، وحديث عياض بن حمار رضي الله عنه: «أهل الجنة ثلاثة...». ففي هذه الأحاديث ترغيب في الاستظلال بظل الله تعالى يوم القيامة وترغيب في الجنة لمن يحقق العدل.

"ولما كان الإسلام هداية للناس جميعًا وواقعيًا في جوانبه العملية كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عنصر للترغيب في وسائله التربوية للناس، وذلك في كل ما يهديهم إليه من خير، ويدعوهم إليه من فضيلة، وما ذاك إلا لكي يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان، ويدلهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، وليس بغريب أن تكون التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية فهي تعتبر أساسًا محددًا لبناء شخصية الفرد، تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها، وعداوتها، في بيعها وشرائها في عملها وراحتها، في أفكارها وآرائها، في توجيهها وإرشاداتها، في نصائحها وتحذيراتها، وتبرز أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوباً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق

وبثها بين الناس ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا لكونها خطوة حتمية لتنفيذ الشريعة في المجتمع الإسلامي، وذلك لأن أساس الأوامر والنواهي في الإسلام هو جلب المصلحة ودفع المضرة" (١).

ثانيًا- غرس قيمة العدل:

تعتبر قيمة العدل من القيم الإسلامية ذات الأهمية في مجال التربية الإسلامية، ومن ثمَّ كان من أهداف التربية الإسلامية غرس قيمة العدل، وجعلها مظهرًا من مظاهر الجماعة المسلمة، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على قيمة العدل، حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ ...».

فجاء على رأس السبعة الذي يظلهم الله في ظله: الإمام العادل لما للعدل من أهمية كبرى في المجتمع المسلم، ومن أحاديث الباب أيضًا حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَـٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»، وحديث عياض بن حمار: «أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّق ...».

"ومن المثل العليا في الإسلام تكليف متبعيه بأن يكونوا قائمين بالعدل بين الناس مع صرف النظر عن جميع الاعتبارات التي تحد من سلطانه، والقرآن الكريم أمر المؤمنين أن يكونوا مبالغين في تحري العدل، ومراعاة قواعد العدل حتى مع الأعداء، وبين الله سبحانه أن العدل تُبْعُث الرسلُ لأجله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (٢)، فهذه الآية بينت أن الله أراد بإرسال الرسل إقامة العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله عليهم من الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين، وما أمرهم به من استعمال الميزان، لأن به يتميز الحق من

(١) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص ١٨٧.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٥.

الباطل، وبه يحصل الناس على حقوقهم"[١].

وإذا كانت العدالة مطلوبة من كل أحد فإنها من ولاة الأمر أولى، ولذا جاء في أحاديث الباب البشارة للولي العادل بالجنة، لذلك لأن العدل هو أساس الحكم الصالح.

"والعدل هو تنفيذ حكم الله، أي أن يحكم الناس وفقًا لما جاءت به الشرائع السماوية. ولما كانت الشريعة الإسلامية هي كمال هذه الشرائع فإن العمل بها إذن هو تحقيق للعدل الذي أمر الله به، ونظام الحكم الإسلامي يقوم على العدل من الحكام، وهو فرض لا يقوم الحكم الإسلامي به، وفي مقابل ذلك فإن الطاعة من المحكومين للحكام واجبة، إذا سار الحكام وفق منهج الله تعالى وشريعته، وحكموا بالعدل المفروض عليهم. ومن ثَمَّ كان العدل واجبًا حتى على الأنبياء، والعدل واجب حتى للأعداء وهذه من أعظم فضائل الإسلام" [٢].

ثالثًا- تعميق معاني الإيمان باليوم الآخر:

من أهداف التربية الإسلامية تعميق معاني الإيمان باليوم الآخر، وما يكون فيه من جزاء وحساب وثواب وعقاب، حيث يتكون لدى المتربي اليقين في أحداث اليوم الآخر، وفي أحاديث الباب جاء الحديث عن الجنة وأصحابها وحال أهلها، ومن ذلك قوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ:...»، وقوله: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ...»، وقوله: «أهل الجنة ثلاثة...». والتصديق باليوم الآخر، والثقة فيما أعدّه الله في الجنة لمن أطاعه يولد داخل المتربي الهمة العالية والتطلع لنيل هذا الثواب.

"إن تذكر الإنسان لليوم الآخر له العديد من الآثار التربوية منها تربية الشعور الحقيقي بالمسئولية إذ أن الإيمان باليوم الآخر هو المحرك الأساسي لشعور الإنسان بالمسئولية الحقيقية، وهذا الإحساس يبني على الخوف من يوم الحساب، ومنها تحقيق

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ١٩٥، ١٩٦.

الهدف الأسمى من وجود الإنسان حيث إن الإحساس بالمسئولية يمكّن الإنسان من أن يكون عبدًا صالحًا لأن العبودية هي جوهر الإنسانية، ومنها: تحقيق الأخلاق الفاضلة، فالإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من خشية المؤمن من الجزاء يوم الحساب يحقق في الإنسان الأخلاقيات الفاضلة في السلوكيات الحياتية بحيث تأتي هذه الأخلاقيات مراعية لشرع الله"(١).

ومن ثمَّ يجب على المربين تعميق معاني الإيمان باليوم الآخر حتى يمكن غرس الكثير من القيم التربوية "إذ أن الإيمان بالحياة الآخرة والمسئولية العظمى أمام الله وجزاء الأعمال يكّون في أعماق النفس دافعًا قويًا إلى عمل الخير ومكافحة الشر، ويكون هذا الشعور النفسي القوي ضامنًا تنفيذ قواعد الأخلاق والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوي، ومن قواعد الزجر والعقاب، ومن آثار هذا الإيمان أيضًا أنه يسبب الإخلاص في العمل فلا يكون عمل المؤمن ترقبًا لمكافأة أو شكراً ينتظرهما من الناس ومن المجتمع فإنه يعمل لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وانتظارًا لحُسْن العاقبة في الحياة الأبدية" (٢).

رابعًا- التربية الاجتماعية:

وهذا واضح من قوله ﷺ ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ منهم: وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ))، ففي هذا تربية اجتماعية للفرد والمجتمع عن طريق تقوية المحبة والمودة بين المسلمين، فيظللّ أفراد المجتمع حبٌ بعضهم لبعض، لا لحاجة من حاجات الدنيا، وإنما حبٌ يقصد به وجه الله تعالى، فمحبة المسلم لأخيه المسلم -حينئذ- تكون نابعة من حبه لله ولرسوله ﷺ ولدينه، فالحب في الله يدوم كما أن المحبة في الله من كمال الإيمان.

كما أن الأمن الاجتماعي ينشر في المجتمع المسلم إذا تحققت المحبة بين المسلمين في الله، وحينئذ يسود الأمن والاطمئنان في المجتمع، لأن الجميع سوف يسعى في صلاح من

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٧٢، ٧٣.

(٢) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، د. محمد المبارك ص ١٥٦.

يحب وجلب الخير له، ودفع ما يضره عنه، كل واحد منهم آمن على نفسه وأهله وماله وعرضه.

خامسًا- من الأساليب التربوية الإلقاء والحوار والمناقشة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ- الإلقاء: كما في حديث ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ)) كما أن في هذا الحديث ترغيبًا، ويمكن للمعلم أن يمزج بين الإلقاء والترغيب بهدف استثارة انتباه المتعلمين وتشويقهم للموقف التعليمي، هذا من جانب، ومن جانب آخر ضمان وصول المعلومة إلى أذهان المتعلمين.

ب- الحوار والمناقشة: كما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ((خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ...)) الحديث، والحوار والمناقشة من الأساليب التي تسمح للمتعلم أن يعرض ما في نفسه من أفكار وآراء، مما يفعل دوره في العملية التعليمية ويزيد من استفادته منها بدرجة كبيرة.



٨٠- باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

الحديث رقم (٦٦٣)

٦٦٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا احَبَّ وكَرِهَ، إلاَّ انْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر قواعد عامة تنظم العلاقة بين الرئيس، والمرؤوس وبين الحاكم، والرعية بما يضمن منع الخلاف وتحقيق الترابط الذي يصب في مصلحة الأمة، وبداية الحديث بقوله (عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ) يدخل الجميع تحت مظلة الحكم مما يستلزم إنصاتهم؛ لأن (ال) في لفظ المسلم للجنس فيشمل كل المسلمين، والتعبير بـ (على) يشير إلى الوجوب، ولإلزام لأن على تشير إلى تمكن الأمر، وعلوه، وأنه تشريع من الله، وذكر المرء للتوكيد، وتخصيص المسلم لأنه المعني بتنفيذ أمر الله، ورسوله، وقد استخدم أسلوب الطباق بين المعاني حيث طابق بين أحب، وكره الذي يقرر أن طاعة ولي الأمر مقدمة على رغبة النفس رعاية لوحدة المسلمين، كما أنه طابق بين السمع، والطاعة، وبين قوله فلا سمع، ولا طاعة وهو طباق سلب يقرر أنه لا طاعة مطلقة إلا

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩/٣٨ واللفظ له.

لله، ولرسوله ﷺ ولذلك استثنى بقوله: (إِلاَّ أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَة) وبناء الفعل (يؤمر) للمجهول ليشمل كل ولي أمر أو نائب عنه يأمر بمعصية عندها يتوقف عن الطاعة، ولا يسمع، ولا يطيع.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم انعقاد الإمامة: أجمعت الأمة على وجوب عقد الإمامة[١].

٢-حكم طاعة ولاة الأمور: لا خلاف بين الفقهاء أن طاعة ولي الأمر إنما تكون في المعروف، ولا تجوز في معصية، فإذا أمر ولي الأمر بما يخالف الشرع، حرم على المكلفين طاعته، أو تنفيذ أمره، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٢].

٣-حكم الخروج على ولي الأمر العادل: لا خلاف بين الفقهاء أن من اتفق المسلمون على مبايعته، ثبتت إمامته، ووجبت طاعته، فمن خرج عليه كان باغياً وجب قتاله[٣].

٤-حكم الخروج على ولي الأمر الجائر: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى حرمة الخروج عليه، ولو كان ذلك بقصد منعه من جوره، إذ لا يعزل السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق بعد انعقاد إمامته، وإنما يجب موعظته.

---

(١) مراتب الإجماع ١٤٤، رد المحتار ٢٠٤/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠١/٦.

(٢) مراتب الإجماع ١٤٥، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٩٩/٦ وما بعدها، وحاشية الخرشي ٦٠/٨، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢٠٤/٧، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨/١٠.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٣٠/٢، وحاشية الدسوقي ٢٩٨/٤ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٢/٧، المغني والشرح الكبير ٥٢/١٠ وما بعدها.

بينما ذهب بعض المالكية، وبعض الشافعية إلى جواز الخروج على الإمام الجائر، إذا كان الخروج من عادل، وحينئذ تجب معاونته[١].

٥-العدد المعتبر خروجاً: يرى المالكية أن الواحد. والعدد القليل يعد خروجاً، بينما ذهب الشافعية إلى أن العبرة بوجود شخص مطاع بين الخارجين قلة كانوا أم كثرة، وقال الحنابلة والحنفية: إن الواحد والعشرة ليسوا خارجين، بل الكثرة التي تعتبر قوتهم، بما يحتاج معهم الإمام إلى إعداد وترتيب لمواجهتهم[٢].

٦-تعدد الأئمة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز كون إمامين في دولة مسلمة في وقتٍ واحد، ولا يجوز إلا إمام واحد، لحرمة التفرق والتنازع بين المسلمين، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم، ووقعت المعصية لله تعالى.

فإن عقدت لاثنين معاً بطلت فيهما، أو مرتباً فهي للسابق منهما، ويُعزَّر الثاني ومبايعوه. وإن جهل السابق منهما بطل العقد فيهما عند الشافعية، لامتناع تعدد الأئمة، وعدم المرجّح لأحدهما.

وعن الإمام أحمد روايتان: إحداهما: بطلان العقد، والثانية: استعمال القرعة، قال القاضي: هذا قياس المذهب كالأذان.

وذهب المالكية إلى أنه إذا تباعدت البلاد، وتعذرت الاستتابة، جاز تعدد الأئمة بقدر الحاجة، وهو قول عند الشافعية[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٢٩/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٧/٦، وحاشية الخرشي ٦٠/٨، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٢/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٩٥/٤، والمحلى، ابن حزم ٥٢٦/٨.

(٢) بدائع الصنائع ١٤٠/٧، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٧/٦، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٣/٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٩/١٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٦/٤.

(٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، جلال الدين السيوطي ٥٩/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٢٥/١، وأسنى المطالب في صلة الأقارب، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ٣٦١/١٩، ٣٦٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠٣/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٦٠/١٦. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٦/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية لله.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على حرمات الله.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لما دعا إليه رسول الله ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية لله:

إن طاعة ولاة الأمر مشروطة بأن تكون في المعروف، فإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا ما ينص عليه الحديث، حيث قال ﷺ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" قال النووي: (قال العلماء: معناه: تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت في معصية فلا سمع ولا طاعة، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]، في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي بعثه النبي ﷺ في سرية)[3].

وقصته ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَعَثَ رسولَ اللّهِ علقمةَ بن مُجَزِّزٍ المُدلجي على بَعْثٍ أنا فيهم، فخرجنا حتَّى إذا كُنا على رأسِ غزاتِنا، أو في بعضِ الطَّريقِ استأذَنَتْهُ طائفةٌ، فأَذِنَ لهم، وأمَّرَ عليهم عَبْدَ اللّه بنَ حُذافةَ السَّهمي، وكان من أصحابِ بدرٍ، وكانتْ فيهِ دُعَابةٌ، فكنتُ فيمَنْ رَجَعَ معهُ، فبينا نحنُ في الطريقِ نزلنا منزلا، وأوقدَ القومُ ناراً يَصْطَلُونَ بها، أو يصنعون عليها صنيعاً لهم، إذ قال لَهُمْ عَبْدُ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٨٤، ومسلم ١٨٣٤.

اللَّه بنُ حُذافة: أليسَ لي عليكمُ السَّمْعُ والطاعةُ؟ قالوا: بلى، قالَ: فأنا آمُرُكُمْ بشيءٍ ألا فعلتموهُ؟ قالوا: بلى، قالَ: فإني أَعْزِمُ عَلَيْكُمْ بحقِّي وطاعتي إلا تواثبْتُمْ في هذه النار، قالَ: فَقَامَ ناسٌ حتى إذا ظَنَّ أنَّهم واثبونَ فيها، قالَ: أمْسِكُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، إنما كُنْتُ أضحكُ مَعَكُمْ، فلما قَدِمُوا على رسولِ اللَّهِ ذكروا ذلك لَهُ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَنْ أمركُمْ بمعصيةٍ، فلا تُطيعُوهُ))[1].

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال: (أمر الله بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما الواجب والمستحب واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده. ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولعل السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على حرمات الله:

إن حرمات الله هي محارمه، وعدم الجرأة على انتهاكها من علامات الإيمان الصادق، لذا حذّر النبي ﷺ من الطاعة في المعصية، وذلك واضح من تقييد النبي ﷺ طاعة أولي الأمر بألا تكون في معصية، وإلا فلا سمع ولا طاعة.

ومن هذا القبيل حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ ﷺ اللَّهِ فَبَايَعْنَاهُ. فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا. وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: ((إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٨٦٣، وحسنه الألباني ص حيح سنن ابن ماجه ٢٣١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٥٥، ٧٠٥٦، ومسلم ٤٢ - ١٧٠٩.

قال النووي: (قوله ﷺ: "إلا أن تروا كفراً بواحاً"، وفي بعضها "بداحاً" - والباء مفتوحة فيهما، ومعناهما: كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى عندكم من الله فيه برهان: أي تعلمونه من دين الله تعالى، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث كنتم)[(١)]، قال ابن حجر: (وقال غيره -أي: غير النووي-: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر)[(٢)].

وقال ابن هبيرة: (تجوز طاعة الأمير إلى الحد الذي لا ينتهي إلى معصية الله عز وجل، فإذا انتهى إليها فحينئذ لا طاعة له ولا لغيره.

وأن المأمورين إذا رأوا أميرهم قد أمرهم بما يتحققون أنه معصية لله عز وجل فواجبٌ عليهم أن لا يطيعوه وأن طاعة الأمير إنما هي فرع على طاعة الله عز وجل التي هي الأصل، فإذا انتهت المراعاة لحفظ فرع من الفروع إلى أن ينتقض ذلك الأصل الذي بنيت الفروع عليه بناء في الحكم فبطل من أصله)[(٣)].

وقال البغوي: (وحكي أن عمر بن هُبيرة كان على العراق، قال لعدة من الفقهاء منهم الحسن والشعبي: إن أمير المؤمنين يكتب إلي في أمور أعمل بها فما تريان؟ قال الشعبي: أنت مأمور، والتبعة على آمرك، فقال للحسن: ما تقول؟ قال: قد قال هذا، قال: قل، قال: اتق الله يا عمر، فكأنك بملك قد أتاك، فاستنزلك عن سريرك هذا، فأخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فإياك أن تعرض لله بالمعاصي، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

وروي عن أبي برزة أنه مرّ على أبي بكر وهو يتغيظ على رجل من أصحابه، وقيل: إن الرجل كان يسب أبا بكر، فقال أبو برزة: قلت: يا خليفة رسول الله من هذا الذي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٨/١.

تتغيظ عليه؟ قال: فلِمَ تسأل عنه؟ قلتُ: لأضرِب عنقه. وفي رواية قال أبو بكر لأبي برزة: لو قلت لك ذلك أكنت تفعله؟ قال: نعم. فقال: ما كان ذلك لأحد بعد رسول الله ﷺ. فهذا يؤيد ما قلنا، وهو أن أحداً لا يجب طاعته في قتل مسلم إلا بعد أن يعلم أنه حق إلا رسول الله ﷺ، فإنه لا يأمر إلا بحق ولا يحكم إلا بعدل، وقد يتأول هذا أيضاً على أنه لا يجب القتل في سب أحد إلا في سب رسول الله ﷺ)[١].

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لما دعا إليه رسول الله ﷺ:

لقد أمر رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة لأولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية وإلا فلا سمع ولا طاعة. وهذا الحديث يوضح العلاقة بين أولي الأمر والرعية، فإذا استجابت الرعية لذلك كان في هذا فلاحها وصلاحُها وإلا انتشرت الفتن والاضطرابات. وقد تمثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا المعنى في خطبته التي خطبها عندما بايعه المسلمون خليفة عليهم، فقال: (أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه[٢] إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)[٣].

وقد أجاب ابن عثيمين على سؤال نصه: (إذا ندب الله عز وجل إلى أمر من الشريعة ندباً عاماً، كالدعوة إلى الله مثلاً، ومنع من إيقاعه ولي الأمر مثلاً، فهل يستجاب لولي الأمر في هذا مع قول الرسول ﷺ: ((إنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))[٤]، مع الضابط إذا تيسر جزاك الله خيراً؟.

---

(١) شرح السنة ١٠/٤٤ - ٤٥.

(٢) أي: أرده إليه، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ح).

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٤/٣١٢، وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/٩٠، ٩/٤١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٤٠، ومسلم ١٨٤٠.

فأجابه الشيخ بقوله: (إذا قال ولي الأمر لشخص مثلاً: لا تدعُ إلى الله، فإن كان لا يقوم أحد سواه بهذه المهمة، فإنه لا يطاع ولي الأمر في ذلك، لأنها تكون فرض عين على هذا الشخص، ولا طاعة لولي الأمر في ترك فرض عين.

أما إذا كان يقوم غيره مقامه نظرنا: إذا كان ولي الأمر نهاه لأنه يكره دعوة الناس، فهنا يجب أن يناصح ولي الأمر في هذا، ويقال: اتق الله، لا تمنع من إرشاد عباد الله، أما إذا كان نهيه هذا الشخص لسبب آخر يحدث من جراء كلام هذا الرجل، ورأى ولي الأمر أن المصلحة إيقافه، وغيره قائم بالواجب فإنه لا يحل لهذا أن ينادد ولي الأمر، وقد كان عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفر، فأجنب عمار -أصابته جنابة- فجعل يتمرغ في الصعيد كما تتمرغ الدابة، يعني يتقلب ليشمل التراب جميع بدنه، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ لعمار: ((إنَّمَا كَانَ يَكْفِيك أَنْ تَقُولَ بِيَدِك هَكَذَا))، وأراه التيمم، ثم جاءت خلافة عمر، وصار عمار يحدث بذلك، فاستدعاه عمر رضي الله عنه يوماً من الأيام وقال: كيف تحدث بهذا الحديث؟ لأن عمر يرى أن الجنب لا يتيمم، وأن التيمم في الحدث الأصغر فقط، وأن من عليه جنابة ينتظر حتى يجد الماء ثم يغتسل ويصلي، هذا رأيه. فقال له عمار: يا أمير المؤمنين أما تذكر أن النبي ﷺ قال كذا وكذا، فكأن عمر نسي هذا، فقال له: يا أمير المؤمنين إن شئت بما جعل الله لك علي من الطاعة ألا أحدث به فعلت، فقال عمر: لا، نوليك ما توليت[1]، يعني فحدث به، والشاهد أنه ما أنكر عليه قوله: (إن شئت بما جعل الله لك علي من الطاعة ألا أحدث به، فعلت).

أما لو قال ولي الأمر مثلاً: لا تصل النافلة، فنقول: صلها، لكن بدون منابذة، صلها في بيتك، لأن منابذة ولي الأمر يترتب عليها مفاسد كثيرة، لا بالنسبة لك أنت أيها المنابذ، لأنك أنت أيها المنابذ ربما تؤخذ وتؤذي وأنت تعتقد أنك أوذيت في الله، لكن غيرك أيضاً يصاب بهذه المنابذة، وربما يقتدي بك غيرك ممن لا يعرف ما عرفت، ينابذ بدون علم، وربما تتحسس الأخبار من حولك ويؤتى بكل إنسان حولك، ويؤذى

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦ ومسلم ٣٦٨.

بدون جريمة ثم إن الحط من قدر ولاة الأمور من العلماء أو الأمراء في أعين الناس له ضرر كبير، لأن قدر ولاة الأمور إذا سقط من أعين الناس تمرد الناس على ولي الأمر، ولم يروا لأمره قيمة، وصاروا يرونه كسائر الناس، وإذا انحط قدر العلماء في أعين الناس لم يكن لما يقولونه للناس من شريعة الله قيمة، ولم يهتم الناس بأقوالهم، وخُربت الشريعة من هذا الجسر، لأن قدرهم هون في أعين الناس، فصار الناس لا يبالون بهم، ولا يأخذون بأقوالهم، يذهبون يأخذون من فلان وفلان ممن هو دونهم في فقه شريعة الله عز وجل.

فهذه الأمور لا ينبغي لنا أن ننظر إلى ظاهرها وسطحها؛ لأن لها غوراً بعيداً عميقاً، وقد سئل النبي ﷺ عن ولاة الأمور الذي يطالبون بحقهم، ويضيعون حق الله في رعيتهم فقال ﷺ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا. فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ))[1]، نحن نعطيهم ما لهم علينا، ونسأل الله سبحانه وتعالى حقنا، وذلك بأن يهديهم الله حتى يقوموا به.

فينبغي لنا أيها الإخوة ألا ننظر إلى الأمور من سطحيتها فقط؛ بل ننظر لما يترتب عليها من المفاسد العظيمة، والأمن حتماً له قيمة، فالدنيا كلها تبذل في سبيل الأمن، ويضحي الإنسان من نفسه بأشياء كثيرة من أجل الأمن، ولا يعرف قدر الأمن إلا من ابتلي بالخوف، اسألوا آباءكم الأولين، ماذا كانت عليه هذه البلاد من الخوف فيما سبق؟

كان الناس لا يذهبون من بريدة إلى عنيزة، أو من عنيزة إلى بريدة إلا مسلحين، وعلى خوف شديد، بل قال بعض الكبار: كنا -والله- نخرج في رمضان من بيوتنا بعد العشاء، بل بعد المغرب ونحن نحمل السلاح يخافون على أنفسهم من عدو يدخل البلد، أو غير ذلك. فنعمة الأمن والرخاء لا يساويها نعمة بعد الدين، فيجب علينا أن نتجنب كل ما يثير الناس، ونحن لا نبرئ ولاة الأمور من الخطأ، ولاة الأمور من العلماء والأمراء عندهم خطأ كثير، لكن جاء في الأثر: (كما تكونون يولى عليكم)[2]،

---

(١) اخرجه مسلم ١٨٤٦.

(٢) اخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بكرة كما في المقاصد الحسنة ص ٣٨٥ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٢٠.

انظروا إلى أحوال الناس، فمن حكمة الله أن الولي والمولى عليه يكونون متساوين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[(١)].

كذلك يولي الله على الصالحين صلحاء، وإذا نظرنا إلى أحوال الرعية وجدنا أنفسنا نحن الرعية عندنا تفريط في الواجبات وإخلال وتهاون، وتهافت على المحرمات؛ نجد الغش في المعاملات، والكذب، والتزوير، وشهادة الزور، وأشياء كثيرة، فلو أن الإنسان تعمق وسلط الأضواء على حال المجتمع الإسلامي اليوم، لعرف القصور والتقصير، فالمجتمع الإسلامي صدق ووفاء وأمانة، وكل هذه مفقودة الآن إلا ممن شاء الله.

فإذا أضعنا نحن الأمانة فيما نحن أمناء فيه، وليس عندنا ولاية كبيرة، فكيف من له ولاية كبيرة، قد يكون أشد منا إضاعة للأمانة، لكن استقيموا يول الله عليكم من يستقيم.

ثم إن الواجب أيضاً أن ندعو لولاة الأمور سراً وعلناً، أن ندعو لهم بالتوفيق والصلاح والإصلاح، لأنهم ولاة أمورنا، أعطيناهم البيعة، فلا بد أن نسأل لهم الصلاح حتى يصلح الله بهم، ويذكر أن أحمد قال: "لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان"، لأنه إذا صلح السلطان صلحت الأمة، وهذا صحيح.

فالواجب علينا يا إخواني ألا نيأس، وأن ندعو لولاة أمورنا أن يصلح الله لهم الأمور، وأن يعينهم على ما حملهم، وأن يبعد عنهم كل بطانة سوء، لأن ولي الأمر ليس وحده، فله أعوان، وله وزراء، وله جلساء فإن وفق بجليس صالح ومعين صالح، ووزير صالح، فهو من توفيق الله له وللرعية، وإن كان الأمر بخلاف ذلك فهو من شؤمه وشؤم الرعية، ولهذا يجب أن ندعو الله لولاتنا أن يوفقهم للصلاح والإصلاح، وأن ييسر لهم البطانة الصالحة، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق"[(٢)].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٢) نقلاً عن كتاب: ابن عثيمين الإمام الزاهد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ص ١١٦ - ١١٩.

الحديث رقم (٦٦٤)

٦٦٤- وعنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: ((فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بايعنا: من البيعة وهي المُعَاقَدة والمُعَاهَدة: أي أعطى غيره، خالصةَ نفسه وطاعته ودخيلة أمره[2].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا إذا بايعنا الرسول ﷺ) يقرر عدة أمور منها أن التعبير بكان يشير إلى أنه عادة غالبة في الفعل أي عند كل مبايعة يقول هذا القول، ومنها أنه عبَّر بضمير الجمع الذي يشير إلى تأكيد الخبر؛ لأنه فعل جماعة، وليس فعل شخص واحد ثم إنه عبر بالماضي الدال على التحقق وقوله (السمع، والطاعة) أي السماع منه والمقصود منه لازمه، وهو التنفيذ للأمر، والانتهاء بالنهي والطاعة في الأقوال، والأفعال وقول الرسول ﷺ (فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ) احتراس رقيق من النبي ﷺ يحرس به أمته من العجز، والتقصير مما يدل على عظيم محبته لهم وحرصه عليهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: مراعاة طاقات وإمكانات الناس في السمع والطاعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الشفقة والرفق بالناس.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرفق والشفقة.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٠٢ واللفظ له، ومسلم ١٨٦٧/٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ع).

أولاً- من أهداف الدعوة: مراعاة طاقات وإمكانات الناس في السمع والطاعة:

جاء الإسلام باليسر ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين، ومن مظاهر ذلك أنه راعى الطاقة البشرية في امتثال التكاليف وفعلها، وهذا واضح من قول الصحابي: (كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم).

ومن ذلك حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (بايعتُ النبيَّ ﷺ على السمع والطاعة، فلقنَني: فيما استطعتُ، والنُّصح لكل مسلم)[(1)].

قال ابن حجر: (قوله: فيما استطعت، المقصود بهذا التنبيه على أن اللازم من الأمور المبايع عليها هو ما يطاق، كما هو المشترط في أصل التكليف، ويشعر الأمر بقول ذلك اللفظ حال المبايعة بالعفو عن الهفوة وما يقع من خطأ وسهو)[(2)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[(3)]، قال: هم المؤمنون وسع عليهم أمر دينهم، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(4)]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(5)]، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(6)(7)].

وقال ابن تيمية: (ففي الجملة أهل السنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(8)]، وقال النبي ﷺ: ((إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[(9)])[(10)].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٠٣، ومسلم ٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٦٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري ٥/١٥٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٤٢٣.

(٨) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٩) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧.

(١٠) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/٢ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٤/٥٢٧.

قال النووي: (قوله ﷺ: "فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات، أو فطرة[1] جماعة من تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباه هذا غير منحصرة وهي مشهورة في كتب الفقه والمقصود التنبيه على أصل ذلك.

وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وأما قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[3] ففيها مذهبان: أحدهما أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ والثاني وهو الصحيح أو الصواب وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة بل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسرة لها ومبينة للمراد بها، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5])[6].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الشفقة والرفق بالناس:

إن الرفق والرأفة من الأخلاق التي حضّ الإسلام عليهما وحثّ أتباعه أن ينشروهما

---

(١) الفطرة: زكاة الفطر. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣١٧.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣٧.

فيما بينهم، حتى لا يقع بعضهم في حرج ومشقة وعنت، وهذا واضح من الحديث، قال النووي: (قوله: "فيما استطعت"، أي: قل فيما استطعت، وهذا من كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته، يلقنهم أن يقول أحدهم: فيما استطعت؛ لئلا يدخل في عموم بيعة ما لا يطيقه، وفيه: أنه إذا رأى الإنسان من يلتزم ما لا يطيقه ينبغي أن يقول له: لا تلتزم ما لا تطيق في ترك بعضه، وهو من نحو قوله ﷺ: ((عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ))(١).

والحديث الذي ذكره النووي فيه قصة تدل على الشفقة والرفق بالناس، قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ حَصِيرٌ. وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ. فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ. وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ. فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ. فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ))(٢).

قال النووي: (وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم)(٣).

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يتضح رفق الله تعالى بعباده المكلفين فيما شرعه لهم من الأحكام، فإنه سبحانه وتعالى لم يكلفهم إلا بما يدخل تحت قدرتهم وطاقتهم بلا مشقة، فقد أمرهم بالصلاة وبصوم رمضان إلا أنه شرع لهم الرخص التي تخفف عنهم المشقة الحاصلة من تلك العبادات، فرخص لهم الفطر والقصر والجمع في المرض والسفر، وأباح لهم المحظور عند الضرورة، إن كانت تلك الضرورة مساوية للمحظور أو تزيد عليه. كإباحة الميتة للمضطر، ولم يوجب عليهم من العبادات إلا ما هو يسير عليهم، وأمرهم أن يأخذوا من النوافل ما يطيقون وألا يتحملوا منها ما فيه مشقة زائدة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٠.

عليهم رفقا بهم، لأن تلك المشقة تؤدي إلى عدم المداومة على تلك الأعمال،وقد نهى رسول الله ﷺ عن التنطع والتكلف[1]... فإن الشارع الحكيم لم يقصد من التكاليف التي فرضها على عباده العنت والمشقة)[2].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرفق والشفقة:

إن الداعية للمدعوين كالأب الشفيق على أولاده، فيبعدهم عن مواطن المشقة عليهم، وإذا أخذت الحماسة بأحدهم مبلغها، فإنه يدله على ما يهذّب حماسته، فتكون في موضعها الصحيح، فلا تؤدي به إلى الإخلال أو العجز عما التزم به، وذلك واضح في قول النبي ﷺ لمن بايعه من الصحابة رضي الله عنهم: (فيما استطعت) وذلك واضحٌ أيضاً في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: فلقنني: (فيما استطعت) . قال النووي: (وتلقينه من كمال شفقته ﷺ إذ قد يعجز في بعض الأحوال، فلو لم يقيده بما استطاع لأخلّ بما التزم به في بعض الأحوال)[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[4].

قال الطاهر بن عاشور: (أُرسل محمدٌ ﷺ مفطوراً على الرحمة، فكان لينه رحمة من الله بالأمّة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحباً لرحمةٍ من الله أودعها الله فيه، إذ هو قد بُعث للنَّاس كافّة، ولكن اختار الله أن تكون دعوته بين العرب أولَ شيء لحكمةٍ أرادها الله تعالى في أن يكون العرب هم مبلغي الشّريعة للعالم. والعرب أمّة عُرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامةِ

(١) اخرج مسلم ٢٦٧٠ عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً: (هلك المتنطعون) قال النووي: (هم المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد). رياض الصالحين ١٠٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢/٢٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الفطرة. وسرعةِ الفهم. وهم المتلقّون الأوّلون للدين فلم تكن تليق بهم الشّدة والغلظة، ولكنّهم محتاجون إلى استنزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم، ليتجنّبوا بذلك المكابرةَ الّتي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحقّ. وورد أن صفح النبي ﷺ وعفوه ورحمته كان سبباً في دخول كثير في الإسلام، كما ذكر بعض ذلك القاضي عياض في كتاب الشفاء. فضمير "لَهُمْ" عائد على جميع الأمّة كما هو مقتضى مقام التّشريع وسياسة الأمّة، وليس عائداً على المسلمين الّذين عصوا أمر الرسول يوم أُحُد)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي لمن يتصدى لتغيير المنكر أن يأخذ نفسه بما يحمد قولاً وفعلاً، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق حتى يكون عمله مقبولاً وقوله مسموعاً، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، ومن وسائل تغيير المنكر التعريف باللطف والرفق، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[3]، وخصوصاً مع من يُخاف شرُّه كالظالم المتسلط والجاهل إذا لم يكن معانداً. ويدل على ذلك حديث بول الأعرابي في المسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: ((دَعوهُ، وهَريقوا على بَولِهِ سَجْلاً من ماءٍ - أو ذَنوباً منْ ماءٍ - فإنّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين))[4]، وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً)[5].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٤٥/٤/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٤/٢٢ ومصادرها ومراجعها.

الحديث رقم (٦٦٥)

٦٦٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) رواه مسلم(١).

وفي رواية لَهُ(٢): ((وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلجَمَاعَةِ، فَإنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط في سياق ترهيبي يزلزل أركان النفس الجامحة التي تميل إلى المخالفة، والانفراد عن جماعة المسلمين في قوله (مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ) وهو أسلوب شرط يربط ترك الطاعة بلقاء الله دون حجة أي دون مدافع عنه، وقوله (مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ) كناية عن نقض البيعة لما كان وضع اليد كناية عن العهد، وإنشاء البيعة لجري العادة بوضع اليد على اليد حال المعاهدة كنى عن النقض بخلع اليد، ونزعها يريد من نقض، وخلع نفسه عن بيعة الإمام لقي الله تعالى يوم القيامة، ولا حجة له أي آثما، ولا عذر له، وقوله (وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ) التعبير بالعنق من المجاز بعلاقة الجزئية، ولفظ العنق يشير إلى التقييد بها، أي: ومن مات، وليس مبايعا لإمام مات ميتة جاهلية.

---

(١) برقم ١٨٥١/٥٨. عن ابن عمر، وبرقم ١٨٤٨/٥٣ عن أبي هريرة.

(٢) قال الحميدي في جمعه ٢٩٧/٢، رقم ١٤٩٨ ومن حديث أسلم مولى عمر، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: ((من نزع من طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية). قلتُ: حديث زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أخرجه مسلم عقب الحديث رقم ١٨٥١/٥٨ بحديث واحد، بدون رقم. ولم يسق لفظه، وإنما قال: بمعنى حديث نافع، عن ابن عمر. ولم يبين الحميدي كذلك كعادته من أين أتى بهذا اللفظ، هل من مستخرج البرقاني أو غيره. والحديث بهذا اللفظ أخرجه أحمد في المسند ٥٧١٧، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٤٥٧٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مبايعة ولي الأمر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطر نقض العهد في البيعة ومخالفة المسلمين ومفارقتهم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحرص على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد رهّب النبي ﷺ من الخروج على الإمام بأن أخبر أن من فعل ذلك لقى الله لا حجة له في فعله، ولا عذر له ينفعه، وأن من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ولا شك أن هذا لترهيب المدعوين من هذين الفعلين وعدم الاقتراب منهما.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مبايعة ولي الأمر:

إن مبايعة ولي الأمر من الأمور ذات الأهمية بمكان في الدعوة الإسلامية، لما في ذلك من جمع للكلمة وسدٍ للفرقة ومنع للمدعو أن يلحق به الضرر في دنياه وآخرته، وهذا واضح من قوله ﷺ: (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).

وهذا ما فعله عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فالحديث في صحيح مسلم: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان في أمر الحرة[1] ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ حُجَّةَ لَهُ. وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))[2]، قال أبو العباس

---

(١) كانت وقعت الحرّة سنة ٦٣هـ وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، فوجه إليهم جيشاً لحربهم، فهزموا أهل المدينة وقتلوهم واستباحوها ثلاثة أيام، وقتل فيها عدة من بقية الصحابة من أبناء المهاجرين والأنصار وعطلت الصلاة والأذان في مسجد النبي ﷺ تلك الأيام. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦١٤/١١، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦١/٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٥١.

القرطبي: (وتحديث ابن عمر ابن مطيع بالحديث الذي سمعه من النبي ﷺ إنما كان ليبيّن له: أنه لم ينكث بيعة يزيد ولم يخلعها من عنقه مخافة هذا الوعيد الذي تضمنه هذا الحديث. والله تعالى أعلم)[1]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[2].

أبو عبدالله قال القرطبي: (قد قيل: إنها نزلت في بيعة النبي ﷺ على الإسلام)[3].

وقال الطاهر بن عاشور: (ذكرهم الله سبحانه وتعالى بالعهد الذي عاهدوا الله عليه عندما أسلموا، وهو ما بايعوا عليه النبي ﷺ مما فيه: ألا يعصوه في معروف، وقد كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على كل من أسلم من وقت ابتداء الإسلام في مكة، وتكررت البيعة قبيل الهجرة وبعدها على أمور أخرى مثل: النصرة التي بايع عليها الأنصار ليلة العقبة، ومثل بيعة الحديبية، والخطاب للمسلمين في الحفاظ على عهدهم بحفظ الشريعة، وإضافة العهد إلى الله، لأنهم عاهدوا النبي ﷺ على الإسلام الذي دعاهم الله إليه)[4].

وقال ابن الأثير عن المبايعة على الإسلام: (هو عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[5].

وقال ابن خلدون: (البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره. وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد. فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع. وصارت البيعة مصافحة بالأيدي. هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع. وهو المراد

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٤/٦١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٥/١٦٨.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٢/٢٦٠ - ٢٦١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ا ع).

في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ. ومنه بيعة الخلفاء. ومنه أيمان البيعة فقد كان الخلفاء يستحلفون على العهد ويستوعبون الأيمان كلها. فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة)[(١)].

جاء في الموسوعة الفقهية: (وقد استفاض عن رسول الله ﷺ أن الناس كانوا يبايعونه تارة على الهجرة والجهاد. وتارة على إقامة أركان الإسلام، وتارة على الثبات والقرار في معركة الكفار، وتارة على التمسك بالسنة واجتناب البدعة والحرص على الطاعات)[(٢)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر نقض العهد في البيعة ومخالفة المسلمين ومفارقتهم:

جاء الإسلام بجمع الكلمة ومنع الفرقة، لذا كان نقض البيعة والخروج على الجماعة عملاً يترتب عليه العقوبة الكبيرة والجزاء العظيم، وذلك واضح من نص الحديث، قال الطيبي: (قوله: "من طاعة" أي طاعة كانت قليلة أو كثيرة، ولما كان وضع اليد كناية عن العهد وإنشاء البيعة لجري العادة على وضع اليد على اليد حال المعاهدة، كنى عن النقيض بخلع اليد ونزعها، يريد من نقض العهد وخلع نفسه عن بيعة الإمام، لقي الله آثماً لا عذر له)[(٣)].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "لا حجة له"، أي: لا يجد حجة يحتج بها عند السؤال، فيستحق العذاب والنكال، لأن رسول الله ﷺ قد أبلغه ما أمره الله بإبلاغه من وجوب السمع والطاعة لأولي الأمر في الكتاب والسنة)[(٤)].

ومن هذا القبيل حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٩، وص ١٠٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٤/٩.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٧/٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٢/٤.

جَاهِلِيَّةٍ وَشَر. فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. وَفِيهِ دَخَنٌ)) قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: ((قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي. تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)). فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: ((نَعَمْ. قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا. وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)) فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا. وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))[1].

وقد عنون النووي لهذا الحديث في صحيح مسلم العنوان التالي: (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يختلف حكم المبايعة باختلاف المبايعين، فأهل الحلّ والعقد [وهم العلماء وجماعة الرأي والتدبير الذين اجتمع فيهم العلم بشروط الأمانة والعدالة والرأي] يجب عليهم بيعة من يختارونه للإمامة ممن استوفى الشروط الشرعية لها، وأما سائر الناس فالأصل وجوب البيعة على كل واحد منهم، بناء على بيعة أهل الحلّ والعقد؛ لقول النبي ﷺ: "من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية"، ويحرم المسلم إذا بايع الإمام أن ينقض بيعته أو يترك طاعته، إلا لموجب شرعي يقتضي انتقاض البيعة، كردة الإمام... فإن نقض البيعة لغير ذلك فهو حرام.

وقد ورد النهي عنه في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

(٢) صحيح مسلم وشرحه ١١٩٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٠ - ٤١.

عَظِيمًا﴾[(١)]، وقول النبي ﷺ: ((منْ بايَعَ إماماً، فأعطاهُ صفقَةَ يده، وثمرَةَ قلبه، فليُطِعْهُ إنِ استَطاعَ))[(٢)][(٣)].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحرص على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم:

يد الله مع الجماعة، والخير في الاجتماع والائتلاف، والشر في الافتراق والاختلاف، لذا كان من أهداف الدعوة: توحيدُ المسلمين والعملُ على جمع كلمتهم وهذا واضح من الحديث بروايتيه، ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((إنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِناً مَنْ كَانَ))[(٤)]، وفي رواية: ((مَنْ أَتَاكُمْ، وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ، عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ))[(٥)]، قال النووي: "قوله ﷺ: "يريد أن يشق عصاكم" معناه: يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس، وقوله ﷺ: (فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)، فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين، ونحو ذلك، وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدراً"[(٦)].

وقد قال النبي ﷺ: ((إنَّ اللّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلاَثاً: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا))[(٧)].

قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "ولا تفرقوا" فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٥/٩، ٢٧٨، ٢٨٠.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩ - ١٨٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٦٠ - ١٨٥٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٧، وانظر: شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٧.

(٧) أخرجه مسلم ١٧١٥.

بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام)[١].

وقال ابن تيمية: (إن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٢]، ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤]، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة)[٥].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز كون إمامين في دولة مسلمة في وقت واحد. ولا يجوز إلا إمام واحد. واستدلوا بخبر: ((إذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا))[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾[٧]، ووجه الاستدلال: أن الله سبحانه وتعالى حرّم على المسلمين التفرق والتنازع، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم، فوجد التنازع ووقعت المعصية لله تعالى. فإن عقدت لاثنين معاً بطلت فيهما أو مرتباً فهي للسابق منهما ويعزر الثاني ومبايعوه، لخبر: (إذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا).. وذهب المالكية إلى أنه إذا تباعدت البلاد وتعذرت الاستنابة جاز تعدد الأئمة بقدر الحاجة، وهو قول عند الشافعية)[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٩/١٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٥٣.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٨) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٦/٦.

الحديث رقم (٦٦٦)

٦٦٦- وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ، كأنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

زبيبة: واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جف، وإنما شبه رأس الحبش بالزبيبة لتجمعها ولكون شعره أسود[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب إنشائي وهو الأمر المتصل بواو الجماعة الذي يوجه الأمر للأمة في كل زمان، ومكان بطاعة الإمام والسمع له أي الأخذ عنه ما يراه في صالح الأمة من توجيهات لا تتعارض من شرع الله، وقوله (وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ) أسلوب شرط محذوف الجواب أي: اسْمَعُوا وأطِيعُوا، ووصف العبد بالحبشي يشير إلى سواد الوجه وقوله (كأنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ) يريد سوادها، وقيل يريد قصر شعرها، واجتماع بعضه، وتفرقه حتى يصير كالزبيب، وقال الكرماني كأن رأسه زبيبة أي حبة من العنب يابسة سوداء، وهذا تمثيل في الحقارة، وسماجة الصورة، وعدم الاعتداد بها، وقيل معناه صغيرة، وذلك معروف في الحبشة، والمقصود المبالغة في طاعة الإمام الذي لم يأمر بمعصية مهما كان شكله، وجنسه ما دام مقيما للصلاة كما مرَّ سابقا حفاظا على دماء المسلمين، وأموالهم التي يهدرها نقض البيعة، والشقاق بين المسلمين.

---

(١) برقم ٧١٤٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٢١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: جمع كلمة المسلمين والعمل على ما يحقق وحدة المجتمع الإسلامي.

اولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

لقد كان الأمر في قول النبي ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا..." وقد جاء الأمر هنا لخطورة أمر طاعة الإمام، لأن الأمر أسلوب مباشر لطلب الامتثال والفعل والإذعان، ومن هذا النحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية:

لقد حث الإسلام على طاعة ولاة الأمر والتزام الجماعة. وهذا واضح من نص الحديث وقد جاءت أحاديث أخرى في هذا المعنى، منها قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((اسمعْ وَأَطِعْ ولو لِحَبشيٍّ كأَنَّ رأسَهُ زَبيبةٌ))[2]. قال ابن تيمية: (قد أمر النبي ﷺ بطاعة ولي الأمر، وإن كان عبداً حبشياً)[3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((إِنَّ خَليلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ. وَإِنْ كَانَ عَبْداً مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ))[4] قال النووي: (أي مقطع الأطراف، والمجدع أردأ العبيد لخسته وقلة قيمته

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) اخرجه البخاري ٦٩٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١١/١٨.

(٤) اخرجه مسلم ٦٤٨.

ومنفعته ونفرة الناس منه. وفي هذا الحث على طاعة ولاة الأمور ما لم تكن معصية)[1].

وقال ابن هبيرة: (وهذا يدل على أن طاعة الأمير متعينةٌ، لا لأجل شوكته، ولا لأجل قوته، ولكن لأنه ولاه الإمام)[2].

وفي حديث أم الحصين ﵂: ((إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا))[3].

قال النووي: (أمر ﷺ بطاعة ولي الأمر ولو كان بهذه الحالة ما دام يقودنا بكتاب الله تعالى. قال العلماء: معناه ما داموا متمسكين بالإسلام والدعوة إلى كتاب الله تعالى على أي حال كانوا في أنفسهم وأديانهم وأخلاقهم ولا يشق عليهم العصا بل إذا ظهرت منهم المنكرات وعظوا وذكروا)[4].

قال ابن تيمية: (وقد استفاض وتقرر ما قد أمر به ﷺ من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم، والصبر عليهم في حكمهم، وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك، من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم، فإنه من "باب التعاون على البر والتقوى" وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك؛ مما هو من "باب التعاون على الإثم، والعدوان".

وما أمر به - أيضاً - من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لهم ولغيرهم على الوجه المشروع، وما يدخل في ذلك من تبليغ رسالات الله إليهم؛ بحيث لا يترك ذلك جبناً، ولا بخلاً، ولا خشية لهم، ولا اشتراء للثمن القليل بآيات الله، ولا يفعل أيضاً للرئاسة عليهم، ولا على العامة، ولا للحسد، ولا للكبر ولا للرياء لهم، ولا للعامة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٢٩٨، ١٨٣٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٥. وقد استبدلنا كلمة الحالة بكلمة الخساسة لأن الإسلام لا يزن الناس بألوانهم بل بأعمالهم.

ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح؛ وتقام الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة كما دلت عليه النصوص النبوية؛ لما في ذلك من الفساد الذي يَرْبَى على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم، ويفعل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه)[١].

إن السمع والطاعة لولاه أمور المسلمين فيها سعادة الدنيا وبها تنظيم مصالح العباد في معايشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، قال الحسن في الأمراء: هم يَلُون من أمورنا خمسًا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون مع أن - والله- طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر[٢].

وإنما وجب لزوم طاعة ولاة الأمر وإن جاروا (لأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جَوْرِهم بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٦]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فيتركوا الظلم[٧].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٥/١٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ١١٧/٢.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٧٩.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٥٤٢/٢، ٥٤٣.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: جمع كلمة المسلمين والعمل على ما يحقق وحدة المجتمع الإسلامي:

إن الإسلام ينشد مجتمعاً موحداً لا مفرقاً تكون فيه الأيدي والقلوب على اجتماع واتحاد لا على تفرق واختلاف، وهذا واضح من حديث الباب والأحاديث التي في معناه مما ذكر في العنصر السابق. قال الطيبي: (هذا وأمثال ذلك حث على المداراة والموافقة والتحرز عما يثير الفتن، ويؤدي إلى اختلاف الكلمة)[1] قال ابن حجر: (واستدل به على المنع من القيام على السلاطين وإن جاروا، لأن القيام عليهم يفضي غالباً إلى أشد مما ينكر عليهم، ووجه الدلالة منه أنه أمر بطاعة العبد الحبشي والإمامة العظمى إنما تكون بالاستحقاق في قريش فيكون غيرهم متغلباً، فإذا أمر بطاعته استلزم النهي عن مخالفته والقيام عليه، ورده ابن الجوزي بأن المراد بالعامل هنا من يستعمله الإمام لا من يلي الإمامة العظمى، وبأن المراد بالطاعة الطاعة فيما وافق الحق. انتهى، ولا مانع من حمله على أعم من ذلك، فقد وجد من ولي الإمامة العظمى من غير قريش من ذوي الشوكة متغلباً)[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[3] قال ابن تيمية: (فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعاً ولا يتفرقوا، وقد فسّر حبله بكتابه وبدينه وبالإسلام وبالإخلاص وبأمره وبعهده وبطاعته وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وكلها صحيحة، فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته والاعتصام به جميعاً إنما يكون في الجماعة ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله... والله تعالى قد حرّم ظلم المسلمين، أحيائهم

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٩/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/٢.

(٣) سورة آل عمران، آية:١٠٣.

وأمواتهم وحرّم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: ((إنَّ دماءَكم وأموالَكم عليكم حرامٌ كحُرْمَةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بَلدِكم هذا، ألا هل بلغتُ؟ ألا ليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامِعٍ))[١].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢]. فمن آذى مؤمناً حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك فقد دخل في هذه الآية. ومن كان مجتهداً لا إثم عليه فآذاه مؤذٍ فقد آذاه بغير ما اكتسب. ومن كان مذنباً وقد تاب من ذنبه أو غفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة فآذاه مؤذٍ فقد آذاه بغير ما اكتسب)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٥، ومسلم ١٦٧٩.

(٢) سورة الأحزاب آية:٥٨.

(٣) منهاج السنة النبوية ٥/١٢٤-١٣٥.

الحديث رقم (٦٦٧)

٦٦٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأثَرَةٍ عَلَيْكَ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مَنْشَطِك: الأمر الذي تنشط له وتؤثر فعله[٢].

مكرهك: ما يشقُّ عليك فعله ولا تحبُّه[٣].

الأثَرَةُ: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا[٤].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يقرر ضرورة طاعة الإمام في المحبوب للنفس، والمكروه، وقوله (عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ) أسلوب أمر بمعنى الزم عن طريق اسم الفعل (عليك) والتعبير به يشير إلى الإلزام كما أنه يوحي باستعلاء الأمر، وتمكنه، والجمع بين السمع، والطاعة دلالة على الإصغاء، والتنفيذ، والطباق بين العسر، واليسر يؤكد المعنى ويشير إلى ضرورة التحامل على النفس في تنفيذ الأمر طاعة لله، وحرصا على أمن المسلمين، وقوله (منشطك، ومكرهك) مفعل من النشاط، والكره، وهما أسماء زمان، أو مكان، أي فيما يوافق طبعك، وما لا يوافقه (وأثرة عليك) وهو الإيثار يعني إذا فضل ولي أمرك أحدا عليك بلا استحقاق، ومنعك حقك فاصبر ولا تخالفه وإنما قال، وأثرة عليك، وإن شمله مكرهك إشارة لشدة تلك الحالة.

---

(١) برقم ١٨٣٦/٣٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ش ط).

(٣) المرجع السابق في (ك ر هـ).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة في جميع الأحوال إلا حال الأمر بالمعصية.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ "عليك السمع والطاعة"، فعليك اسم فعل بمعنى: الزم، تقول: عليك زيداً أي الزمه[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة في جميع الأحوال إلا حال الأمر بالمعصية:

طاعة أولي الأمر واجبة في جميع الأحوال سواء في ذلك حال الرضا أو حال الغضب، وحال أخذ الحقوق أو حال منعها والاستئثار بها من قبل الولاة، لكن لا تجوز إلا في حالة واحدة، وهي حالة المعصية، وذلك واضح في الحديث، قال النووي: (قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية)[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (أجمع العلماء على وجوب طاعة أولي الأمر من الأمراء والحكام، وقد نقل النووي عن القاضي عياض وغيره هذا الإجماع[4]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل ٢/٢٠٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١٩٠، وانظر: شرح الطيبي على المشكاة ٧/١٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، للنووي ص ١١٨٩، وإكمال المعلم، للقاضي عياض ٦/٢٤٠ - ٢٤٦.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[1] وقد ذهب جمهور الفقهاء والمفسرين إلى أن المقصود بأولي الأمر في الآية الأمراء وأهل السلطة والحكم، وهناك قول بأن المقصود بأولي الأمر في الآية هم العلماء، قال الطبري: وأولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة لله وللمسلمين مصلحة... وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسبب اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[3].

قال ابن تيمية: (قال العلماء: نزلت هذه الآية الأولى في ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمرو بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك، أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسوله، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله. لأن ذلك من طاعة الله ورسوله)[4]، وقال أيضاً: (وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨/٢٢٣-٢٢٤.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٠٤/١٤ ط/ العبيكان، ٢٤٥/٢٨ ط/ ابن قاسم.

الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان، وإن لم يعاهدهم عليه وإن لم يحلف لهم بالأيمان المؤكدة، كمايجب عليه الصلوات الخمس والزكاة والصيام وحج البيت وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة)[١].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة:

إن الأصل الجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، لكن إذا تعارضتا أو تزاحمتا قدمت المصلحة العامة على الخاصة، لأن نفعها يناله أكبر عدد ممكن بخلاف الخاصة فإنها تكون قاصرة على عدد محدود. وذلك واضح في قول النبي ﷺ "وأثرة عليك" قال ابن الأثير: (أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء)[٢].

وقال النووي: (وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم)[٣]. وقال ابن تيمية: (ومعنى قوله "وأثرة عليك" أي وإن استأثر ولاة الأمور عليك فلم ينصفوك، ولم يعطوك حقك)[٤].

ومن ذلك حديث ابن مسعود قال لنا رسول الله ﷺ: ((إنكم سَتَرونَ بعدي أثرةً وأموراً تُنكرونها. قالوا: فما تأمرُنا يا رسولَ الله؟ قال: أَدُّوا إليهم حقّهم، وسَلوا اللّهَ حقكم))[٥].

قال النووي: (فيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه)[٦].

---

(١) المرجع السابق ٩/١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/١٨.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٥٢، ومسلم ١٨٤٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

وقال الطيبي: (وأجمع أهل السنة على أن السلطان لا ينعزل بالفسق، لتهييج الفتن في عزله وإراقة الدماء وتفريق ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه)[١].

وجاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (لقد دلّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما تجب الصلاة خلفه والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعم من أمر المصالح الخاصة، كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعته وعدم الخروج عليه. قال الإمام الطحاوي: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)[٢] والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة)[٣].

ومن صور تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في الشريعة الإسلامية:

أ- منع الاحتكار. وتعريفه: (هو حبس ما يضرّ بالناس بقصد إغلاء السعر أو نشر البلبلة، ويتحقق الاحتكار بحبس كل ما يضر بالناس حبسه من الأقوات واللباس والأدوية والوقود ونحو ذلك)[٤]، والحكمة في تحريم الاحتكار (رفع الضرر عن عامة الناس، ولذا فقد أجمع العلماء على أنه لو احتكر إنسان شيئاً واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أُجبر على بيعه، دفعاً للضرر عن الناس، وتعاوناً على حصول العيش. وهذا

---

(١) شرح الطيبي ١٨٢/٧.

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها ٥٤٠/٢.

(٣) أصول الإيمان ٢٨٨.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، الدكتور محمد رواس قلعة جي ٧٣/١.

ما يستفاد مما نقل عن مالك من أن رفع الضرر عن الناس هو القصد من التحريم. إذ قال:إن كان ذلك لا يضر بالسوق فلا بأس وهو ما يفيده كلام الجميع)[1].

ب- التسعير: (وهو - كما قال محمد رواس قلعة جي- فرض السلطان أسعاراً محددة لسلع الناس وإجبار الناس على التبايع بها. ويشرع التسعير لتحقيق مصالح التجار وحمايتهم من الخسائر الكبيرة أو من الإفلاس، حيث يمنع السلطان أحدهم أن يبيع ما يبيعون بأقل من أسعارهم، يريد بذلك الإضرار بهم، وحماية المشترين من جشع التجار الذين لا يقنعون بالربح العادل، حيث يأخذون أكثر من حقهم، فيزيد ذلك الفقير فقراً. والأصل في التسعير التحريم ويكون واجباً حماية للناس ورعاية لمصلحة الفقير -فيما رأى- في أحوال ثلاث:

١- إذا كثر جشع التجار ولم يعودوا يقنعون بالربح العادل.

٢- إذا كان بيع سلعة معينة محصوراً بشخص واحد أو أشخاص معينين لا يبيعها غيرهم.

٣- إذا خرج جماعة من التجار يبيعون ما يبيعه جماهير التجار بأرخص من أسعارهم يريدون بذلك الإضرار بهم)[2].

---

(١) الموسوعة الفقهية الصادرة من وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٩١-٩٢.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٤٨٠-٤٨١.

الحديث رقم (٦٦٨)

٦٦٨- وعن عبدِ اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: كنا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ في جَشَرِهِ، إذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: ((إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلِي إلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي، ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ. فَمَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إمَاماً فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إن استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

خِبَاءه: البيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة[2].

ينتضل: يُسَابق بالرمي بالنَّبل والنُّشَّاب[3].

جَشَرِهِ: الدواب التي ترعى وتبيت مكانها[4].

عافيتها: العافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا[5].

---

(١) برقم ١٨٤٤/٤٦.

(٢) المعجم الوسيط في (خ ب أ).

(٣) رياض الصالحين ٢٨٩.

(٤) رياض الصالحين ٢٨٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ف ي).

يرقق بعضها بعضاً: أي: يُصيِّر بعضها بعضاً رقيقاً: أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يرقق الأول. وقيل: معناه يُشَوِّق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها، وقيل يشبه بعضها بعضاً[١].

يُزَحْزح: يُبْعد ويُنَحَّى[٢].

صَفْقَةَ يده: عهده وميثاقه؛ لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الآخر[٣].

الشرح الأدبي

الحديث اشتمل على جملة من الأخبار المستقبلية التي تدل على صدق الرسول ﷺ والتي تنبه إلى فتن آخر الزمان، وتنص على بعض المباديء التي تنظم العلاقة بين الراعي، والرعية، وقوله: (الصَّلاة جَامِعَة) جملة خبرية لفظا إنشائية معنى أَيْ إِئْتُوا الصَّلاة بِنَصْبِ الصَّلاة عَلَى الإِغْرَاء وَنَصْب جَامِعَة عَلَى الْحَال أَيْ أُحْضُرُوا الصَّلاة حَال كَوْنهَا جَامِعَة لِلْجَمَاعَةِ، وفي العبارة إشارة إلى أهم خصوصيات الصلاة، وهي صفة الجمع للمسلم مع إخوانه يتفقد كل واحد منهم الآخر، وجمع للمسلمين مع ربهم في اتصال لا يخترقه عدو، وقوله (يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ) فيه مقابلة مع قوله (وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ) تشير إلى شمول تبليغه لكل ما يهم المسلم من خير، أو شر، ويمهد لما بعده من الحديث عن فتن آخر الزمان، وقد استخدم أسلوب المقابلة بين المعاني لتوضيحها حيث قابل بين جملة (جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا) أي سلامتها في دينها، وبين جملة (وَسَيُصيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ) وقوله: (وَأمُورٌ تُنْكِرُونَهَا) كناية عن الفتن العظيمة التي لم يعرفها سلفهم، وقوله: (وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً) كناية عن تتابع الفتن، وتعاظمها بحيث يَجْعَل بَعْضهَا بَعْضًا رَقِيقًا وَالْحَاصِل أَنَّ الْمُتَأَخِّرَة مِنْ الْفِتْنَة أَعْظَم مِنْ الْمُتَقَدِّمَة فَتَصِير الْمُتَقَدِّمَة عِنْدهَا رَقِيقَة وقوله (وَتَجِيءُ الفتنَةُ) وتكرارها يؤكد

---

(١) رياض الصالحين ٢٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ح ز ح).

(٣) المرجع السابق في (ص ف ف).

تتابعها، وتخصيص المؤمن بالذكر عند تتابع الفتن لأنها فتن في الدين، والمؤمن هو الذي يكترث لها، وغيرها لا تعنيه، وربما لا يراها لانشغاله بالدنيا فلا يرى فتنة إلا فيما يخصها، وقوله: (أَنْ يُزَحْزَح) عَلَى بنَاء الْمَفْعُول للعلم بالفعل وقوله (فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ) أمر أريد به لزوم الإيمان واستمراره حتى الموت (وَلْيَأْتِ إِلَيَّ النَّاس) أمر نصح، وإرشاد أَيْ لِيُؤَدِّ إِلَيْهِمْ وَيَفْعَل بِهِمْ مَا يُحِبّ أَنْ يُفْعَل بِهِ والتعبير بالإتيان فيه دلالة على أن الأمر لا يخلو من جهد ومشقة، وتكلف وقوله: (فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينه) كناية عن عَهْده، وَمِيثَاقه؛ لأَنَّ الْمُتَعَاقِدَيْنِ يَضَع أَحَدهمَا يَده فِي يَد الآخَر كَمَا يَفْعَلهُ الْمُتَبَايِعَانِ، وَهِيَ الْمَرَّة مِنْ التَّصْفِيق بِالْيَدِ، وقوله: (وَثَمَرَة قَلْبه) استعارة للإخلاص في العَهْد لما كان أعظم ما يبذله الإنسان لأخيه شبه بالثمرة، وهي خير ما يرجى في الشجرة، وفيه إشارة إلى ضرورة العمل بإخلاص معه لتحقيق مصلحة الأمة، وجملة الشرط التي ختم بها الحديث تبين أن الأمر جد خطير فهو مما يعظم به الخطب، وتعم به البلوى، ولذلك قال (فإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ) لأن قتل واحد هنا يعصم دماء أمة هناك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من وسائل الدعوة: جمع الناس المدعوين في مكان واحد.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على الخير.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القصر والتوكيد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ، وإخباره عن بعض ما يحدث في أمته من فتن.

سادساً: من واجبات الداعية: بيان سبل النجاة عند ظهور الفتن.

سابعاً: من آداب المدعو: معاملة الناس بما يحب أن يعامل به.

ثامناً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة والحذر من الخروج على ولاة الأمر.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي عن حال الصحابة رضي الله عنهم في سفرهم وما حدث بعد ذلك من خطبة النبي ﷺ فيهم، وذلك بقوله: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خباءه... إلخ. وقد استخدم أسلوب الإخبار كثيراً في الدعوة[١]، ومن ذلك حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا تصوبنا سبحنا))[٢].

ثانياً- من وسائل الدعوة: جمع الناس في مكان واحد:

من الوسائل المهمة لنشر الدعوة جمع الناس في مكان واحد؛ لأن ذلك يجعل الداعية يبلغ دعوته إلى أكبر عدد ممكن، ومن ثم تزداد احتمالات الاستجابة والامتثال للدعوة، وقد استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة كما هو واضح في قول الصحابي: "إذ نادى مناد رسول الله ﷺ: "الصلاةُ جامعة".

قال ابن حجر: (هو بالنصب فيهما على الحكاية، ونصب الصلاة في الأصل على الإغراء، وجامعة على الحال، أي: احضروا الصلاة في حال كونها جامعة. وقيل برفعها على أن الصلاة مبتدأ وجامعة خبره، ومعناه: ذات جماعة. وقيل: جامعة صفة والخبر محذوف تقديره: فاحضروها)[٣]. وقالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث الدجال الطويل: ((فَنُودِيَ فِي النَّاسِ: إِنَّ الصَّلاَةَ جَامِعَةً. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ فِيمَنِ انْطَلَقَ مِنَ النَّاسِ. قَالَتْ: فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ مِنَ النِّسَاءِ. وَهُوَ يَلِي الْمُؤَخَّرَ مِنَ الرِّجَالِ))[٤].

وقال ابن عثيمين: (قوله: إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، هذا

---

(١) انظر على سبيل المثال فهارس مسند أحمد بن حنبل ٢٦٥/٤٨-٢٧٥، وفهارس زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) اخرجه البخاري ٢٩٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٩/٢.

(٤) أخرج مسلم ١٢٠-٢٩٤٢.

النداء ينادى به لصلاة الكسوف، وينادى به إذا أراد الإمام أو الأمير أن يجتمع بالناس، بدلاً من أن يقول: يا أيها الناس هلموا إلى المكان الفلاني. فاجتمع الناس، فخطبهم النبي ﷺ)(١).

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أن الأذان إنما شرع للصلوات المفروضة ولا يؤذن لصلاة غيرها كالجنازة والوتر والعيدين وغير ذلك، لأن الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة، والمكتوبات هي المخصصة بأوقات معينة.... أما كيفية النداء لهذه الصلوات التي لا أذان لها فقد ذكر الشافعية أنه بالنسبة للعيدين والكسوف والاستسقاء والتراويح إذا صليت جماعة... وفي وجه للشافعية بالنسبة لصلاة الجنازة فإنه ينادى لها: الصلاة جامعة، هو رأي الحنابلة بالنسبة للعيد والكسوف والاستسقاء. وهو مذهب الحنفية والمالكية بالنسبة لصلاة الكسوف، وعند بعض المالكية بالنسبة لصلاة العيدين. واستحسن عياض ما استحسنه الشافعي وهو أن ينادي لكل صلاة لا يؤذن لها: الصلاة جامعة. ومما استدل به الفقهاء حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((خَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَ مُنَادِيًا يُنَادِي بالصَّلَاةُ جَامِعَةٌ))(٢))(٣).

وقد كان الأنبياء عليهم السلام أحرص ما يكونون على عرض دعوتهم في مجتمع الناس وملتقاهم، ولعل ما يوضح هذا خير توضيح قصة موسى عليه السلام مع فرعون. قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ

(١) شرح رياض الصالحين ٩٦٠/١، وقال أبو العباس القرطبي: "الصلاة جامعة: خبر بمعنى الأمر، كأنه قال: اجتمعوا للصلاة، وكأنه كان وقت صلاة، فلما جاءوا وصلوا معه، وسكت الراوي عن ذلك، وإلا فمن المحال أن ينادي منادي الصادق بالصلاة ولا صلاة، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥١/٤، وأياً ما كان الأمر فإن النبي ﷺ خطبهم بعد هذا النداء. والصواب أنه كان شعاراً لجمع الصحابة إلى المسجد لأمر جلل وأما صلاة الفريضة فينادى لها بالأذان.

(٢) أخرجه مسلم ٤-٩٠١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧١/٢.

مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾[1].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهى إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال: هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولى به على الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: يوماً نجتمع: تجمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وهو يوم عيدهم ونُوْرُوزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعًا؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ أى: جميعهم ﴿ضُحًى﴾ أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بين، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل "ليلاً" ولكن نهاراً ضحى. قال ابن عباس: وكان يوم الزينة يومَ عاشوراء. وقال السدى، وقتادة، وابن زيد: كان يوم عيدهم. وقال سعيد بن جبير: يوم سوقهم، ولا منافاة)[2].

ولم يكن هذا مسلك الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم - فحسب، وإنما كان أيضاً مسلك الدعاة إلى الله من غيرهم، ففي حديث الغلام والراهب والساحر، قال الغلام للملك الذي كان يريد قتله؛ لأنه آمن بالله وترك عبادة هذا الملك «فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد

(١) سورة طه، الآيات: ٥٧-٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٢٩٩-٣٠٠.

واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته. ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام. ثم رماه فوقع في صدغه فوضع يده في صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك. قد آمن الناس»[١].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على الخير:

هناك تلازم بين الداعية وبين دلالة الناس على الخير، لأن من أبرز صفات الداعية دلالة الناس على الخير وذلك واضح في قوله ﷺ: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم"، قال القرطبي: "أي حقاً واجباً، لأن ذلك من طريق النصيحة والاجتهاد في التبليغ والبيان"[٢].

وقال ابن عثيمين: (أخبرهم ﷺ أنه ما من نبي بعثه الله إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم وأنذرهم شر ما يعلمه لهم، كل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كان منهم النصيحة لأقوامهم يعلمونهم الخير ويدلونهم عليه ويحثونهم عليه، ويبينون الشر ويحذرونهم منه، وهكذا يجب على أهل العلم وطلبة العلم أن يبينوا للناس الخير ويحثوهم عليه ويبينوا الشر ويحذروهم منه؛ لأن علماء هذه الأمة ورثة الأنبياء. فإن النبي ﷺ ليس بعده نبي ختمت النبوة به. فلم يبق إلا العلماء الذين يتلقون شرعه ودينه، فيجب عليهم ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والحذر منه"[٣]. (فالرسول في أمته هادٍ ومعلم لا يألوهم نصحاً ودلالة على الخير"[٤]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥١/٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٦٠/١.

(٤) العقيدة الإسلامية، وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٣١١.

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١].

قال ابن القيم: (إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال)[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: القصر والتوكيد:

أما القصر فقوله ﷺ: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم". وقد أفاد القصر في هذا الحديث أهمية اقتداء الدعاة بالرسل عليهم السلام وبرسولنا الكريم ﷺ في دلالة الأمة على كل خير وإنذارهم وتحذيرهم من كل شر.

وأما التوكيد فقوله ﷺ: "إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ...".

خامساً- من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ، وإخباره عن بعض ما يحدث في أمته من فتن:

بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً وأيده بالمعجزات والآيات التي تدل على صدقه وأنه رسول من قبل رب العالمين ومن هذا القبيل إخباره ﷺ بما سيقع من فتن، وهذا واضح من قوله ﷺ: ((وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا. وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا. وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً ...)).

قال القرطبي: "يعني بأول الأمة زمانه وزمان الخلفاء الثلاثة إلى قتل عثمان، فهذه الأزمنة كانت أزمنة اتفاق هذه الأمة واستقامة أمرها وعافية دينها. فلما قتل عثمان

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١-٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٦٩/١.

ماجت الفتن كموج البحر، وتتابعت كقطع الليل المظلم، ثم لم تزل ولا تزال متوالية إلى يوم القيامة، وعلى هذا فأول آخر هذه الأمة المعنى في هذا الحديث - مقتل عثمان، وهو آخر بالنسبة إلى ما قبله من زمان الاستقامة والعافية، وقد دلّ على هذا قوله: "وأمور تنكرونها" والخطاب لأصحابه. فدلّ على أن منهم من يدرك أول ما سماه آخراً، وكذلك كان"[١].

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا))[٢].

قال النووي: (هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً، ووجد مخبره متكرراً)[٣].

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((لقد خطَبنا النبيُّ ﷺ خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعةِ إلا ذكره، علِمهُ من علِمه وجَهِله من جهلهِ، إنْ كنتُ لأرى الشيءَ قد نسيتهُ، فأعرفهُ كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غابَ عنه فرآهُ فعرَفه))[٤].

وفي صحيح ابن حبان باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، وذلك في كتاب التاريخ، أخرج فيه جملة كبيرة من الأحاديث[٥]، وساق ابن كثير هذه الأحاديث وغيرها في آخر السيرة النبوية تحت عنوان: ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره - عليه الصلاة والسلام - عن الغيوب المستقبلة[٦].

وقال ابن تيمية: (وكان ﷺ يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ﷺ ومعجزاته تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة الأنبياء به، ومثل أخبار الكهان والهواتف به، ومثل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥١/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٠٣، ومسلم ١٨٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١.

(٥) صحيح ابن حبان ١٥/ الأحاديث، ٦٦٣٦-٦٨٥٣.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٦١/٩-٢٠٥.

قصة الفيل التي جعلها الله آية عام مولده، وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبوته، ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله عز وجل، من غير أن يعلمه إياها بشر.

فأخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى والمسيح وصالح وشعيب وغيرهم، وبالمستقبلات، وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم، ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه، بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي، ولا كان هو يحسن لساناً غير العربي، ولا كان يكتب كتاباً ولا يقرأ كتاباً مكتوباً.

ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين: سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم، وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب.

وأخبر من كان معه بإخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بَحيرَي الراهب بنبوته، وما ظهر لهم منه مما دلهم على نبوته، ولهذا تزوجت به خديجة قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن المقصود هنا التنبيه بأن محمداً ﷺ له معجزات كثيرة، مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة، ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم، وتكثير الماء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير.

وهذا قد جرى غير مرة له، ولأمته من الآيات ما يطول وصفه، فكان بعض أتباعه يحيي الله له الموتى من الناس والدواب، وبعض أتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحر حتى يعبروا إلى الناحية الأخرى[1].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١/٣٩٩-٤٠٣.

سادساً- من واجبات الداعية: بيان سبل النجاة عند ظهور الفتن:

اقتضت حكمة الله تعالى ظهور الفتن التي يخشى على المسلمين منها، وكان من رحمته سبحانه أن جعل الرسول ﷺ يبين طرق النجاة منها عند ظهورها، لأن أولى ما يخاف المدعو عليه هو دينه، لذا فإن عمل الدعاة أن يبينوا للناس سبل الوقاية من الفتن وهم إذ يفعلون هذا يقتدون بالنبي ﷺ الذي يبيّن للأمة طريق نجاتها من الفتن، وهذا واضح من قوله ﷺ: ((وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَـٰذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَـٰذِهِ هَـٰذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ)).

قال السندي: (والحاصل أن المتأخرة من الفتن أعظم من المتقدمة فتصير المتقدمة عندها دقيقة رقيقة)[1].

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((ستكونُ فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم خير منَ الماشي، والماشي فيها خير منَ الساعي، مَن تَشرَّف لها تَستَشرِفه، فمن وَجَدَ ملجأً أو معاذاً فليَعذْ به))[2].

وفي حديث آخر عند مسلم: ((فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَىٰ سَيْفِهِ فَلْيَدُقَّ عَلَىٰ حَدِّهِ بِحَجَرٍ. ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ))[3].

قال ابن حجر: (فيه التحذير من الفتنة، والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها)[4].

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي ١٧٢/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٨٢، ومسلم ٢٨٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/١٣، وانظر شرح مسلم ١٦٧٤.

(إن المنجيات من الفتن: أن تتنازل عن حقك في الدنيا، وإن كان الصبر على ذلك شاقاً على النفس، كما جاء في سنن أبي داود: ((إن السعيد لمن جنب الفتن -ثلاثاً- ولمن ابتلى فصبر فواهاً))[١]. ومن كانت الفتنة تحيط به ولا منجي له منها فليفر بدينه من الفتن أو ليكثر من العبادة كما في الحديث: ((العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ))[٢]. والتزود بالأعمال الصالحة مطلوب للوقاية من الفتنة قبل وقوعها، قال ﷺ: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا))[٣].

يقول النووي في شرح الحديث: (معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتراكمة المتكاثرة)[٤].

ومن كان يملك أسباب الفتنة فليتخلص منها كما جاء في الحديث: ((كسروا فيها قسيكم))[٥]. حتى إن كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر في قصة الثلاثة الذين خُلفوا؛ كيف جاءه كتاب من ملك غسان وفيه (.. قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك) يقول كعب: (فقلت لما قرآتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممت التنور فسجرته بها)[٦].

وحاول في الفتنة ألا تكون أميراً فإن أسامة رضي الله عنه كان يقول: (ما أنا بالذي أقول لرجل - بعد أن يكون أميراً على رجلين -: أنت خير)[٧]، يقول ابن حجر: (فكان أسامة

---

(١) اخرجه ابو داود، ٤٢٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٥٨٥). أما قوله ﷺ "فواهاً" فقد يحمل على التعجب: أي من ابتلى وصبر فطوبى له. انظر شرح الطيبي على المشكاة، ٦٨/١٠.

(٢) اخرجه أحمد ٢٠٢١١/٣٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) اخرجه مسلم ١١٨، كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٨.

(٥) اخرجه الترمذي ٢٢٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٩٥).

(٦) اخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٧) اخرجه البخاري ٧٠٩٨، ومسلم ٢٩٨٩.

يرى أنه لا يتأمر على أحد، وإلى ذلك أشار بقوله: لا أقول للأمير: إنه خير الناس)[١].

والدعاء بالحماية من شرور الفتن سبب من أسباب النجاة ففي الحديث: ((وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون))[٢]. وفي دعاء عمر رضي الله عنه: ((نعوذ بالله من شر الفتن))[٣].

وينجيك عند الله أن تنكر الفتنة، ولا ترضى بها، ولا تعين عليها، قال ﷺ: ((..وأي قلب أنكرها نكتت فيه نُكتة بيضاء حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض))[٤].

وأهم المنجيات أن يفقه المرء دينه، وأن يميز حدود الشرع -دون التباس- فقد نقل ابن حجر عن ابن أبي شيبة حديثاً عن حذيفة يقول فيه: (لاتضر الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل)[٥].

ورغم كل هذه الأسباب المنجية وغيرها، لابد للقلب من أن يبقى معلقاً بالله، وحقاً: إن السعيد لمن جنب الفتن) فاجتناب الفتن حفظ رباني، أكثر من كونه كسباً بشرياً، فخذ بالأسباب واستعن بالله.

والخلاصة أن: من أسباب الوقوع في الفتنة:

- استعداد القلب لقبولها.
- الخوض بالألسنة واعتقاد الأوهام.
- تقديم الرأي على حكم الشرع.
- استلام إمارة لا يعان عليها.
- الانشغال بالقول عن العمل.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٠).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٩، ومسلم ٢٣٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٥٣.

من آثار الفتنة:

- تُنسى الناس حقائق يعرفونها.
- تُرقق الدين.
- تُذهب العقل.
- تعدم التأثر بالموعظة.

من المنجيات من الفتن:

- التنازل عن حقك في الدنيا.
- الفقه في الدين.
- التخلص من وسائل الفتنة وأسبابها.
- عدم تولي إِمرة في الفتنة.
- الدعاء بالحماية من شرها.
- إنكار القلب للفتنة.
- التزود بالعمل الصالح.

اجتناب الفتن حفظ رباني أكثر من كونه كسباً بشرياً)[١].

سابعاً- من آداب المدعو: معاملة الناس بما يحب أن يعامل به:

من يزرع الخير يحصد الخير، ومن زرع غير الخير فلا يلومن إلا نفسه إن حصد الشر، لذا فمن أراد دخول الجنة فليعامل الناس كما يحب أن يعاملوه مع الإيمان بالله. لذا قال النبي ﷺ فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، قال السندي: (أي ليؤدى إليهم ويفعل بهم ما يحب أن يفعل به)[٢].

قال النووي: (إن هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حكَمه، وهذه قاعدة مهمة،

---

(١) هذه أخلاقنا حتى نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٢٧٦ -٢٧٩.

(٢) حاشية السندي على النسائي ١٧٢/٧

فينبغي الاعتناء بها وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس، إلا ما يحب أن يفعلوه معه)[(١)].

ويمكن الاستئناس هنا بحديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا))[(٢)].

قال الطيبي: (ومعنى الحديث: أوجبوا على أنفسكم الإحسان بأن تجعلوها وطناً للإحسان، والتقدير: وطنوا أنفسكم على الإحسان إن أحسن الناس فأحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا، لأن عدم الظلم إحسان)[(٣)].

إن معاملة المرء للناس بما يحب أن يعاملوه به من الأسس الأخلاقية المهمة التي تقوم عليها حياة الفرد والمجتمع، فإذا التزم الفرد بذلك فإنّه سوف يكتسب إخواناً صالحين له، يحرصون على معاملته بالأخلاق الفاضلة التي يعاملهم بها، ومن ثم يزداد هو وهم فضائل ومكارم وخلالاً طيبة وتشيع بينهم روح الودّ والمحبة، وهذا ولاشك يزيد من حسناتهم ويقلل من سيئاتهم. أما الذين أصروا على معاملته بعكس ما يعاملهم به، فيقابلون إحسانه بالإساءة والخير والشر والمحبة بالعداوة فإن نسبة كبيرة من هؤلاء ستغير من معاملته بعد فترة إن رأت تمسكه بالمعاملة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[(٤)].

كلُّ هذا يجعل العلاقة بين معظم الأفراد تقوم على التوادد والتحابّ والتعاطف، مما يكون له أبلغ الأثر على سلامة المجتمع وتماسكه الاجتماعي بسبب انتشار

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٤، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٢/٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٣٤٥).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢٦٥/٩.

(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

الأخلاق الطيبة والفضائل الكريمة وشيوعها حتى أصبحت هي الأسس التي يتحاكم إليها الأفراد.

والخلاصة: أن التزام كل فرد بأن يعامل الناس كما يحبّ أن يعاملوه، من الأسباب الحيوية التي تحفظ للمجتمع قيمه ومبادئه وتعمل على ترسيخ الأخلاق الفاضلة في نفوس الأفراد، مما يكون له أكبر النفع على الفرد والمجتمع معاً. يقول الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة: (إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده ان يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ولو فرضنا احتمالاً أنه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى فإنه لابد لسلامة هذا المجتمع من خلق الثقة والأمانة على أقل التقادير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار ... لقد دلت التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة. ومتناسب معه وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً صاعدين وهابطين)[1].

ثامناً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة والحذر من الخروج على ولاة الأمر:

(إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض. ولابد لهم عند الاجتماع من رأس)[2]. لذا أوجب الإسلام طاعة أولي الأمر وحذر من الخروج عليهم ومنازعتهم كما هو واضح من قول النبي ﷺ: "ومن بايع إماما فأعطاه صفقةَ يده

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٣٣-٣٥.

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ٤٤٩.

وثمرة قلبه فليُعطِه، إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"، قال ابن الأثير: (هو أن يعطي الرجل عهده وميثاقه، لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الأخر كما يفعل المتبايعان وهي المرة من التصفيق باليدين)(١).

ومن ذلك قول ﷺ: ((إنهُ لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خُلَفاءُ فيَكثُرون. قالوا: فما تأمُرنا؟ قال: فُوا ببيعةِ الأولِ فالأوَّلِ، أعطوهم حقَّهم، فإنَّ الله سائلُهم عمّا استرعاهم))(٢).

قال ابن حجر: ("أعطوهم حقهم" أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم)(٣).

وقال ابن رجب: (وأما الطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي رضي الله عنه: (إن الناس لا يصلحهم إلا إمام، برٌّ أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربه وحُمل الفاجر فيها إلى أجله)(٤)، وقال الحسن في الأمراء: (هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لـمَا يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن - والله - إن طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر)(٥).

(وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة. وأن الخروج على طاعة ولي الأمر والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد والعدول عن سبيل الهدى والرشاد)(٦).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٥، ومسلم ١٨٤٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٤/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، ٣٢٨/١٥ بنحوه.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٧/٢.

(٦) نصيحة مهمة في ثلاث قضايا: كتبها أصحاب الفضيلة العلماء: محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسعد بن حمد بن عتيق، وعمر بن محمد بن سليم، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، تحقيق عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ص ٤١.

الحديث رقم (٦٦٩)

٦٦٩- وعن أَبي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بن حُجرٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بن يَزيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَألَهُ[1]، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملتُمْ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

وائل بن حُجْر: هو وائل بن حجر الحضرمي القطحاني أحد الأشراف كان سيد قومه، وبقية أولاد الملوك بحضرموت، فقد كان أبوه من الأقبال لوهم ملوك حمير دون الملك الأعظم] لما بلغه ظهور أمر النبي ﷺ وانتشاره في أنحاء الجزيرة أقبل مسلماً تاركاً وراءه ملكاً كبيراً ورعية كثيرة يقول عن إسلامه: بلغني ظهور النبي ﷺ فتركت ملكاً عظيماً وطاعة عظيمة فهبطت إلى النبي ﷺ فأخبرني أصحابه فقالوا: بشرنا النبي ﷺ بمقدمك قبل أن تقدم بثلاثة أيام. ثم لقيته فقرب مجلسي وأدناني وبسط لي رداءه وأجلسني معه وقَبِل إسلامي. ثم هبط إلى منبره فصعد وأصعدني معه فقمت دونه، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيين وقال: هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره راغباً في الله عز وجل وفي رسوله وفي دينه، بقية أبناء الملوك، اللهم بارك في وائل بن حجر وفي ولده وولد ولده.

ثم أنزلني معه، فبعث معاوية بن أبي سفيان وأمره أن يعطيني أرضاً فيدفعها إلي وكتب لي كتاباً خاصاً يفضلني فيه على قومي وكتاباً لي ولأهل بيتي بمالنا وكتاباً لي ولقومي[3].

---

(١) عند مسلم زيادة: (في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس).

(٢) برقم ١٨٤٦/٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١٧٥/٨-١٧٦ وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين أبي بكر الهيثمي ٣٧٣/٩ والطبقات الكبرى، ابن سعد، والثقات لابن حبان ٤٢٤/٣-٤٢٥.

وقد شارك في الفتوح واستوطن الكوفة، ويقال: إنه كان على راية قومه يوم صفين مع علي بن أبي طالب. فلما استقر الأمر لمعاوية بايعه عندما دخل الكوفة. ومات في خلافته ٤٤هـ.

وانتقل أحد أحفاده خالد المعروف بـ "خلدون بن عثمان" إلى الأندلس فكان من ولده بنو خلدون بإشبيلية، ومنهم المؤرخ وعالم الاجتماع عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ)[1].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول العلاقة بين الحاكم، والمحكوم قائم على حوار يدل على الحيوية، ويبنى على سؤال، وجواب وهو سؤال الراوي بعد نداء التكريم، والتودد (أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟) استفهام بمعنى أخبرني ماذا أفعل، والطباق بين قوله يَسألُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا يشير إلى المفارقة في الفعل التي سببت الحيرة، وقوله (فَأعْرَضَ عنه) الإعراض كناية عن الرفض أو الكراهية للخوض في المعنى، وقوله (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) اسمعوا أي ظاهرا، وأطيعوا باطنا، أو اسمعوا قولا، وأطيعوا فعلا، وقوله (فإنَّمَا عَلَيهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حمِّلْتُمْ) الجناس بين حملوا، وحملتم يؤكد معنى مسئولية كل منهم عن ما كلف به دون أن يتحمل مسئولية غيره يدل على ذلك صياغة المعنى في أسلوب القصر الذي يدل على التخصيص، والذي أكده بالتخصيص بتقديم الجار والمجرور على عامله أي ليس على الأمراء إلا ما حملهم الله وكلفهم به من العدل والتسوية فإذا لم يقوموا بذلك فعليهم الوزر، والوبال، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من السمع، والطاعة، وأداء

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٦/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٠٥/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٢، والسير ٥٧٣/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥١/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠٤/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٠٦/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٩٥٩/٣.

الحقوق فإذا قمتم بما عليكم فالله تعالى يتفضل عليكم ويثيبكم به، وفي الحديث إشارة إلى قول الله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور٥٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من حقوق المدعو: السؤال عما خفي عليه واحتاج إليه.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعو.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر.

خامساً: من موضوعات الدعوة: مسؤولية كل إنسان عما اكتسب.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضح من سؤال الصحابي رسول الله ﷺ عن الأمراء يمنعون حق الرعية على حين يأخذون حقهم، فكيف يكون حال الرعية وقتئذ، ثم سأله مرة ثانية فأخبره النبي ﷺ بالواجب على الرعية في هذا الحال وهو السمع والطاعة وعدم منازعة الأمر أهله، فأفاد هذا الأسلوب أهمية الامتثال لولاة الأمر والسمع والطاعة، وأكدَّ النبي ﷺ أن على الولاة ما حُمِّلوا، وعلى الرعية ماحملوا.

ثانياً- من حقوق المدعو: السؤال عما خفي عليه واحتاج إليه:

لقد سأل الصحابي رضي الله عنه عما يشغله فأجابه النبي ﷺ ووضح له الأمر الذي سأله عنه، فدل هذا على أن من حق المدعو أن يسأل عما خفي عليه واحتاج إليه في دينه ودنياه.

ومن هذا القبيل حديث أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَىٰ إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ. ثُمَّ أَتَىٰ خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))(١).

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٦.

قال النووي: (فيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها)[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعو:

من الأهمية بمكان أن يبين الداعية الحقائق للمدعو حتى يكون على بينة وتتضح له الأمور، فيأتي الصواب ولا يفعل الخطأ. يتضح ذلك من قول النبي ﷺ "فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم".

قال أبو العباس القرطبي: (يعني أن الله تعالى كلّف الولاة العدل وحسن الرعاية وكلف المُولّى عليهم الطاعة وحسن النصيحة، فأراد أنه إن عصى الأمراءُ اللهَ فيكم ولم يقوموا بحقوقكم، فلا تعصّوا اللهَ أنتم فيهم. وقوموا بحقوقهم، فإن الله مجازٍ كل واحدٍ من الفريقين بما عمل)[٢].

ومن قبيل بيان الحقائق للمدعو ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»؟))[٣].

قال النووي: (قوله "الإسلام يهدم ما كان قبله" أي يسقطه ويمحو أثره... ففيه عظم موقع الإسلام والهجرة والحج وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

إن من (أعظم المسؤوليات مسؤولية الإمام والحاكم ومن ينيبه في بعض مسؤولياته، ولعظم هذه المسؤولية جعل الإسلام للإمام حقوقاً يجب على المسلم أن يتعرف عليها، كما يجب على الأمة أن تقوم بها؛ ليصلح شأنها وتستقيم حياتها.

وأول هذه الحقوق - أعني حقوق الإمام-: السمع والطاعة بالمعروف، والمراد بها:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٧٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٤/٥٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٢١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/٢/١٣٩ ط/ دار عالم الكتب.

الانقياد له والتنفيذ لأمره، وترك ما ينهى عنه ما لم يكن بمعصية الله، وهذا الحق أعظم الحقوق وأظهرها على الرعية، وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة على إيجاب هذا الحق على أعيان المسلمين)[١]. ومنها هذا الحديث كما هو واضح في قول النبي "اسمعوا وأطيعوا".

وقد قال النبي ﷺ: ((ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ. فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ))[٢].

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: ((خِيَارُكُمْ وخيَارُ أئمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ويُحِبُّونَكُمْ، ويُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وتُصَلُّونَ عليهمْ، وشِرَارُكُمْ وشِرَارُ أئمَّتِكُمُ الذينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ، وتَلْعَنُونَهُمْ ويَلْعَنُونَكُمْ قِيلَ: أفلا نُنَابِذُهُمْ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لا ما أَقَامُوا الصَّلَواتِ الخَمْسَ؛ ألا ومَنْ لَهُ وَالٍ فَيَرَاهُ يأتي شيئاً مِن معصيةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ ما يأتي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، ولا يَنْزِعْ يداً مِنْ طَاعَتِهِ))[٣].

قال النووي: (فيه معنى أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الدين)[٤].

قال الماوردي: (إذا قام الإمام بحقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب عليهم حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله)[٥].

جاء في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: (فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٦] كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، إعداد الدكتور فالح بن محمد بن فالح الصغير ص ٩١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٠٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٨.

(٥) الأحكام السلطانية ١٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٥٩.

الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعةً لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جارُوا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾[2] وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[4]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم)[5].

خامساً- من موضوعات الدعوة: مسؤولية كل إنسان عما اكتسب:

الإسلام دين العدل، لذا فإن من مبادئه الأساسية أن كل إنسان مسؤول عما اكتسب. وهذا واضح من قوله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتهم".

قال الطيبي: (قوله ﷺ "فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم" قدم الجار

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٥٤٢/٢-٥٤٣.

والمجرور على عامله للاختصاص، أي ليس على الأمراء إلا ما حمله الله عليهم من العدل والتسوية. فإذا لم يقيموا بذلك فعليهم الوزر والوبال، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة، وأداء الحقوق، فإذا قمتم بما عليكم فالله تعالى يتفضل عليكم ويثيبكم به)(١).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٢) قال أبو عبدالله القرطبي: (أي مرتهنة بكسبها مأخوذة بعملها، إما خلّصها وإما أوبقها، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله)(٣).

لذا فإن (من المبادئ التي قررها الإسلام قصر المسؤولية على المسؤول وحده. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤) ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٥).

فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يداه، أو نسب إليه.

وقد كان التشريع اليوناني القديم يقضي بالإعدام على المجرم نفسه، وعلى جميع أفراد أسرته في الخيانة العظمى، وفي انتهاك الأشياء المقدسة)(٦).

وقال د. محمد عبدالله دراز: (أول ما يجب ذكره هو أن المسؤولية الأخلاقية والدينية شخصية محضة. ولسوف يكون من باب الإطالة أن نذكر جميع النصوص القرآنية التي تقر هذا المبدأ الأساسي، ولذا نجتزئ بعضها، وهي التي تنص على هذه الحقيقة في ألفاظ تامة الوضوح، قوله تعالى في آيات: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/١٨٦-١٨٧.

(٢) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/١٩/٨٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٤١.

(٥) سورة سبأ، آية: ٢٥.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨/٣٤٠٤.

ٱكْتَسَبَتْ ﴾(١)، ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾(٢)، ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(٣)، ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(٤)، ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾(٥)، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾(٦)، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾(٧).

وينتج من هذا كله بوضوح، أن الثواب والعقاب لايمكن أن يتأتى فيهما أي تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء؛ وإذا كان آباؤنا وأجدادنا مسؤولين مثلاً عن الأمثلة التي لقنوها لنا، والعادات التي أخذناها عنهم. وإذا كنا مسؤولين عن الطريقة التي استعملنا بها هذه التركة، فلا يجب مطلقاً أن نتحمل معهم وزر ما عملوا: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٨)(٩).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١١١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٤) سورة لقمان، آية: ٣٣.

(٥) سورة غافر، آية: ١٧.

(٦) سورة الأحقاف، آية: ١٩.

(٧) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٨) سورة البقرة، الآيتان: ١٣٤، ١٤١.

(٩) دستور الأخلاق في القرآن ١٤٨-١٤٩. وانظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٢١٤-٢١٨.

الحديث رقم (٦٧٠)

٦٧٠- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!)) قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: ((تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْألُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الأثرة: الاختصاص بحظ دنيوي[2].

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد مع ضمير الشأن يؤذن بأهمية الخبر، وينادي بالعناية به لأنه جد خطير، وقوله (إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ) والسين للمستقبل القريب والظرف (بعد) المضاف للرسول ﷺ يؤكد غياب النبي ﷺ مما يزيد الأمر شدة لغياب الحصن، والمرشد، والخبر من معجزاته ﷺ وقوله: (وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا) كناية عن الفتن التي لم يعرفها سلفهم، وقد أثار خبره عن فتن المستقبل سؤال (كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟) وهو استفهام حائر عن كيفية التصرف في هذه الفتن، وقد أجاب عن سؤالهم عن طريق المقابلة بين قوله: (تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ) وبين قوله (وَتَسْألُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ) وهي تقرر أن عليهم أن يؤدوا الحق الذي كلفوا به أولا ثم يسألون الله الذي لهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٠٣، ومسلم ١٨٤٣/٤٥ واللفظ له، تقدم برقم ٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/١٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: من دلائل نبوته ﷺ: إخباره ببعض ما يحدث من تغير أحوال الأمة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد واضح من قوله ﷺ: "إنها ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها"، فاستخدم النبي ﷺ أداة التوكيد "إن" ليؤكد وقوع هذه الأمور، وحتى يكون المسلمون على استعداد للتعامل مع تلك المتغيرات بما يوافق منهج الإسلام، وفي هذا توجيه إلى معالجتها والتغلب عليها دون أن تضيع طاقتهم في الحزن والأسى والأسف لوقوعها.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: من دلائل نبوته ﷺ: إخباره ببعض ما يحدث من تغير أحوال الأمة:

لقد كانت الدلائل على نبوة النبي ﷺ كثيرة ومتنوعة، ومن ذلك إخباره بأمور تقع في حياته وبعدها، فوقعت طبق ما أخبر به. قال ابن كثير: (وهذا باب عظيم لا يمكنه استقصاء جميع ما فيه من آيات لكثرتها)[1]، وحديث الباب من هذا القبيل، وذلك في قوله ﷺ: "إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا". قال النووي: (هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً ووجد مخبره متكرراً)[2].

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في موضعين من صحيحه، أحدهما في كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام[3].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١١٤/٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٣) الحديث ٣٦٠٣.

قال ابن حجر: قوله: ("باب علامات النبوة في الإسلام" العلامات: جمع علامة، وعبر بها المصنف "أي البخاري" لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي ﷺ من يكذبه بأن يقول إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق؟ أو يقول من يتحداه، لا أصدق حتى تفعل كذا. ويشترط أن يكون المتحدي به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن)[1].

وقال ابن تيمية: (ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين: جنّهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء -لا نبي بعده- كان من نعمة الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه. أن تكون آيات نبوته، وبراهين رسالته، معلومة لكل الخلق الذي بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على سؤال النبي ﷺ، حتى يعلموا ويتعلموا، وهذا واضح من قول الصحابة للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَٰلِكَ؟.

ومن ذلك قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عنِ الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أنْ يُدركني))[3].

قال أبو العباس القرطبي: (يعني أنه كانت أكثر مسائل الناس عن الخير، وكانت أكثر مسائله عن الشر، وإلا فقد سأل غيره رسول الله ﷺ عن كثير من الشر، وقد كان حذيفة أيضاً يسأل رسول الله ﷺ عن كثير من الخير. والخير والشر المعنيان في

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٧٣.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/٤٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

هذا الحديث إنما هما استقامة أمر دين هذه الأمة، والفتن الطارئة عليها بدليل باقي الحديث، وجواب النبي ﷺ له بذلك)[١].

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء؛ فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعلموا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سببا في دفعه عمن أراد الله له النجاة)[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة:

لا تنتظم مصالح العباد إلا بوجود ولاة الأمر يديرون شؤون البلاد والعباد ويقومون على حفظها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم حتى لو جاروا أو ظلموا، وهذا واضح في قول النبي ﷺ: "تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم"، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث دليل على أن الأمير إذا أتى ما ينكر لم يمنع ذلك الحق الذي له بل يعطاه، وأن يسأل الحق الذي عليه من الله عز وجل ولا ينازع ولا يقاتل)[٣]، وقال النووي: (وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه)[٤].

قال الطيبي: (والمراد بالأمور أشياء أخر لا تستحسنونها، وسلوا الله حقكم أى لا تكافئوا استيثارهم باستيثاركم، ولا تقاتلونهم لاستيفاء حقكم، بل وفروا إليهم من السمع والطاعة وحقوق الوالدين، واسألوا الله من فضله أن يوصلوا إليكم حقكم من الغنيمة والفيء ونحوهما، وكلوا إليه أمركم)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٥/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/١٣

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم احمد ٤٧/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٦/٧.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي. وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ. وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ))[1].

قال القرطبي: (قوله: "أعطوهم حقهم": يعني به السمع والطاعة والذب عرضاً ونفساً والاحترام والنصرة له على من بغى عليه)[2].

وقال ابن هبيرة: (المعنى: لا تكونوا أنتم الذين تحاسبونهم، وإنما عليكم إعطاؤهم الحق، وحسابهم على الله، وهذا دليل على شرف الخلافة، لكونها نزهت أن يكون عليها مشرف أو معارض، بل الله تعالى هو المتولي لذلك، بل يجب على الناس طاعتهم وفاءً بحقهم، ومن حقهم طاعتهم سراً وجهراً)[3].

وقال ابن تيمية: (ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على المسلم، وإن استأثروا عليه، وما نهى الله عنه ورسوله من معصيتهم محرم عليه، وإن أكره عليه. وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة، كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة، فإذا حلف على ذلك كان ذلك توكيداً وتثبيتاً لما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم. فالحالف على هذه الأمور لا يحل له أن يفعل خلاف المحلوف عليه، سواء حلف بالله أو غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون؛ فإن ما أوجبه الله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه؟! وما نهى الله ورسوله عن معصيتهم وغشهم محرم وإن لم يحلف على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٥٥، ومسلم ١٨٤٢.

(٢) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٤/٥٠.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/١٦٢ - ١٦٣.

وهذا كما أنه إذا حلف ليصلين الخمس، وليصومن شهر رمضان، أو ليقضين الحق الذي عليه، ويشهدن بالحق، فإن هذا واجب عليه وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه؟! وما نهى الله عنه ورسوله من الشرك، والكذب، وشرب الخمر، والظلم، والفواحش، وغش ولاة الأمور، والخروج عما أمر الله به من طاعتهم هو محرم، وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه؟!.

ولهذا من كان حالفاً على ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، أو الصلاة، أو الزكاة، أو صوم رمضان، أو أداء الأمانة، والعدل ونحو ذلك، لا يحوز لأحد أن يفتته بمخالفة ما حلفوا عليه، والحنث في أيمانهم، فهو مفتر على الله الكذب، مفت بغير دين الإسلام، بل لو أفتى في آحاد العامة بأن يفعل خلاف ما حلف عليه من الوفاء في عقد بيع، أو نكاح، أو إجارة، أو غير ذلك مما يجب عليه الوفاء به من العقود، التي يجب الوفاء بها وإن لم يحلف عليها، فإذا حلف كان أوكد. فمتى أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العقود، والحنث في يمينه، كان مفترياً على الله الكذب، مفتياً بغير دين الإسلام، فكيف إذا كان ذلك في معاقدة ولاة الأمور التي هى أعظم العقود التي أمر الله بالوفاء بها.

وهذا كما أن جمهور العلماء يقولون: يمين المكره بغير حق لا ينعقد سواء كان بالله، او النذر، أو الطلاق، أو العتاق، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد. ثم إذا أكره ولي الأمر الناس على ما يجب عليهم من طاعته، ومناصحته، وحلفهم على ذلك، لم يجز لأحد أن يأذن لهم في ترك ما أمر الله به ورسوله من ذلك، ويرخص لهم في الحنث في هذه الأيمان؛ لأن ما كان واجباً بدون اليمين فاليمين تقويه، لا تضعفه، ولو قدر أن صاحبها أكره عليها.

ومن أراد أن يقول بلزوم المحلوف مطلقاً في بعض الأيمان؛ لأجل تحليف ولاة الأمور أحياناً، قيل له: وهذا يرد عليك فيما تعتقده في يمين المكره؛ فإنك تقول: لا يلزم وإن حلف بها ولاة الأمور. ويرد عليك في أمور كثيرة تفتى بها في الحيل، مع ما فيه من معصية الله تعالى ورسوله وولاة الأمور.

وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً، ومن سيرة غيرهم)[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/١٨ -١٠.

الحديث رقم (٦٧١)

٦٧١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((مَنْ اطَاعَنِي فَقَدْ اطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ اطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول بيان وجوب طاعة الأمير حيث ربط الرسول ﷺ طاعة الله بطاعته وربط طاعته بطاعة الأمير مما يوثق الصلة بين الثلاثة؛ لأن الرسول ﷺ مكلف برعاية الأمة من قبل الله، والأمير مكلف برعاية الأمة من قبل الرسول ﷺ وإن لم يفوضه تفويضا مباشرا، وإنما مفوض بصفته التي صار إليه، أو صارت إليه مما يعطي الحكم قوة في التنفيذ ترتبط بقوة تنفيذ أمر النبي ﷺ إذا أمر المؤمن ثم إنه أكد هذا الاتصال في الطاعة بالمقابل له في حالة المعصية فربط معصيته بمعصية الله، وربط معصية الأمير بمعصية الرسول ﷺ، وينتج عن ذلك أن طاعة الأمير طاعة لله، ومعصية الأمير معصية لله تلزم كل مؤمن بلزوم أميره مما يجعل الأمة كلها متحدة لا تمزقها الصراعات على الكراسي، والعروش فيضيع دين الناس، ودنياهم وفي الحديث إشارة بلاغية إلى قول تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (النساء٨٠).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٥٧ واللفظ له، ومسلم ١٨٣٥/٣٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله.

ثالثاً: من آداب المدعو: طاعة ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

لقد بين الرسول ﷺ أن طاعته من طاعة الله وعصيانه من معصية الله، و طاعة الأمير من طاعته، وكذلك عصيان الأمير من عصيانه ﷺ .

قال الخطابي: (كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة، ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم، فلما كان الإسلام وولي عليهم الأمر أنكرته نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، وإنما قال لهم ﷺ هذا القول، لتعليمهم أن طاعتهم مربوطة بطاعته، وليطاوعوا الأمراء الذين كان النبي ﷺ يوليهم فلا يستعصوا عليهم)[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

(وقد اقتضت حكمة الله العظيمة أن يجعل للنصوص التي ينزلها للناس صفة الشمول والعموم والكليات الدستورية، فهي إذن بحاجة إلى بيان وتوضيح، ولذلك جعل من وظائف الرسول أن يبين للناس معاني هذه النصوص المنزلة للناس، ويوضح لهم مدلولاتها وإشارتها)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله:

بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً وأمر بطاعته، وجعل طاعته من طاعة الله،

---

(١) نقلاً عن شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٨/٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٣١١.

وكذلك الأمر في معصيته، وذلك واضح من قول النبي ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله".

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أن طاعة الله عز وجل في طاعة رسوله ﷺ وعصيان الله في عصيان رسوله ﷺ)[1].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله: "من أطاعني فقد أطاع الله"، هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ وذلك أنه ﷺ لمّا كان مبلغاً أمر الله وحكمه وأمر الله بطاعته، فمن أطاعه فقد أطاع أمر الله، ونفذ حكمه).

وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2]. (فجعل الله تعالى طاعة رسوله من طاعته وقرن طاعته بطاعته)[3].

قال القاضي عياض: (قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا: من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه، ثم أخرج حديث الباب، ثم قال: "فطاعة الرسول من طاعة الله، إذ الله أمر بطاعته، فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له"[4].

(ومن حقه ﷺ - بل هو ثمرة الحقوق العملية- تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، فهو المبلغ عن ربه، وهو المبعوث بالرسالة للعالمين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٥/٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٣٥/٤.

(٤) الشفا ٣٦٩/٢-٣٧٠.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[٥].

وبين الله سبحانه أن ثمرة هذه الطاعة عظيمة وكبيرة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٧].

فهذه الآيات وأمثالها تبين هذا الحق العظيم، الذي هو: طاعته واتباعه ﷺ فيما بلَّغ به عن ربه عز وجل، فإن طاعته طاعة لله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٩])[١٠].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.
(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٠.
(٣) سورة محمد، آية: ٣٣.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.
(٥) سورة النور، آية: ٥٤.
(٦) سورة الأحزاب، آية: ٧١.
(٧) سورة النساء، آية: ١٣.
(٨) سورة النساء، آية: ٨٠.
(٩) سورة آل عمران، آية: ٣١.
(١٠) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير، ٤٣-٤٥.

ثالثاً- من آداب المدعو: طاعة ولاة الأمر:

إن طاعة ولاة الأمر لها أهمية كبرى ومنزلة خطيرة في الإسلام، يوضح ذلك قول النبي ﷺ: ((ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)).

قال ابن هبيرة: (في الحديث أن طاعة الأمير من جانب رسول الله ﷺ، وكل أمير ولايته من شرع رسول الله ﷺ، فإنه من جانب رسول الله ﷺ، فطاعته طاعة لرسول الله ﷺ)(١)، وقال القاضي عياض: (وأمر الرسول بطاعة أميره، فمن عصاه فقد عصى أمر رسوله، ولا خلاف في وجوب طاعة الأمراء فيما لا يخالف أمر الله وما لم يأمر بمعصيته)(٢).

ونقل ابن حجر القول أنه: (كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة فكانوا يمتنعون على الأمراء، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم والانقياد لهم إذا بعثهم في السرايا وإذا ولاهم البلاد فلا يخرجوا عليهم لئلا تفترق الكلمة ... ووقع عند أحمد وأبي يعلي والطبراني من حديث ابن عمر: ((قال كان رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال: ألستم تعلمون أن من أطاعني فقد أطاع الله وإن من طاعة الله طاعتي؟ قالوا: بلى نشهد، قال فإن من طاعتي أن تطيعوا أمراءكم. وفي لفظ "أئمتكم")) (٣)، وفي الحديث: وجوب طاعة ولاة الأمور وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية. والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد)(٤).

ومما يؤيد ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((آمركم بثلاث، وأنهاكم عن ثلاث: آمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وتعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تتفرقوا، وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٥/٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٠/٦.

(٣) أخرجه أحمد ٩٣/٢ رقم ٥٦٧٩، وأبو يعلي ٥٤٥٠، وابن حبان ٢١٠٩، والطبراني في الكبير ١٣٢٣٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٩١/٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠/١٣.

وكثرة السؤال وإضاعة المال))(١).

قال ابن حبان: (وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم لفظه عام له تخصيصان:

أحدهما: أن يؤمر المرء بما له فيه رضى.

والثاني: إذا أُمِرَ بما استطاع دون ما لا يستطيع)(٢).

وقد بين رسول الله ﷺ أن طاعة الأمير أو الإمام إنما هي فيما يرضي الله ورسوله، وليس فيما فيه معصية فقال ﷺ: ((إنما الطاعة في المعروف))(٣).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))(٤).

وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٥) فأمر عباده المؤمنين بطاعته، وطاعة رسوله، وأولي الأمر فأفاد أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

لأنه إذا أمر بمعصية فأطعناه، لم نحقق طاعة الله وطاعة الرسول، فكانت الآية شاهد ما قال الرسول ﷺ وأنه لا طاعة لأولياء الأمور فيما فيه مخالفة الله أو الرسول.

وينبغي التنويه إلى أن أولي الأمر هم الذين وكل إليهم القيام بالشؤون العامة والمصالح المهمة، فيدخل فيهم كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين من ملك ووزير ورئيس ومدير، ومأمور وعمدة، وقاضٍ ونائب وضابط وجندي وقد أوجب الرسول ﷺ على كل مسلم السمع لأوامر هؤلاء. والمبادرة إلى تنفيذها، سواءٌ كانت محبوبة له أم بغيضة إليه ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٦) فإذا دعونا إلى الحرب. وبذل المال

---

(١) أخرجه ابن حبان ٤٥٦٠، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح ابن حبان ٤٢٥/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٤٥، ومسلم ١٨٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

في سبيلها لبيّنا الطلب. وإذا طالبونا بالضرائب المشروعة دفعناها. وإن طلبوا منا المساعدة على حفظ الشواطئ والمزارع من المياه الطاغية أجبنا. وإن رغبوا في معونتنا لأهل بلد اجتاحهم حريق أو نابتهم نائبة حققنا رغبتهم. وهكذا نسمع كل ما أمروا به وننفذه، سواء وافق رغباتنا وميولنا أو خالفها، وسواء شق علينا أم سهل ما دام في المصلحة العامة، وما دام في دائرة الحلال المشروع، أما إن أمرونا بمعصية كاتهام بريء، أو حبسه، أو إيذائه، أو مصادرة ماله ظلمًا وعدوانًا، أو رغبوا إلى القضاء أن يحيد عن الحق ويحكم بالباطل، أو أرادوا مالنا وحيواننا ورجالنا لمساعدة عدونا. أو أرادوا أن نخط بيدنا صك الاستعباد لنا ولأبنائنا وأحفادنا، أو طلبوا أن نرخص لمن يرغبن في الاتجار بأعراضهن، أو من يتجرون في الخمور، أو يفتحون ناديًا للميسر –إن أمرنا بشيء من ذلك، أطعنا الله وعصيانهم وأرضيناه وإن أغضبناهم، فطاعتهم محرمة، ومخالفتهم واجبة [1].

رابعاً– من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

لقد رغب رسول الله ﷺ في طاعته بأن أخبر أن ذلك من طاعة الله، قال ابن حجر: (أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به، فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره، ويحتمل أن المعنى: لأن الله أمر بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك)[2]. كما رغب ﷺ في طاعة الأمير بأن جعل ذلك من طاعته ﷺ، كما رهب من معصية الرسول بأن أخبر بأن من يفعل ذلك فقد عصى الله، ورهب أيضاً من معصية الأمير بأن جعل ذلك من معصيته ﷺ.

قال أبو العباس القرطبي: (ووجهه: أن أمير رسول الله ﷺ إنما هو منفذ أمره، ولا يتصرف إلا بأمره، فمن أطاعه فقد أطاع أمر رسول الله ﷺ، وعلى هذا: فكل من أطاع أمير رسول الله ﷺ فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله. فينتج: أن من أطاع أمير رسول الله فقد أطاع الله. وهو حق، صحيح. وليس هذا الأمر خاصاً

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٩٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٢٠.

بمن باشره رسول الله ﷺ بتولية الإمارة، بل هو عام في كل أمير للمسلمين عدل، ويلزم منه نقيض ذلك في المخالفة والمعصية)[١].

وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة ذات الأهمية الكبيرة في الدعوة نظرًا لما يحدثه في نفوس المدعوين من تأثير.

ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ويقصد بالترهيب كل ما يحيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٢].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٤/٣٦.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٦٧٢)

٦٧٢- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَرِه مِنْ أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

شبراً: الشِّبْر: ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد.

والمراد: الكناية عن معصية السلطان ومحاربته ولو بأدنى شيء فكنى عنها بمقدار الشبر[2].

الشرح الأدبي

معنى الحديث ورد في أسلوب الشرط الذي اشتمل على خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وهو قوله (مَنْ كَره مِنْ أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ) حيث ربط كره شيء من الأمير بالأمر بالصبر حتى لا يتزعزع المجتمع المسلم باضطراب أفراده أمام ما يقررهم أميرهم فيرضى هذا، ولا يرضى ذاك، ويحدث الشقاق لأنه من المعلوم أن إرضاء الناس جميعا غاية صعبة المنال، فحمَّل الفرد مسئولية الصبر عندما يقع أمرا على غير رضاه ضمانا لسلامة المجتمع، وقوله (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) الفاء للتعليل الذي يحمل المؤمن على امتثال الأمر يدل على ذلك توكيد الخبر بحرف التوكيد، وتفخيمه، وتعظيمه بضمير الشأن، والتعبير بالماضي الدال على

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٥٣ واللفظ له، ومسلم ١٨٤٩/٥٥.

(٢) المعجم الوسيط في (ش ب ر)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

التحقق، والتعبير بالسلطان يوحي بالسيطرة، والسطوة، وحوزة الملك، واستخدام حرف الجر (من) قبلها يشير إلى ذلك، ويوحي بأن السلطان كالحصن الذي يحمي صاحبه من عدوه وخروجه منه خروج من حصنه، وذكر المسافة (شبرا) يؤكد المعنى وقوله (مات ميتة) جناس يؤكد خاتمة السوء بمفارقة الجماعة، والخروج عن السلطان، ووصف الميتة بالجاهلية تنفير من هذه العاقبة وهو تشبيه بليغ حذف منه، وجه الشبه، وأداته كدليل على شدة الشبه بين الميتتين أي مات كما يموت أهل الجاهلية من الضلال، والفرقة، والغرض منه التنفير من هذا الفعل المؤدي لتلك العاقبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الصبر على ما يُكْره من ولي الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الخروج على ولي الأمر.

ثالثاً: من واجبات الداعية: العمل على جمع كلمة المسلمين والتحذير من التفرق والخروج على ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الصبر على ما يُكْره من ولي الأمر:

إن الخروج على ولي الأمر يترتب عليه مفاسد كثيرة، لذا حضّ الإسلام على طاعته ولو رأى المدعو منه ما يكرهه فليتمسك بالصبر، وهذا واضح في قوله ﷺ "من كره من أميره شيئاً فليصبر" ومن ذلك قول الزبير بن عدي قال: ((أتينا أنسَ بن مالك فشكَونا إليه ما يلْقونَ منَ الحَجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى تَلقوا ربكم؛ سمعته من نبيكم ﷺ))[1].

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: ((تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ. وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ. وَأُخِذَ مَالُكَ. فَاسْمَعْ وَأَطِعْ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢-١٨٤٧.

وقال النبي ﷺ ((عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ. وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ. وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ))[١].

(وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[٢].

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر، وعليك الصبر)[٣].

وقال ابن عثيمين: (مذهب السلف الصالح، السمع والطاعة للأمراء وعدم عصيانهم فيما تجب الطاعة فيه، وعدم إثارة الضغائن عليهم، وعدم إثارة الأحقاد عليهم، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، حتى الإمام أحمد يضربه السلطان، يضربه ويجره بالبغال، يُضرب بالسياط حتى يغمى عليه في الأسواق، وهو إمام أهل السنة رحمه الله ورضي عنه، ومع ذلك يدعو للسلطان ويسميه أمير المؤمنين، حتى إنهم منعوه ذات يوم، قالوا له: لا تحدث الناس، فسمع وأطاع ولم يحدث الناس جهراً، بدأ يخرج يميناً وشمالاً ثم يأتيه أصحابه يحدثهم بالحديث)[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الخروج على ولي الأمر:

إن الخروج على ولاة الأمر شيء على درجة كبيرة من الخطورة، لذا رهّب النبي ﷺ من ذلك، فقال: "فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية".

وفي ذلك أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي. وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

(٣) بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية، محب الدين، تحقيق سالم بن طعمة بن مطر الشمري، رسالة ماجستير مخطوطة ص ١٢٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٦٢/١.

وَفَاجِرَهَا، لاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي بِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي))(١).

قال الطيبي: (قوله "ميتة جاهلية" الميتة والقِتْلة بالكسر، الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت أو القتل، والمعنى أن من خرج عن طاعة الإمام وفارق جماعة الإسلام وشذ عنهم، وخالف إجماعهم ومات على ذلك، فمات على هيئة كان يموت عليها أهل الجاهلية، لأنهم ما كانوا يرجعون إلى طاعة أمير، ولا يتبعون هدى إمام، بل كانوا مستنكفين عنها مستبدين في الأمور لا يجتمعون في شيء ولا يتفقون على رأي)(٢).

وقال أبو العباس القرطبي: (ويعني بميتة الجاهلية: أنهم كانوا فيها لا يبايعون إماماً ولا يدخلون تحت طاعته، فمن كان من المسلمين لم يدخل تحت طاعة إمام فقد شابههم في ذلك، فإن مات على تلك الحالة مات على مثل حالهم مرتكباً كبيرة من الكبائر، ويخاف عليه بسببها ألا يموت على الإسلام)(٣).

وقد قال النبي ﷺ: ((وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْجِهَادِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيْدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ))(٤).

قال الطيبي: (قال البيضاوي: قوله: "قيد شبر" أي قدره، يريد به قدر خالف وانحرف عن الجماعة وخرج عن موافقتهم، و"الرِبْق" بالكسر: حبل فيه عدة عرىً يشد به البهم، الواحدة من تلك العرى رِبْقَة. شبه ذمة الإسلام وعهده بالربقة التي تجعل في أعناق البهائم من حيث إنه يقيده فيمنعه أن يتخطى حدود الله ويرتع مراتع حرماته. والمعنى أن من فارق الجماعة بترك السنة وارتكاب البدعة ولو بشيء يسير، نقض عهد الإسلام ونزع اليد عن الطاعة)(٥).

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٤٨.

(٢) شرح الطيبي ١٨٣/٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٩/٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣ من حديث الحارث الأشعري، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٨).

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٧.

ثالثاً- من واجبات الداعية: العمل على جمع كلمة المسلمين والتحذير من التفرق والخروج على ولاة الأمر:

إن الداعية يدرك ببصيرته الفوائد الجمة من جمع كلمة المسلمين وطاعة ولاة الأمر، كما يدرك أيضاً المفاسد العظيمة الناشئة عن التفرق والخروج على ولاة الامر، لذا فإنه يبذل جهده ووسعه في جمع كلمة المسلمين والتحذير من الافتراق والاختلاف، كما يستفاد من هذا الحديث. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها)[1].

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحثون على طاعة أولي الأمر ولزوم الجماعة، ذكَر د. مصطفى السباعي أنه دخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور فاستأذناه في الحج فأذن لهما، فقالا له: إن غلب هؤلاء القوم "أي دعاة الفتنة" مع من نكون؟ قال عليكم بالجماعة، قالوا فإن كانت الجماعة هي التي تغلب عليك! مع من نكون؟ قال: فالجماعة حيث كانت.

ثم علق د. مصطفى السباعي فقال: (هذا هو الفقه بدين الله وهذا هو الإسلام الذي حمله صحابة رسول الله ﷺ لنا، لا كإسلام بعض الناس الذين يفرقون الصفوف وينبذون الجماعة. وهم يزعمون أنهم على الحق وما آذى الحق شيء كاختلافهم وتمردهم وخداع الشيطان لهم بأنهم وحدهم على الحق والجماعة كلها ضالة منحرفة نعوذ بالله من الخذلان وركوب الهوى)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

(٢) عظماؤنا في التاريخ ١٦٢.

قال ابن مسعود: ((أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به))[١].

وعن سماك بن الوليد الحنفي أنه لقي ابن عباس فقال: ((ما تقول في سلطان علينا يظلمونا ويشتمونا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم؟ قال: لا. أعطهم، الجماعة الجماعة إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها أما سمعت قول الله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾))[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد رهب النبي ﷺ من الخروج على ولاة الأمر حين جعل جزاء من فعل ذلك بأنه يموت ميتة جاهلية (والمراد بالميتة الجاهلية حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد)[٣]. وكل ذلك يدل على الترهيب من الخروج على ولاة الأمر، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة المهمة، ذلك لأن النفس البشرية يقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى وهو من الأساليب كثيرة الاستخدام في الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه الطبري ٥/٦٤٨، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٧١٢.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٣، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٧١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٩.

والداعية المسلم لا بد له من إتقان هذا الأسلوب من أساليب الدعوة واستحضار الأدلة وبيان ذلك من الكتاب والسنة ليصل إلى قلوب المدعوين فيضعها على الطريق الصحيح لتسير بأصحابها إلى رضوان الله ومغفرته بالقيام بما أوجب والابتعاد عما حرم ونهى[1].

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجع المهدي الهجاري ص ٥١٥، ٥١٧.

الحديث رقم (٦٧٣)

٦٧٣- وعن أَبي بكرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَنْ أهانَ السُّلطَانَ[1] أَهَانَهُ الله)) رواه الترمذي[2]، وقال: (حديث حسن).

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح. وَقَدْ سبق بعضها في أبواب سابقة.

ترجمة الراوي:

ابوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

الشرح الأدبي

الحديث صدر كلافتة قصيرة تعجل بالحكم في ثوب الشرط الذي يربط إهانة السلطان برد الله عليه بنفس العقاب، وهو الإهانة، غير أن إهانة الله أشد، وأعظم لما هو معلوم من ارتباط الأثر بالمؤثر قوة، وضعفا مما يعني الوعيد الشديد لمن أقدم على هذا الفعل، والحديث ترهيب من كل أشكال السخرية من السلطان في الخفاء أو العيان؛ لأن العقاب مختص بالله، وهو مطلع على العبد في كل حال وسيدركه أينما كان بإهانة لا يعلم مداها، ولا يتوقع مكانها مما يجعله على خطر عظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة واحترام ولاة الأمر.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: حفظ الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التحذير:

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إهانة ولاة الأمر بأن جعل عاقبة ذلك أن الله يهينه ويذلّه، وقد أفاد التحذير في هذا الحديث أهمية احترام ولاة الأمر وتقديرهم لما في ذلك من جمع كلمة المسلمين، وسد منافذ الفتن.

---

(١) لفظ الترمذي: (سلطان الله في الأرض).

(٢) برقم ٢٢٢٤ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة واحترام ولاة الأمر:

لم يكتف الإسلام بالأمر بطاعة أولي الأمر فحسب، بل طلب أيضاً توقيرهم واحترامهم وإنزالهم منازلهم وحذر من إهانتهم. وهذا واضح من نص الحديث، وقد أخرجه الترمذي وفيه قصة: فعن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفسّاق. فقال أبوبكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله".

قال الطيبي: (يحتمل أن تكون ثياباً محرمة من الحرير والديباج لأن الغالب منها أن تكون رقاقاً، وألا تكون محرمة لكن لما كان لبس ثياب الرقاق من دأب المتنعمين لا المتقشفين، نسبه إلى الفسق تغليظاً. لأن أبا بكرة رده بقوله: من أهان سلطان الله يعني: تفسيقك إياه بسبب لبسه هذه الثياب التي يصون بها عزته، ليس بحق، لأن المعنى من أهان من أعزه الله وألبسه خُلَع السلطنة أهانه الله. "وفي الأرض" متعلق بـ"سلطان الله" تعلقها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1] والإضافة في "سلطان" إضافة تشريف كَبَيْت الله)[2].

وقال حذيفة: ((ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلاّ أذلهم الله قبل أن يموتوا))[3].

قال ابن تيمية مبيناً أهمية ولاية أمر الناس: (يجب أن يُعْرَف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: ((إذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ في سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[4].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٢/٧.

(٣) شرح السنة، البغوي ٥٤/١٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، ٢٦٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢، ٢٢٧٣).

وروى أحمد في المسند عن عبدالله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: ((ولا يَحِلُّ لِثلاثَةٍ يَكُونُونَ بأرْضٍ فَلاَةٍ إلاَّ أمَّرُوا عَلَيْهِمْ أحَدَهُم))(١).

فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع العارض في السفر، تنبيهاً على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم إلا بقوة وإمارة.

وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة.

ولهذا كان السلف؛ كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسطان)(٢).

لذا فإن من حق الإمام إكرامه وتوقيره، (روى ابن أبي عاصم بإسناد صحيح إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر، قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواءً يأتيك رجال ما شئت، قال: مهلاً مهلاً يا أهل الإسلام، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سَيَكُونُ بَعْدي سُلْطانٌ فَأَعِزُّوهُ، مَنْ التمس ذله ثغر ثغرة فِي الإسْلاَمِ، ولم يقبل لَهُ تَوْبَةٌ حتى يعيدها كما كانت))(٣).

وأخرجه أحمد وغيره بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(٤).

وأخرج أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٍ، مَنْ فَعَلَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٧/٢ رقم ٦٦٤٧، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٢٧/١١.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ٤٤٧-٤٥١.

(٣) اخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١١١٣ وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد ٤٢/٥ رقم ٢٠٤٣٣، ٢٠٤٩٥، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف. وانظر فيه: تتمة تخريجه ٧٩/٣٤.

مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا على اللهِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جِنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ دَخَلَ على إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيزَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ، فَيَسْلَمُ النَّاسُ مِنْهُ وَسَلِمَ))[١].

فدلت هذه النصوص الكريمة على وجوب توقير الإمام وإكرامه وتعزيزه، الذي هو في الحقيقة إكرام وتوقير للإسلام الذي حثّ على هذا التقدير والتبجيل للقائم بأمر الأمة؛ تقديراً لما يتحمله من أعباء عظيمة ومهام جسيمة. وقد ربط الله تعالى إجلاله بإكرام الإمام المقسط، كما في حديث أبي موسى ﷺ مرفوعاً: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[٢]، وقال سهل التُّسْتَري: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم)[٣].

ثالثاً– من أهداف الدعوة: حفظ الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم:

إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى أن تحفظ على المجتمع أمنه واستقراره وجمع كلمته، واستخدمت لهذه الغاية وسائل كثيرة منها: احترام ولاة الأمر وعدم إهانتهم. يقول ابن مسعود ﷺ: (عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)[٤].

وقال سفيان الثوري: (لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجلٌ عالمٌ بما يأمر وينهى، رفيق بما يأمر وينهى، عدل)[٥].

ويمكن أن يستأنس هنا أيضاً بما رواه الشعبي قال: (خرج ناس من أهل الكوفة

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤١/٥ رقم ٢٢٠٩٣، وقال محققو المسند: حديث حسن ٤١٢/٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٣) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، ١٠١-١٠٣.

(٤) شرح السنة للبغوي، ٥٤/١٠.

(٥) المرجع السابق ٥٤/١٠.

إلى الجبانة يتعبدون، واتخذوا مسجداً وبنوا بنياناً فأتاهم عبدالله بن مسعود فقالوا: مرحباً بك يا أبا عبدالرحمن لقد سرّنا أن تزورنا. قال: ما أتيتكم زائراً، ولست بالذي أنزل حتى يهدم مسجد الجبان، إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله ﷺ؟ أرأيتم لو أن الناس صنعوا كما صنعتم، من كان يجاهد العدو، ومن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن كان يقيم الحدود، ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلموا من أنتم أعلم منهم قال: واسترجع فما رجع حتى قلع أبنيتهم وردّهم)[١].

لذا (فإن السمع والطاعة لولي الأمر من مقررات عقيدة أهل السنة والجماعة، فقد ذكر اللالكائي عدة مقالات لأئمة السلف الصالح رحمهم الله تعالى، تُقرر هذا الأمر، فقد ذكر عن عبدالله بن المبارك قوله: (وصَلِّ العيدين وعرفات، والجماعات، مع كل إمام، بر أو فاجر).

وذكر عن علي بن المديني قوله: (ثم السمع والطاعة للأئمة وأمراء المؤمنين، البر والفاجر) إلى أن قال: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا وعليه إمام، براً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين).

وذكر عن أحمد بن حنبل: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البر والفاجر).

وقال: (وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة).

وقال ابن أبي حاتم: (سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة)[٢].

---

(١) شرح السنة ١٠/٥٤-٥٥.

(٢) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، ٩٥-٩٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الحاكم ظل مأمور بتطبيق شرع الله والسير على منهج الإسلام، والقيام على أمور الشرعية يسعى لهم صغاراً ويرعاهم كباراً إن استقام استقامت رعيته، وإن اعوج اعوجت، ولما كانت مسؤوليات الحاكم تبلغ حداً في الكثرة، فقد أوجب الإسلام على الرعية ألا تكون عقبة في مسيرته، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- احترام ولي الأمر وتوقيره وطاعته:

من الأمور التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين احترام ولاة الأمور وتوقيرهم وطاعتهم في غير معصية، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب قول النبي ﷺ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ. إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ. فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ». وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة...". وحديث أنس رضي الله عنه: «اسمعوا وأطيعوا وإنِ استعملَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ ...». وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك..."، وحديث أبي بكرة رضي الله عنه: «مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ».

وهذه الأحاديث تؤكد على معنى احترام ولاة الأمر وتوقيرهم والسمع والطاعة لهم في غير معصية.

"ومن هديه ﷺ التربوي أنه كان يربيهم على الطاعة المطلقة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، أما طاعة ولي الأمر أو طاعة الولد لأبيه أو الزوجة لزوجها فهي مقيدة؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف، وقد تقررت هذه المعاني في نفوس الصحابة الكرام؛ فلما استُخْلِف أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس، وقال: «أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُ الله، فلا طاعة لي عليكم»، وقال عمر بن عبدالعزيز: يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم"(١).

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨١، ٢٨٢.

وما من شك في أن هذا الاحترام والتوقير والطاعة في غير معصية إنما هو من حقوق ولي الأمر على رعيته فهي في غاية الأهمية، ويجب القيام بها وعدم التقصير فيها.

"إن حق ولاة الأمر توقيرهم واحترامهم وإجلالهم وتنزيلهم منازلهم التي يستحقونها، قال طاووس: من السنة أن يوقر أربعة: العالم وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، ويقول سهل بن عبدالله التستري: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم، ومن توقيره واحترامه: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه، قال ابن جماعة: لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة، ولاشك أن هذا يقتضي النهي عن سبهم، أو الوقيعة بهم أو غشهم، ومن حقوق ولاة الأمر: السمع والطاعة لهم في غير معصية، إذ به يحصل التلاحم بين الراعي والرعية، وتتحقق وحدة الأمة وتنتظم أمور الدولة وأحوالها ويستتب الأمن والاستقرار في ربوعها وتظهر بمظهر القوة والعزة" (١).

إن طاعة ولي الأمر في الإسلام لا تقوم على أساس من الرهبة أو الرغبة أو المنفعة أو المضرة إنما تقوم على أساس الأمر الإلهي "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، وأحاديث الرسول ﷺ في هذا الصدد تبلغ حدًا في الكثرة، والرسول عليه السلام بين أن طاعته ليست لذاته بل لم أمر الله بإطاعته، وكذلك إطاعة الأمير إطاعة لأمر الرسول ﷺ والذي أمر بإطاعته، فهي سلسلة من الطاعة درجات بعضها فوق بعض.

ومما حذر منه الرسول عليه السلام الفتن في هذه الأمة وبين أن الفتن درجات وأن بعضها أقوى من بعض، حتى إن فتنة لتقع فيعجب لها الناس، فتأتي التي بعدها أشق منها وأقسى، حتى إنها لتجعل التي سبقتها كأنها عارض من أذى، إلى أن تمحى الجديدة بفتنة أكبر وأشد. أو لسنا نرى ابتلاءات تعتري الأمة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكل ابتلاء نراه عظيمًا، فيأتي الذي بعده فنرى السابق هينًا. في العصر الحاضر دمرت دولة الخلافة ومصدر العلوم والمعارف، ألم تخرج مدارس الحديث والفقه

---

(١) انظر: طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن، د. احمد بن يوسف بن احمد الدريويش ص ٥٠-٥٥.

والنحو من العراق، ألم تنهض الحركة العلمية سنين عددًا منها.

ومن الفتن الاقتصادية غلبت المادية وغياب الروحية، حتى صارت المعايير بالدرهم والدينار، وغابت الأخلاق في بعض الديار، وأصبح الإنسان بقدر ما يملك لا ما يسلك من الخير، وكان لهذا السلوك كبير الأثر في فتنة كثيرين في هذا الزمن، حتى إننا لنرى بعض الأفراد يملكون من الأرصدة ما يفوق خزينة بعض الدول، مليارات تتلوها مليارات، والعجب كل العجب أن الكثير منها مدخر خارج ديار الإسلام. إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام تقوم على الاحترام المتبادل والمحبة المشتركة وهؤلاء هم خيرة الرعاة، وإن شر الولاة من كره الناس وكرهه الناس، فليكن الصبر والنصح وتحميل المسؤولية لأهل الحل والعقد.

ثانيًا: التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية المهمة التربية بالترغيب والترهيب لما لهما من أثر في نفس المتربي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ حُجَّةَ لَهُ. وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ. وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ. وَمَنْ أَطَاعَ الأَمِير فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ يَعْص الأَمِير فَقَدْ عَصَانِي». وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: "من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية"، وحديث أبي بكرة رضي الله عنه: «مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ».

وهذه الأحاديث بما فيها من ترغيب في السمع والطاعة في غير معصية وترهيب من معصيته، وخلع بيعته وإهانته تَحمِلُ المتربي على الاستجابة لأوامر الشرع: "إن الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية التي تؤكد أهمية هذا الجانب بما تضمنته من ترغيب وترهيب تستجيش قلب الإنسان نحو الخير وتوجهه لذلك وتخوفه من الانحراف وتحذره منه"[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٩٣.

ثالثًا- التربية بالموعظة:

تعتبر الموعظة من أساليب التربية المؤثرة، وفيه حرص على الموعوظ، ورجاء الخير له، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً. فَمِنَّا مَنْ يُصلِحُ خِبَاءَهُ. وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ. إِذْ نَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ ﷺ: الصَّلاَةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ...".

وهذه الدعوة من الرسول ﷺ لصحابته أن يجتمعوا، ووقوفه بينهم واعظًا وناصحًا إنما يدل على أثر التربية بالموعظة. "إن أسلوب التوجيه والموعظة الحسنة من أساليب الرسل والأنبياء عامة، وهو من الأساليب المؤثرة في سلوك الصغار والكبار معًا، ولكي تحدث الموعظة أثرها في نفوس الأبناء فإنه ينبغي أن تقترن بالشعور بالمحبة والعطف فالنصح والوعظ والبر من والد محب أو أم حانية أو أخ كبير أو صديق مخلص أو معلم عطوف أو شيخ وقور، قد يغير مجرى حياة الإنسان، ومن الآثار التربوية التي تترتب على التربية بأسلوب التوجيه والموعظة تزكية النفس وتطهيرها، وهو هدف أسمى من أهداف التربية الإسلامية وبه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء ويسلك الجميع وفق منهج الله تبارك وتعالى وشرعته"[1].

رابعًا- الحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، والتربية الناجحة تعتمد على الحوار بين المربي والمتربي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث أبي هنيدة وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يانبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم..."، وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يارسول الله كيف تأمر

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣، ٨٤.

من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم".

ففي هذين الحديثين يبرز أسلوب الحوار والمناقشة بين الرسول ﷺ وصحابته الكرام يسألون ويجيبهم ويستفسرون ويوضح لهم.

"لقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار والمناقشة في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم" [1].

خامسًا- من أهداف التربية: تنمية روح الجماعة:

إن من أهداف التربية الإسلامية تنمية روح الجماعة في نفوس المتربين وحثهم على التوحد ونبذ الفرقة والاختلاف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الجانب ما جاء في روايات حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «وَمَنْ مَاتَ وهو مُفارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جاهليَّةً»، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ. فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ».

وروح أحاديث الباب تنمي وتحث على الاجتماع وعدم الفرقة ونبذ التنازع واطراح أسباب الشقاق والاختلاف.

"لقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولاشك أن من أسباب النصر والرفعة والعزة الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [3]، ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: «اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

تَقْضُونَ فَإِنِّي أَكْرَهُ الاخْتِلافَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي».

وسأل ابن الكواء عليًا رضي الله عنه عن السنة والبدعة والجماعة والفرقة، فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد ﷺ، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، والفرقة مجامعة أهل الباطل، وإن كثروا"[1].

سادسًا- من الأساليب التربوية: الإلقاء والبيعة والوصية:

أ-الإلقاء: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ. إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ. فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ))، والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين في المراحل العليا كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، ويمكن لإلقاء المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ب-البيعة: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((كُنَّا إذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ على السَّمْعِ والطاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: فِيما اسْتَطَعْتُمْ)).

ج-الوصية: كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)).

والوصية من الأساليب التربوية شائعة الاستخدام في ميادين الحياة المختلفة، فتستخدم في البيت، وفي المسجد، وفي الشارع، وفي كل مكان في المجتمع المسلم.



(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٢.

٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣].

الحديث رقم (٦٧٤)

٦٧٤- وعن أَبي سعيدٍ عبدِ الرحمنِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: **((يَا عَبْدَ الرَّحمن بن سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ))** متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن سمرة: هو عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، وكان اسمه عبد كُلال أو عبد كلوب أو عبدالكعبة، فغيّر النبي ﷺ اسمه فسماه عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي سعيد، وكان أحد الأشراف، أسلم يوم الفتح على المشهور، وقيل قبل الفتح على قول من قال إنه شهد مؤتة، صحب النبي ﷺ فله صحبة ورواية، له في كتب الحديث ١٤ حديثاً.

سكن البصرة، وكانت له بدمشق دارٌ، وكان رضي الله عنه من المجاهدين في سبيل الله، ومن القادة والولاة، فشهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ ثم شهد فتوح العراق، وغزا خراسان، استعمله عبدالله بن عامر لما كان أميراً على البصرة على جيشٍ فافتتح سِجِسْتان سنة ٣٣، وصالح صاحب الرُّخَّج، وأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان بن عفان فسار عنها، واستخلف رجلاً من بني يشكر، فأخرجه أهل سِجِسْتان، ثم لما استعمل

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٦، ومسلم ١٦٥٢/١٩ والسياق للحميدي في جمعه ٢٥٨/١، رقم ٥٦٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٢١.

معاويةُ عبدالله بن عامر على البصرة، سيرّ عبدالرحمن بن سمرة إلى سجستان أيضاً سنة ٤٢، ثم عزله معاوية سنة ٤٦ عن سجستان، فلما عُزل عاد إلى البصرة، فتوفي بها سنة (٥٠)، وإليه تنسب سكة سَمُرة بالبصرة، أما عن صفاته الخلقية، منها أنه اتصف بالتواضع، فيذكر أنه إذا كان اليوم المطير لبس بُرْنُساً[1]، وأخذ المسحاة يكنس الطريق.

مات رضي الله عنه بالبصرة سنة (٥٠) وقيل (٥١) وصلى عليه زياد بن أبي سفيان، وقيل مات بمَرْو[2].

غريب الألفاظ:

وُكِلْتَ إليها: صرفت إليها، ومن وكل إلى نفسه هلك[3].

وكَفِّر: من الكفارة: وهي الفَعْلة والخَصلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها وتمحوها[4].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ (يا عبد الرحمن بن سمرة) نداء تنبيه فيه تخصيص؛ لأنه ناداه باسمه، واسم أبيه، وهو يستلزم منه مزيد إنصات، وقوله (لاَ تَسْأَلِ الإمَارَةَ) نهي للنصح، والإرشاد علل له بقوله (فَإنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْألَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ

(١) البُرْنُس: لباس للرأس مختلف الأشكال والأنواع. انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ب ر ن س).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٥/٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٤٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٥٠/٣، ٤٥١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٠٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٧١/٢، ٥٧٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤١٣/٤، ٤١٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢٩٣/٢، ١٢٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٢/١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر)، وانظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥٠.

أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا) والمطابقة بين أعنت عليها، ووكلت بها تبين أثر الحرص على الإمارة في عدم التوفيق، والذي صوره طباق السلب بين: (مسألة، غير مسألة) ؛ لأن حرصه عليها قد يحمله على التعدي، والظلم للمحافظة عليها، وهو أمر مشاهد في الواقع في أهل المناصب، والكراسي ممن تمكنت الدنيا من قلوبهم فحرصوا على الدنيا أكثر من حرصهم على الآخرة فظلموا، وبغوا للحفاظ عليها، أما من أسندت إليه، وهو راغب عنها؛ فإنه يتقي الله فيها ويعمل فيها بما يرضي الله تعالى فيعان بذلك على القيام بأعبائها، وبناء لفعل يعان لما لم يسم فاعله يجعل مصدر العون مفتوح للخيال يتصوره من ربه، ومن الصالحين، ومن كل ما يخطر بباله، وقوله (وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ) أسلوب شرط يضع حلولا مستقبلية لمسائل متوقعة، وقوله (فرأيت) رأى هنا ظنية أي اعتقدت، وقوله (فأت) أمر نصح، وإرشاد واقع في جواب الشرط، والتعريف بالموصول (الذي) للمدح والحديث ترغيب في الزهد في الإمارة، وفعل الخير.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم سؤال الحكم والإمارة ونحو ذلك: اتفق الفقهاء على أن الأصل، أنه يكره للمرء سؤال الإمارة، أو الحرص عليها، أو طلب تولي الحكم،أو القضاء، أو ما شابه ذلك، إن كان هناك من هو أولى منه، فإن كان غير صالح لها حرم عليه طلبها.

أما إن كان لا يصلح لها إلا شخصه وجب عليه أن يطلبها، ووجب على أهل الحل والعقد أن يبايعوه.

وإن كان يصلح لها جماعة صح أن يطلبها واحد منهم، ووجب اختيار أحدهم، وإلا أجبر أحدهم على قبولها جمعاً لكلمة الأمة[1].

---

(١) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٣٢٢/١٦، ومنح الجليل ٢٩٧/١٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٧٣/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٢٣/١٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن طلب الإمارة، والحرص عليها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إعانة الله تعالى لمن قبل الإمارة من غير سؤال لها.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

سادساً: من موضوعات الدعوة: سماحة الإسلام ويسر شريعته.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا عبدالرحمن بن سمرة" ناداه باسمه واسم أبيه من أجل أن ينتبه لما يلقى إليه، لأن الموضوع ليس بالهين: (لا تسأل "لا تسأل الإمارة" يعني لا تطلب أن تكون أميرًا[1]. وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من لفت انتباه المدعو إلى الإقبال على الدعوة، فضلاً عما يستشعره المدعو بمكانته لدى الداعي وتخصيصه بالنداء. ولقد استخدم القرآن أسلوب النداء في كثير من الآيات فنادى أمة النبي ﷺ بأجمل ما وصفت به وهو الإيمان، وجاء النداء بـ "يا أيها الذين آمنوا" تسعين مرة، فالله سبحانه إذا نادى عباده المؤمنين ناداهم بعنوان الإيمان، لأن المؤمن حيٌّ بإيمانه مُكرَّمٌ باستجابته[2].

ثانياً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث "لا تسأل الإمارة" وأسلوب النهي من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً، لما فيه من لفت الانتباه بمكامن الخطورة، وأخذ الحذر والحيطة من الانزلاق والاندفاع إليها. كما جاء في الحديث النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، اللهم إلا إذا وجد في نفسه الأهلية التامة لهذا الأمر وافتقادها في غيره، فإن هذاالوقت لا

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٩٦٧.

(٢) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ابو بكر الجزائري ص ٥-٧.

كراهة في طلبه رعاية لمصالح المسلمين، والقرآن ضرب لنا مثلاً على ذلك بطلب يوسف عليه السلام من ملك مصر ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها:

جاء الحديث بالتصريح في النهي والمنع من سؤال الإمارة، فقال ﷺ "يا أبا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة" قال القرطبي: (قوله: "لا تسأل الإمارة" هو نهي، وظاهره التحريم، وعلى هذا يدل قوله ﷺ: "إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدًا سأله ولا أحدًا حَرَصَ عليه"[٢]، وسببه: أنَّ سؤالها والحرص عليها، مع العلم بكثرة آفاتها، وصعوبة التخلص منها، دليلٌ على أنه يطلبها لنفسه، ولأغراضه. ومن كان هكذا أوشك أن تغلب عليه نفسه، فيهلك، وهذا معنى قوله: "وُكلت إليها".

وقال الطيبي: (قوله: "وكلت إليها" معناه أن الإمارة أمر شاق لا يخرج عن عهدتها إلا الأفراد من الرجال، فلا تسألها عن تشرف النفس، فإنك إن سألتها تركت معها: فلا يعينك الله عليها، وإن أوتيتها عن غير مسألة أعانك الله عليها)[٣].

وقال النووي: (وفي هذا الحديث فوائد، منها كراهة سؤال الولاية، سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها، ومنها بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من الله تعالى، ولا تكون فيه كفاية به لذلك العمل، فينبغي أن لا يولى)[٤].

ولكن ينبغي بيان، هل أن النهي عن طلب الإمارة على إطلاقه، أم أن هناك حالات يجوز فيها طلب الإمارة؟

لقد فصل القول في ذلك محمد تقي العثماني، ونقل مجموعة من آراء العلماء فيه.

فقال: واستدل بهذا الحديث - حديث الباب - من منع طلب الإمارة والقضاء

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧١٤٩، ومسلم ١٧٣٣. واللفظ لمسلم.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٤/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٥٢.

مطلقًا، ويدل على خلاف ذلك قول الله تعالى حكاية ليوسف عليه السلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[١].

وقوله ﷺ: ((من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار))[٢]. وكذلك قوله ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها))[٣].

ومن أجل هذه الدلائل اختار أكثر الفقهاء التفصيل، فإن كان الطالب غير أهل لذلك المنصب من الإمامة أو القضاء، فإن طلبه محظور مطلقًا، وكذلك إذا كان الطلب لحب المال والرئاسة والشرف، فإنه منهي عنه على الاطلاق، وأما إذا كان للإصلاح بين الناس وإقامة العدل فليس بمنهي عنه.

قال أبو يعلى في الأحكام السلطانية[٤]: (فإن كان "طالب الولاية" من غير أهل الاجتهاد كان تعرّضه لطلبه محظورًا، وكان بذلك مجروحًا، وإن كان من أهله وومن يجوز له النظر فيه نظر، فإن كان القضاء في غير مستحقه، إما لنقص علمه، أو لظهور جوره، فيخطب القضاء دفعًا لمن لا يستحقه، ليكون فيمن هو بالقضاء أحق، ففيه روايتان: إحداهما: يكره له طلب القاضي، وأصل هذا من كلام أحمد، ...ما قاله في رواية ابنه عبدالله في الرجل يكون في بلد لا يكون فيه أحد أولى بالقضاء منه، لعلمه ومعرفته، فقال: لا يعجبني أن يدخل الرجل في القضاء، هو أسلم له ... والثانية: لا يكره. وأصل هذا من كلامه ما قاله في رواية المروزي: لا بد للمسلمين من حاكم، أفتذهب حقوق الناس؟ والوجه فيه أن هذا رفع منكر.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٢) أخرجه أبو اداود ٣٥٧٥، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود).

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٢٥، ٧٥٢٩، ومسلم ٨١٦ واللفظ له.

(٤) الأحكام السلطانية ٧٠.

فعلى هذه الرواية ينظر، فإن كان أكثر قصده به إزالة غير المستحق، كان مأجورًا، وإن كان أكثره اختصاصه بالنظر فيه كان مكروهًا، أو مباحًا.

وإن كان القاضي في مستحقه، وهو من أهله، ويريد أن يعزله عنه إما لعداوة بينهما، أو ليجرّ بالقضاء إلى نفسه نفعًا، فهذا الطلب محظور، وهو مجروح بذلك. وإن لم يكن في القضاء ناظر، نظرت، فإن كان له رغبة في إقامة الحق، وخوفه من أن يتعرض له غير مستحق، تخرج على الروايتين اللتين تقدمتا.

وإن قصد بطلبه المنزلة والمباهاة كره له ذلك، رواية واحدة، لأن طلب المباهاة في الدنيا مكروه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] وذهب قوم إلى نفي الكراهة، لأن نبيّ الله يوسف عليه السلام رغب إلى العزيز في الولاية والخلافة، فقال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وهذا لا يدل على جواز الطلب من غيره، لأن يوسف عليه السلام كان نبيًا معصومًا من الظلم والجور فيما يليه من الأعمال، وهذا المعنى غير مأمون في حق غيره. انتهى كلام أبي يعلى وبمثله ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية[3].

وقال العثماني التهانوي[4]: (ولا يبعد أن يقال إن طلب الإمارة والحكومة لحب المال والرئاسة والشرف منهي عنه مطلقًا، سواء كان بالقلب وحده، أو باللسان أيضًا، لكونه من ناحية الدنيا لا الدين. وأما طلبها لا من حيث الإمارة، بل لإرادة الإصلاح بين الناس، وإقامة العدل فيهم، والقضاء بالحق، لما في العدل من الأجر الجزيل، فليس بمنهي عنه، لا بالقلب ولا باللسان، بدليل قوله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين" الحديث. ولما كان الغالب في العادة، أن طلب الولاية وإرادتها والرغبة فيها، لا تكون إلا من

---

(١) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٧٤.

(٤) إعلاء السنن ٤٤/١٥.

حيث الولاية والإمارة لحب المال والشرف، والرئاسة وطلبها لمصلحة الناس وحاجتهم لا لحظ النفس نادرًا أشد الندرة، ومبنى الأحكام إنما هو الغالب من أحوال الناس دون النادر منها، نهى رسول الله ﷺ عن سؤالها وإرادتها والحرص عليها، وحضهم على أن لا يدخلوا فيها إلا كارهين مكرهين، وقال: إنا والله لا نولّي هذا العمل أحدًا يسأله، أو أحدًا حرص عليه، وليس معناه أن سؤالها والحرص عليها محظور مطلقًا، وبهذا تجتمع الآثار في الباب ولا يبقى بينها تضاد، والله الملهم الحق والصواب).

(ومع ذلك، فلا يخفى أن من تعاطى أمرًا، وسولت له نفسه أنه قائم بذلك الأمر، فإنه يخذل فيه في أغلب الأحوال، لأن من سأل الإمارة لا يسألها إلا وهو يرى نفسه أهلاً لها إلا من عصمه الله، ومن دعى إلى عمل أو إمامة في الدين، فقصر نفسه عن تلك المنزلة وهاب أمر الله، رزقه الله المعونة. قال النبي ﷺ: ((ما تواضع لله أحد إلا رفعه الله))[1]. فمن كان على قدم التواضع لله مع سؤاله الإمارة، كما هو شأن الأنبياء والكمل من الأولياء، يجوز له سؤالها وطلبها، ومن لم يقدر على الجمع بينهما لم يجز له إرادتها، ولا طلبها، ولا الحرص عليها، فضلاً عن سؤالها باللسان، والاستعانة عليها بالشفعاء.

فتبيّن بهذا أن ما يفعله الناس اليوم في الانتخابات الديمقراطية من ترشيخ أنفسهم لشتى المناصب، ودعوة الناس إلى التصويت في حقهم ليس من الإسلام في شيء، لأن المقصود به في الغالب هو طلب المنصب والرئاسة والشرف، على ما يصحبه من مدح الرجل نفسه، والنيل من أعراض مخالفيه، واشتراء الأصوات بالرشوة، وما إلى ذلك من المفاسد الظاهرة.

فينبغي إن عُقدت الانتخابات بطريقة شرعية أن لا يكون الرجل مُرشّحًا لنفسه، ولا داعيًا إلى ترشيحه أو التصويت في حقه، والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٢) تكملة فتح الملهم ٢٤٣/٩-٢٤٦.

فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها، فعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ على المالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ))[١] فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة يفسد دينه، مثل أو أكثر من فساد الذئبين الجائعين للغنم[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إعانة الله تعالى لمن قبل الإمارة من غير سؤال لها:

إنّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لاقيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ ((إِذَا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[٣] والإمارة لون من ألوان التقرب إلى الله تعالى[٤]، فإذا ما نظر إليها الإنسان بهذه الرؤية، وجاءت إليه الإمارة ولم يطلبها، فليوقن بإعانة الله كما صرح بذلك رسول الله ﷺ في الحديث فقال "فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها". قال ابن عثيمين: (وإن أعطيتها من غير مسألة، بل الناس هم الذين اختاروك وهم الذين طلبوك، فإن الله تعالى يعينك عليها، يعني فاقبلها وخذها)[٥]. وذلك لأن من جاءته من غير طلب، أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها، وفرّ منها، ثم ابتلي بها، فيرجى له ألا تغلب عليه نفسه، للخوف الغالب عليه، فيتخلص من آفاتها، وهذا معنى قوله: "أعنت عليها"[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٩٥، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٥).

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ١٣٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢).

(٤) انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ١٣٧-١٣٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، ٩٦٧/١.

(٦) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٦/٤.

خامساً- من أساليب الدعوة الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رهّب النبي ﷺ من سؤال الإمارة حباً للمال والرياسة، وأنه إن أعطيها وكل إليها، فلا يلق إعانة من الله تعالى، ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل[1] وإن جاءته من غير طلب، وقصد بها نية التقرب إلى الله تعالى، أعين عليها فقال ﷺ "فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها" وأسلوب الترغيب والترهيب من آكد الأساليب الدعوية، لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وتحذير من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[2].

سادساً- من موضوعات الدعوة: سماحة الإسلام ويسر شريعته:

ورد في الحديث جانب من جوانب التيسير في الشريعة الإسلامية في قوله ﷺ (وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك)، قال ابن عثيمين: (يعني إذا حلفت ألا تفعل شيئًا، ثم تبين لك أن الخير في فعله، فكفر عن يمينك وافعله، وإذا حلفت أن تفعل شيئًا ثم بدا لك أن الخير في تركه، فاتركه وكفر عن يمينك.

وإنما قال له النبي ﷺ ذلك، لأنه إذا كان الإنسان أميرًا، فحلف على شيء، فربما تملي عليه أنفة الإمارة ألا يتحول عن حلفه، ولكن ينبغي -وإن كان أميرًا- إذا حلف على شيء ورأى الخير في تركه أن يتركه، أو حلف ألا يفعل شيئًا ورأى الخير في فعله أن يفعله، وهذا شامل للأمير وغيره.

وإذا حلفت على شيء ورأيت الخير في خلافه، فكفر عن يمينك وافعل الخير. مثال ذلك: رجل حلف ألا يزور قريبه؛ لأنه صار بينه وبينه شيء فقال: والله لا أزوره؛ فهذا حلف على قطع الرحم؛ وصلة الرحم خير من القطيعة، فنقول: يجب عليك أن تكفر عن يمينك وأن تزور قريبك، لأن هذا من الصلة والصلة واجبة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٢.

(٢) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

مثال آخر: رجل حلف ألا يكلم أخاه المسلم ويهجره نقول: هذا غلط، كفر عن يمينك وكلمه. وهكذا كل شيء تحلف عليه، ويكون الخير بخلاف ما حلفت، فكفر عن يمينك وافعل الخير، وهذه قاعدة في كل الأيمان، ولكن الذي ينبغي للإنسان ألا يتسرع في الحلف؛ فإن كثيرًا من الناس يتسرعون في الحلف أو في الطلاق أو ما أشبه ذلك، ويندمون بعد ذلك، فنقول: لا تتعجل ولا تتسرع، إذا كنت عازمًا على الشيء فافعله أو اتركه بدون يمين وبدون طلاق، ثم إن ابتليت بكثرة الحلف فاقرن حلفك بقولك: إن شاء الله، فإنك إن حلفت وقلت: إن شاء الله، فأنت في حل، حتى لو خالفت ما حلفت عليه فإنه لا يضر.

فلو قلت: والله إن شاء الله لا أفعل هذا الشيء، ثم فعلته فليس عليك شيء، لأن من قال في يمينه إن شاء الله، فلا حنث عليه)[1]، ولكن إذا حلف، فمن فضل الله علينا أنه شرع لنا التكفير عن الأيمان المنعقدة، فذلك أبوبكر رضي الله عنه لما حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة بعد الذي قال في حق عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] فرجع إليه النفقة وكفر عن يمينه[3] وإذا كانت نعم الله كثيرة على الإنسان فإن هذه النعم تظهر بصورة أقوى وأشد في مظاهر التيسير، ففي كل تصرف وتعاون وتبادل يبرز التيسير ملازماً لروح الشريعة[4]، وصدق الله العظيم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[5]. وفي هذا المعنى كثير من آيات الكتاب العزيز مثل قوله تعالى:

---

(١) شرح رياض الصالحين ٩٦٨/١.

(٢) سورة النور، آية: ٢٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢١/٦.

(٤) مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية، د. محمد عبدالعزيز عزام ص ٤٣٠.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾[٢] وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[٣] وهي آيات تدل دلالة واضحة على أن الله شرع الأحكام سهلة ميسرة على العباد، فما من عمل من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهو في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه[٤]. وهذا ما تميزت به شريعة الإسلام عن بقية الشرائع السماوية.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة النساء، آية:٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية:٢٨٦.

(٤) تهذيب الفروق في الأسرار الفقهية والقواعد السنية، محمد بن علي بن الحسين، بهامش الفروق، دار إحياء الكتب العربية: ١٣٤٧هـ، ١٣١.

الحديث رقم (٦٧٥)

٦٧٥- وعن أَبي ذرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إنِّي أرَاكَ ضَعِيفاً، وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لاَ تَأمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

تأمَّرَنَّ: لا تتأمرن أي تصير أميراً[2].

تَوَلَّيَنَّ: أي لا تتولين، وتولَّى الأمر: تقلده وقام به، ومنه ولي اليتيم: الذي يلي أمره ويقوم بكفايته[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث قريب من معنى سابقه في المضمون مع اختلاف في الأسلوب، وقوله (يَا أَبَا ذَرٍّ، إنِّي أرَاكَ ضَعِيفاً، وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي) أسلوب تشويق، وتنبيه يفيض بالمحبة، والرحمة بدا ذلك من نداء التودد (يَا أَبَا ذَرٍّ) ثم الخبر الذي أريد به لازم فائدته، وهو إظهار الشفقة، والرحمة، وعبارة الإشادة والتكريم، والمحبة، والتخصيص (وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي) ولك أن تتخيل من يسمع الرسول ﷺ بعظيم قدره يخصه بهذه العبارة لابد، وأنها ذهبت بعقله كل مذهب في الحبور، والسرور يكاد بها - لو يحلق الإنسان من فرح - أن يمسك النجوم، ثم جاء نهيه بعد أن وطن نفسه لاستقباله بفيض غامر من المحبة يجعله يستقبل النهي بقلبه قبل عقله وبعقله قبل سمعه (لاَ تَأمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ) نهي إرشاد، ونصح، لما للجاه، والسلطان من سيطرة على النفس لا تلبس أن تحملها بعد أن تتعلق بها على التعدي، والظلم.

---

(١) برقم ١٨٢٦/١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢١٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٤٩، والمعجم الوسيط في (أ م ر).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٤٩، والمعجم الوسيط في (و ل ي).

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان محبة الرسول ﷺ لأبي ذر ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من الولاية على مال اليتيم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الولاية على المسلمين مسؤولية كبيرة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

جاء أسلوب النداء في الحديثين[2] في قوله ﷺ: "يا أبا ذر" وأسلوب النداء من أرجى الأساليب الدعوية نفعاً لما فيه من لفت الانتباه للمدعو، فضلاً عما يستشعره من مكانة لدى الداعية. وقد أفاد النداء في هذا الحديث إشفاق النبي ﷺ على أبي ذر رضي الله عنه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان محبة الرسول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:

جاء في الحديث تصريح رسول الله ﷺ لأبي ذر بما يكنه له من حب ورحمة، فقال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي)، وذلك من تلطف النبي ﷺ[3]، وحسن خلقه، والمعنى: لم أقل لك ذلك، إلا أني أحب لك ما أحب لنفسي[4]، فبين له مبلغ حبه له وكفاه بذلك فخرًا[5]. وتُبيِّنَ حب رسول الله ﷺ لحرصه عليه، وإرادته إبعاد العنت والمشقة عنه، وصدق الله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٧٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٧٦).

(٢) الحديث رقم ٦٧٥، ٦٧٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٤٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٩٦٩/١.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١٠.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

وفي ذلك تنويه بصفات رسول الله ﷺ الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداية الناس، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام، وذلك بالنسبة للناس عامة أما بالنسبة للمسلمين، فهو أحرص الناس على إيصال الخير إليهم في الدنيا والآخرة[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من الولاية على مال اليتيم:

في الحديثين حذر النبي ﷺ من التطلع للإمارة حباً للمال والرياسة[٢]، خاصة إن وجد في نفسه ضعفاً لا يقوم معه بحقوقها، وذلك لا يقتصر على الإمارة العامة، وإنما يتطرق ذلك الحكم إلى كل ما فيه ولاية، حتى ولو على مال يتيم، فقال ﷺ: (لا تأمَّرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)، واليتيم هو الذي مات أبوه، فنهاه الرسول ﷺ أن يتولى على مال اليتيم؛ لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ويحتاج إلى رعاية، وأبو ذر ضعيف لا يستطيع أن يرعى هذا المال حق رعايته[٣]. ومال اليتيم أمر خطير إذ أن عدم القيام بالواجب فيه، أو ضعف النفس أمامه، والتطاول عليه من موارد الردى والتهلكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٤].

أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة[٥]، وهذا أعظمُ وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدلّ ذلك أنها من أكبر الكبائر[٦]، وقد جاءت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٥/١١/٧٢.

(٢) انظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية ص ١٣٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٩٦٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٢٢.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٣٢.

الأحاديث المصرحة بذلك، ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اجتنِبوا السبْعَ الموبقات)). قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: ((الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتْلُ النَّفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقّ؛ وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيم، والتَّولِّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المُحصناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ))[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الولاية على المسلمين مسؤولية كبيرة:

لقد دلت سنة رسول الله ﷺ على أن الولاية أمانة[2]، وكما هو واضح صريح في الحديث: "يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة"، قال ابن تيمية: وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة، والأمانة[3]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[4]، وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[5]، والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها؛ فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال، من رمي وطعن وضرب، وركوب، وكر، وفر، ونحو ذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[6]، وقال ﷺ: ((من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصى))[7].

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٦٦ واللفظ له، ومسلم ١٤٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٨/ ٢٥٠.

(٤) سورة القصص، آية: ٢٦.

(٥) سورة يوسف، آية: ٥٤.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٧) أخرجه مسلم ١٩١٩.

وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام[١].

والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه هي الخصال الثلاث التي أخذها الله على كل من حكم على الناس، في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] ولهذا قال النبي ﷺ: ((القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو النار))[٣].

والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما، سواء كان خليفة، أو سلطانًا، أو نائبًا، أو وليًا، أو كان منصوبًا ليقضي بالشرع، أو نائبًا له، حتى يحكم بين الصبيان في الحظوظ إذا تخايروا، هكذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وهو ظاهر.

واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها[٤]، وعلى من يقوم بالاختبار، أن يختار من هو أصلح لأمر الإمارة أو المنصب المطلوب شغله بأمانة وعدل. إذ أن مسؤولية الإسلام والمسلمين تقع على الولاة، ولن ينجوا من الإثم إن قصروا في جنب الإسلام وأهملوا جانب الدعوة إليه[٥]، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في الحديث: (وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها).

إن المراد أن تسند إلى ذوي الكفاءات القادرين على القيام بأعبائها، "فإن ولاية أمر المسلمين من أقوى الأسباب التي يصلح بها أمور الخلق والعباد، فإذا صلح ذوو السلطان

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٣/٢٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٣) أخرجه ابو داود ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٤/٢٨، ٢٥٥.

(٥) الإسلام بين العلماء والحكام، عبد العزيز البدري ص ١٤.

صلحت أمور الناس، وإذا فسد فسدت بحسب فساده، ومن تولى على الناس وساسهم بعلم وعدل فعمله من أعظم العبادات وأرفع المنازل، فإن الراعي وولاة الأمر إذا اجتهدوا في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان، كانوا من أفضل أهل زمانهم[1]، وكانوا في مقدمة من يستظلون بظل عرش الرحمن يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تَصدَّقَ أخفىٰ حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عَيناه))[2].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن باز ٢/٣٦٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٣١.

الحديث رقم (٦٧٦)

٦٧٦- وعنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، ألا تَسْتَعْمِلُني؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنّها امانةٌ، وَإنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلاَّ مَنْ أخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

المنكب: مجتمع رأس العضد والكتف[2].

الخِزْيُ: الهلاك والوقوع في بلية[3].

الشرح الأدبي

معنى الحديث قريب من سابقه من ناحية الموضوع، ومن ناحية سبب الحديث، وهو طلب الإمارة، ومن ناحية أطراف الحوار، ويختلف من حيث البداية بالاستفهام بغرض الحث، والتحضيض (ألا تستعملني؟) ثم في الحركة التعبيرية التي سبقت رد الرسول القولي في قوله: (فضرب بيده على منكبي) والتي جاءت بمثابة التنبيه، والإيقاظ للمعنى؛ لأنها تستولي على المخاطب بكل حواسه، وتقسرها على المتكلم حتى ينتهي مما يريد مع تثبيت المعنى، وترسيخه في ذهنه، وهي كناية عن المودة، والاهتمام يدل على ذلك نداؤه الصحابي باسمه، ثم تحذيره من الإمارة، ، ثم إخباره بمآلها يوم القيامة، (وَإنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ) ثم الاستثناء الذي يخرج أهل الصلاح، والتقوى من المؤمنين، وتأمل عبقرية المزج بين الحال الدالة، والسياق اللفظي حيث ترك مهلة بعد

---

(١) برقم ١٨٢٥/١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢١٧.

(٢) المعجم الوسيط في (ن ك ب).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٣.

هذه الحركة يهيئ فيها المخاطب نفسه، ويصفي له ذهنه، ويفرغ له قلبه تُفهم هذه المهلة من ربط الراوي بـ (ثـم) في قوله (ثم قال) بعد ضربه على منكبه، والحديث ترغيب في الزهد في الإمارة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٧٧)

٦٧٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإمَارَةِ، وَسَتَكونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

توكيد أبي هريرة للخبر الذي ينقله عن الرسول ﷺ مع عدم مواجهته بالتكذيب أو الشك، تعظيم للخبر، وبيان لأهميته، وتوكيد الخبر النبوي من الرسول ﷺ في قوله: (إنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإمَارَةِ) تعظيم لخطر الأمر، وهو الحرص المهلك على الإمارة، واتصال حرف التوكيد بكاف الخطاب يأخذ بجميع المخاطبين من بداية الحديث لتجعلهم في قلب الحدث، والسين في الفعل (ستحرصون) للمستقبل القريب، والسين في قوله (ستكون) تشير إلى المستقبل القريب في علم الله لأنها من أحداث القيامة، واستخدام السين بدل سوف لذلك كما أنه يشير إلى أن الأمر جد قريب، وتقييد تحولها لندامة بيوم القيامة تصعيد للترهيب المفهوم من التعبير بالندامة، لأنها تدل على فوت خير، ووقوع شر، والحديث من أعلام نبوة النبي ﷺ لأن ما قاله وقع كما أخبر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإمارة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إنكم ستحرصون على الإمارة"، وأسلوب التوكيد من أنفذ الأساليب الدعوية إلى قلوب المدعوين لما فيه من تأكيد ما

(١) برقم ٧١٤٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢١٩.

يُدعى إليه، وإيقاعه في القلب موقع الاستجابة والقبول[١]؛ لأن هذا ما هديت إليه الفطرة الإنسانية، وبه يكون التوجيه أبلغ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ:

هذا الحديث تضمن دليلاً من دلائل نبوة رسول الله ﷺ، حيث أخبر ﷺ بحرص الناس على الإمارة، فقال: "إنكم ستحرصون على الإمارة"، قال ابن علان: (وهذا من جملة معجزاته ﷺ من الإخبار عن المغيب قبل وقوعه فوقع كما أخبر)[٢]، وقال القاضي عياض: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا، وقد خرَّج أهل الصحيح والأئمةُ ما أعلم به أصْحَابَهُ مما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وغير ذلك[٣].

فعن الخباب بن الأرتّ ﷺ قال: ((شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكمُ يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضَعُ على رأسِهِ فيُشَقُّ باثنَتَينِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمِهِ من عظمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضرَمَوتَ لا يخافُ إلاَّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنَمِه، ولكنَّكم تَستَعجِلون))[٤].

وهكذا وقع، فقد عم وظهر الدين، وغلب وعلا على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمته في عهد الصحابة ومن بعدهم، وذلت لهم سائر البلاد، ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم، وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين،

---

(١) أساليب الدعوية والتربية، د. زياد محمود العاني، ٣٠٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٥٠.

(٣) كتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١/٢٢٩-٢٣٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٩٨، ومسلم ١١٢.

وإما مهادن باذل الطاعة والمال، وإما محارب خائف وجل[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الإمارة:

لقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى خطورة الإمارة وسوء مآلها إن لم تُرْعَ حقوقها، كما جاء في الحديث "إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة"، وهذا أصل عظيم في اجتناب الولاية، ولاسيما لمن كان فيه ضعف، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل، فإنه يندم على ما فرط منه، إذا جوزي بالخزي يوم القيامة، وأما من كان أهلاً وعدل فيها فأجره عظيم، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم ولذلك امتنع الأكابر منها[٢]، إذ أن جميع الحقوق المشروعة للمحكومين أمانة في عنق الولاة، وهم مسئولون عن حمايتها وتمكينها، وذلك من أخطر الوظائف على الإطلاق[٣].

وكما جاء في الحديث فيما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّدهِ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ - قال: وَحَسِبتُ أنَّه قال: وَالرجلُ راعٍ في مالِ أَبيهِ وَمَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ، وَكلُّكم راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ»[٤]. فولاة الأمر مسئولون عن الأمن واستتبابه والمحافظة عليه، حتى يأمن كل فرد على نفسه ودينه، وعرضه وماله، وحريته وكرامته، إضافة إلى الوظائف الأساسية من إقامة العدالة، والتسوية بين الناس في الحقوق، حتى يأخذ كل ذي حق حقه، وتنفيذ الشريعة وإقامة حدود الله، وتوحيد الكلمة وجمع الشمل، وتوحيد كيان الأمة،

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٣٤/١٣.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٢٠٠- ٢٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٣ واللفظ له، ومسلم ١٨٢٩.

وإيجاد رباط بين المسلمين في مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كي تستطيع الأمة مواجهة الأحداث، ورد عدوان المعتدين ومنع إغارات المغيرين[1].

(1) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ٢٠٠-٢٠٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

غريزة الأنا أو حب الاستعلاء والسيطرة لها سبل شتى أخصها بالذكر: السلطان أو الولاية أو التسلط على رقاب العباد، وهذا الاتجاه له سبيلان:

السبيل الأول: تحقق الولاية أو الإمارة من طريق ولي الأمر على أساس من الكفاءة والأهلية للعمل دون أي اعتبار لحسب أو نسب أو واسطة...

السبيل الثاني: التسلط على الولاية أو الإمارة وتحقق الغلبة للمتسلط، فإن كان فعله هذا لقطع ظلم وإحقاق عدل ونشر سلام وإقامة توازن اجتماعي بين أفراد الأمة فهو محمود، وإن كانت الأخرى فعليه التبعة، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- مراعاة الفروق الفردية:

إن من الأمور المهمة التي ينبغي أن يفطن إليها ويراعيها المربي في العملية التربوية مراعاة الفروق الفردية بين المتربين، ومراعاة القدرات والاستعدادات، ومن أحاديث الباب التي تشير إلى هذه النقطة، حديث عبدالرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحمنِ بْنَ سَمُرَةَ: لاَ تَسْأَلِ الإمَارَةَ، فَإنَّكَ إنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا»، وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قالَ لِي رَسُول الله ﷺ: «يَا أبَا ذَرَ إنِّي أرَاكَ ضَعِيفاً وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلاَ تَأمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»، وعنه رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ألاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإنَّهَا أَمَانَةٌ. وَإنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ...».

ففي هذه الأحاديث خصّص النبي ﷺ عبدالرحمن بن سَمُرة وأبا ذر رضي الله عنهما بالنهي عن الإمارة وطلبها مما يبين أنهما غير مستعدين لها، وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر: إنك ضعيف، وبهذا راعى النبي ﷺ الفروق الفردية بين أصحابه.

"ورغم اشتراك الناس في كثير من الخصائص إلا أنهم يفترقون في بعضها، بل إن

الفروق تكون حتى بين الأشقاء، وحتى بين التوائم، وأبرز ما تكون فيه الفروق الفردية الاستعدادات والقدرات، قال ابن تيمية: إن الناس متباينون في نفس عَقْلِهِمُ الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير، وجليل ودقيق وغير ذلك. وحيث إن الناس يختلفون في درجة الاستعداد والميول فإنه ينبغي للمعلم أن لا يشير عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله، ولهذا فإن المعلم يحتاج إلى معرفة استعدادات كل متعلم ومدى تقبله للتوجيهات، ولا ينبغي تكليف المتربين بما لا يطيقون، ولا بأعمق مما يدركون ويفهمون فإن في ذلك إحباطًا لقدراتهم"(١).

وإذا راعى المربي الفروق الفردية بين المتربين، وعلم مدى استعدادهم وقدراتهم فإنه يضع كل واحد منهم في مكانه المناسب وموضعه الملائم الذي يجيد فيه ويتقن.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية التي تؤثر في المتربين التربية بالترهيب، حيث إن الترهيب يحمل نفس المتربي على الاستجابة لما يؤمر به وينهى عنه، ومن أحاديث الباب التي تبين التربية بالترهيب، حديث أبي ذر ﷺ: "... وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ..."، وقوله ﷺ: «إنكم ستحرِصونَ على الإمارة، وستكون ندامةً يومَ القيامة». ففي هذين الحديثين رهَّب النبي ﷺ من تَحمُّل الإمارة لمن لم يقم بحقها بأنها تكون يوم القيامة خزياً وندامة، وفي هذا الترهيب ردع للمتربي من الإقدام عليها طالما أنه ليس لها أهلاً، ولا يمكنه القيام بها.

"إن أسلوب الترهيب أو العقاب يتماشى مع طبيعة البشرية، ولا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان ولا يمكن أن تُجْدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة، مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه، ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر،

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٦٨.

ولا تُستخدم التربيةُ الإسلاميةُ الترهيبَ والعقوبةَ إلا إذا لم يفلح الترغيب والثواب، وحين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة، ولا غير ذلك من أساليب تربوية ساعتها لابد إذًا من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح والعلاج الحاسم هو العقوبة"(١).

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية الناجعة التربية بالتوجيه المباشر ويراد به توجيه الأمر أو الطلب أو النصح أو التوجيه إلى المتربي مباشرة، ومن أحاديث الباب التي تبرز التوجيه المباشر قول النبي ﷺ: "يا عبدالرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة..."، وقوله ﷺ: "يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي..."، وقوله ﷺ: "يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة..."، وقوله ﷺ: "إنكم ستحرصون على الإمارة..."، ففي هذه الأحاديث توجيه مباشر من النبي ﷺ بعدم سؤال الإمارة والحرص عليها لمن لم يقدر على تكاليفها.

"والتربية بالتوجيه المباشر من الأساليب التي تعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى السامع (الشخص المستهدف بالتربية) مباشرة بصيغة الأمر أو بصيغة النهي، وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب هو الأغلب لدى المربي"(٢).

ومن خلال التوجيه المباشر يتم تقويم سلوكيات المتربي، وتصحيح مساره، وتوظيف طاقاته وقدراته وجهده في جوانب الخير: "إن في كل نفس استعدادًا للخير أو الشر وحين يُترك الناس بلا توجيه معين فقد تنحرف فِطَرُهم ذات اليمين، وذات الشمال، والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من المتربين القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤، ١٥٥.

المعلم يرافقها تصحيح لأخطائه"[(١)].

ومن خلال التوجيه المباشر يفهم المتربي عِظَم مسئولية الحكم، ومتطلباته، ومعرفة معاني الأمانة والإخلاص، والتدريب على أن يضع الإنسان نفسه في المكان المناسب له، والعمل الملائم لقدراته وإمكانياته.

رابعًا- من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة واستخدام الحركات المعبِّرة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ...)) الحديث، والحوار والمناقشة من الأساليب التربوية التي تتيح للمتعلم أن يفصح عمًا في نفسه وعمًا بداخلها، ومن ثم يشعر بالفائدة التي تعود عليه من التعليم والتربية.

ب-استخدام الحركات المعبِّرة: كما في حديث أبي ذر السابق: ((فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي)) فهذا الضرب باليد يعبِّر عن معانٍ يمكن استنباطها من جواب النبي ﷺ، فيمكن أن يحمل على معنى الشفقة عليه من تبعات الإمارة أو يحمل على معنى لفت الانتباه إلى جسامة مسؤوليات الإمارة، ويمكن حمله على إشعاره بحبه ونحو ذلك ويمكن حمله على جميع ما سبق.

ونحن نظن أن وضع النبي ﷺ يده على منكب أبي ذر رضي الله عنه سهَّلت كثيرًا من تقبل أبي ذر لما أرشده إليه النبي ﷺ، والله أعلم.

خامسًا- من مهام المربي: التبصير بحقائق الأمور:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((يَا أَبَا ذَرَ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا. وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي))، و((يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ. وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ. إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))، فرغم حب النبي ﷺ لأبي ذر "إني أحب لك ما أحب لنفسي"، رغم حبِّه ﷺ له، إلا أنه بصّره بما فيه ولا يجعله صالحًا لتولي أمر الإمارة والقيام بمسؤولياتها، فنصحه بالابتعاد عن الإمارة لكونها قد

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨١-٢٨٤.

تجعله يقف يوم القيامة موقف الخزي والندامة، وأبو ذر رضي الله عنه صحابي جليل جاهد في الله حق جهاده وأبلى في الإسلام بلاءً حسنًا وصدع بما رآه حقًا وجاهد في ذلك جهادًا كثيرًا، لكن الأمر أمر قدرات ومواهب يعطيها الله لمن يشاء. والمهم أن يعرف المربي ما يصلح لكل واحد من المتعلمين وما لا يصلح له حتى يدله على طريق الصلاح والنجاح.



٨٢- باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور علَى اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧].

الحديث رقم (٦٧٨)

٦٧٨- وعن أَبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَليفَةٍ إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

بطانة: بطانة الرجل: صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله[2].

الشرح الأدبي

الحديث تحذير بليغ لكل من ولى شيئا من أمور المسلمين لكي يفتش فيمن حوله حتى يميز بطانة السوء من بطانة الخير فيسمع للمخلصين، ويصم أذنه عن أهل الشر، والمعنى ورد في ثوب القصر (مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَليفَةٍ إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ) حيث قصر بعث النبي، واستخلاف الخليفة على وجود البطانتين، وقوله (بطانتان) أسلوب توشيع يحقق التشويق؛ لأنه مثنى مجمل يحتاج المخاطب إلى معرفة تفصيله وهو قوله: (بِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ

---

(١) برقم ٧١٩٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ن).

عَلَيْهِ) وهو أسلوب مقابلة بين الصورتين يوحي بصراع بينهما على السيطرة على فكر الخليفة، وتوجيهه بما يخدم رغباتهم في الشر أو في الخير صوَّر ذلك الصراع بالفعل المضارع (تأمره) الذي يصور التزيين القولي، وقوله (تحضه) الذي يصور الدفع ناحية مقصد البطانة، وقوله (وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ) تكميل بلاغي يقرر مع ضرورة الانتباه لمن حوله أن يتوكل على الله في الاستعانة على أداء ما كلفه به من أعباء قد تهلكه، والجناس بين (المعصوم - وعصم) يؤكد المعنى، ويشير إلى أثر العصمة، ومصدرها.

فقه الحديث

اتخاذ البطانة الصالحة:

لما كانت الشورى من قواعد الشريعة، ومن لوازم الحكم في الإسلام، وأن العادة جارية بأن الإنسان يطمئن إلى بطانته، فإنه يجب على ولاة المسلمين أن يتخذوا بطانة صالحة من أهل التقوى والأمانة، وممن يخشى الله.

وجاء في كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي في معرض عد واجبات الإمام: (استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: وجوب اختيار المستشارين من ذوي التقوى والأمانة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من بطانة السوء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث، حيث أخبر النبي ﷺ عما يكون للأنبياء والخلفاء من بطانة وبين أصنافها، فقال ﷺ: «ما بَعَثَ اللَّه من نبيٍّ ولا استخلَفَ من

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ١٢-١٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/٨.

خَليفةٍ إلا كانت له بطانتان...))، والإخبار من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على الحقائق وتوجيهه لكيفية التعامل معها.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

ويستفاد هذا من عموم الحديث، ومن قوله ﷺ: "ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة ..." إن أهم ما ينبغي أن يضطلع به الدعاة هو القيام ببيان الحقائق للناس، ولقد كلف الله نبيه ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وأوصى الأمة بتخصيص فئة منهم للتفقه في الدين للقيام بالبيان للناس، ليتفقهوا في دينهم وليأخذوا حذرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]، وفي هذا الحديث بيان للبطانة وأصناف أصحابها[3]، وذلك ليأخذ الولاة هذا على وجه الاعتبار، فيقربوا الصالحين اليهم، وينأون بأنفسهم عن غيرهم طلباً للسلامة والنجاة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: وجوب اختيار المستشارين من ذوي التقوى والأمانة:

وظهر هذا في قوله وحثه ﷺ: "بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه" وفي بيان رسول الله ﷺ في الحديث للبطانة وأصناف أصحابها، وتأثيرهم على الولاة، أمر ضمني بوجوب اختيار المستشارين من أهل التقوى وذوي الأمانة، وقد ضرب القرآن لنا مثلاً في طلب واختيار البطانة الصالحة، وذلك في طلب موسى ﷺ من ربه ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى﴾[4]، وإنما خص هارون لفرط ثقته به، ولأنه كان

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/ ٩٧٠-٩٧١.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٩-٣٠.

فصيح اللسان مقوالاً، فكونه من أهله، وممن تيقن صلاحهم، مظنة النصح له، ولذا سأل الله أن يجعله معيناً له في أعماله[١]، قال الشيخ ابن عثيمين: (وإذا كان هذا في الأمراء ففتش نفسك أنت، فأنت بنفسك، إذا رأيت من أصحابك أنهم يدلونك على الخير ويعينونك عليه، وإذا نسيت ذكروك، وإذا جهلت علموك، فاستمسك بحجزهم وعض عليهم بالنواجذ)[٢].

وأولى الناس بالتقريب هم أهل العلم والصلاح، ولذلك فقد كانت بطانة عمر ﷺ من القراء، روي عن ابن عباس أنه قال: (كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته)[٣]. وكلما كانوا من أهل العلم والتقوى كان ولي الأمر أبعد عن الزلل. فالمقياس صلاح دين الرجل وأمانته وتقواه، وليست معايير الطين والمادة والذوبان في شخصية الصاحب، لذا ينبغي على أولي الأمر أن يعمدوا إلى التحري والاصطفاء البعيد عن الهوى، حتى يجد المرء من يأمنه ومن يطمئن لصحبته[٤]. وقد وصف أشهب بطانة الحاكم بقوله: (وليكن ثقة مأموناً فطناً عاقلاً، لأن المصيبة إنما تدخل على الحاكم المأمون من قبول قوله من لا يوثق به، إذا كان هو حسن الظن به، فيجب عليه أن يتثبت في مثل ذلك[٥].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من بطانة السوء:

حذر النبي ﷺ من طرف خفي من بطانة السوء، حيث بين أنها تأمر بالشر وتحضّ عليه، فقال ﷺ: "وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه"، وقد نهانا الله عن اتخاذ البطانة السوء خاصة من غير المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالاً﴾[٦]، فالحذر الحذر من بطانة السوء، فكثيراً ما نرى من

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢١٢/١٦/٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٧٢/١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٤٢.

(٤) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٢٦٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٢/٢٠٢.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١١٨.

أهل الصلاح من يزل زلات، إنما استدرجته إليها بطانة فاسدة، زينت له الباطل، وحجبت الحق عن عينيه[١].

فإن خطورة البطانة إذا فسدت أنها قد تُحَسِّنُ القبيح أو تُقَبِّحُ الحسن بالوسوسة والتظاهر بالإخلاص. لذا كانت وصايا السلف الصالح لولاة الأمر وللناس عامة باصطفاء البطانة الصالحة واجتناب الطالحة[٢]، ومن ذلك ما كتبه قاضي القضاة أبو يوسف في مقدمة كتابه الخراج الذي وجهه إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، جاء فيه: (وإن الله بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور، فيما بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم، وإضاءة نور ولاة الأمر، إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت، وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانته لغير أهل الثقة والخير هلاك العامة)[٣].

---

(١) هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٢٥٩

(٢) انظر: الإسلام بين العلماء والحكام، عبدالعزيز البدري ص ٤٦.

(٣) الخراج، القاضي أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت: ١٩٧٩م ص ٦.

الحديث رقم (٦٧٩)

٦٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صدقٍ، إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإنْ ذَكَرَ أعَانَهُ، وَإِذَا أرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على أسلوب الشرط الذي يربط الخير، وغيره بمشيئة الله، واللام في الأمير للجنس لتشمل كل أمير، وتنكير (خير) للتعظيم لأنه أعُين به على آخرته وقوله (جعل له) أي صير له وسخر، وتقديم الجار والمجرور على المفعول به يفيد التخصيص أي له خاصة لا لغيره، ووصف الوزير بالصدق يبشر بالعون الصالح على هذا العبأ الثقيل، وكون الوصف على صيغة المصدر (صدق) خاصة يفيد المبالغة في الصفة وهو ما يجب على كل أمير أو مسئول أن يبحث عنه فيمن حوله لأن نصيحته له ستكون خالصة لله تعالى مجردة عن هوى النفس والطباق بين (نسي، وذكر) يؤكد المعنى ويبين الفارق بين النموذجين وقد وضع النموذج المقابل له في الصورة حتى تتضح صفاته، وأعماله، ومآله (وَإِذَا أرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ)، وقوله (أرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ) كناية عن الشر، وعبَّر بالكناية تأدبا مع الله بعدم نسبة الشر إليه، وإن كان كل شيء بقدره - تعالى - والتعبير بالمصدر (سوء) مبالغة في الصفة تقرر قوة الضرر للرعية من ناحية، وللأمير من ناحية، وتأمل سوء فعله في معاملة أميره (إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ) يبخل بالفكرة، ويعطل الحركة ويضر الجميع.

---

(١) برقم ٢٩٣٢. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٤٩٤). أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٨٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الوزير الصادق الأمين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دور المستشار في حياة ولى الأمر.

ثالثاً: من أصناف المدعوين: ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

خامساً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اهمية اختيار الوزير الصادق الأمين:

إن اختيار الحكام والولاة للوزير الصادق الأمين من الأهمية بمكان، ومن إرادة الله الخير بهم، فقال ﷺ: "إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق"، ولذا وجب تحري الدقة في اختيار الوزير ما استطاع الوالي إلى ذلك سبيلاً، وأن يراعى فيه مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، وحسن الرأى، ونفاذ البصيرة، "حكى أن المأمون كتب في اختيار وزير: إني التمست لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض بها، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أُحسن إليه شكر، وإن ابتلى بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه"(١).

إن من علامات التسديد والتوفيق للحكام والرؤساء، الحاشية الصالحة المعينة على الخير بالرأي والقول والفعل، لذا ينبغي لولاة الأمر حسن اختيار البطانة والعاملين والتفويض إلى الله تعالى بعد ذلك، إذ على الإنسان أخذ الاحتياط، وممارسة الأسباب، ثم الاعتماد على الله وحده دون سواه، وقياس الناس بمواهبهم واستعداداتهم، لا بأقاربهم ومعارفهم(٢).

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٢٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دور المستشار في حياة ولي الأمر:

إن أية صحبة لا تخلو من تأثير وتأثر، إذ أن النفوس المتماثلة تتجاذب فيما بينها، كما بين رسول الله ﷺ، ذلك بقوله: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))[(١)]، [(٢)]، وقد بين رسول الله ﷺ في الحديث دور المستشار، وأثره في حياة ولي الأمر إيجاباً وسلباً فقال: ((إِذَا أَرَادَ الله بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ الله بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ)).

لذا ينبغي أن يكون أولى الناس بالتقريب إلى الولاة هم أهل العلم والصلاح، لذلك فقد كانت بطانة عمر رضي الله عنه من القراء، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً"[(٣)]، فكلما كانت البطانة من أهل العلم والتقوى كان وليُّ الأمر أبعد عن الزلل، قال الإمام ابن حجر العسقلاني: (وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم)[(٤)]. ومهمة المستشار: أن يشير بالنصيحة المحضة وأنه ينبغي له أن يستفصل من مستشيره ليُدله على ما هو أفضل، وذلك لأن المستشار مؤتمن. فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته[(٥)].

ثالثاً- من أصناف المدعوين: ولاة الأمر:

إن الدعوة إلى الله لا تقتصر على فئة بعينها وإنما تمتد لتشمل جميع فئات المجتمع وشرائح الناس، ومنهم ولاة الأمر، والذي جاء الحديث في الأصل موجهاً لهم إلى اختيار البطانة الحسنة، والتجافي عن سيئها وبيان أثرهما، فقال ﷺ: "إذا أراد الله بالأمير

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٨٣٣، والحديث حسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٠٤٦).

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين، محمود محمد الخزندار ص ٢٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٩/٣.

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٦١/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٨/٣١.

خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه...."، لذا يحرص العلماء دائماً على إبداء النصيحة والموعظة الحسنة للحكام حرصاً جعلهم يتحملون كل مشقة وأذى في هذا السبيل، ويبذلون جهدهم لتحقيق هذا المطلب الشرعي الكريم[١]، ولكن لابد من مراعاة مكانة ولاة الأمر ومنزلتهم الرفيعة بين الناس، فيجب التلطف في دعوتهم وإلانة القول معهم، ومخاطبتهم بالأسلوب الذي يليق بهم، واختيار الزمان والمكان المناسب لدعوتهم، لأن ذلك أدعى إلى استجابتهم. والواجب في نصحه: أن يبين أن الإمار تتخذ قربة إلى الله ودينًا، فإن التقرب إلى الله بها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس، لابتغاء الرياسة أو المال بها، كما هو مشاهد في عصرنا[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في البطانة الحسنة، ورهب من نقيضها ببيان أثرهما، فقال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ». وأسلوب الترغيب والترهيب من آكد الأساليب الدعوية تأثيراً، لما فيهما من تشويق للمدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وتحذيره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٣].

خامساً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من أهم الواجبات على الداعية بيان الحقائق للمدعوين، حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، وتبيين الحقائق من أهم الوظائف التي كلف بها الأنبياء "وظيفة التبيين" قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام، عبدالعزيز البدري ص ١٠٤.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ٢١٩.

(٣) مستلزمات الدعوة الإسلامية، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

وفي الحديث صورة من صور تبيين النبي ﷺ للحقائق وتبصير الناس بها، فقال: "إذا أراد الله بالأمير خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه ..."، فالدعوة الإسلامية منهج يقوم على بيان الحق والخير والهدى، وكشف وسائل الباطل وأساليبه، ومنهج الزيغ فيه، بكل الطرق والأساليب والوسائل والمناهج التي يجمعها قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١)(٢).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) فقه الدعوة والإعلام، د. عمارة نجيب، مكتبة المعارف، الرياض: ١٩٨٧م ص ١٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

مساعدوا المسؤولين هم الأعين التي يرون بها الآخرين، فإن كانوا أمناء نقلوا الصورة صحيحة وإن كانوا خائنين، فقد ضلوا وأضلوا، كما أن طباع الصحبة تؤثر على الصاحب، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- اتخاذ الرفقة الصالحة وتجنب قرناء السوء:

إن من أهم الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية لغرسها في نفوس المتربين الحرص على اتخاذ الرفقة الصالحة وتجنب قرناء السوء، ذلك لأن الرفيق له أثر ليس بالهين على صاحبه وقرينه من ناحية تفكيره وسلوكه وعاداته وغير ذلك، يزداد الأمر أهمية في حق ولاة الأمر والقضاة وأصحاب الولايات، لأن الأثر يتعدى إلى الغير بما يتخذونه من قرارات وأمور تخص الرعية، ومن ثمَّ فيلزم هؤلاء الحرص على اتخاذ الرفقة الصالحة التي تعين على الخير وتدل عليه، وتجنب الرفقة الفاسدة التي تحرض على الشر وترشد إليه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب قوله ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ»، وقوله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»، فمن خلال هذين الحديثين يبرز أهمية اتخاذ الرفقة الصالحة، ووجود المعين على الخير، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين كل الحرص على اصطفاء البطانة الصالحة.

"فعمر رضي الله عنه كان مربيًا بطبعه وفطرته، كان أستاذ التربية في المدينة، يربي في المسجد وفي السوق وكان على كل حالاته مربيًا، وتاريخه حافل بحوادث الزجر والتوجيه والتربية. وقف على المنبر يومًا وقال: "ماذا تقولون لو مِلت برأسي إلى الدنيا؟ فقام إليه رجل فسلّ سيفه، وقال: نقوِّمك بهذا، قال عمر: إياي تعني بقولك، قال: نعم

إياك أعني، فقال: عمر: رحمك الله... الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوّجت قوّمني، وقال حذيفة: دخلت على عمر فرأيته مهمومًا حزينًا، فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد تعظيمًا لي، فقال حذيفة: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فإن لم تنته ضربناك بالسيف، ففرح عمر رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقوموني إذا اعوججت" (١).

وما من شك في أن قرناء السوء يزينون للإنسان الخطأ والشر، "ومن وسائل المنهج الإسلامي في علاجه لأمراض الشخصية التحذير من مجالسة قرناء السوء والحث على قطع الصلة بهم، لما لهم من تأثير كبير في إفساد الشخصية الإنسانية وتحطيم أخلاقها. ولأنها إذا استمرت في علاقتها فإنها لن تتغير حالها، ولن تجدي فيها مختلف الأدوية، وقال الله عز وجل محذرًا من مخالطة قرناء السوء: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (٢)، فيجب البعد عن مجالسة الدنيء والسخيف والفاسق والمرائي، وكل متهم في دينه وعرضه، وقد نفى الله سبحانه الإيمان عن الإنسان الذي يجالس أصحاب السوء الذين يحادُّون الله ورسوله، حتى لو كانوا من أقرب الناس إليه، فقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ (٣)، وهذا يدل على مدى الخطورة التي تلحق بالإنسان من جرّاء مجالسته لهم" (٤).

ثانيًا- غرس روح التناصح:

من أهداف التربية الخلقية غرس روح التناصح بين أفراد المجتمع رؤساء ومرءوسين وحكام ومحكومين لما في التربية على التناصح والتواصي من صلاح البلاد والعباد،

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة الكهف، الآية:٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية:٢٢.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٥٧٩، ٥٨٠.

واستقامة الأمور وكثرة الخير للحاضر والباد، وفي حديثي الباب نلمح هذه التربية الخلقية، وضرورتها للمجتمع، ففي حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: «... إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ»، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ».

فمن خلال هذين الحديثين يتبين ضرورة اهتمام واعتناء المربين بغرس روح التناصح والتواصي على ذلك.

"إن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي من أساليب التربية الإسلامية التي بدت خلالها أحاديث المربي الرسول ﷺ، وفي طريقة التواصي دعوة كل مسلم إلى أن يكون مربيًا يعلم أخاه المسلم والتذكير بالخير والحق، والدعوة إليهما، والتنبيه إلى الشر والضرر والنهي عنهما هو من صميم الأساليب التربوية الإسلامية للإنسان المسلم والتي يحتاجها أي إنسان في كل زمان، وفي كل مكان في العالم الذي نعيش فيه"[1].

وعلى المشتغلين بالتربية، تدريب وتعويد المتربين على النصيحة والتواصي تحقيقًا لأهداف التربية الخلقية، فالدين النصيحة.

"والنصيحة تكون للغير وللنفس، فالذي ينصح نفسه تُكرم، والذي يتشاغل عن نصيحتها تهون نفسه عليه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يوصل إلى الغاية المنشودة من التربية الخلقية، والنصيحة أمر واجب لأن الأئمة فعلوا ذلك أي نصحوا للخلق كما أن الصحابة رضي الله عنهم بايعوا الرسول ﷺ على النصيحة، ويتصل بالنصيحة الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من طرق التربية الخلقية المباشرة، وهو القطب الأعظم في الدين، ولو طوى بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأُهْمِل لفشت الضلالة

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٢، ٣٣٣.

وشاع الجهل واستشرى الفساد وخربت البلاد، وهلك العباد فله دور هام في التربية الخلقية أو التهذيب الخلقي، وهو دليل الصدق في الله والدين، ولابد أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشفقة والرأفة واللين في القول، وذلك حتى يؤتي ثماره في إحداث الغاية المرجوة من تهذيب الأخلاق وتطهيرها"[(١)].



(١) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ٢٦١.

٨٣- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أوْ حرص عليها فعرّض بها

الحديث رقم (٦٨٠)

٦٨٠- عن أَبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَا وَرَجُلانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أحَدُهُمَا: يَا رسول الله، أمِّرْنَا عَلَى بَعْض مَا ولاَّكَ اللهُ عز وجل، وقال الآخَرُ مِثلَ ذلِكَ، فَقَالَ: ((إنَّا وَاللهِ لاَ نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ احَداً سَألَهُ، أوْ احَداً حَرَصَ عَلَيْهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض المعنى في ثوب القصة التي يحكيها أحد أفرادها، وهو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه والمعنى الذي يعرضه الحديث قاعدة عامة يجب أن تراعى عند اختيار من يلي عملا من أعمال المسلمين، وهو ألا يولاه من طلبه، وسعى إليه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سألوه الولاية قرَّر ذلك (إنَّا وَاللهِ لاَ نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أحَداً سَألَهُ، أوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ) ونلاحظ طبيعة التوكيد القوية في بداية الكلام حيث أكده بإن مع اسمية الجملة، والقسم بلفظ الجلالة تلاه بأسلوب النفي ليقطع من نفوسهم كل رغبة تستبقي لهم أملا فيها، ولفظ (أحد) نكرة في سياق النفي تفيد التعميم، وقوله (أوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ) لأن الأول طلبه بالقول، والثاني عنده الرغبة، والحرص، وإن لم يطلبها مما يشير إلى ضرورة التدقيق فيمن يلي هذه النوعية من الأعمال، وتحري الدقة حتى لا تخدعهم الرغبة المتسترة بلباس الزهد حتى إذا تمكن مما أراد تهتكت تلك سترة النفاق، وكشفت عن وجه قبيح يفوق الآخر شرا، وما ابتلي المسلمين بأشر من ذلك بلية، حيث

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٩، ومسلم ١٧٣٣/١٤، كتاب الإمارة، باب ٣ واللفظ له.

تصدر المنافقون كثيرا من أعمال الأمة فلبّسوا على الناس الحقائق، واتخذوا من هذه المناصب وسيلة يتاجرون فيها بدين الناس، ودنياهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن طلب تولي الإمارة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

رابعاً: من واجبات الداعية: عدم المجاملة على حساب مصلحة المسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهى عن طلب تولي الإمارة:

لقد تضافرت النصوص النبوية على النهى عن طلب تولى الإمارة، بل إن النبي ﷺ بيّن ذلك عملياً بعدم الاستجابة لذينك الرجلين اللذين طلبا منه توليتهما الإمارة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبيَّ ﷺ أنا ورجلانِ من بني عمي . فقالَ أحدُهما: يا رسولَ اللّهِ! أمِّرْنا على بعضِ ما ولاّكَ اللّهُ عز وجل. وقال الآخر مثلَ ذلكَ فقال: "إنَّا واللّهِ لا نُوَلّي على هذا العملِ أحداً سأله، ولا أحداً حرَصَ عليه"، فإن الحرص على طلب الإمارة، والحرص على الشرف، يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه، في السعى في أسبابه، وبعد وقوعه، بالحرص العظيم الذي قد يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد[(١)].

وقال ابن عثيمين في شرح الحديث: (لا ينبغي لولي الأمر إذا سأله أحد أن يؤمره على بلد أو على قطعة من الأرض فيها بادية أو ما أشبه ذلك أن يؤمره، وذلك لأن الذي يطلب أو يحرص على ذلك ربما يكون غرضه بهذا أن يجعل لنفسه سلطة، لا أن يصلح الخلق، فلما كان قد يُتهم بهذه التهمة منع النبي ﷺ أن يولي من طلب الإمارة "إنا والله لا نولي هذا الأمر أحداً سأله أو أحدًا أحرص عليه" فإن قال قائل: كيف تجيبون عن قول يوسف عليه السلام للعزير ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[(٢)].

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٣٥٦/٣.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥٥.

فإننا نجيب بأحد جوابين:

أ) إما أن يقال إن شرع من قبلنا إذا خالفه شرعنا، فالعمدة على شرعنا، بناء على القاعدة المعروفة عند الأصوليين، وشرع من قبلنا شرع لنا مال لم يرد شرعنا بخلافه"، وورد شرعنا بخلافه أننا لا نولي الأمر أحداً طلب الولاية عليه.

ب) أو يقال إن يوسف عليه السلام رأى أن المال ضائع، وأنه يُفَرطُ فيه ويُلْعَبُ فيه، فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب، ومثل هذا يكون الغرض منه إزالة سوء التدبير وسوء العمل، ويكون هذا لا بأس به)[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: "إِنَّا واللَّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ..."، وأسلوب القسم من أبلغ الأساليب الدعوية تأثيراً، إذ أن القَسَم أحد أسباب ثبوت الحق، ويبصر المدعوين بالدعوة ويبين دعائمها الأساسية[2]، ولقد عرف أسلوب القسم واستعمله العرب تأكيداً لخبر، أو تعظيماً لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة:

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وحثّ أصحابه رضي الله عنهم على ذلك يظهر ذلك، في هذا الحديث، حيث منع الرسول ﷺ الولاية عمن يضعف عن القيام بها أو بالتقصير فيها، أو طلبه لها حباً للرياسة والمال، فقال ﷺ: ((إِنَّا واللَّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ أحداً سأله، ولا أحداً حرَصَ عليه)). وفي ذلك تقديم للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، بتعطيل الخاصة، حفاظاً على العامة، إذ أنه مما يجب على الراعي أن يكون تصرفه منوطًا بالمصلحة وتعظيم هذه المصلحة، إذا كانت تتعلق بالعموم[3].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩٧٣/١، ٩٧٤.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٢٢٩-٢٣٦.

(٣) شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا ص ٣٠٩.

فيقدَّم في كل ولاية أعرف الناس بمعالجتها ومفاسدها، وأقوامهم بجلب المصالح ودفع المفاسد، فيقدم في كل موقع مسئولية أكمل الناس في أوصافه وأقوامهم بأعبائه[١]، وذلك وغيره يندرج تحت القاعدة الأصولية المشهورة، تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، بل إنه ليتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام. من هنا لا بد أن يُعلم الداعي المدعو أن رتب المصالح والمفاسد متفاوتة، وعلى رتب المصالح تترتب الفضائل في الدنيا، والأجور في العقبى، وعلى رتب المفاسد تترتب الصغائر والكبائر، وعقوبات الدنيا والآخرة[٢].

رابعاً- من واجبات الداعية: عدم المجاملة على حساب مصلحة المسلمين:

إن من واجبات الداعية أن يلزم الإخلاص في كافة الأمور، ويراعي مصلحة عموم المسلمين، فلا مجال في الدعوة للمجاملة والمحاباة، وكما هو واضح في الحديث من منع الولاية ممن طلبها، حرصاً على مصلحة المسلمين، فقال: "إنَّا واللَّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ أحداً سأله، ولا أحداً حرَصَ عليه". فنجد أن الرسول ﷺ منعهما الولاية، مؤكداً لامتناعه لهما، ولمثلهما بقوله: "إنا والله ..." وذلك لأن سؤاله لذلك وحرصه عليه، يشعر أنه لم يسع في ذلك لنفع الإسلام والمسلمين، وإنما سعى لجمع الدنيا وتكثيرها له، وفي ذلك إفساد لأمر الناس دنيا وأخرى وإهلاك له[٣].

لذا وجب على ولاة الأمور والقادة كل حسب موقعه، أن يجعلوا إقامة شرع الله والمحافظة على مصالح المسلمين نصب أعينهم، وألا يدعو ثغرة للمجاملة والمحاباة، خاصة في تقليد الأمور وإسناد الأعمال، فيجب حسن اختيار الأعوان والعمال من الأمناء المخلصين ذوي الدراية والكفاية، مما يحقق الغايات والأهداف، ويزيل من دنيا الناس

---

(١) انظر: شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ص ٣٥٢.

(٢) انظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا ص ١٩٧، ١٩٨، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، ٢٩/١.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٥٣، شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٣٠/١.

الوساطة والمحسوبية[1]، وذلك رعاية لمصالح المسلمين، واستبراءً للذمة أمام الله عز وجل.

دخل أعرابي على سليمان بن عبدالملك فقال: تكلم يا أعرابي، فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله، وإن كرهته فإن وراءه ما تحبه إن قبلته، فقال يا أعرابي إنا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه؟ فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين، إنه قد تكنّفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، ابتاعوا دنياهم بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعاً، وفي الأمة خسفاً وعَسْفاً، وأنت مسئول عما اجترحوا، وليسوا بمسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره[2].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٠٥/٨.

(٢) انظر: كلمات في الأخلاق الإسلامية، كمال محمد عيسى ص ١٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

طالب الإمارة إما أن يكون كفؤا لها أو دونها بمراحل، فمن طلبها وليس من أهلها فقد نهاه الإسلام عن ذلك، وحرم على ولي الأمر الاستجابة له، ومن كان أهلاً لها وجب أن يعطاها كما في قصة يوسف عليه السلام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

من الأساليب التربوية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، فالمربي الناجح يغتنم الموقف والحدث ليبرز من خلاله القيم التربوية التي يريد غرسها في نفوس المتربين، وحديث الباب الذي معنا تتضح فيه التربية من خلال المواقف والأحداث في قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : "دخلت على النبي ﷺ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي. فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِّرْنَا عَلَىٰ بَعْضِ مَا وَلاَّكَ اللَّهُ ..." استغل النبي ﷺ هذا الحدث والموقف وأبرز من خلاله أن مثل هذه الأمور لا توكل لمن يطلبها، ويحرص عليها لأن ذلك دليلٌ على إرادته نفع نفسه، وجمع الدنيا إليه، ولا يبتغي من ذلك نفع الإسلام والمسلمين.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يَكْمُن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة" (١).

إن المربي الأريب لا يترك الأحداث أو المواقف دون أن يعطي منها درسًا تربويًا يصحح مسار الإنسان، ويوجه سلوكه وتصرفه إلى الأفضل.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

"إن من طرق التربية الفعّالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر والأحداث إما أن تكون تلقائية تحدث بسبب التصرفات الخاصة للناس أو لأسباب خارجة عن إرادتهم وتقديرهم، وإما أن تكون منظمة ومخططة مسبقًا كي يمر بها الصغير أو الكبير بقصد إثارة مشاعره وانفعاله، ولقد قام الإسلام بتربية الأمة من منشئها باستغلال الأحداث"(١).

ثانيًا- انتقاء القيادات:

من الأمور التي ينبغي أن يحرص عليها المربي انتقاء القيادات، ولاشك أن ذلك من الأمور المهمة في العملية التربوية فليس كل أحد مؤهلاً للقيادة، وتقلد المناصب، ففي حديث الباب رفض رسول الله ﷺ أن يمنح القيادة لمن طلبها وسألها، "... إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله، أو أحدًا حرص عليه"، فيبدو من هذا السائل للولاية أنه أراد نفع نفسه بجمع الدنيا، ومن ثَمَّ أعرض عنه رسول الله ﷺ فإن الجدير بالولاية والمنصب مَنْ يسعى لنفع الإسلام والمسلمين، ويحرص على أن يوظف خبراته وما يمتلك من قدرات وإمكانات لصالح إخوانه المسلمين.

إن عملية الانتقاء للقيادات على جميع المستويات والوظائف والأعمال من الأهمية بمكان، "والانتقاء هو اختيار نماذج من طبقات المجتمع المختلفة تتمتع بميزات عالية في سلم الكمال السلوكي، يمكن الاعتماد عليها في المهمات الصعبة، ولابد لمن يريد أن يقيم بنيانًا شامخًا من أن يهتم بالأعمدة والركائز التي ستتحمل ثقل البنيان وتبعاته، وأن يقيمه على أرض صُلْبة قد جرى اختبارها ومعرفة قوة تماسكها وإلا تداعى بنيانه عند تعرضه لأدنى اهتزاز، ولذا فينبغي التشدد في الانتقاء وعدم التساهل فيه، وأن

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٧.

تكون شروط الانتقاء متكاملة شاملة غير ناقصة خاصة لأولئك الذين "يتَوقع منهم أن يتبوءوا مكانًا رفيعًا" [(١)].

وأشد ما تكون إليه الحاجة في عملية الانتقاء في اختيار الوزراء والأمراء لأنهم المباشرون للأعمال، المخالطون لأنواع الرجال.

"والوزارة يُحتاج فيها إلى شرط زائد على شروط الإمامة وهو أن يكون من أهل الكفاية، فلا يصل إلى استتابة الكفاءة إلا أن يكون منهم، كما لا يقدر على المباشرة إذا قصر عنهم وعلى هذا الشرط مدار الوزارة، وبه تنتظم السياسة.

حكي أن المأمون كتب في اختيار وزير:

إني التمست لأموري رجلاً جامعًا لخصال الخير ذا عِفَّةٍ في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء إن أُحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه، فهذه الأوصاف إذا أكملت في الزعيم المدبر، وقل ما تكمل فالصلاح بنظره عام وما يناط برأيه وتدبيره تام، وإن اختلت فالصلاح بحَسَبِها يختل والتدبير على قدرها يَعْتلُّ ولئن لم يكن هذا من الشروط الدينية المحضة فهو من شروط السياسة الممازجة لشروط الدين لما يتعلق بها من مصالح الأمة واستقامة الملة" [(٢)].



---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ١٠٩-١١٤.

(٢) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي ص ٢٢، ٢٣.

١- كتاب الأدب

٨٤- باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

الحديث رقم (٦٨١)

٦٨١- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أخَاهُ فِي الحَيَاء، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((دَعْهُ، فَإنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث في الترغيب في الحياء، وقوله: (من الأنصار) والألف، واللام فيه للعهد أي أنصار رسول الله الذين آووا ونصروا من أهل المدينة رضي الله عنهم قوله (وهو يعظ أخاه) أخاه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الرجل الذي وعظ أخا للواعظ في الإسلام على ما هو عرف الشرع فعلى هذا يكون مجازا لغويا، أو حقيقة عرفية، والآخر، وهو الظاهر أن يكون أخاه في القرابة، والنسب فعلى هذا هو حقيقة قوله (في الحياء) فيه إيجاز بالحذف أي: في شأن الحياء، وفي حقه، ومعناه: أنه ينهاه عنه ويخوفه منه فزجره النبي عن وعظه فقال (دعه) أي اتركه على حيائه فإن الحياء من الإيمان، والوعظ الزجر يعني يزجره عن الحياء ويقول له لا تستحي فقال رسول الله ﷺ (دعه) يستحي فإن الحياء من الإيمان إذ الشخص يكف عن أشياء من مناهي الشرع للحياء، ويكثر مثل هذا في زماننا، وقيل: معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان فسمي إيمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه وقوله (فإن الحياء) وجه التأكيد بأن فيه أن المخاطب كان شاكا أو كان منكرا له؛ لأنه منعه من ذلك فلو

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤ واللفظ له، ومسلم ٣٦/٥٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٦.

كان معترفا بأنه من الإيمان لما منعه من ذلك، أو جعل كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه، ويجوز أن يكون هذا من باب التأكيد لدفع إنكار غير المخاطب، ويجوز أن يكون التأكيد من جهة أن القصة في نفسها مما يجب أن يهتم بها، ويؤكد عليها، وإن لم يكن ثمة إنكار، أو شك من أحد[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وعظ الإنسان لأخيه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ربعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء.

خامسًا: من أهداف الدعوة: ربط السلوك بالإيمان.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وعظ الإنسان لأخيه:

في الحديث ورد أنموذج يحتذى به في وعظ المسلم لأخيه، "إِنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاء". وإن وعظ المسلم لأخيه من الأهمية بمكان، فإن الوعظ - والإرشاد وتوجيه الناس الوجهة الصحيحة، بناء للأمم وحفاظ للمجتمعات، يمنعها من التردي في مهاوى الضلال والفساد، وإن شعور كل امرئ بأن في الجماعة من يعظه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، يدفعه إلى الكمال، والسير في طريق الرقى[3] وقد جعل الله الموعظة أحد ركائز الدعوة الإسلامية، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[4].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٢٤)

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٨١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٨٢)

(٣) الخطابة، محمد أبو زهرة ص ١٩١.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

يقول د. محمود محمد حجازي في تفسير الآية: "هذه تذكرة الدعاة والمرشدين وقانون سنه لهم رب العالمين، والمعنى: كل خير في الوجود لابد له من دعاة ومحامين يدافعون عنه ويشرحون حقيقته، ويبينون أغراضه ومراميه، إذ الحق وحده لا يستوي قائمًا أمام أعاصير الدنيا، وألاعيب الشيطان، وغرائز الإنسان الفطرية، التي تدعوه إلى التحلل، فعلى المسلمين الدعوة بالموعظة الحسنة، التي تستحسنها العقول السليمة، وتألفها الطباع المستقيمة"[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الموعظة:

ورد أسلوب الموعظة في الحديث: "إِنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ"، والموعظة من آكد الأساليب الدعوية تأثيرًا، لما فيها من النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل، وفيها العلاج الناجح لصلاح العالم[2]. ولأهمية الوعظ ذكر الله هذه المادة في القرآن في مواضع متعددة، بل إن الله سبحانه ليسند الوعظ إلى نفسه، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3]. وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[4].

فالوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الفضيلة بالترغيب والترهيب، من أفضل الوسائل التي تؤثر على الشخصية الإنسانية، فالترغيب والترهيب اللذان هما ركنا الموعظة الحسنة يجعلان الإنسان يسلك راضيًا مختارًا السلوك الحسن، وينبذ السلوك السيئ، والمنهج الإسلامي قد تضمن مواعظ كثيرة ليثير نفس الإنسان، ويدفعها إلى التخلق بأحسن الصفات، فالموعظة من شأنها أن تطرق قلبه، وتشد رغائبه، وترتقي به إلى

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٦/١٤/٢.

(٢) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

أعلى منزلة، وتهديه إلى الخير، وتبين له مزاياه، إلى جانب أنها تتبه مشاعره، وتضعه في موقف الخوف والرهبة، وتذكره بما ينتظره يوم القيامة، إذا ما اقترف معصية وأصر عليها[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "دعه فإن الحياء من الإيمان" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان الحقائق للمدعوين وحملهم عليها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء:

إن الحياء من الأخلاق السَّنِيَّة، ولا أَبْيَنَ لفضل الحياء من قول رسول الله ﷺ في الحديث "دعه فإن الحياء من الإيمان"، قال ابن قتيبة، معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان[٢]، ووصف النبي ﷺ بأنه فيه الخير، بل كله خير فقال: "الحياء خير كله أو قال الحياء كله خير"[٣]، يقول الإمام الماوردي: سمة الخير: الدَّعَةُ والحياء، وسمة الشر: القحة والبذاء، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاء شرًا أن يكونا إلى الشر سبيلاً، ويقول بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه. وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذ َقلَّ ماءُ الوجه قَلَّ حياؤُه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤُه
حَيَاءَكَ فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه[٤]،[٥]

ثم إن الحياء مظهر من مظاهر علو الهمة، فالإنسان لا يستحي من الكمال، وإنما

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٤٩.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٩٤/١.

(٣) أخرجه مسلم ٣١.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٤٠-٢٤١.

(٥) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٢.

يستحي مما فيه نقص، أو مما يخشى أن يكون فيه نقص، لذلك فالحياء من علو النفس، وحبها للكمال، وحرصها على أن تتصف بصفاته[١].

فالحياء وازع من كل قبيح، فمن لاحظ جانب العباد استحى منهم، ومن لاحظ جانب الله استحى منه، ومن لاحظ الجانبين أعطى كل واحد منهما حقه من الحياء، ومن اطرح الحياء صنع ما شاء من القبائح والسيئات[٢]، وذلك المعنى ما جاء فيما روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[٣].

وقد صرح النبي ﷺ في الحديث بفضل الحياء فقال: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية "الحياء خير كله" إذ أن الحياء يمنع القبائح[٤]، ويدفع إلى فعل المحاسن، وهو أصل لكل خير. يقول ابن القيم: "وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأَجَلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء"[٥] ولله در القائل:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء[٦]

كما أن الحياء من الأخلاق الفاضلة، التي تضافرت نصوص من السنة على الحث

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية واسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٦٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام ص ١٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٨٤.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ١٠٤.

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم، ١٠٤/٢.

(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ١٥٥، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٨١١/٥.

عليها، التحلي بها، وبيان ما فيه من خير، وكما في الحديث "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقوله "الحياء خير كله"، وقال ﷺ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبَذاء من الجفاء والجفاء في النار"[(١)].

واستوصت الأمة سلفًا وخلفًا بالتحلي بخلق الحياء، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "يا معشر المسلمين استحيوا من الله فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي عز وجل"[(٢)].

فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه الباطل بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فإن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما أطلقوا عليه حياءً تشبيهًا ومجازًا، فلقد كان رسول الله ﷺ لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله[(٣)]، مع أنه قد ثبت أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، ومع ذلك لم يمنعه حياؤه عن قولة الحق والدعوة إليه.

خامسًا- من أهداف الدعوة: ربط السلوك بالإيمان:

إن من أهداف الدعوة ربط الأعمال والسلوكيات بالإيمان، وفي الحديث تطبيق لذلك، فقال ﷺ " دعه فإن الحياء من الإيمان"، فإن ربط السلوكيات بالإيمان أحد الطرق المهمة لدفع الإنسان لمزيد من الأعمال الصالحة والأنشطة النافعة، ولتقليص السلوكيات المشينة والأعمال الرديئة[(٤)].

فالإيمان مستلزم للعمل[(٥)]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٠٠٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٤).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٢٠.

(٣) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ٢/٥٤.

(٤) علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز محمد النغميشي ص ١٢٩.

(٥) انظر: كتاب الإيمان، لابن تيمية ص ١٥٢.

سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(١)، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان، فما أن يستقر الإيمان في قلب الإنسان، فإنه يسعى إلى تحقيقه في واقع الحياة على هيئة أعمال صالحة، تُكَوِّنُ لديه شخصية إسلامية بارزة في هذه الحياة، وهذا هو الإيمان الذي يريده المنهج الإسلامي، وبذلك يتراءى لنا ذلك الرباط الوثيق بين الإيمان والعمل، كما أن من أهداف الدعوة التي ينبغي أن يجعلها الداعي نصب عينيه، تعميق خلق الحياء بين المسلمين، وذلك ما أشارت إليه الأحاديث، فقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقال: "الحياء كله خير"، فإن الحياء سبب من أسباب بناء المجتمعات النظيفة، البريئة من الأمراض الاجتماعية، والأخلاق الذميمة، فالحياء يحجز صاحبه عن الفواحش، وإن غلبته نفسه، وسقط في شيء من أوحالها، تستر واستحيا(٢)، وذلك مما يقلل من شيوع المعصية في المجتمع، ولذلك صرح النبي ﷺ: بأن من تجرد من الحياء وجاهر بالمعصية لَنْ يعفى من العقوبة، لما في ذلك من شيوع للمعصية، وتحريض عليها، وتحبيب وتشويق الأنفس إليها، فقال ﷺ: ((كلُّ أمَّتي مُعَافى إلا المجاهِرين ...))(٣).

وذلك أن المجاهرة بالسوء والمعاصي تنبئ عن انعدام الحياء، فإذا عرى الإنسان من الحياء، وعطل من التحلي به، فلا تسل عما سيقترفه من رذائل، ولا تعجب مما سيرتكبه من حماقات، فقليل الحياء لا يأبه بدنو همته، ولا يبالي بسفول قدره، ولا يجد ما يبعثه للفضائل، ولا ما يقصره عن الرذائل(٤). وقد رتب القرآن الكريم على الربط بينهما صلاح الدنيا والآخرة لتلك الشخصية المسلمة(٥)، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٥.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٦٩-٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٩، ومسلم ٢٩٩٠.

(٤) سوء الخلق، مظاهره، اسبابه، علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٦، ٣٧.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ١٦٣.

(٦) سورة النحل، الآية: ٩٧.

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب الرسول ﷺ في الحياء بما يكمن فيه، وما يترتب عليه من خير، فقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية "الحياء خير كله" وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية وأشدها تأثيرًا، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوءان بما يرغب الناس في قبول الدعوة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب، وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم(١).

والترغيب من أبرز الأساليب الدعوية ورودًا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو أحد ركني الموعظة الحسنة، التي هي أحد الركائز الدعوية الأساسية والتي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢)، فالمتتبع لآيات القرآن يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة ملموسة فيها، تارة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالحض على النصح، وثالثة باتباع سبيل الرشاد، ورابعة بالإغراء بالترغيب، وخامسة باستعمال أسلوب التهديد(٣).

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج٢/٦٨٨.

الحديث رقم (٦٨٢)

٦٨٢- وعن عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسـولُ الله ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلمٍ[2]: ((الحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ)) أَوْ قَالَ: ((الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ)).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول الترغيب في الحياء يتكون من جملة واحدة قصيرة في صورة الخبر المؤكد بمؤكد واحد وهو القصر، فعبارة الرسول ﷺ (الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ) جاءت في ثوب القصر حيث قصر ما يأتي به الحياء على الخير، ونفى عنه الإتيان بالشر، وحقيقة الحياء: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ومعنى العبارة النبوية: أن من استحى من الناس أن يروه يأتي بالفجور، وارتكاب المحارم فذلك داعيه إلى أن يكون أشد حياء من الله تعالى، ومن استحى من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه، وركوب معاصيه، والحياء يمنع من الفواحش، ويحمل على البر، والخير كما يمنع الإيمان صاحبه من الفجور، ويبعده عن المعاصي، ويحمله على الطاعات.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧/٦٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٧.

(٢) برقم (٣٧/٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٨٧).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٨٣)

٦٨٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إلهَ إلاَّ الله، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"البِضْعُ": بكسر الباء، ويجوز فتحها، وهو من الثلاثة إلى العشرة "والشُّعْبَةُ": القطعة والخَصْلة. "والإمَاطَةُ": الإزالة. "والأَذى": ما يُؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقَذَرٍ ونحو ذلك.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الشعبة: القطعة والخصلة[2].

إماطة: إزالة[3].

الأذى: ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك[4].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقابل به خالي الذهن من الخبر يقوم على إجمال يتلوه تفصيل، وهو ما يحقق التشويق لمتابعة الخبر مع توكيده بذكره مجملا ثم مفصلا فالإجمال في قوله: (الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً)، والإيمان اسم يشمل عقائد القلب، وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فكل ما يقرب إلى الله، وما

---

(١) اخرجه البخاري ٩ الشطر الأول فقط، ومسلم ٣٥/٥٧ واللفظ له، وتقدم برقم ١٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٩٤.

(٣) رياض الصالحين ٢٩٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٤.

يحبه ويرضاه، من واجب ومستحب، فإنه داخل في الإيمان، ثم بدأ تفصيل هذا الإجمال مع ترقب المخاطبين الذي حققه الإجمال: ((فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه)، لأنها السبيل لقبول الأعمال وعلامة الإخلاص قرارها في القلب، وذكر أدناها لكي يفتح بابا لفعل الخيرات بكافة أشكالها تتميز باليسر، وقلة الكلفة يستطيع كل مسلم أن يأتيها حتى تلك التي يظن الإنسان حقارتها؛ فإنها داخلة في مفهوم الإيمان لأنه المحرك إليها، وقوله: (وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ)، وذكر هنا أعلاه، وأدناه، وما بين ذلك، وهو الحياء. « والحياء شعبة من الإيمان » ولعل ذكر الحياء ؛ لأنه السبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان. فإن من استحيا من الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجليه عليه بأسمائه الحسنى، والعبد - مع هذا كثير التقصير مع هذا الرب الجليل الكبير يظلم نفسه، ويجني عليها - أوجب له هذا الحياء التوقي من الجرائم، والقيام بالواجبات، والمستحبات.

المضامين الدعوية(١)

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٥).

الحديث رقم (٦٨٤)

٦٨٤- وعن أَبي سعيدٍ الخدري ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

قَالَ العلماءُ: حَقِيقَةُ الحيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الحَقِّ. وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي القاسم الْجُنَيْدِ، قَالَ: الحَيَاءُ: رُؤيَةُ الآلاءِ -أيْ النِّعَمِ- ورُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً[٢]. وَاللهُ أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

العذراء: المرأة البكر[٣].

خدرها: الموضع الذي تحبس فيه العذراء وتستتر[٤].

الشرح الأدبي

قول (كَانَ رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً) يشير إلى أن شدة الحياء كانت له عادة، وطبعا فاق فيه أكثر أمثلة الحياء دل على ذلك التعبير بأفعل التفضيل المضافة للصفة (أشد حياء) والمفضل عليه هو النموذج الأعلى الذي يعهد فيه شدة الحياء، وهو العذراء وهو التي لم تتزوج، وقوله (في خدرها) هو تتميم بلاغي أفاد المبالغة في كمال حيائها الذي لم ينتقص بالتكشف على الناس؛ فإن العذراء في خدرها تكون أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه، وهو ما يشير إلى أن حياء المرأة أوفر ما يكون مع قلة خروجها،

(١) أخرجه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٦٧/ ٢٣٢٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي (١/ ٢٢١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٩/١٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٩/١٠، وفي معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي (١٧١): غرفة من السكن تخصص للبنت لا يدخلها أحد إلا بإذنها.

فإذا كثر خروجها، واختلاطها بالناس ذهب حياؤها، وهو أمر مشاهد في نساء عصرنا وجرأتهن التي جرَّت على الأمة البلاء - نسأل الله لهم الهداية، والعودة للقدوة بأمهات المؤمنين - وقد بيَّن أثر الحياء الباطني على التصرف الظاهري للقدوة العظمى في الرسول ﷺ في قوله: (فإذا رأى شيئا يكرهه) أي من جهة الطبع، أو من طريق الشرع عرفناه في وجهه أي من أثر التغير فأزلناه فإنه ما كان يعاين أحدا بخصوصه في أمر الكراهة دون الحرمة قال النووي معناه أنه لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته، وفيه فضيلة الحياء، وأنه محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف، والخور.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شدة حياء النبي ﷺ.

ثالثاً: من صفات الداعية: الحياء

رابعاً: من آداب المدعو: التخلق بالحياء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث، ليدل على أن الحياة كان من أخلاق الرسول ﷺ، وذلك أدعى ما يكون إلى التخلق به، اقتداءً برسول الله ﷺ "كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، إذ أن غرس الرجاء في النفوس، والترغيب فيما عند الله أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يؤهله لنفحات الله وعطائه[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شدة حياء النبي ﷺ:

لقد تحلى النبي ﷺ بكمالات الأخلاق، وامتثل بها مثولاً يسمو إلى صورة

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٥.

الكمال[1]، ومن ذلك حياؤه ﷺ، وكما جاء في الحديث "كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراءِ في خِدْرها". لما جبل عليه من كمال وهمة عالية[2]. ونضرب مثلاً تطبيقياً من حياته ﷺ دال على شدة حيائه[3]. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بُنِيَ عَلَى النبيِّ ﷺ بزينبَ بنتِ جحشٍ بخبزٍ ولحمٍ، فأُرسلتُ عَلَى الطعام داعياً، فَيَجيء قوم فيأكلونَ ويَخرجون ثم يَجيء قومٌ فيأكلونَ ويخرجون، فدَعَوتُ حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلتُ: يا نبيَّ الله ما أجدُ أحداً أدعوه، فقال: فارفعوا طعامَكم. وبقيَ ثلاثة رَهطٍ يَتحدَّثونَ في البيت، فخرجَ النبيُّ ﷺ فانطلَق إلى حُجرةِ عائشةَ فقال: السلام عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ الله، فقالت: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، كَيفَ وَجدتَ أهلك، بارك اللّهُ لك. فتَقرَّى النبيُّ ﷺ حُجَرَ نسائِهِ كلِّهن، يقول لهنَّ كما يقول لعائشةَ، ويَقُلنَ له كما قالت عائشة. ثم رجعَ النبيُّ ﷺ فإذا ثلاثةٌ من رهط في البيتِ يتحدَّثون -وكان النبيُّ ﷺ شديدَ الحياء- فخرجَ مُنْطَلِقاً نحوَ حجرةِ عائشةَ، فما أدري آخْبَرْته أو أُخبِرَ أنَّ القوم خرجوا، فرجعَ حتى إذا وضعَ رِجلَه في أُسْكُفَّةِ الباب داخلةً وأُخرى خارجةً أرخى الستَرَ بيني وبينَه، وأنزِلت آية الحجاب))[4].

وذلك من دلائل حيائه وكريم أخلاقه، فلقد كان ﷺ لطيف العشرة رقيق الظاهر، رقيق الإحساس، لطيف المشاعر، وذلك من عظم خلقه، وحسن عشيرته، وأدبه مع أصناف الخلق، وذلك مما انتشرت به الأخبار الصحاح[5].

ثالثاً- من صفات الداعية: الحياء:

إن هناك صفات بارزة يحتاجها الداعية دائماً، وبغيرها يصبح من المتعذر عليه

---

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ٩٢، ١٠٣.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٧٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٨٠٨/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٩٣، ومسلم ١٤٢٨

(٥) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٦.

النجاح في دعوة الناس، ومن أهمها الحياء الذي يمنع صاحبه من الميل عن الطريق المستقيم[١]. ولذا بين النبي ﷺ أن في الحياء إبعادًا عن كل شر، وإتيانًا بكل خير، فجاء في الحديث "الحياء لا يأتي إلا بخير" ولا يراد بالحياء هنا الجبن والخور، وإنما يراد الحياء بمعانيه الفاضلة، فهو امتثال لأوامر الله، والكف عن زواجره، والكف عن أذى الناس وترك المجاهرة بالقبيح، والحياء من النفس، وذلك بالعفة وصيانة الخلوات[٢]، فإذا لم يتجمل الداعية بالأخلاق الحميدة، ومنها الحياء، كان أصرف ما يكون للناس عن دعوته.

رابعاً- من آداب المدعو: التخلق بالحياء:

إن في بيان النبي ﷺ لفضل الحياء وأثره الإيجابي دعوة إلى التخلق والتحلي بهذا الأدب الرفيع، فقال ﷺ "الحياء لا يأتي إلا بخير" فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، قال ابن رجب الحنبلي: إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله، أو حقوق عباده، فليس هو من الحياء، إنما هو ضعف وخَوَر، وعجز ومهانة[٣].

أما الحياء بمعناه المحمود فإنه أصل لكل خير، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها، وأعظمها وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقر الضيف، ولم يُوف بالوعد ولم تُؤَدَّ أمانة، ولم تُقْضَ لأحد حاجة، ولا تحرّى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المقترضة عليه ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا بر له

---

(١) المصفى من أخلاق الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٢٦، ١٠٤

(٢) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٢، ٢١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٥٠٢/١.

والداً، فإن الباعث على هذه الأفعال، إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علويٌّ وهو حياء فاعلها من الخلق، فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، أومن الخلائق، لم يفعلها صاحبها[1].

وبالجملة فإن الاستحياء من الله ومن عباده، يؤدي إلى حياة القلب بنور الإيمان وابتعاده عن مزاولة المخالفة ومحاولة العصيان، وهو من الحياء لشدة علمه بمواقع الغيب، والحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة، ولا يطعن في كون الحياء كله خير امتناع بعض أصحاب الحياء من مواجهة من يستحي منه بالحق، أو الإخلال ببعض الحقوق، لأن ذلك ليس من الحياء الحقيقي، فالحياء الحقيقي خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو ذلك، وما خرج عن ذلك حياء صوري ليس من الدين، فالحياء يقاس بنتائجه وموافقته للشرع، ويقاس أيضاً ببواعثه وأسبابه[2].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٧٥/٢، ٢٧٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

جاء الإسلام وكثير من الناس لا يستحيون من أقوالهم وأفعالهم، بل تباروا في بعض أشعارهم بمستهجن الكلام، ولما كانت الأخلاق الفاضلة من غايات الإسلام، فقد حرص الإسلام على ضبط الأقوال والأفعال بكثير من النصوص الصادرة في القرآن والسنة، حتى أتت ثمارها بحق المسلمين. وكان الحياء من الله، كما أمر بحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلى. وكان الحياء من الناس بأن لا يكشف الإنسان من جسده ما يسوء كشفه، وأن لا ينطق بما يؤذي سمعهم، وأن لا يتصرف بما يحرج مشاعرهم.

إن الحياء من النفس بأن لا ينظر الإنسان إلى ما لا فائدة من النظر إليه، كالتأمل في العورة أو مشاهدة مثيلاتها في المرائي، وبعض الناس لا يقبل هذا الخلق من ذويه، لاعتقاده أن الحياء قد يضيع الحقوق ويفقد الشخصية شيئاً من قوتها، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- غرس قيمة الحياء:

من أبرز القيم الأخلاقية التربوية قيمة الحياء لما يتركه من آثار إيجابية في نفس المتربي، ولما له من أثر في سلوكيات الإنسان وتصرفاته وأعماله، وعند النظر إلى عنوان الباب والأحاديث التي اندرجت تحته يتبين لنا مدى أهمية خلق الحياء، ولقد حرص الإسلام على اتصاف أتباعه به، وغرسه في نفوس الناشئة والمتربين، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذه المعاني قوله ﷺ: "....فإن الحياء من الإيمان"، وقوله ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وفي رواية: "الحياء خير كله"، وفي أخرى: "الحياء كله خير"، وقوله ﷺ: "...والحياء شعبة من الإيمان".

ونلمس في هذه النصوص النبوية التلاحم والتمازج بين الحياء والإيمان، والحياء والخير فهو من الإيمان، ومن شُعَبه، وهو جالب للخير، وهو خير كله، وكله خير.

"إن خلق الحياء إذا غرس في النفس، ونمت عروقه فيها ازداد رونقُها صفاءً ونفض على ظاهر صاحبه مآثر خيرات حسان، وإذا انتزع من شخص فَقَدْ فَقَدَ المروءة، وئكل

الديانة التي هي الجناح المُبَلِّغُ لكل كمال؛ ذلك أن الحياء خلق يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح وهو عبارة عن انقباض النفس عما تُذَم عليه، وثمرته ارتداعها عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، فإذا تمزق ستر هذه الفضيلة بغلبة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسان بالضرورة وبقي صاحبها سائمًا في مراتع البغي والفسوق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ولئن كان الحياء جِبِلِّيًا فإنه يزيد، ويتأتى بالأخذ بالأسباب، والتي منها مطالعة أخلاق الكمَّل، واستحضار مراقبة الله، فمن ذلك يتولد الحياء، فإذا اتصف المرء بالحياء قرب من الكمال، ونأى بنفسه عن النقائص"(١).

والحياء هو الخلق الحسن الذي يدعو صاحبه إلى الحسن من الفعل أو القول ويحثه على اجتناب كل قبيح.

"إن التحلي بالحياء من أهم أسباب الفلاح ومن أجلّ وسائل السعادة والصلاح في الدين والدنيا، وما انفكت هذه الخليقة الفاضلة مبدأً سلوكيًا ساميًا، وقاعدة أخلاقية في تربية الإنسان وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق منذ بدء الحياة البشرية، وكذلك كان الحياء خلق الإسلام ومنطلق القيم التربوية للأفراد والجماعات التي تحفظ للفرد حياته وتصون عرضه، وتقيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على مبادئ الاحترام المتبادل وشيوع الأمن ونصب موازين العدالة وغير ذلك الكثير من مكارم السلوك والأخلاق، ولهذا سعدت بالخير كل الأقوام المؤمنة بالقيم الفاضلة والمثل العليا والتي على رأسها الحياء"(٢).

ثانيًا: التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، فالمربي الناجح لا يترك موقفًا ولا حدثًا إلا وبث من خلاله درسًا تربويًا، وقيمة خلقية، ومن أحاديث الباب التي تدلل على التربية بالمواقف والأحداث حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٤٧٢.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٧٥/٢٥، ٧٦.

الإيمانِ». والرسول ﷺ جعل من هذا الموقف درسًا تربويًا، وإرشادًا نبويًا ببيان أن الحياء من الإيمان.

"وأسلوب الأحداث الجارية من الأساليب التربوية حيث يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم، وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدًى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث -كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قام القرآن الكريم -وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها- باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر"[1].

ثالثًا: التربية بالممارسة العملية:

تعتبر الممارسة العملية من أساليب التربية المهمة حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي لما يريد أن يوصله ويغرسه في نفوس المتربين، وهذا أدعى لهم إلى الاستجابة، والتنفيذ الفعلي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».

فمن خلال الممارسة العملية للحياء لاحظ الصحابة رضي الله عنهم خلق الحياء في وجه الرسول ﷺ مما يظهر على سبحات وجهه من تغيرات.

"إن نظريةً مهما تبلغ من الصحة ودقة الفكر، وإن تعليمًا مهمًا يكن رائعًا ويقع من الناس موقع الإعجاب، وإن هدايةً مهما تجمع من صنوف الخير كل أولئك لا يغني غناءً، ولا يثمر ثمرة ولا يبقى على الدهر إلا إذا كان له من يمثله بعمله، ويدعو إليه بأخلاقه وفضائله، ويعرفه إلى الناس بالقدوة والأسوة، فيقتدي الناس بدعاته عن طريق

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

العمل بعد العلم، معجبين بسجايا هؤلاء الدعاة، معظمين لأخلاقهم مكرمين طهارة قلوبهم، وزكاء نفوسهم ونظافة أخلاقهم ورجاحة عقولهم وحصافة آرائهم وسداد أفكارهم"[١].

رابعًا: من الأساليب التربوية: الإلقاء والحركات المعبِّرة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ- الإلقاء: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)).

والإلقاء يستخدم في عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، لذا كان مناسبًا مع الطلاب الذين لديهم القدرة الكبيرة على الاستيعاب كطلاب المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

ب- الحركات المعبِّرة: كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراء في خِدرِها، فإذا رأى شيئًا يكرهُه عرفناه في وجهه)).

والمعلم الناجح الذي يمزج بين الأساليب التربوية المختلفة لينجح في تعليم الطلاب وتحقيقهم للمراد من تعليمهم.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٦٥.

٨٥- باب حفظ السر

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴾[الإسراء: ٣٤].

الحديث رقم (٦٨٥)

٦٨٥- وعن أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((إنَّ مِنْ أشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأةِ وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يفضي إلى المرأة: يجامعها[2].

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد دون توقع تكذيب تشير إلى خطر ما بعدها، وضرورة التنبه له، وتوفير العناية اللازمة عليه، ثم التعبير بأفعل التفضيل الدالة بصيغتها على بلوغ قمة أحد الطرفين ارتفاعا، أو انخفاضا في الوصف، ثم دلالة الفعل على الشر الذي يبث شعور القلق في النفس، والذي يجعل المخاطبين في ترقب لما تسفر عنه الصيغة، وإضافتها للناس تعطيها بعداً إيحائيا بالتضخم، والاتساع في حجم محتواها من هذا الشر مما يوقع الرهبة في النفوس زادها الظرف عند المضاف لله تهويلا لصعوبة لقاء الله بكل هذا الشر، كما أن تقييدها بيوم القيامة يمزج العذاب المعنوي بلقاء الله بهذه الشرور، بالعذاب الجسدي في مواقف القيامة، وقوله (يفضي إلى امرأته وتفضي إليه)

---

(١) برقم ١٢٣/١٤٣٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٩٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ض ي).

كناية عن الجماع بقضاء الرجل شهوته من امرأته، وقضاء المرأة شهوتها منه، وقوله (ثم ينشرها) وهذا موضع الخطأ، وكم هدم هذا الخطأ من بيوت، وتسبب في فساد حال الزوجين بإطلاع الناس على حالهم !!

فقه الحديث

تحريم إفشاء سر المرأة:

قال النووي: (في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قولٍ أو فعل ونحوه. فأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه، لأنه خلاف المروءة، وقد قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيراً أو ليَصمُت))[1] وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعى عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره، كما قال ﷺ: ((إِنّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهَذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ))[2] وقال ﷺ لأبي طلحة: ((أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟))[3] وقال لجابر: ((إِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ! الْكَيْسَ!))[4])[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان خطورة إفشاء أسرار العلاقة الزوجية.

ثالثاً: من آداب الداعية: استخدام الألفاظ العفيفة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٢) أخرجه مسلم ٣٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٧٠، ومسلم ٢١٤٤، ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٤٦، ومسلم ٧١٥، ٥٧، بعد الحديث ١٤٦٦. قال النووي: قال ابن الأعرابي: الكيس الجماع والكيس العقل، والمراد حثه على ابتغاء الولد، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/٨.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فقد أكد النبي ﷺ كلامه بأن الرجل الذي يفضي بسر زوجته، هو شر الناس منزلة. ومما لا شك فيه أن أسلوب التوكيد من أساليب الدعوة النافعة، حيث يبين للمدعو أهمية وخطورة الشيء والأمر المؤكد، ويدلل على مدى صدق الداعية فيما يقول بدليل تأكيده، مما يزيد من اقتناع المدعو، وهذا ما ظهر في تأكيد النبي ﷺ على كونه أشر الناس، ومن الشواهدعلى التوكيد ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فهذا ترهيب صدر من النبي ﷺ ظهر فيه خطورة إفشاء العلاقة الزوجية، لأنه بهذا يكون في شر المنازل عند الله يوم القيامة، وفي هذا ردع لمن يفعل ذلك. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تحذر المدعو وتخوفه من الوقوع في المخالفات الشرعية، "والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها، وانحرافها عن الصراط المستقيم لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب"[3]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[4]. وقوله جل شأنه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

(٢) سورة الدخان، آية: ٤٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ٥١٥.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٥) سورة عبس، الآيات: ٤٠-٤٢.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان خطورة إفشاء أسرار العلاقة الزوجية:

إن الإسلام يحث على كتمان الأسرار، وأخص الأسرار التي يطلب حفظها أسرار العلاقة الزوجية، ولذا حذر الحديث من إفشائها، فقد جاء فيه «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». قال النووي: وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، وأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه، لأنه خلاف المروءة، وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعى عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره"[(١)].

وقال الأبي الوشتاني: (وقد ورد في النهي عن إفشاء ما يحصل بينهما أحاديث كثيرة ووعيد شديد، لأنه يعد كشفاً للعورة، إذ لا فرق بين كشفها بالنظر أو الوصف. وأما مجرد ذكر المجامعة والخبر عنها على الجملة فليس بمنكر إذا دعت إلى ذكره ضرورة كقوله: "إني لأفعله أنا وهذه"، وكقوله "هل عرستم" وأما لغير ضرورة فالتحدث عنه ليس من مكارم الأخلاق، ولا حديث أهل المروءة)[(٢)].

وقال ابن علان: (ومعنى ينشر سرها، أى بذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدمات، والحديث يقتضي كون فعل ذلك كبيرة للوعيد المذكور فيه)[(٣)].

وقال د. الحسيني هاشم: (أكثر الناس انحطاطاً في المنازل، وانحداراً في الدرجات يوم القيامة، من يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدمات، وما يحدث من امرأته من قول أو فعل، فضلاً عن انحطاط منزلته في الدنيا وضياع كرامته. وفي الحديث: الحفاظ على أسرار البيوت، ووجوب التحفظ في الحديث، وحرمة نشر الأسرار الزوجية بدون داع شرعي)[(٤)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٩٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٠٩/٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤١٥، ٤١٦.

وقال ابن عثيمين: (وعندما ينشر سرها، أو تنشر سره، فالغائب كأنه يشاهد، وكل هذا حرام ولا يحل، فالواجب أن الأمور السرية في البيوت وفي الفرش وغيرها تحفظ، وألا يطلع عليها أحد أبداً، فإن من حفظ سر أخيه حفظ الله سره، فالجزاء من جنس العمل)[1]، وإفشاء السر من الخيانة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقد جعل النبي ﷺ هذا الأمر من أعظم الأمانات التي ينبغي أن يحافظ عليها الزوج فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُر سِرَّهَا))[3].

قال السفاريني: (إفشاء السر نشره وإذاعته بين الناس، والسر هو ما يكتم في النفس كالسريرة، ويحرم على كل مكلف إفشاء السر، قال: ولعله يحرم حيث أمر بكتمه دلَّت قرينة على ضرورة كتمانه، أو كان مما يكتب عادة، وقيل الذي يحرم هو إفشاء السر المضر)[4].

قال الغزالي: (وإفشاء السر منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، وهو من قبيل اللؤم إن لم يكن فيه إضرار. قال الحسن رضي الله عنه إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ويروي أن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثًا فقال عتبة لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثاً وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سرَّه كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟ فقال: لا والله يابني ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال:

---

(١) المرجع السابق ٢/٩٨٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٣) اخرجه مسلم ١٤٣٧.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ١/١١٥، نقلاً عن موسوعة نظرة النعيم، ٩/٣٩٤٦.

فأتيت معاوية فأخبرته، فقال: ياوليد أعتقك أبوك من رق الخطأ، فإفشاء السر خيانة)[1].

ثالثاً- من آداب الداعية: استخدام الألفاظ العفيفة:

إن الإسلام لا يحب الفحش ولا التفحش من أجل أن يظل المجتمع نظيفاً، ومن ثم كان من واجبات الداعية استخدام الألفاظ العفيفة، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث " الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ" حيث كنى ﷺ عن الجماع بالإفضاء، وهذا تعليم للدعاة أن يستخدموا الألفاظ العفيفة التي لا تجرح في الدعوة، وهذا أسلوب قرآني، حيث عبر القرآن عن حالة الجماع بقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[2].

قال القاسمي: (والرفث أصله: قول الفحش، وكنى به هنا عن الجماع وما يتبعه كما كنى عنه في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ... ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ... ﴾[4]، فالله تعالى كريم يكنى، وإيثار الكناية عنه - هنا - بلفظ الرفث الدال على معنى القبح - عدا بقية الآيات - استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختياناً لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب. قال الراغب: وجعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس ستر يمنع أن يبدو منه السوأة، وعلى ذلك كنى عن المرأة بالإزار، وسمي النكاح حصناً لكونه حصناً لذويه عن تعاطي القبيح)[5].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٣٢/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٣.

(٥) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ١١١/٣، ١١٢.

(إن الداعية الناجح يراعي الألفاظ العفيفة في عرض دعوته حتى لا يخدش الحياء، ولا يجرح المشاعر، لقد عبر المولى جل وعلا عن المباشرة الجنسية التي تكون بين الزوجين بتعبير سام لطيف، لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق بالنساء، فقال سبحانه: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[1]، فالتعبير على طريقة الاستعارة، والمراد اشتمال بعضهم على بعض لما تشتمل الملابس على الأجسام)[2].

وقال النووي: (والمستحب في قبيح الأسماء الكناية، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض، ولا يكون في صورتها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن، ولا يستعمل صريح الاسم إلا لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس، أو الاشتراك، أو نفي المجاز أو نحو ذلك)[3].

إن الإسلام لا يحب الفحش ولا التفحش وقد جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: ((لم يَكنِ النبيُّ ﷺ فاحِشاً ولا مُتفحِّشاً، وكان يقول: ((إنَّ من خياركم أحسنَكم أخلاقاً))[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) تفسير آيات الأحكام، محمد على الصابوني، ١/١٩٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٢٣٢١.

الحديث رقم (٦٨٦)

٦٨٦- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمرَ رضي الله عنه حِينَ تأيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سأنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. فَلَقِيتُ أبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فقلتُ: إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فَأنْكَحْتُهَا إيَّاهُ. فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شَيْئاً؟ فقلتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أنْ أرْجِعَ إلَيْك فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إلاَّ أنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَهَا، فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاري[1].

قوله: "تَأيَّمتْ" أي: صارت بلا زوج، وكان زوجها توفي رضي الله عنه. "وَجَدْتَ": غضبت.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تأيَّمت: صارت بلا زوج وكان زوجها توفي رضي الله عنه[2].

أَوْجد: أغضب[3].

وَجَدْتَ: غضبت[4].

لأفشي: لأنشر[5].

---

(١) برقم ٤٠٠٥، والسياق للحميدي في جمعه ٨٨/١، رقم ٧.

(٢) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٣) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش ي).

الشرح الأدبي

الحديث من باب بيان جواز عرض الرجل ابنته، أو أخته على أهل الخير، والصلاح، ولا نقص فيه، وقوله (حِينَ تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ) الأيم بتشديد الياء هي التي مات زوجها أو طلقها وقيل من لا زوج لها ولو كانت بكرا، فقوله) تأيمت حفصة) أي مات زوجها (فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ) كناية عن طلبه الزواج بها، والذي فسره بالجملة الشرطية بعده (إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ) أي إن شئت الزواج أنكحتك) ففيه إيجاز بالحذف، والتعبير بالجملة الشرطية لأنها تجعل المخاطب حر الاختيار، فكان رد عثمان ﷺ (سأنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا) وقوله (قد بدا لي) يشعرك بنور الله في قلوبهم الذي يضيء اختيارهم فيجري على وفق ما يرضي الله، ورسوله ﷺ وقوله في رد أبي بكر (فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً!) بعد قوله ((فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ) يفيد المبالغة في توكيد عدم الرد لا بقول، ولا بإشارة، ولا بدلالة حال مما يوحي بالإهمال، وعدم العناية، وقول عمر ﷺ (فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ) الموجدة الضيق، والغضب، وإنما كان أوجد على أبي بكر ﷺ أي أشد غضبا منه على عثمان، وذلك لأمرين أحدهما: ما كان بينهما من محبة أكيدة، والثاني: أن عثمان ﷺ أجابه أولا، ثم اعتذر له ثانيا، ولكون أبي بكر ﷺ لم يعد عليه جوابا، وقول أبي بكر ﷺ (: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شَيْئاً؟) استفهام بغرض التلطف، والاعتذار لعمر ﷺ بسبب طريقة الرد التي أشعرت بعدم العناية، وقول أبي بكر ﷺ (فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ) يكشف عن علة الرد، وعن طريقته التي أغضبت عمر ﷺ حتى يرضى، وقوله (وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا) أسلوب شرط أي لو حصل ترك من الرسول ﷺ لحدث قبول مني، وهذا يدلل على أنه لم يرفضها لشخصها، وإنما لعلمه بنية رسول ﷺ تجاهها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-عرض الرجل أخته أو ابنته على من يرجى صلاحه: ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يجوز للولي عرض ابنته أو أخته أو غيرهما من مولياته، على من يعتقد خيره، وصلاحه[١].

٢-حكم الزواج بمن عرَّض بخطبتها النبي ﷺ: يجوز التزوّج بمن عرض النبي ﷺ بخطبتها، أو أرد أن يتزوجها، لقول الصديق: لو تركها لقبلتها[٢].

٣-حكم كتمان السر: يستحب كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه، ارتفع الحرج عمن سمعه[٣].

٤-متى يحنث من حلف لا يفشي سراً؟ من حلف لا يفشي سر فلان، فأفشى فلان سر نفسه، ثم تحدث به الحالف، لا يحنث، لأن صاحب السر هو الذي أفشاه، فلم يكن الإفشاء من قبل الحالف، بخلاف ما لو حدث رجل آخر بشيء، واستحلفه ليكتمه، فلقيه ثالث فذكر له أن صاحب الحديث حدثه بمثل ما حدثه به، فأظهر التعجب، وقال: ما ظننت أنه حدث بذلك غيري! فإنه يحنث، لأن تحليفه وقع على أنه يكتم أنه حدثه، وقد أفشاه[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في تزويج أو مصاهرة ذوي الإيمان والفضل.

ثالثاً: من آداب المدعو: حفظ السر.

رابعاً: من آداب الداعية: تطييب النفوس.

---

(١) إعانة الطالبين ٣١٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٠/٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ:

إن الصحابة الكرام لهم فضل عظيم ومنزلة رفيعة بما قدموا من تضحيات في سبيل الله ونشر الإسلام، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ، ويتضح هذا من الحديث من قول عمر ﷺ: لقيت عثمان بن عفان ﷺ: لقيت أبا بكر ﷺ: ولا شك أن لهم المنزلة الرفيعة والمكانة السامية السامقة، فهم من العشرة المبشرين بالجنة، فأما أبو بكر ﷺ فهو الذي نال شرف الصحبة، وفيه جاء قول الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾[1].

قال الإمام الذهبي: (هو خليفة رسول الله ﷺ اسمه عبدالله ويقال: عتيق روى عنه خلق من الصحابة وقدماء التابعين، وكان أول من آمن من الرجال، وكان أعلم قريش بأنسابها، وقال عمرو بن العاص ﷺ يا رسول الله أى الرجال أحب إليك؟ قال أبو بكر: وقال ابن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"[2]، وعن ابن عمر أن النبي قال لأبي بكر: أنت صاحبى على الحوض وصاحبي في الغار)[3]، وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ))[4].

وعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((إنَّ اللَّهَ بَعثَني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكرٍ: صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تارِكو لي صاحبي؟ (مرَّتين). فما أوذِيَ بعدَها))[5].

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فهو ثاني الخلفاء الراشدين، قال ابن حجر: هو

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٣٤/١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٥٤، ومسلم ٢٣٨٢.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٦١

أبو حفص أمير المؤمنين، كان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، قال عبدالله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر، ودعا رسول الله ﷺ فقال: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب"، وفي رواية عن عبدالله بن مسعود: أن الرسول ﷺ قال: "اللهم أيد المسلمين بعمر، وفي رواية: "اللهم اشدد الدين بعمر"[(١)].

وفي فضله رضي الله عنه جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إيهاً يا ابنَ الخطّاب، والذي نفسي بيده، ما لقِيَكَ الشيطانُ سالكاً فجّاً قطُّ إلاّ سَلَكَ فجّاً غيرَ فجِّك»[(٢)]. وجاء في الحديث أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسولِ الله ﷺ من حين قُبضَ كان أجدَّ وأجودَ - حتى انتهى - من عمر بن الخطّاب»[(٣)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقد كان فيما قبلَكم منَ الأمم محدَّثون، فإن يكُن في أمتي أحدٌ فإنه عمر))[(٤)].

وأما عثمان رضي الله عنه، فهو ثالث الخلفاء الراشدين، قال ابن عبدالبر: (ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة بعد الفيل، وهاجر إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وبايع رسولُ الله عن عثمانَ في صلح الحديبية، قال ابن عمر: يد رسول الله ﷺ لعثمان، خير من يد عثمان لنفسه، زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته رقية ثم أم كلثوم واحدة بعد واحدة، وقال لو كان عندي غيرهما لزوجتكها، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر إليَّ أو صاهرت إليه، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راض، وهو الذي جهز جيش العسرة بتسعمائة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٤٩.

(٢) اخرجه البخاري ٣٦٨٣، ومسلم ٢٣٩٦.

(٣) اخرجه البخاري ٣٦٨٧

(٤) اخرجه البخاري ٣٦٨٩

وخمسين بعيراً))[١]. وجاء في الحديث عن عبدان أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ يَحفرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ فَحفَرَهَا عُثْمَانُ، وقال مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ))[٢].

وجاء في فضل الثلاثة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: ((اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في تزويج أو مصاهرة ذوي الإيمان والفضل:

إن معيار الشخصية السوية ليس المال أو الجاه، إنما هو الدين والخلق، ومن ثم رغب الإسلام في تزويج ومصاهرة أهل الإيمان والفضل، لما في ذلك من الخير لكلا الطرفين، ومما يدل على هذا ما جاء في سياق الحديث، حيث عرض عمر رضي الله عنه تزويج ابنته على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما وهما بلا شك من أهل الإيمان والفضل، قال ابن حجر: "وفي الحديث عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه، لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجا، لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجا"[٤]، وعن ثابت البناني، قال: «كنتُ عندَ أنسٍ وعندهُ ابنةٌ له، قال أنس: جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ الله ﷺ تعرضُ عليه نفسَها قالت: يا رسولَ الله ألَك بي حاجة؟ فقالت بنتُ أنسٍ: ما أقلَّ حياءها، واسَوْأتَاهُ. قال: هيَ خيرٌ منكِ، رَغِبت في النبيِّ ﷺ فعرَضت عليهِ نفسَها»[٥].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٤٤.

(٢) اخرجه البخاري معلقاً، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، مقدمة باب مناقب عثمان رضي الله عنه، قبل حديث رقم ٣٦٩٥، وانظر: حديث رقم ٢٧٧٨، قال ابن حجر: وقد وصله الدار قطنى والاسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بتمامة، ورواه عيسى بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق عن أبي سلمة عن عثمان، أخرجه النسائي أيضاً، وتابعه أبو قطن عن يونس أخرجه احمد قلت: وتفرد عثمان والد عبدان لا يضره فإنه ثقة. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/٥..

(٣) اخرجه البخاري ٣٦٧٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٥) اخرجه البخاري ٥١٢٠.

وزوَّج رسول الله رجلاً بما معه من القرآن، فعن سهل بن سعد: ((أنَّ امرأةً عرضت نفسها على النبيِّ ﷺ فقال له رجل: يارسولَ الله زوِّجنيها. فقال: ماعندكَ؟ فقال: ماعندي شيء قال: اذهب فالتمِس ولو خاتماً من حديد . فذهب، ثم رجعَ فقال: لا واللهِ ماوَجدتُ شيئاً ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري ولها نِصفُهُ. قالَ سَهل: وماله رداء. فقال النبيُّ ﷺ: وماتَصنعُ بإزارك؟ إن لبستَهُ لم يَكن عليها منه شيء، وإن لبستْه لم يكن عليكَ منه شيء. فجَلَس الرجل حتى إذا طالَ مَجلسه قام، فرآهُ النبيُّ ﷺ فدَعاهُ ـ أو دُعيَ له ـ فقال له: ماذا معكَ من القرآن؟ فقال معي سورة كذا وسورةُ كذا ـ لسُوَرٍ يُعدِّدُها ـ فقال النبيُّ ﷺ: أملكْناكها بما معكَ منَ القرآن))(١).

قال عبدالله ناصح علوان: (لقد أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة أن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق. ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية وتربية الأولاد، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق. وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل، أو زوج ملحد لا يرقب في مؤمنة إلاً ولا ذمة، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً؟ وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، لا يقيم لمبادئ الفضيلة أية قيمة، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار؟ إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة، وللأسرة شرفها الثابت، واستقرارها المنشود)(٢).

إن اختيار الزوج الصالح وتزويجه يحقق السعادة والاستقرار للأسرة، ومن أجل هذا جاء في توجيهات النبي ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا خَطَبَ إليْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ . إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرْضِ وفَسَادٌ عرِيضٌ))(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣١٠ - ٥١٢١، ومسلم ١٤٢٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام١/٣٥، ٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٠٨٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٨٦٥).

ثالثاً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن من الأخلاق العظيمة، والخلال الحميدة التي يرغب فيها الإسلام، حفظ السر وكتمانه، وعدم إذاعته ونشره، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ". ولا شك أن هذا يدل أن من آداب المدعو أن يحفظ السر، قال ابن حجر: (وفي الحديث فضل كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه)[1].

قال الجاحظ: (ومن الأخلاق المحمودة كتمان السر، وهذا الخلق مركب من الوقار، وأداء الأمانة، فإن إخراج السر من فضول الكلام، وليس بوقور من تكلم بالفضول، وكتمان السر محمود من جميع الناس، وخاصة ممن يصحب السلطان، فإن إخراجه أسراره مع أنه قبيح في نفسه، يؤدي إلى ضرر عظيم يدخل عليه من سلطانه)[2].

وقال الماوردي: (اعلم أن كتمان الأسرار، من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سرُّك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره. وقال بعض الحكماء لابنه: يابني كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر. وقال بعض الأدباء: من كتم سره، كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. وقال بعض الشعراء:

لاَ تُفْشِ سِرَّكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ... فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ وُشَاةَ الرجَالِ ... لاَ يَدَعُونَ أَدِيماً صَحِيحا

وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمناً، وفي عواقبه سالماً، ولنجاح حوائجه راجياً)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٢) تهذيب الأخلاق، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٢٠٤/٨.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٩٥.

رابعاً- من آداب الداعية: تطييب النفوس:

حيث جاء في الحديث: "لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً".

قال ابن حجر: (وفي الحديث عتاب الرجل لأخيه، وعتبه عليه واعتذاره إليه، وقد جبلت الطبائع البشرية على ذلك)[1].

ومما لا شك فيه أن من أهم آداب الداعية تطييب النفوس، لكي يجمع إليه القلوب والأفئدة، ويقبل عليه الناس وعلى موعظته ودعوته.

"إن من أعظم معايير نجاح الداعية في دعوته أن تجتمع عليه القلوب بالحب والمودة، وهذا يستلزم أن يكون لديه فقه في التعامل مع النفوس، ومعرفة دوافعها ومؤثراتها، فعليه أن يتحرى في اتخاذ المواقف، وأن يتدارك الهواجس والوساوس قبل أن تكون حقائق مسلمة، وأن يعالج الظنون والأوهام قبل أن تتمكن من النفس، وتوغر الصدر، وينفث الشيطان فيها سمه، فتستعصى على التدارك"[2].

إن تطييب خاطر المدعو له، مفعول السحر في نفسه، والداعية الذي يهتم بهذا الجانب إنما يضمن لدعوته قدراً كبيراً من النجاح.

(إن الداعية الناجح شخصية متميزة، فهو كالمنارة الهادية من بعد لمن ضل أو حار، وهو كالظل الوارف لمن لفحه حر الشمس والمسير في الهجير، وبالتالي فهو نقطة تجمع بالنسبة للمدعوين. فإن الناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم وفي حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم، ولا يعنتهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة، والود والرضاء)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٢) ركائز دعوية من هدى النبي ﷺ، في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ١٣٢-١٣٣.

(٣) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٠٠.

الحديث رقم (٦٨٧)

٦٨٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّ أزْوَاجُ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فأقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، مَا تُخطئُ مِشيتُها مِنْ مشيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً، فَلَمَّا رآهَا رَحَّبَ بِهَا، وقال: ((مَرْحَباً بابْنَتِي))، ثُمَّ أجلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكتْ بُكَاءً شَديداً، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسِّرَارِ، ثُمَّ أنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَألْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ؟ فقالتْ: أمَّا الآن فَنَعَمْ، أمَّا حِينَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأُولَى فأخْبَرَنِي أنّ جبْريلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإنِّي لا أُرَى الأجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأيْتِ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: **((يَا فَاطِمَةُ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟))** فَضَحِكتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأيْتِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سارَّها: ألقى إليها سرًّا[2].

جزعها: حزنها وخوفها[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٥، ٦٥٨٦، ومسلم ٩٨/٢٤٥٠ واللفظ له.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ر).

(٣) المرجع السابق في (ج ز ع).

السرار: ما يُكتم من الأمور(١).

أفشي: أنشر(٢).

عزمت عليك: أقسمت عليك(٣).

يعارضه القرآن: يدارسه القرآن، من المعارضة بمعنى المقابلة(٤).

السلف: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته(٥).

الشرح الأدبي

محبة النبي ﷺ للناس عامة محبة لا تساويها محبة، ومحبته لآل بيته ذات خصوصية، ومحبته لفاطمة رضي الله عنها أكثر خصوصية عكستها ألفاظ، وعبارات الحديث التي تفيض بالمشاعر النبيلة (رحب بها - مَرْحَباً بِابْنَتِي - ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ- ثُمَّ سَارَّهَا) وقول الراوي (مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً) كناية عن شدة الشبه بينهما، وقوله (ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكتْ بُكَاءً شَديداً، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا) البكاء كناية عن الحزن لعلمها بقرب موت النبي ﷺ والتعبير بالجزع يشير إلى شدة الحزن الذي اعتراها من الخبر، والذي احتواه بقول (سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ) والطباق بين الضحك والبكاء، ولَّدت استفهامة أم المؤمنين رضي الله عنها التي ترى الموقف (مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟) وقوله (: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ) أسلوب نفي مؤكد يقطع أمل السائل في معرفة ما سأل عنه وقول الرسول ﷺ (وَإنِّي لا أُرَى الأجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ) أكد الخبر بعدة مؤكدات وأمرها بالتقوى تصبيرا لها على فراقه لعلمه بشدة تعلقها به، ولذلك أمرها بالصبر

---

(١) انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (س ر ر).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش و).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ع ز م).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

(٥) المرجع السابق في (س ل ف).

لتتخطى هذه المصيبة الشديدة، وقول الرسول ﷺ ((يَا فَاطِمَةُ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هـذِهِ الأُمَّةِ؟) النداء تودد، ومحبة، والاستفهام تحضيض وحث على الرضا حمل أعظم بشارة يمكن أن تحلم بها امرأة في العالمين أن تصبح سيدة نساء المؤمنين أو سَيِّدَةَ نساء هذه الأمة؟، وقولها (فَضَحِكْتُ ضَحِكِي) جناس يؤكد الفعل ويقرر عمليا رضاها ببشارة النبي ﷺ.

فقه الحديث

١-مساررة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائزة:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: مساررة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائزة، وليس من باب نهيه ﷺ عن مناجاة الاثنين دون الواحد[1]، لأن المعنى الذي يخاف من ترك الواحد، لا يخاف من ترك الجماعة)[2].

٢-جواز إفشاء السر إذا أمنت المضرة: قال ابن حجر: (فيه جواز إفشاء السرّ إذا زال ما يترتب على إفشائه من المضرة، لأن الأصل في السر الكتمان، وإلا فما فائدته؟)[3].

٣-جواز العزم بغير الله، قال ابن حجر: (قال ابن التين: يستفاد من قول عائشة: "عزمت عليك بما لي عليك من الحق" جواز العزم بغير الله، قال: وفي المدونة عن مالك: إذا قال أعزم عليك بالله فلم يفعل، لم يحنث، وهو كقوله: أسألك بالله، وإن قال أعزم بالله أن تفعل فلم يفعل حنث، لأن هذا يمين. انتهى، والذي عند الشافعية أن ذلك في الصورتين يرجع إلى قصد الحالف، فإن قصد يمين نفسه فيمين، وإن قصد يمين المخاطب أو الشفاعة أو أطلق فلا)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٨، ومسلم ٢١٨٣ عن ابن عمر { مرفوعًا: "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث".

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٠/١١.

(٣) المرجع السابق ٨٠/١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٠/١١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٨/٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل ومنزلة فاطمة رضي الله عنها.

ثانياً: من آداب المدعو: الصبر عند المصيبة.

ثالثاً: من واجبات الدعية: إيناس ومواساة المدعو.

رابعاً: من آداب المدعو: حفظ السر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل ومنزلة فاطمة رضي الله عنها:

إن فاطمة رضي الله عنها لها مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فهي بنت رسول الله ﷺ وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما ولقد جاء في الحديث ما يدل على فضلها في قوله ﷺ: " يافاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة"، قال ابن علان: "ولكمال شرفها وطيب أصلها، لم يغير توقع فقدها لسيد الأحباب، استسلامها لربها، وإنما دمعت عيناها، وجزع قلبها مع الصبر على مراد مولاها سبحانه، ولا لحقها أشر ولا بطر، إذ بشرت بما بشرت به، لكمال يقينها ومزيد تمكينها"[(١)]، وعن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ: ((أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: فاطمةُ بضعةٌ مني، فمَن أغضَبَها أغضبَني))[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: حدثتني فاطمة قالت: أسر إلى رسول الله ﷺ فقال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه: إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي ونعم السلف أنا لك قالت: فبكيت، ثم قال: الا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين. فضحكت"[(٣)].

وقال الذهبي: "فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين في زمانها مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة أو قبيله من سنة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

اثنتين بعد وقعة بدر. وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويُسر إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت صابرةً دينة خيرة، صينةً قانعةً شاكرةً لله. ولما تُوفي النبيُّ حزنتْ عليه، وبكته، وقالتْ: يا أَبَتَاه إلى جبريل نَنْعاه، يا أبتاه أجابَ رَبّاً دعاه، يا أبتاه جنةُ الفردوس مأواه، وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقام إليها، وقال: مرحباً يا ابنتي. وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها"[1].

وقال ابن حجر: (فاطمة الزهراء: بنت إمام المتقين رسول الله محمد ﷺ كانت تكنى أم أبيها وتلقب بالزهراء، وكانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه، وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة، وقال الشعبي عن جابر رضي الله عنه قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة وقد عاشت رضي الله عنها بعد النبي ﷺ ستة أشهر. وقال الواقدي: توفيت فاطمة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الصبر عند المصيبة:

إن الإنسان يتعرض في حياته لبعض المحن والشدائد، والواجب أن يلقاها بالصبر وعدم الجزع، وقد جاء في الحديث: "ثم سارها فبكت بكاءً شديداً" ومما لا شك فيه أن الصبر مأمور به في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[4]، وأخبر أن أهل الصبر هم أهل العزائم، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[5]، ووعد الصابرين بالأجر، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6].

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١١٠٣
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٤٧.
(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥.
(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥-١٥٦.
(٥) سورة الشورى، آية: ٤٣.
(٦) سورة الزمر، آية: ١٠.

وفي الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ومَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْهُ اللّه))(١)، وأمر بالصبر عن المصيبة فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّما الصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأولى))(٢).

قال ابن القيم: (الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته، فإن الله مع الصابرين، وقال الجريري: الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة، وحال المحنة، مع سكون الخاطر فيهما، وقال عمرو بن عثمان، هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والسعة، وسئل الجنيد عن الصبر فقال: "تجرع المرارة من غير تعبُّس")(٣).

وجاء في الدر المنثور: (قال سليمان بن عبدالملك لعمر بن عبدالعزيز عندما مات ولد سليمان: أيصبر المؤمن حتى لا يجد لمصيبته ألماً؟ قال: يا أمير المؤمنين: لا يستوي عندك ما تحب وما تكره، ولكن الصبر مُعَوَّل المؤمن. وقيل لربيعة بن عبدالرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: يكون يوم تصيبه المصيبة مثل قبل أن تصيبه)(٤).

وقال القاسمي: (اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: ما يوافق هواه، وما لا يوافقه بل يكرهه، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن هذين النوعين، فإذاً لا يستغنى قط عن الصبر. فأما ما يوافق هواه، وهو الصحة والسلامة، والمال والجاه، وكثرة العشيرة، واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار، وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور. وأما ما لا يوافق الهوى والطبع، فمنه ما لا يرتبط باختيار العبد كالمصائب مثل موت الأعزة، وهلاك الأموال، وزوال الصحة وسائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٤٢٩/٢.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٨/١.

أعلى مقامات الصبر، ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب، ولا فيضان العين بالدمع، لأن ذلك مقتضى البشرية)[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: إيناس ومواساة المدعو:

إن الداعية يشارك المدعوين فيما يعرض لهم من شدائد، ويواسيهم، ويداوي جراحهم، ويحنو عليهم، ومن هنا كان من أهم واجبات الداعية إيناس ومواساة المدعو، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "إنه نعم السلف أنالك" وقوله: "فلما رأى جزعى سارني الثانية، فقال: "يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين".

قال ابن علان: "وهذا مسلٍ لها عن عظيم ألم توقع فراقها لسيد الأحباب، فلما كان ذلك المصاب أعظم مصاب، ناسب أن يجازى الصابرون عليه بأعظم الثواب من فضل الوهاب، وهى أفضل الأمم فتكون أفضل نساء أهل الجنة"[٢]. ولهذا كان من أهم واجبات الداعية إيناس ومواساة المدعو، ومشاركته فيما يعرض له من أمور.

قال ابن القيم: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافى في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[٣].

رابعاً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن الإنسان الذي يفضي له صاحبه بسر فهو مؤتمن عليه وينبغي حفظه، ولذا كان من آداب المدعو حفظ السر، ويستفاد هذا من الحديث في قول فاطمة رضي الله عنها: " ما

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢/٣٤٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٢.

(٣) الفوائد ٢٢٤.

كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره"، ولا شك أن حفظ السر مأمور به.

قال د. الحسيني هاشم: "لم تفشِ فاطمة سر الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه وهى زوجته، فلما انتهى أمد السر، وتحقق ما أخبرها به بيَّنت ذلك، لما فيه من الحب الأبوي الكريم، والعلاقة الحميمة بينها وبين أبيها صلوات الله وسلامه عليه"[1].

ولقد كان ديدن الصحابة دائماً حفظ سر رسول الله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: «أَتَىٰ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ. قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. فَبَعَثَنِي إِلَىٰ حَاجَةٍ. فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللّهِ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌ. قَالَتْ: لاَ تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللّهِ أَحَداً. قَالَ أَنَسٌ: وَاللّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَداً لَحَدَّثْتُكَ، يَا ثَابِتُ»[2]. وفي رواية عن أنس أيضاً قال: «أسر إليَّ نبي الله ﷺ فما أخبرت به أحداً بعد، ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به»[3].

قال ابن مفلح: "قال أكثم بن صيفي: إن سرك من دمك فانظر أين تريقه، وقال الشاعر:

وَسِرُّك مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدراً منه حيث، استودعته إياه، وإلى هذا ذهب القائل:

إذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ ... فَصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وكان يقال: لا تطلعوا النساء على سرِّكم، يصلح لكم أمركم. وكان يقال: كل شيء تكتمه عن عدوك، فلا تظهر عليه صديقك. وقال الشاعر:

إذَا مَا ضَاقَ صَدْرُك عَنْ حَدِيثٍ ... فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إذَا عَاتَبْت مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُّومُ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٤١٧.

(٢) ثابت: راوي الحديث عن أنس.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ٢٤٨٢.

فَـإنِّي حِـينَ أَسْـأَمُ حَمْـلَ سِـرِّي وَقَـدْ ضَـمَّنْته صَـدْرِي سَـؤُومُ
وَلَـسْت مُحَـدِّثًا سِـرِّي خَلِـيلا وَلا عُرْسِـي إذَا خَطَـرَتْ هُمُـومُ
وَأَطْـوِي الـسِّرَّ دُونَ النَّـاسِ إنِّـي لِمَـا أُسْـتُوْدِعْت مِـنْ سِـرٍّ كَتُـومُ"[1]

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٢/٢٥٨-٢٦٠ بتصرف.

الحديث رقم (٦٨٨)

٦٨٨- وعن ثابتٍ، عن أنس ﷺ، قَالَ: أتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأنَا ألْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إلَى حاجَةٍ، فَأبْطَأتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهَا سرٌّ. قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً.

قَالَ أنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أحَداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم، وروى البخاري بعضه مختصراً[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

إلى حاجة: إلى أمر يطلبه[2].

الشرح الأدبي

قول أنس ﷺ: (أتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ) يشير إلى النية، والقصد إليه، وقوله (وَأنَا ألْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ) يشير إلى أنه كان صغيرا ﷺ وقوله (فَسَلَّمَ عَلَيْنَا) يصور مع التواضع النبوي عبقرية التربية النبوية في معاملة الصغار بما يشعرهم بكيانهم، وأنهم مقدرون من رأس الأمة ممثلة في النبي ﷺ وتأمل أثر هذه المعاملة في تربيتهم على تحمل المسئولية في قوله (فَبَعَثَنِي إلَى حاجَةٍ، فَأبْطَأتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهَا سرٌّ) صار الغلام رسول رسول الله ﷺ في حاجته ثم إنه حفظ السر فلم يخبر أحدا حتى أمه أقرب الناس إليه رحما عندما سألته (: مَا حَاجَتُهُ؟) فقال: (إنَّهَا سرٌّ) وأكد الكلام

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ٢٤٨٢/١٤٥ واللفظ له.

(٢) المعجم الوسيط ٢٠٤.

بعدة مؤكدات تقطع كل أمل في معرفتها، ونكر كلمة سر للتعظيم والتفخيم وقول أمه (لا تُخْبِرَنَّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً) نهي بغرض التأييد والنصح يشير إلى احترام الأم لعقلية الصغير وتشجيعه على الصواب، وتعزيزه في نفسه.

فقه الحديث

إباحة السرّ بعد الموت:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: الذي عليه أهل العلم أن السرّ لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، وأكثرهم يقول: إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة، قلت [القائل ابن حجر]: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح، وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السرّ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك. وإلى ما يكره مطلقًا وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه، أن يفعل ذلك)(1).

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: التواضع.

ثانياً: من آداب المدعو: حفظ السر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهى والقسم.

اولاً- من صفات الداعية: التواضع:

إن من طبيعة عمل الداعية أنه يخالط المدعوين، ولذا ينبغي عليه أن يتحلى بالتواضع لتقبل عليه القلوب، وتتفتح له النفوس، ومما يدل على ذلك من الحديث: " أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ"، وصفة التواضع من أهم صفات الداعية

---

(1) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٢/١١.

لكي يجمع إليه القلوب ولا تنفر منه، وقد جاء التوجيه إليه في القرآن، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[١]. وقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. وحذر لقمان الحكيم ابنه من الكبر، فمما جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣]. وبه وصف الله عباد الرحمن، بقوله جلّ شأنه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٤].

وإلى التواضع أرشد الرسول الكريم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[٥]، وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اللّهَ أَوحى إليَّ أَنْ تواضَعُوا حتى لا يَبْغي أَحدٌ على أحدٍ ولا يَفْخر أَحدٌ على أَحدٌ))[٦]، وفي التحذير من الكبر، جاء في الحديث عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «كُلُّ عُتُلٍ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[٧]. ومن صور تواضعه ﷺ ما جاء عن أنس رضي الله عنه ((أنه مرَّ على صبيانٍ فسلم عليهم وقال: كان النبيُّ ﷺ يفعله))[٨]. ولا يخفى أن الدعاة إلى الله أحوج الناس إلى التواضع.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣، واللفظ له.

(٨) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨، واللفظ له.

"إن الله تعالى علم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه خلق التواضع في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، والتواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية فإنه قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائماً أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة"[(٢)].

ثانياً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن من أشد آفات اللسان إفشاء الأسرار ونشرها بين الناس، ومن هنا كانت وصية الإسلام بحفظ السر، ويستفاد هذا من الحديث: "قلت إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً"، قال ابن عثيمين: "وفي الحديث أنه لا يجوز للإنسان أن يبدي سر شخص حتى لأمه وأبيه، فلو أن إنساناً أرسلك في حاجة، ثم قال لك أبوك ما الذي أرسلك به؟ لا تخبره ولو كان أباك، ولو كانت أمك، لأن هذا من أسرار الناس، ولا يجوز إبداؤها لأحد"[(٣)]. وكتمان السر وحفظه نوع من الوفاء بالعهود، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[(٤)].

قال الماوردي: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره، وقال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق[(٥)]

ولا يتأتى حفظ السر وكتمانه إلا بحفظ اللسان، وتدريبه وتعويده الصمت.

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩٨٨/٢.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص، ٢٩٥-٢٩٦.

"إن اللسان من نعم الله العظيمة، فهو صغير جرمه، عظيم نفعه، وعظيم جرمه، رحب الميدان له في الخير مجال رحب، وله في الشر مجال رحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار. ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة. فخطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع، الصمت وحث عليه. ومن أخطر آفات اللسان، الكلام فيما لا يعني، والخوض في الباطل وإفشاء السر وغير ذلك كثير"(1).

قال ابن قدامة: "إن آفات اللسان لها في القلب حلاوة ولها بواعث من الطبع، ولا نجاة من خطرها إلا بالصمت، فالصمت يجمع الهمة ويفرغ الفكر، قال بن مسعود رضي الله عنه: ماشئ أحوج إلى طول سجن من لساني. وقال أبو الدرداء: انصف أذنيك من فيك فإنما جعلت لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به. وقال مخلد بن الحسين: ما تكلمت منذ خمسين سنة بكلمة أريد أن أعتذر منها"(2).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي والقسم:

١-**السؤال والجواب:** حيث جاء في الحديث: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعو وتوصيل الحقائق إليه، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(3).

والداعية الناجح هو الذي يتخذ من أسلوب السؤال والجواب سبيلاً إلى إفهام المدعوين، قال الشيخ الميداني: "وعلى حامل الرسالة الدينية الدعويةن أو النصيحة الإرشادية، أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ٢١٤٢/٤، ٢١٤٣.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١٨٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

الـزمن للـسؤال والجـواب، وأن يـستثمر هـذه الوسـيلة المـؤثرة النافعـة مـن وسـائل الأداء البياني، للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها، وعليه أن يكون حكيماً كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن، يقظاً حسن التصرف، واسع الصدر محترماً لأسئلة السائلين، ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يُشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادراً على البيان المفهم بأسلوب حسن"[1].

٢- النهي: حيث جاء في الحديث: "لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ. أحداً" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، وقد أمر الله بالابتعاد عما نهى عنه رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا﴾[2].

٣-القسم: حيث جاء في الحديث: " والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به"، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين مدى ثقة الداعية فيما يقول، ومن صور القسم في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾[3].

(إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب على وفق أساليبهم، ليعجزهم بلفظه ومعناه، ويحدث تأثيره فيهم على نحو يجعلهم يؤمنون به وبدعوته، ومن هذه الأساليب التي أوردها العرب أسلوب القسم، الذي عرفه الناس قديماً، واستعملوه تأكيداً لخبر أو تعظيماً لشيء، أو لجمع الانتباه حول غاية، فأسلوب القسم موعظة حسنة، لأن القرآن دائماً يقصد به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به، بما فيه من مزية في نظر المستمع، تجعله لهذه المزية يسلم بالمقسم عليه، وهو الدعوة المرجوة)[4].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٦٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١-٢.

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٢، ١٦٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

العاقل لا ينطق بما لا يتأتى النطق به بدعوى ائتمان الآخر على السر، ومن يعجز عن كتم سره كيف يطلب من الآخرين ذلك، فضلاً عن أن يعتب عليهم إذا كشفوا سره، وطبع الإنسان لا يمكنه من كتم كل شيء، وهو بحاجة إلى من يبوح له بشيء مما هو كامن في الصدر، وأحياناً يفتقر إلى من يستشيره، لهذا حرص الإسلام على جعل المجالس بأماناتها، ونهى النبي ﷺ أن يفشي الإنسان على جليسه سره، وخص الرسول ﷺ من السر العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، لأن أساس هذه العلاقة هو الستر والسرية، ومن يفعل ذلك يكشف ستر ربه، والشيطان يحقق مبتغاه، وقد ورد النهي بصورة تدعو إلى الإعراض عنه، ومن المضامين ما يلي:

أولاً: التربية بالترهيب:

تعتبر التربية بالترهيب من أساليب التربية التي تؤثر في المتربي وتغير في سلوكه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». فقد رهب النبي ﷺ من نشر سر الزوجة بأنَّ من يفعل ذلك من أَشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة.

وما من شك في أن الترهيب هو أحد جناحيْ العملية التربوية، والتي تعتمد على الترغيب والترهيب "فإن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه، وكره الشر والشقاء، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي حيث إن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، وقد استخدم المنهج الإسلامي هذا الأسلوب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب وتارة بالترهيب، والإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه مما يجعل للترغيب والترهيب أثره الواضح في سلوكه" (١).

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٤.

ثانيًا: التربية على حفظ السر:

من القيم الخلقية في الإسلام حفظ السر وعدم إفشائه للآخرين مهما كانت قرابتهم أو صداقتهم، فالأسرار أمانة يعهد بها الناس إلى مَنْ يثقون به ويوقنون في حفظه للسر، ومن أحاديث الباب التي جاءت تبرهن على هذه القيمة قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». وفي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "... ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ...، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من قول فاطمة رضي الله عنها: "... ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره ..."، وحديث ثابت عن أنس رضي الله عنه من قول أمه "... لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا، قال: أنس والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك به يا ثابت".

ففي جملة هذه الأحاديث الوصاية بحفظ السر، والاحتراز عن نشره وإذاعته، "ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، ويسرد أخبارها فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام، منسوبًا إلى قائله أو غير منسوب، وحرمات المجالس تُصانُ ما دام الذي يجري فيها مضبوطًا بقوانين الأدب وشرائع الدين، وإلا فليست لها حرمة، وللعلاقات الزوجية -في نظر الإسلام- قداسة، فما يضمه البيت من شؤون العِشْرة بين الرجل وأهله، يجب أن يُطوى في أستار مسبلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور، وهذه وقاحة حرمها الله تبارك وتعالى"[1].

إن واجب المربين تدريب وتعويد المتربين على حفظ السر وعدم إفشائه ونشره، وها هي أم أنس رضي الله عنها تقوم بهذه المهمة، وتؤدي واجب التربية الصحيحة، فلما قالت لابنها: وما حاجة رسول الله ﷺ؟ وقال لها: إنها سر، فقالت الأم: توصي ولدها في حزم. وقد نأت بنفسها عن الفضول: ((يابني لا تخبرنّ بسر رسول الله ﷺ أحدًا)).

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٠، ٥١.

ويستوقفنا في هذا الحوار بين أنس رضي الله عنه وأمه مَعْلَمًا من معالم التربية الإسلامية القويمة التي نشأت عليها أم أنس ودرج عليها ولدها أيضًا، فالأم تؤكد لولدها أن حفظ السر أمانة ومسؤولية "يابني: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا حتى أمك. وهنا يتراجع الفضول النفسي لدى الأم، فالأسرار أمانات، هكذا تعلمت من رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ فلا مسوغ مطلقًا للإلحاح على أنس بأن يكشف لها سر رسول الله ﷺ، فهذه دروس وآداب تربوية نسوقها إلى الأمهات المسلمات ليُنَشِّئْن أولادهن على كريم الخلق والرجولة الحقة التي من خصائصها الأمانة خاصة فيما يعهد إليهم من أسرار.

ثالثًا: التربية بالقصة:

من أساليب التربية التي تشوق المتربي: التربية بالقصة، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه «حين تأيمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة...» الحديث. وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «كن أزواج النبي ﷺ عنده فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ...»، وكذلك حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه: "أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان...".

فكل واحد من الصحابة رضي الله عنهم رواة الحديث ذكر قصة تشير إلى حفظ السر وعدم نشره وإفشائه.

"إن التربية بالقصة لون آخر من التربية يستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي يقع لأشخاص غير قارئي القصة أو مستمعيها، ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وهذا التأثير للقصة يقع عن طريقين اثنين في وقت واحد أحدهما هو المشاركة الوجدانية كالمستمع أو المشاهد أو القارئ يتابع حركة الأشخاص في القصة ويتفاعل معهم، وأما الطريق الآخر فربما كان يتم عن غير وعي كامل من الإنسان ذلك أن قارئ القصة أو سامعها يضع نفسه مع أشخاص القصة أو يضع نفسه إزاءهم ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينهم وبينه، وبهذا التأثير المزدوج تثير القصة انفعالاتنا وتؤثر فينا تأثيرًا توجيهيًا" [(١)].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤١، ٤٤٢.

رابعًا: تنمية ثقة الطفل بنفسه:

إن من الأسس المهمة في تربية الطفل تنمية ثقة الطفل بنفسه، ففي حديث الباب الذي أورده النووي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه: "أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة ...". فأنس غلام صغير يلعب مع الغلمان ولكنه رضي الله عنه يتمتع بذكاء حادٍّ وعقل رزين يفوق الكثير من أقرانه، ولقد أدرك رسول الله ﷺ تلك الصفات التي يتمتع بها هذا الصحابي، فكان يعهد إليه بما يريد موقنًا أن هذا الصغير لن يخذل رسول الله ﷺ بأن يفشي سره أو يتحدث مع الناس بأمور لا يريدها ﷺ، يقول أنس رضي الله عنه: "أتى عليّ رسول الله ﷺ ..."أي أقبل عليَّ وهو يلعب مع أقرانه من الصبية فأقبل عليه ﷺ بصفة شخصية اختصها ﷺ لأنس دون بقية الغلمان والمشهد يوحي بأن الرسول ﷺ أبصر أنساً رضي الله عنه يلعب فجاء إليه وأخذه من بين الغلمان، ليكلفه بأمر من الأمور، قال أنس: "فبعثني في حاجة..."، هذا التكليف من الرسول ﷺ لأنس، وهو غلام يُعْطِي بعدًا تربويًا يتعلمه المربون والقائمون على التربية وهو ضرورة غرس الثقة وبثها في نفوس الأطفال حتى ينشئوا على تحمل المسؤولية والتكليف وهم صغار "ومن الأسس النفسية المؤثرة تنمية ثقة الطفل بنفسه، ولقد اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عددًا من الطرق منها تقوية إرادة الطفل، وذلك بتعويده حفظ الأسرار كما فعل مع أنس رضي الله عنه إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ولا يفضحها فإن إرادته تنمو وتقوى وبالتالي تكبر ثقته بنفسه"[(١)].

خامسًا: التربية على تخير الألفاظ:

إن من أهداف التربية الخلقية والسلوكية التربية على تخير الألفاظ المناسبة البعيدة عن الفحش وخدش الحياء، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على هذا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». ففي هذا الحديث التعبير عن حالة الجماع وما يكون فيه بالإفضاء، وفي هذا تربية على ضرورة الدقة في تخير وانتقاء الألفاظ.

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ١١٧، ١١٨.

"ومن الأدب الشرعي أن يُكنَّى عما يُستَحي منه، فجاءت التكنية في نصوص الكتاب والسنة عن الجماع، بإتيان الرجل زوجته: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾(١).

بل كنَّى العرب عما يخرج من الإنسان باسم موضعه الغالب، وهو المكان المنخفض، ثم جاءت الألفاظ الشرعية بالتكنية عنه بـ "قضاء الحاجة" ولا يأتي التصريح إلا حين الحاجة إليه لبيان حكم لا يبين إلا به أو لإقامة حدٍّ وحكم شرعي، وحفظ اللسان يحتاج إلى ترويض ومجاهدة للنفس وتعويد لها على المنطق الحسن واختيار الألفاظ والبعد عن الفحش، وهذا مما يشق ويحتاج لمجاهدة"(٢).

إن واجب الآباء والمربين الاعتناء بتربية الأبناء على انتقاء الألفاظ وحفظ اللسان من الفحش والبذاء ومما يخدش الحياء.

"ومن أنواع الفحش اللفظي التصريح بأسماء الأعضاء التي يحتشم من ذكرها كالقبل والدبر،وما أشبه ذلك من ألفاظ الوقاع والجماع، وقد أدبنا الإسلام بأدب القرآن الذي لم يصرح بمثل هذه التسميات، وإنما كنى عنها واستعمل أرق التعابير في الإشارة إليها، والمتأمل في القرآن يجد ضربًا عجيبًا من تخير الألفاظ اللطيفة الرقيقة العذبة للتعبير عن أدق المعاني الجنسية، ولا غرو، فالبيان السماوي أجلُّ وأعلى وأسمى من أن يتدنّى إلى أي أسلوب لا يليق قوله أو سماعه، وقد كان كرام الناس والعِلْية من القوم يوصفون بنبل منطقهم وتحفظهم في كلامهم، قال أبو عبيد: ما رأيت رجلاً قط أشد تحفظًا في منطقه من عمر بن عبدالعزيز" (٣).

سادسًا: التربية الأسرية:

كما في حديث ((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))، فقد تضمن الحديث الترهيب من نشر سرّ المرأة، ويشمل كذلك الترهيب من نشر سر الرجل، أي الترهيب من نشر الأسرار

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٥٥، ١٥٦.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١٧/٢١، ١٨.

الزوجية الخاصة، وفي ذلك تربية أسرية للمسلم.

سابعًا: من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة والوصية:

وردت بعض الأساليب التربوية في أحاديث الباب، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه في عرض عمر ابنته حفصة على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما. وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في وفاة النبي ﷺ وإخباره فاطمة رضي الله عنها عن قرب أجله.

ب-الوصية: كما في قول أم أنس بن مالك رضي الله عنهما لأنس: ((لا تخبرن بسرّ رسول الله ﷺ أحدًا)).



٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: ٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[النحل: ٩١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢-٣].

الحديث رقم (٦٨٩)

٦٨٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زَادَ في روايةٍ لمسلم[2]: ((وإنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المنافق: الذي يكتم كفره ويُظهر إيمانه[3].

الشرح الأدبي

الحديث يرصد خطرا عظيما قد يغفل الناس عنه ناتجاً عن مرض من أمراض النفوس في المجتمعات، وهو داء النفاق، وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الصفات تشخيص من الطبيب الأكبر للمرض لكي يعرض كل إنسان نفسه عليه، ويتفرس علامات المرض، فإن وجد نفسه مصابا بعرض من أعرضه سارع بعلاجه، ومنع نفسه عما يزيد هذا

(١) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩/١٠٧ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٩٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٥.

(٢) برقم ٥٩/١٠٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

المرض، وقوله (آية المنافق) أي علامته، وقوله (ثلاث) فيه إيجاز بالحذف المنشط لعقل المخاطب، والمنسق لجزالة النص، وتقدير ثلاث خصال، أو علامات، وأسلوب الشرط يربط التحديث بالكذب، ويربط الوعد بالإخلاف، ويربط الائتمان بالخيانة، ويقرر أنها عادته كلما حدث، وكلما وعد، وكلما اؤتمن، والحديث يوجه الإنسان بمنظار البيان النبوي لينظر في نفسه إن كان فيه شيء من هذه الخصال فيتوب، ويصلحها، وينظر فيمن حوله ليتجنب من تجمعت فيهم هذه الصفات، فلن يجد منهم إلا الأذى.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٩٩).

الحديث رقم (٦٩٠)

٦٩٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

غريب الألفاظ:

خصلة: أي شعبة من شعبه وجزء منه أو حالة من حالاته[2].

فجر: الفجور: الميل عن الحق والاحتيال في رده[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب التشويق بالعدد النكرة (أربع) الموصوفة بالجملة (مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً) وهو لون من ألوان الإجمال يحتاج إلى تفصيل وهو ما يحدث تشويقا للمخاطب الذي يستشرف إلى معرفة التفصيل وأسلوب التشويق من الأساليب التي تكثر، وتتنوع في حديث الرسول ﷺ حيث كان شديد الحرص على أن يصل المعنى إلى المخاطبين، وهم في كامل وعيهم، وفاءً بحق تبليغ الرسالة، ثم إنه لم يكن يريد منهم الفهم المجرد، وإنما كان يريد الفهم، والاستيعاب، والاقتناع التام؛ لأنهم حملة رسالته إلى من سيأتي من أمته إلى يوم القيامة ثم بدأ بتعديد الصفات، وبيانها عن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤ واللفظ له، ومسلم ٥٨/١٠٦ ولفظه: (وإذا وعد أخلف) بدل: (إذا اؤتمن خان). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٢٥/٣، رقم ٢٩٢٥، وتبعه عليه المنذريُّ والمؤلفُ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٦. وسيكرره المؤلف برقم ١٥٩٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٢/١.

طريق المقابلة بين الصفات التي تتركها في ذهن المخاطب في أتم وضوح (إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) حيث قابل بين الائتمان، والخيانة، وبين العهد، والغدر، وصياغة الصفات الأربعة في أسلوب الشرط يقرر أن هذه الصفات صارت عادة له، وارتبطت بتصرفاته، وتحكمت في أفعاله حتى صارت كالطبع الغالب، والمتأمل لجملة الصفات التي تميز المنافق يجد أنها أخطر الصفات التي تضر الفرد، والمجتمع لاسيما إذا ولي شيئا من أمور الناس، فالخيانة، والغدر، والكذب، والفجور صفات ممقوتة حري بالأمة أن تطرح من تلطخ بها في أقصى مكان فيها كما سيطرحه ربه في الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.

فقه الحديث

فيما يلي بعض الأحكام الفقهية في هذين الحديثين:

١-الوفاء بالوعد:

قال النووي: (قد أجمع العلماء على أن من وعَدَ إنسانًا شيئًا ليس بمنهي عنه، فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف بينهما:

ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنّه مستحبٌّ، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شديدة، ولكن لا يأثم).

وذهب جماعة إلى أنه واجب، قال أبو بكر بن العربي المالكي: (أجلّ من ذهب إلى هذا المذهب عمر بن عبدالعزيز. قال: وذهبت المالكية مذهبًا ثالثًا: أنه إذا ارتبط الوعد بسبب كقوله: تزوج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك، وجب الوفاء، وإن كان وعدًا مطلقًا لم يجب)[(١)]. [(٢)]، واستدل من لم يوجبه بأنه في معنى

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٤/١٨٠٠.

(٢) والمشهور عند المالكية أن الوعد إذا كان مرتبطًا بسبب ودخل الموعود في السبب، فإنه يجب الوفاء به كما يجب الوفاء بالعقد، أما إذا لم يباشر الموعود السبب فلا شيء على الواعد. وذلك كما إذا وعده أن يسلفه ثمن دار يريد شراءها فاشتراها الموعود حقيقة، يلزم الواعد قضاءً بإيجاز وعده، أما إذا لم يباشر الموعود السبب فلا يلزم الواعد بشيء وهذا هو القول المشهور والراجح.

الهبة. والهبة لا تلزم إلا بالقبض عند الجمهور، وعند المالكية: تلزم قبل القبض[1].

٢-تحريم الغدر: ذهب الفقهاء إلى تحريم الغدر، لأنه من علامات النفاق ومن كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان الغادر من أصحاب الولايات العامة، لأن ضرر غدره يتعدى إلى خلق كثير. وقيل: لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء. والغدر محرم بشتى صوره، سواء أكان مع فرد أم جماعة، وسواء أكان مع مسلم أم ذمي أم معاهد.

واستدل الفقهاء على تحريم الغدر بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾[2] وبحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو حديث الباب[3].

٣-وجوب المحافظة على الأمانة بصفة عامة، وديعة كانت أو غيرها، لأن ذلك مما يوجب سعادة الدارين، والخيانة توجب الشقاء فيهما.

والحفظ يكون بحسب كل أمانة، فالوديعة مثلاً يكون حفظها بوضعها في حرز مثلها. والعارية والشيء المستأجر يكون حفظهما بعدم التعدي في الاستعمال المأذون فيه وبعدم التفريط. وفي مال المضاربة يكون بعدم مخالفة ما أذن فيه للمضارب من التصرفات وهكذا[4].

٤-خيانة الأمانة:

خيانة الأمانة حرام؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5] ولحديث الباب.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٣٥٤، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٠/٥-٢٩١، وللمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٤/٤٤-٧٨ ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٢٤/٣، وجواهر الإكليل ٢٥٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٦٥/٨ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٣/٣١).

(٤) تكملة رد المحتار ٢٣١/٢، ٢٣٢ وما بعدها، والمهذب ٤١٥/١، ومنتهى الإرادات ٣٢٧/٢ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٧/٦).

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

وقد عدّ ابن حجر الهيتمي الخيانة من الكبائر، ثم قال: (الخيانة قبيحة في كل شيء، لكن بعضها أشد وأقبح من بعض، إذ من خانك في فلْس ليس كمن خانك في أهلك)(١).

٥- ذم الفجور في الخصام، وإثم من فعل ذلك:

إن من تعدى في المخاصمة مال عن الحق، وقال الباطل والكذب، ورمي بالأشياء القبيحة.

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: ((إنّ أبغَضَ الرِّجالِ إلى اللهِ الألَدّ الخَصِمُ))(٢).

فإن قيل: لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه:

فالجواب ما أجاب به الغزالي وهو ما نقله النووي في الأذكار: أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل أو بغير علم، كوكيل القاضي، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو، فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضًا من يطلب حقه، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والكذب للإيذاء والتسليط على خصمه، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره، فهذا هو المذموم، وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع، من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة، من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففعله هذا ليس حرامًا، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيه اشتغال القلب، حتى إنه يكون في صلاته وخاطره معلق بالمحاجة والخصومة، فلا يبقى حاله على الاستقامة.

---

(١) الزواجر ٢٤٨/١-٢٤٩، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٥/٢٠-١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٥٧، ومسلم ٢٦٦٨.

والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء، فينبغي أن لا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها، وعند ذلك يحفظ لسانه وقلبه عن آفات الخصومة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحذر من صفات المنافقين.

ثالثاً: من واجبات الداعية: التحذير من الأخطار.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الصلة بين السلوك والإيمان.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

إن أساليب الدعوة تتنوع وتتعدد، ومن هذه الأساليب أسلوب الإجمال والتفصيل، ومما يدل عليه ما جاء في الحديث: "أربع، من كن فيه كان منافقاً خالصاً" حيث أجمل النبي ﷺ خصال المنافق في أربع ثم فصلها وعددها، ذاكراً لها واحدة بعد الأخرى، وأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعو، وتوصيل الحقائق إليه، ولفت انتباهه إلى أهمية ما أجمل، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحذر من صفات المنافقين:

إن خصال النفاق من الخيانة والكذب والغدر والفجور تعتبر بمثابة السوس الذي ينخر في عظام الأمة، ولذا وجب التحذير منها، وهو ما أرشد إليه الحديث الشريف

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٤-٤١٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٨٠-١٨١، والزواجر ٢/٢٢٦. وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٨٠-١٨١.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٨-٢٠.

حيث جاء في بيان هذه الخصال قوله ﷺ في الحديث: " إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" وكل هذه الصفات من صفات المنافقين التي يجب أن يحذر منها المسلم، قال النووي: (وهذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه، وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يُرِد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار)(١).

وقال ابن حجر: (والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه، والمراد في هذا الحديث أن صاحب هذه الخصال كالمنافق، والمراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال"(٢).

ولقد جعل النبي ﷺ هذه الصفات من خصال المنافقين ليحذرها المسلم فأما خيانة الأمانة، فمما جاء من ذمها في القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(٣). وأمر سبحانه بأداء الأمانة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك))(٥)، وأما الكذب فمما نهى الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٣/١.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) أخرجه الترمذي ١٢٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠١٥).

مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[1]، وقال جل شأنه آمراً بالصدق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً))[3].

وأما الغدر فلقد جاءت النصوص الشرعية تأمر بالوفاء بالوعد والعهد. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[4]. ومدح الله المؤمنين فقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[6]. وأما الفجور فمما نهى عنه الشرع، ووصف الله عباد الرحمن بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[7]. وبقوله سبحانه: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[8].

ولقد كان في وصف النبي ﷺ، كما قال أنس ﷺ: ((لم يكنْ رسولُ الله ﷺ فاحشاً ولا لَعّاناً ولا سَبّاباً))[9].

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٤) سورة النحل، آية: ٩١.

(٥) سورة الرعد، آية: ٢٠.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٨) سورة الحج، آية: ٢٤.

(٩) أخرجه البخاري ٦٠٤٦.

ثالثاً- من واجبات الداعية: التحذير من الأخطار:

إن الداعية حريص على قومه يدعوهم إلى الخير، ويحذرهم من الشر والخطر، ولقد كان النبي ﷺ قدوة ومثلاً في ذلك، ومما يدل على ذلك تحذير النبي ﷺ من خصال النفاق، حيث جاء في الحديث: "ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها"، ومما لا شك فيه، أن الداعي إلى الله يجب أن يحذر من الأخطار التي قد تلحق بأفراد المدعوين، إذا استمروا على أمر معين، وقد جعل الله من مهام الرسول ﷺ الإنذار والتحذير. قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[١] . والداعية حريص على قومه. قال تعالى في وصف رسولنا ﷺ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

قال الشيخ السعدي: "يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم، أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم"[٣].

والنبي ﷺ كان دائماً يحذر أمته من الأخطار، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[٤].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الصلة بين السلوك والإيمان:

يظهر هذا من سياق الحديث إذ لا يكتمل إيمان المسلم إلا بترك هذه السلوكيات السلبية. قال ابن حجر: (أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، وخلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه مقارنا للوعد)[١].

قال ابن رجب: وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، وقال الحسن: من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج.

وقال طائفة من السلف: خشوع النفاق أن تري الجسد خاشعا، والقلب ليس بخاشع. وقالوا لعمر رضي الله عنه: كيف يكون المنافق عليماً؟ قال: يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور أو قال: المنكر.

وسئل حذيفة رضي الله عنه عن المنافق، قال: (الذي يصف الإيمان ولا يعمل به)[٢].

قال ابن القيم: (جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[٣].

وقال القرضاوي: (إن الدين لا يقف عند حد الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتمجيدها إنه هو الذي يرسى قواعدها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يغري بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزية مثوبة وعقوبة على كلا السلوكيين نصب العين. إن الدين هو المصدر الفذ المعصوم، الذي يُعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٢/١

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٩٠/٢.

(٣) الفوائد ٨٤، ٨٥.

بمثل أعلى يرنو إليه، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد، ويكفكف من طغيان غرائزه، وسيطرة عاداته، ويخضعها لأهدافه ومثله، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق)[١].

(١) الإيمان والحياة ١٧٤، ١٧٥.

الحديث رقم (٦٩١)

٦٩١- وعن جابر ﷺ، قَالَ: قَالَ لي النبيُّ ﷺ: ((لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا)) فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أمَرَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لي حَثْيَةً فَعَدَدْتُهَا، فَإذَا هِيَ خَمْسُمِئَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البحرين: ساحل الخليج العربي بين عُمَان جنوباً حتى الكويت والبصرة شمالاً[٢].

قُبِض: توفي[٣].

عِدَة: وعده ومنّاه بشيء[٤].

فحثى لي حثية: أعطاه غرفة بيده[٥].

الشرح الأدبي

قول جابر ﷺ (قَالَ لي النبيُّ ﷺ) يشير إلى الاختصاص المفهوم من تقديم الجار، والمجرور وقول الرسول ﷺ (لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا) أسلوب شرط يربط عطاء الرسول ﷺ لجابر ﷺ بقدوم مال البحرين، وقوله (هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا) كناية عن تكثير العطية، فالهاء للتنبيه، والكاف

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٩٦ واللفظ له، ومسلم ٢٣١٤/٦٠.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

(٤) المعجم الوسيط في (و ع د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث و).

للتشبيه، وذا للإشارة المتجهة نحو اليد أو اليدين، وتكرارها مبالغة في كثرة ما سيعطيه، وقوله (حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ) كناية عن موته ﷺ وقوله لأبي بكر (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا) كناية عن وعد الرسول بما سيعطيه من مال البحرين عندما يأتي، والجناس في قوله (فحثى لي حثية) يقرر انفاذ أبي بكر رضي الله عنه وعد رسول الله ﷺ، والجار، والمجرور (لي) يفيد الاختصاص أي لي خاصة، وقول أبي بكر له (خُذْ مِثْلَيْهَا.) يشير إلى دقة تنفيذه لوعد رسول الله ﷺ لجابر حيث كرر لفظ (هكذا) ثلاث مرات فحثا له ثلاث حثيات.

فقه الحديث

١- قضاء الإمام من ادّعى شيئًا في بيت المال:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: لما كان النبي ﷺ أولى الناس بمكارم الأخلاق أدى أبوبكر مواعيده عنده، ولم يسأل جابرًا البينة على ما ادعاه؛ لأنه لم يدع شيئًا في ذمة النبي ﷺ وإنما ادعى شيئًا في بيت المال، وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام)[١].

وقال ابن حجر: (وفيه قبول خبر الواحد العدل من الصحابة ولو جرّ ذلك نفعًا لنفسه؛ لأن أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهدًا على صحة دعواه، ويحتمل أن يكون أبوبكر علم بذلك فقضى له بعلمه، فسيتدل به على جواز مثل ذلك للحاكم)[٢].

٢- من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع:

بوّب البخاري على هذا الحديث وحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى جنازة ليصلي عليها فقال: ((هل عليه من دين؟)) قالوا: لا. فصلّى عليه. ثم أتى بجنازة أخرى فقال: ((هل عليه دين؟)) قالوا: نعم. قال: فصلوا على صاحبكم" قال أبو قتادة: عليّ دَيْنُه يا رسول الله: فصلّى عليه" بوّب عليهما البخاري في كتاب الكفالة: باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع، وبه قال الحسن[٣]. قال ابن حجر: (يحتمل قوله:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٠/٥.

(٢) السابق ٤٧٥/٤.

(٣) الحديثان ٢٢٩٥، ٢٢٩٦.

"فليس له أن يرجع" أي عن الكفالة بل هي لازمة له، وقد استقرّ الحق في ذمته، ويحتمل أن يريد فليس له أن يرجع في التركة بالقدر الذي تكفل به. والأول أليق بمقصوده ... ووجه دخوله [أي دخول حديث الباب] في الترجمة: أن أبا بكر لما قام مقام النبي ﷺ تكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفي جميع ما عليه من دين أو عِدة، وكان ﷺ يحب الوفاء بالوعد، فنفذ أبو بكر ذلك. وقد عدّ بعض الشافعية أن من خصائصه ﷺ وجوب الوفاء بالوعد، أخذًا من هذا الحديث. ولا دلالة في سياقه على الخصوصية ولا على الوجوب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وعد النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه بالعطاء.

ثانياً: من آداب الداعية: الوفاء بالعهد وانجاز الوعد.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: وعد النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه بالعطاء:

حيث جاء في الحديث: "قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"، قال ابن حجر: "قال الإسماعيلي ليس ما قاله النبي ﷺ لجابر هبة، وإنما هي عدة على وصف، لكن لما كان وعد النبي ﷺ لا يجوز أن يخلف، نزّلوا وعده منزلة الضمان في الصحة، فرقا بينه وبين غيره من الأمة، ممن يجوز أن يفي وأن لا يفي، هذا وقد أمر الله بإنجاز الوعد"[2]. ومما لا شك فيه أن النبي ﷺ إذا وعد وعداً كان من هديه الوفاء به، وفي هذا الحديث: قُبض النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين. ومما هو معلوم أن الوفاء المطلق من صفة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عليهم. قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٤٧٤-٤٧٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦٣.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٧.

إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾[١].

ولقد حرص أبو بكر رضي الله عنه على الوفاء بوعد النبي صلى الله عليه وسلم ويتضح هذا مما جاء في الحديث. "أمر أبو بكر فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا"، وقوله: "فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة". قال النووي: (وإنما حثى له أبو بكر بيده لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيده قائمة مقام يده، وكان له ثلاث حثيات بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه إنجاز العدة)[٢].

قال ابن عثيمين: (ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى من كان له عند رسول الله عدة أو دين فليأتنا، لأنه ربما يكون الرسول اشترى من أحد شيئاً فلزمه دين، أو وعد أحداً شيئاً، وهو صلى الله عليه وسلم ليس عنده مال، ولم يبعث جابياً للمال، ولا يبقى عنده المال إلا بمقدار ما يفرقه على المسلمين، ولما جاء جابر وأخبره بعدة النبي صلى الله عليه وسلم له، أعطاه أبو بكر العدة التي وعده إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الحديث فضيلة أبي بكر رضي الله عنه)[٣].

ثانياً- من آداب الداعية: الوفاء بالعهد وانجاز الوعد:

إن الداعية لكي يكسب قلوب المدعوين، ويجعلهم يقبلون عليه، لابد وأن يحرص على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، حتى تكون له مصداقية في نفوس المدعوين، ويتضح هنا مما جاء في الحديث.. "من كان له عدة أو دين فليأتنا"، فهذا تكليف من أبي بكر لمنادي فنادى من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم عدة أو دين، فأبو بكر قام مقام النبي وتكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفي جميع ما عليه، فهذا وفاء بالوعد وتنفيذ له[٤]. ويعتبر من أهم آداب الداعية الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد،

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٢٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/٩٩٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٢/١٢٠.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[2]، وهو من سمات المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[4]، والداعية عندما يلتزم بالوفاء بالعهد وينجز الوعد، يكون صورة طيبة وقدوة صالحة للناس، ويضرب مثالاً عملياً للالتزام بآداب الإسلام، مما يجعل الناس يثقون في قوله، ويطمئنون إلى صلاحه.

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

إن من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده، ولا شك أن الوفاء بالعهد مما أمر الله به. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾[6]، وقال جلّ شأنه في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[8].

والوفاء من صفات الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[9]، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بالعهود،

---

(١) سورة النحل، آية: ٩١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٤) سورة الرعد، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٨) سورة المائدة، آية: ١.

(٩) سورة البقرة، آية: ٨٠.

فعن عقبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((أحق ما وفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتهم به الفروج))[1]. وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم))[2].

قال الراغب: (الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معاً، والغدر كذب بهما، لأن فيه مع الكذب نَقْضًا للعهد. والوفاء: يختص بالإنسان، فمن فقد فيه الوفاء فقد انسلخ من الإنسانية، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان، وصيره قِواماً لأمور الناس، فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش؛ ولأن للوفاء قيمة عظيمة ضُرب به المثل في العزة، فقالت العرب: أعز من الوفاء)[3]. وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر: إن عدم الوفاء بالعهد من الكبائر. لأن الوفاء به إلزام على سبيل الإحكام والاستيثاق، ويجب على الخلق إظهار الانقياد لله تعالى في جميع التكاليف، التي أخذوا العهد بها على أنفسهم أن يوفوا بها[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٥١، ومسلم ١٤١٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥، رقم ٢٢٧٥٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات ٤١٧/٣٧.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٩٢، ٢٩٣، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٣٦٣٩/٨.

(٤) الزواجر في اقتراف الكبائر ١٨١/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

كثيرة هي أوامر القرآن الموجبة الوفاء بالعهد والعقود، والسنة قد فصلت ذلك وبينت جوانب الإيجاب حال الوفاء، وجوانب السلب حال الغدر ونقض العهد ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

إن من القيم الأخلاقية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، ذلك لأن الوفاء من صفات المؤمنين، والخلف والغدر من صفات المنافقين، ومن أحاديث الباب التي تبين قيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف...".

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "... وإذا عاهد غدر...". وجاء التطبيق العملي لقيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: "...فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَة أو دين فليأتنا...".

ومن خلال هذه النصوص تتضح قيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد. "والمسلم إذا أبرم عقدًا فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدًا فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه، فيُعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها. والعهد لابد من الوفاء به كما أن اليمين لابد من البر بها، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان، ولا يمين في مأثم، ومن ثَمَّ فلا تعهد إلا بمعروف، فإذا وثق الإنسان عهدًا بمعروف فليصرف همته في إمضائه، ما دامت فيه عَينٌ تَطْرِف، وليعلم أن منطق الرجولة وهدى اليقين لا يتركان له مجالاً للتردد والانثناء"[1].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٤.

إن واجب المربين التربية على إنجاز الوعد ووفاء العهد وتحذير المتربين من الوعد الكاذب: "فإن اللسان سبّاق إلى الوعد، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفًا، وذلك من أمارات النفاق، وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[1]، ولما حضرت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الوفاة، قال: إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش وقد كان إليه مني شِبْه الوعد فوالله لا ألقي الله بثلث النفاق! أشهدكم أني قد زوجته ابنتي. وكان ابن مسعود لا يعد وعدًا إلا ويقول: إن شاء الله، وهو الأولى، ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلابد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق" [2].

ثانيًا- التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الفعّالة التربية بالتحذير حيث يقوم المربي بتحذير المتربي من مغبة الوقوع في ضرر أو الاتصاف بوصف ينأى المسلم بنفسه عن الاتصاف به، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالتحذير قوله ﷺ: "آية المنافق ثلاث...."، وقوله ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها..."، ففي هذين الحديثين حذر النبي ﷺ من الاتصاف بصفة من صفات المنافقين المشينة، وأبان عن شدة التحذير من خلال العدد بقوله في الحديث الأول "ثلاث" وفي الحديث الثاني "أربع" ليتنبه المسلم الكامل ويحذر من الوقوع في إحداها.

"والتحذير هو التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك، وكما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي توجيهي، فإن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل"[3].

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩، ٢٥٠.

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

تعتبر التربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية المهمة، حيث إن الموقف والحدث يكون شاخصًا دائمًا في ذاكرة المربي والمتربي على السواء، وتتجسد القيمة التربوية كأنها حاضرة شاهدة في ثنايا الحدث لا تنفك عنه، والمربي الناجح يستغل الموقف والحدث في تحقيق الأهداف التربوية المبتغاة، وتعميق القيم التربوية الأخلاقية في نفوس الناشئة، ومن أحاديث الباب التي تبرز لنا التربية بالمواقف والأحداث حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال لي النبي ﷺ لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، فلم يجيء مال البحرين، حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: مَنْ كان له عند رسول الله ﷺ عِدَة أو دين فليأتنا فأتيته وقلت له: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمس مئةٍ فقال لي: خذ مثليها".

ففي هذا الموقف والحدث الذي ساقه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما تبدي قيمة إنجاز الوعد، والوفاء بالعهد ظاهرة جلية من خلال حرص أبي بكر رضي الله عنه على الوفاء بعِدَة رسول الله ﷺ وإنجاز وعده، فإن أولى الناس بمكارم الأخلاق وأرعاهم لها هو رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"(١).



(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

٨٧- باب المحافظة على ما اعتاده من الخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾[النحل: ٩٢].

وَ(الأَنْكَاثُ): جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمَنْقُوضُ.

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الحديد: ١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: ٢٧].

الحديث رقم (٦٩٢)

٦٩٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((يَا عبْدَ الله، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

والحديث من باب (الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح وترك قيام الليل) جاء فيه نهي الرسول ﷺ لعبد الله رضي الله عنه (لا تكن) بمعنى الحث على المداومة على قيام الليل والاتصاف بصفة المتهجدين لينال منزلتهم بعد النداء الذي يشعره بالتكريم (يا عبد الله)، ويكفيه شرفا أن يجري اسمه على لسان رسول الله ﷺ، وحث الرسول ﷺ بهذا الأسلوب يوحي للمخاطب بأنه على الصواب الذي لا يجب تركه كحال غيره مما يعطيه شعورا بالارتياح يدفعه إلى مزيد من التمسك بصفة قيام الليل التي أوجبت له ذلك وترك الغفلة، والكسل الذي أوجب لغيره هذه الحال فلا يكون مثله، وقوله (مثل

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩/١٨٥، وتقدم برقم ١٥٤. وسيكرره المؤلف برقم ١١٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ٩٤٣.

فلان) كناية عن هذا العبد المقصر، وفائدة الكناية هي الستر بإبهامه، وعدم ذكر اسمه صراحة، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصا معينا وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمر من الصنيع المذكور.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-فضل قيام الليل: اتفق الفقهاء على أن صلاة النافلة بالليل أفضل من مطلق النافلة في غيره[1].

٢-ذكر الشخص بما فيه من عيب: قال ابن حجر: (قال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه)[2].

٣-المداومة على الطاعات: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للمرء الدوام على ما اعتاده من الخير، من غير تفريط، وكراهة قطع العبادة، وإن لم تكن واجبة[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) الجوهرة النيرة ٢٨٥/١، وحاشية الصاوي ١٧٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٢٢٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١٢/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٣.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٤٣١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١٦/٢، ١١٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٣.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النفس البشرية تميل إلى الحرية وترفض التكاليف في كثير من الأحيان، ولهذا ورد الحديث الشريف: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"، والإنسان يعيش فترة من الزمن تتقاذفه الأمواج، وتدفعه الريح إلى اليمين مرة وإلى اليسار مرة أخرى - إلا من رحم ربي - وفي كل يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي.

أولاً- التربية على المداومة على الخير:

إن من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية التربية على المداومة على الخير واستدامته، لأن ذلك يؤصل في نفس المتربي فعل الخيرات دائمًا، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يؤكد هذا المعنى فيروي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ويقول: قال لي رسول الله ﷺ: "ياعبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، فالنبي ﷺ يرشد ويربي الصحابي الجليل على المواظبة والمداومة على أفعال العبادة والطاعة.

"ويجدر بالمؤمن الذي يقدر قيمة الوقت وأهميته أن يغمره بفعل الخير ما استطاع إليه سبيلاً، ولكن لا يكفي أن ينهض إلى الخير في تثاقل وتكاسل، أو يؤدي بعضه ويؤجل بعضه، أو يؤخره كله من يوم إلى آخر عجزًا أو كسلاً، وقد قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل ... إلى غد إن يوم العاجزين غد

وينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يُبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته"(1).

---

(1) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ١٦-١٨.

إن المنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة بحثه على فعل الخير باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل.

"وغاية المنهج الإسلامي هو تكوين الإنسان المسلم الحق من خلال إيداع طبيعته الإنسانية كل ذخائر الإسلام وبذور الخير، فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل ومدتها محدودة قليلة والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية، فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية أن يبادر إلى الأعمال الصالحة ويداوم عليها [1].

ثانيًا: التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية من خلال التوجيه المباشر للمتربي، وحديث الباب الذي معنا يدلل على ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: ياعبدالله..." ففي هذا الحديث جاء التوجيه المباشر من الرسول ﷺ بالحرص على المداومة على قيام الليل وعدم تركه.

"والتربية بالتوجيه المباشر من أساليب التربية التي تعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى الشخص المستهدف بالتربية مباشرة بصيغة الأمر أو بصيغة النهي"[2].

ثالثًا- التربية العبادية:

إن من جوانب التربية الإسلامية التربية العبادية وتتمثل في حديث الباب في قيام الليل، وهذا ما يتضح من قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ياعبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، ففي هذا توجيه للمداومة على قيام الليل.

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤.

"ومن الأمور التي حث الشرع عليها قيام الليل، ويقصد به صلاة النافلة وقت منام الخلق وخاصة في الهزيع الأخير من الليل، ويقال له التهجد، وما أكثر الفوائد التي يجنيها الفرد من قيام الليل لتربية ذاته وصلاح حاله، وفي قيام الليل يحقق الإنسان الإخلاص الذي هو أحد شرطي قبول العمل، وفي قيام الليل يربي الإنسان نفسه على تحقيق الشرط الثاني من شرطي قبول العمل وهو المتابعة حيث ثبت أن نبينا محمدًا ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، ويعتبر قيام الليل مدرسة عظيمة تعلم تلاوة القرآن بخشوع وتدبر، وهي تربي في الفرد المداومة على ذكر الله والإخلاص في عبادته وتشد القلب إلى خالقه"[1].

ولا شك أن تربية النشء على قيام الليل يربطه بالله عز وجل ويشده إليه سبحانه، وواجب المشتغلين بالتربية تعميق معنى الصلة بالله عزَّ وجلَّ من خلال التربية العبادية بقيام الليل.

"والإنسان بطبعه ضعيف في حاجة إلى القوة المعينة واليد الحانية، فإذا أحس بأنه وحيد في ضيقه ومحنته وَهَى وتخاذل فلا يصبر على متاعب ولا يقوي على كفاح أو تحمل، وإذا أحس بأن الله معه، يأخذ بيده، إذا كبا ويسدده إذا زل ويمده إذا احتاج، ويجيبه إذا سأل، ويعينه إذا ضعف، وينصره إذا جاهد، آمن بأنه موصول بقوة الله التي لا تُغْلب، مُعَان بمدد الله الذي لا ينفد، فإذا هو قَويٌّ على نفسه، قوي على متاعبه، قوي على شهواته وأعدائه"[2].



(١) انظر: التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ٩٣-٩٥.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١٠٥.

٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

الحديث رقم (٦٩٣)

٦٩٣- عن عدي بن حاتم ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

الشرح الأدبي

الأمر (اتقوا النار) أمر تحذير، وترهيب وفي اتصاله بواو الجماعة عموم لجميع المخاطبين بالحكم يجعلهم في قلب الإنذار، ويجعل الجميع تحت مظلة المُنذَرين وهو مما يرفع درجة التنبيه، والتشويق، والاستشراف؛ وتعلق الأمر بالنار أكَّد الإحساس بالخطر، وزاد الشعور بالرهبة المنبعثة من لفظ (النار) التي تستصحب إحراقها، ولظاها، دون إنارتها، ودفئها لوقوعها مفعولاً للفعل (اتقوا) وهو علم على التحذير، والترهيب، ، وهو بذلك يغرس في وجدانهم الشعور بالخوف الذي يقف سدا منيعا بينهم، وبين ما يغضب الله، كما يدفعهم للتحرك ضد الاتجاه المؤدي إلى النار، وهو عمل الصالحات، وقد فتح لهم النبي ﷺ الباب بعبقرية لا تترك لمتعلل بقلة ذات اليد حجة (ولو بشق تمرة) أي ولو كان المتصدق به شق تمرة، والتعبير بالشق مبالغة في القدر المتصدق به الذي يمنع النار، لأن أقل ما يطعم الإنسان التمرة فلو تصدق بنصفها لأدت الغرض ومنعته النار ما دام مخلصا فيها، والمفارقة العجيبة التي أثارها الافتراض الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٦٣، ومسلم ١٠١٦/٦٨، وتقدم برقم ١٣٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٧٤.

جاء في ثوب الشرط بين هول عظيم مصدره أعظم نار، وبين شيء بسيط قدَّمه الإنسان فحجبه، ومنعه عن هذه النار، وقوله (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) أسلوب شرط يضع احتمالا بعيدا لا يترك لمتعلل حجة بضيق ذات اليد فلابد أن يجد كلمة طيبة يتقي بها النار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٩).

الحديث رقم (٦٩٤)

٦٩٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وَهُوَ بعض حديث تقدم بطوله.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول النبي ﷺ (وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) الواو عاطفة على كلام سابق، والعبارة تربّت على قلوب الفقراء، والمساكين الذين لا يملكون ما يتصدقون، كما تفتح باب صدقة لا يغلق للجميع؛ لأن الغني لا يستطيع أن يبذل ماله طول الليل، والنهار، لكنه، ومعه الفقراء يستطيع أن يبذل الصدقة بالكلمة الطيبة على مدار الساعة سلاما على هؤلاء، وردا على سلام هؤلاء، وإصلاح بين هؤلاء، ودعوة صالحة لمكروب صدقة وابتسامة مع كلمة تشجيع لكادح صدقة، وكلمة حنونة للوالدين صدقة، وكلمة رقيقة لزوجة صدقة، ونصيحة لولد، أو صديق، أو جار صدقة، أو ذكر لله بأي شكل صدقة، وغيرها، وغيرها خير فتحته عبارة الرسول ﷺ لا حدود لها فالكلمة اسم جنس خصصه بالصفة (طيبة)، وأطلقها باب خير لا يغلق لا كلفة فيه، ولا عناء، ألا يجدر بك، وبكل عاقل أن تتخذ من هذا العمل الخالي من الكلفة بابا لكسب الحسنات يكون قريتك لربك.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩/٥٦ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٢٢).

الحديث رقم (٦٩٥)

٦٩٥- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلِيقٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[2].

المعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس[3].

طَلْق: مستبشر[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ أسلوب النهي (لا تحقرن) وهو نهي توجيه، وإرشاد، أي لا تستقل عمل الخير مهما صغر في عينيك، وتوكيد الفعل بالنون يصعِّد الإحساس بأهميته، والتعبير بالمعروف يوحي بمعاني العطاء، والصلة، والبر، وغيرها من أعمال الخير مهما تفاوتت قلة، وكثرة ؛لأنه علم عليها، وتنكير كلمة (شيئاً) يشير إلى التعميم ليشمل ما قل، وما كثر، ثم قدم صورة مبسطة لعمل من أعمال البر في ثوب الشرط محذوف الفعل (وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) وتقديره - والله أعلم - ولو كان المعروف أن تلقى...) والتعبير بلفظ الأخوة للتذكير بحقوق تلك الرابط من رعاية، وعناية، وإعانة، وما أجمل

---

(١) برقم ١٤٤/٢٦٢٦، وتقدم برقم ١٢١، وسيكرره المؤلف برقم ٨٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٧.

(٢) الوسيط في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ف).

(٤) المرجع السابق في (ط ل ق).

التعبير بكلمة طلق للدلالة على انبساط أسارير الوجه، والتبسم، والإقبال، ولا ننسى دلالة الباء المتصلة بالوجه، والتي تنادي بملازمة الطلاقة للوجه في كل مرة يلقي الأخ أخاه فيستجد معروفاً يتقرب به إلى الله، ويملأ قلبهما محبة، والعبارة كلها (أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) كناية عن البشر، والحفاوة، وحسن الاستقبال.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حرص الإسلام على تقوية الروابط بين المسلمين مبدأ أصيل، وليست تقوية الروابط قاصرة على البعد المادي، بل هناك عوامل أدبية تبلغ حداً في الكثرة تدفع إلى تقوية الروابط الاجتماعية منها: إلقاء السلام ورده، زيارة المرضى وعيادة الجرحى، الابتسامة في وجه الآخر، المشاركة في الأفراح والأتراح، إلقاء الكلمة الطيبة إلى الآخرين.

كما كان رسول الله ﷺ يسمع سيئ الكلام من خصومه، فيرد عليهم بما ينبئ عن حسن خلقه، بل كان يكني خصومه ويلعب أعدائه بما يشعر بالمدح للحد من غلوائهم وائتلافا لقلوبهم.

إن الإنسان ليعجز عن إعطاء كل إنسان صدقة مادية، ولكنه لا يعجز عن إلقاء الكلام الطيب وإظهار الابتسامة.

إن إعطاء المال قد يصادم هوى النفس، وأما الابتسامة فهي محببة لقلب صاحبه وقلب المتلقي في نفس الوقت.

والإسلام راعى الفطرة حين رتب على هذا الأمر أجراً جزيلاً، وجعل الكلمة الطيبة من دوافع النار عن الإنسان في الآخرة كما جعلها من المعروف، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية النافعة التربية بالترغيب والترهيب، حيث إن النفس الإنسانية تتقلب ما بين الرغبة والرهبة، والرجاء والخوف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: "اتقوا النار ولو بشق تمرة..." ففي هذا الحديث ترهيب من النار، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "والكلمة الطيبة صدقة..."، وفيه الترغيب في الكلمة الطيبة باعتبارها صدقة يثاب عليها المرء.

"وفي تنوع الأسلوب مابين الترغيب والترهيب مدعاة للاستجابة، ومناسب للفطرة واختلاف الفطَر، ثم اختلاف عوامل البيئة وعوامل الوراثة مما يؤكد على أن أسلوب

الترغيب والترهيب من أساليب التربية ليكون لكل حالة ما يناسبها فلا يضعف الترهيب ثقة المتعلم بنفسه فيصرفه عن التعليم أو يطمع الترغيب المتعلم فيهمل، إنه ترغيب في حال لا تصلح إلا به، وترهيب في حال لا تتم المعرفة بدونه"(١).

والإنسان مفطور على حب الخير وكره الشر، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي.

"إن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، و الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف فيمتنع عما نهى عنه، والعمل بما أمر به مما يجعل للترغيب والترهيب أثراً في سلوكه، ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترغيب والترهيب أثر تربوي، والترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية"(٢).

ثانيًا- التربية على طيب الكلام وطلاقة الوجه:

إن من أهداف التربية الأخلاقية التربية على طيب الكلام وطلاقة الوجه لما يتركه ذلك من توطيد العلاقات بين الأفراد والجماعة، ويشيع جوًا من السرور والبشر بين الناس، وقد أورد الإمام النووي في أحاديث الباب ما يؤكد هذا المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة"، وقوله ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة"، وقوله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق".

وواجب المشتغلين بالتربية الاهتمام بتعويد المتربين على طيب الكلام "وطلاقة الوجه ضد العبوس، وتعني الانبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات، كما أن طلاقة الوجه من وسائل كسب المحامد، كما قال القائل:

---

(١) التربية الإسلامية "دراسة مقارنة"، د. محمد أحمد جاد صبح، ١٠/١٥٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٤، ٣٩٥.

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق[1].

إن طيب الكلام وطلاقة الوجه سبب رئيس في إشاعة الحب، وقطع دابر التنازع والتخاصم.

"فالكلام الحسن مصدر عظيم للنجاح، وسبب في تكوين مجتمع راقٍ، لهذا عُني به المربون والمصلحون، ودعوا إلى حسن مخاطبة الغير ومراعاة اللهجة اللينة، فاختيار الكلام الحسن يجعل الإنسان محبوبًا في بيئته وسببًا للترقي في مجال عمله، وللحصول على أصدقاء كثيرين يقدمون له كثيرًا من المعونة في مجالات هذه الحياة، والقول الحسن والمعاملة الكريمة من الضروريات عند الأنبياء وقادة الأمم لتجتمع القلوب حولهم فيكونوا مسموعي الكلمة في قومهم. وهذا الأدب في معاشرة الناس إنما لإقرار المودة فيما بينهم، وهو فيما نرى لا غنى عنه لكل جماعة تبتغي السلام والسعادة في هذه الحياة"[2].

ولا شك أن صاحب الوجه البشوش المنبسط ينشر النور، ويترك الخير في كل مكان يرتاده فالبشْر علامة كاشفة وواضحة يدل ظاهرها على مخبر الشخص، "ومن أهم سمات البشاشة وانعكاساتها على الجوارح بسط الوجه وطلاقته، وهي سمة تظهر على المحيا فتوحي بالرضا والحبور، وتبعث في نفوس الآخرين الاطمئنان والراحة فيقبلون نحوه بصدور منشرحة، وقلوب تنبض بالحب والمودة، ولبسط الوجه آثار نفسية رائعة تقرب النفوس بعضها من بعض، وتبعث على التآلف، وتثير كوامن الخير وتُمتِّن الروابط بين الأخلاء والمتحابين والأصدقاء.

والرسول ﷺ يدعو إلى البشاشة المتمثلة في بسط الوجه، ويحث الناس على البشر، فإن كانوا معدمين لا تملك أيديهم ما يتصدقون به فإن أيسر شيء يتصدقون به هو بسط الوجه، وهو عمل لا يكلف صاحبه غاليًا، بل هو من قبيل الرخيص الغالي، لا

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٢٢، ٢٢٣.

ينقص من المال، ولا يكلف بما هو فوق الطاقة، وهو غالٍ لأنه يحبب الناس فيهم، ولا ينقص من قدرهم، فإن بسطوا وجوههم للناس فكأنهم أعطوهم، وإن كان منعٌ وتتطيبٌ أو ردٌ وإحجام فهذا ما يبعث البغض والحقد والضغينة في النفوس وهو ما تأباه الأخلاق"[(١)].

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد إلى المتربي مباشرة، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالتوجيه المباشر حديث أبي ذر رضي الله عنه: "قال لي رسول الله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"، حيث وجّه النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه توجيهًا مباشرًا بألا يحتقر أي عمل ولو صغيرًا من أعمال المعروف، ولو أن يلقى أخاه المسلم ببشاشة ووجه طليق، "ويعتمد أسلوب التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا من خلال إلقاء الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[(٢)].

أو بصيغة النهي كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴾[(٣)].

وفي كلتا الحالتين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصيغة جلية واضحة على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي"[(٤)].

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١١/٤٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤، ١٥٥.

رابعًا- التربية الاجتماعية:

وهذا واضح في أحاديث الباب، وذلك على النحو التالي:

أ-التصدق ولو بالقليل كنصف تمرة، وفي ذلك سد لحاجات المحتاجين في المجتمع وقيام بمتطلباتهم المعيشية والحياتية.

ب-الكلمة الطيبة، وما لها من أثر فعّال في نشر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع ونزع لما في الصدور من إحنٍ ومشاعر سلبية وعدائية.

ج-التبسم وطلاقة الوجه عند اللقاء، وما لذلك من نشر التفاؤل والإيجابية والإقبال على العمل والاجتهاد فيه والاهتمام والتعلق بالأخبار السارة وعدم الالتفات إلى الأخبار والأفعال غير السارة أو على الأقل عدم إعطائها أكبر من حجمها.

خامسًا- التربية على تعدد طرق الخير:

وهذا واضح وضوحًا جليًا من أحاديث الباب أيضًا، فإذا كان الإنسان يملك ما يتصدق به تصدق ولو بالقليل، فإن لم يجد هذا القليل فإنه يستطيع أن يكون من فاعلي الخير والمتصفين به عن طريق الكلمة الطيبة التي تنفع ولا تضر والتي تبني ولا تهدم، فإن عجز عن ذلك - وهذا على فرض أسوأ الاحتمالات- فإن باب الخير ما زال مفتوحًا أمامه، وذلك بأن يبتسم عند لقاء أخيه ويبش في وجهه، ولا يلقاه بوجه عبوس يحزن أخاه أو ينفره أو يضايقه.

والخلاصة أن طرق الخير كثيرة ومتعددة إذا عجز الإنسان عن باب، فما زال أمامه أبواب مفتوحة على مصراعيها، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة والكبار.



٨٩- باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لَمْ يفهم إلا بذلك

الحديث رقم (٦٩٦)

٦٩٦- عن أنسٍ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاَثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثاً. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إعادة كلامه ﷺ ثلاثاً من علمه بأحوال الناس، ورعاية لحال من تأخر فهمه، أو اختلفت لهجته، والتكرار هنا من رعاية الكلام لمقتضى الحال الذي هو من البلاغة عينها، وقد صاغ الراوي المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة ومع ذلك فقد أكّده بإن، ثم ضمير الشأن المتصل به، لغرض تفخيم الشأن بذكره مبهماً، ثم مفسراً، وهو إحساس منه بعظمة الرسول ﷺ وهيبته، وإجلاله في نفوسه، وكذا حال الصحابة جميعاً توقيراً للرسول ﷺ والفعل (كان) يدخل بالمخاطبين بوابة الماضي، لينقل منه ضوعة من عبق الحبيب، وأسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء يربط الكلام بالإعادة ثلاثاً، كلما استجد كلام استجدت إعادة علامة على أنها صارت عادة في كلامه ﷺ واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وصياغة فعل الشرط، وجزائه في صورة الماضي يؤكد هذا التحقق، وقوله (حتى تفهم عنه) تقرير للغاية التي يسعى إليها، فقد كان همُّه التبليغ، وحرصه على كل فرد من أفراد أمته؛ لذلك كان ﷺ كما وصفه هند بن هالة ﷺ (متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكت يفتتح

---

(١) برقم ٩٥. وسيكرره المؤلف برقم ٨٥٣.

الكلام، ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول، ولا تقصير[١] وقد أحسن الجاحظ في وصف كلامه ﷺ بأنه الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد، ويسر بالتوفيق...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ[٢].

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تكرير الكلام: يستحب للمتكلم بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب، وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك[٣].

٢-السلام على الجماعة:

قال النووي: (إذا دخل على جماعة قليلة يعمهم سلام واحد، اقتصر على سلام واحد على جميعهم، وما زاد من تخصيص بعضهم فهو أدب، ويكفي أن يرد منهم واحد، فمن زاد فهو أدب، قال: فإن كانوا جمعًا لا ينتشر فيهم السلام الواحد كالجامع والمجالس الواسعة، فسنة السلام أن يبدأ به الداخل أول دخول إذا وصل القوم، ويكون مؤديًا سنة السلام في حق كل من سمعه، ويدخل في فرض كفاية الرد كل من سمعه، فإن أراد الجلوس فيهم سقط عنه سنة السلام على الباقين الذين لم يسمعوه، وإن أراد أن يتجاوزهم ويجلس فيمن لم يسمعوا سلامه المتقدم فوجهان أحدهما: أن سنة السلام حصلت بسلامه على أولهم لأنهم جمع واحد، فعلى هذا إن

(١) شعب الإيمان، البيهقي ١٥٤/٢، حديث (١٤٣٠).

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ ٢٢١/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٧/١١.

أعاد السلام عليهم كان أدبًا. وعلى هذا يسقط متى رد عليه واحد من أهل المسجد، وإن لم يسمعه سقط الحرج عن جميع من فيه، والثاني: أنها باقية لم تحصل لأنهم لم يسمعوه، فعلى هذا لا يسقط فرض الرد عن الأولين برد واحد ممن لم يسمع، ولعل هذا الثاني أصح.

وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" وهذا الحديث محمول على ما إذا كان الجمع كثيرًا، وقيل محمول على السلام مع الاستئذان[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من مهام الداعية: إعادة الكلام والتأني فيه من أجل إفهام السامع.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التسليم والاستئذان ثلاثاً.

خامساً: من آداب المدعو: إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

استعمل الراوي رضي الله عنه هذا الأسلوب في الحديث مخبراً عن صفة كلام وسلام النبي صلى الله عليه وسلم، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وإيصال ما يريد إلى أذهانهم.

ثانياً- من مهام الداعية: إعادة الكلام والتأني فيه من أجل إفهام السامع:

إن إعادة الكلام ووضوحه قدر الإمكان من أهم ركائز بلوغ الدعوة وبيانها لدى المدعوين، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في إعادة النبي صلى الله عليه وسلم لما يقول ثلاثاً، فضلاً

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/ ٣٢٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٩٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٩٧).

عن كون كلامه فصلاً يفهمه كل من يسمعه، وقد بين ابن علان: (أن إعادة النبي ﷺ لما يقول ثلاثاً إذا كان المقام يقتضي الإعادة والتكرار، إما لمزيد الاعتناء بمدلول ذلك، أو لكثرة المخاطبين، أو لغير ذلك)(١). والمعنى كما قال ابن عثيمين: (إنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بيِّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئاً في شيء ويكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلاً بيناً واضحاً، حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة)(٢). (فالعجلة في الحديث مظنة عدم فهم الكلام على وجهه من لدن المستمع، ولذا كان كلام النبي ﷺ لا عجلة فيه يفهمه من جلس إليه)(٣).

وفي بيان ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ النبيَّ ﷺ كان يُحدِّثُ حديثاً لو عَدَّهُ العادُّ لأحصاه))(٤) (أي لو عد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه، لأطاق ذلك وبلغ آخرها والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم)(٥)، وقالت رضي الله عنها: ((...إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكن يَسرُدُ الحديثَ كسَرْدِكم))(٦) (أي: يكثره ويتابعه)(٧)، وقال ابن حجر: (أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض، لئلا يلتبس على المستمع)(٨)، وفي ذلك بيان على أهمية التأني في الكلام، وعدم الإسراع فيه، بل وإعادته إن اقتضى المقام ذلك، وفي ذلك بيان على أن التمهل بالكلام أثناء الحديث من أهم مهام الداعية حتى يفهم الناس منه، ويعقلوا عنه؛ وهذا ما كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه تعليماً للدعاة، وإرشاداً

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٩٧/٢.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٦٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٦٦٩/٦.

(٦) أخرجه البخاري ٣٥٦٨، ومسلم ٢٤٩٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٠٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٩/٦.

لمن يتصدون لتعليم الناس... (ولكن هناك فرق كبير بين تحدث رسول الله ﷺ وبين تحدث الداعية، والفرق ملحوظ في أمرين مهمين:

١- الرسول صلوات الله وسلامه عليه أوتي جوامع الكلم، وأكثر أحاديثه كلمات معدودات، والداعية مهما كان بليغاً على خلاف ذلك تماماً.

٢- النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل كل أقواله وأحاديثه تشريع لأمة الإسلام، والداعية مهما كان حكيماً ليس كذلك، وإذا كان هذا هو الفرق فبود الداعية أن يطنب في كلامه، وأن يتعجل في حديثه، ولا سيما في المواقف التي فيها تفاعل وإطناب - والإطناب كما عرفه علماء البلاغة: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة كالتكرار لداع، والإيضاح بعد الإجمال- كالحث على الجهاد، أو التحدث في مناسبات الشدائد والأزمات... ولكن على الداعية أن لا يسرع كثيراً في خطبته أو حديثه... حتى لا يأكل الكلام بعضه بعضاً، وحتى لا تختلط على المستمتعين الحقائق والأفهام)[1].

ثالثاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول الراوي: إنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وأيضاً من قول عائشة رضي الله عنها "كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه" وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2] وقال ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[3] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة، وفي ذلك يكون من الواجب على الداعية أن يراعي البيان والإيضاح في دعوته للمدعوين)[4].

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ٣٤-٣٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦-٢٧.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التسليم والاستئذان ثلاثا:

(التسليم دعاءٌ بالسلامة من الشرور والآثام، وهي من أفضل ما يرام)[١]، (أما الاستئذان: هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[٢]، وقد ورد أهمية التسليم والاستئذان ثلاثاً في الحديث من قول أنس رضي الله عنه "...، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" قال ابن حجر نقلاً عن الإسماعيلي: (إن السلام إنما يشرع تكراره إذا اقترن بالاستئذان، والتعقب عليه، وأن السلام وحده قد يشرع تكراره إذا كان الجمع كثيراً، ولم يسمع بعضهم وقصد الاستيعاب، وبهذا جزم النووي ....، وكذا لو سلم وظن أنه لم يسمع، فتسن الإعادة، فيعيد مرة ثانية وثالثة ولا يزيد على الثالثة)[٣]. وهذا ما أكده ابن عثيمين في قوله: (وكان ﷺ إذا سلم على قوم "سلم عليهم ثلاثاً" معناه: أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث؛ يسلم مرة فإذا لم يُجب سلم الثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، فإذا لم يجب تركه، وكذلك في الاستئذان، كان ﷺ يستأذن ثلاثاً يعني: إذا جاء للإنسان يستأذن في الدخول على بيته، يدق الباب ثلاث مرات فإذا لم يجب انصرف، فهذه سنته ﷺ أن يكرر الأمور ثلاثاً ثم ينتهي)[٤]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٥] قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثاً)[٦] كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((الاسْتِئْذَانُ ثَلاثًا فَإِنْ أُذِنَ لَك وَإِلا فَارْجِعْ))[٧].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام، ٢٣٨.
(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٥/١١.
(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩/١١.
(٤) شرح رياض الصالحين ٩٩٧/٢.
(٥) سورة النور، آية: ٢٧.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.
(٧) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

خامساً- من آداب الدعوة: إفشاء السلام:

(لقد حرص النبي ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام كافة، حتى تتوثق عرى الأخوة، وتتوطد أركان الأمة الإسلامية، فعلاقة المسلم مع أخيه المسلم تعني تدعيم أواصر بنيان الأمة)(١)، ومن أجل ذلك حرص النبي ﷺ على إفشاء السلام بين الناس، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: "...، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً"، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على أهمية السلام وإفشائه بين الناس فقال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فِي طُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعاً فَلَمْ تَزَلِ الْخَلْقُ تَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ))(٣). وقد رغب النبي ﷺ في إفشاء السلام بأن جعل بذله سبباً في دخول الجنة فقال: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))(٤).

قال النووي: (وفيه الحث العظيم على إفشاء التآلف السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف...، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين...)(٥).

---

(١) انظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ١/ ٥٠٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٤١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

الحديث رقم (٦٩٧)

٦٩٧- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ كَلاَمُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أَبُو داود[(١)].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فَصْلاً: مفصولاً بين أجزائه وواضحاً[(٢)].

الشرح الأدبي

من المعلوم أن الله جمع لرسوله أسباب البيان، وطلاقة اللسان، وقوة الجنان، ثم أوحى إليه التكاليف، والأحكام في القرآن، وجعل سنته تفصيلاً له، وبياناً، وأمره بتبليغ كل ذلك للناس جميعاً على اختلاف أجناسهم، ولغاتهم، واختلافهم في درجات الفهم، والاستيعاب، مع علم الرسول ﷺ بأنه يخاطب في جيله كل أجيال الأمة، ومع إدراكه لتطور الزمان، واختلاف المكان؛ لذلك كان كلامه ﷺ كما وصفته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كلاماً فصلاً) أي فاصلا بين الحق، والباطل، وقد آثرت التعبير بـ (فصل) على (فاصل) ؛ لأنه أبلغ، أو على معنى أنه مفصول عن الباطل، أو مصون عنه فليس في كلامه باطل أصلاً، أو أنه مختص، أو متميز في الدلالة على معناه، وحاصله أنه بيِّنُ المعنى لا يلتبس على أحد بل (يفهمه كل من سمعه) من العرب، وغيرهم لظهوره تفاصيل حروفه، وكلماته، واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام، وتبيينه،

---

(١) برقم ٤٨٣٩، واخرجه الترمذي ٣٦٣٩ وقال: حسنٌ صحيحٌ. وقال العراقي في تخريج الإحياء ٢٣٩١: إسناده حسن.

تنبيه: حديث عائشة أصله في الصحيحين بلفظ: (إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم) ذكره البخاري برقم ٣٥٦٨ معلقاً، ومسلم ٢٤٩٣/١٦٠ موصولا.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٢.

وقولها رضي الله عنها (يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ) هذه خصيصة في البيان النبوي؛ لأن الله اختصه بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره[1]. فكان يخاطب كل قبيلة بلغتها، ويراعي تفاوت الأفهام فيما بينهم لإحاطته ببواطن من يخاطبهم فيقع كلامه من سمع كل سامع، وقلبه في المكان اللائق به.

المضامين الدعوية[2]

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١١/٥٢٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن إيضاح الكلمة عند الإلقاء وتكرارها من أجل الاستماع والاستيعاب من القيم الإسلامية، إن سماع الإنسان لنصف الكلمة أو نصف الكلام لعدم الإيضاح من المتحدث مؤلم نفسياً، حيث يظل في حيرة من أمره، ماذا قيل له؟ وإذا كانت الكلمة غامضة حار المستمع في معناها وإن لم يكمل المتكلم كلامه معلقاً المستمع قائلاً له: نكمل الموضوع بعد جعله في قلق إذا كان الموضوع متعلقاً به، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعيد الكلام ثلاث مرات لشد الانتباه من ناحية، ولدخولها إلى لقلب من ناحية ثانية، ولثباتها في العقل من ناحية ثالثة.

كما أن إرسال الكلام بهدوء يتيح فرصة للمستمع أن يستقبل بأذنه ويستوعب ما يسمعه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتكرار والتأكيد:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتكرار والتأكيد، ومما من شك في أن هذا الأسلوب يساعد على الفهم والإدراك لدى المتربي، ومما يدل على ذلك في حديثي الباب قول أنس رضي الله عنه: «أن النبيَّ ﷺ: كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادَها ثلاثًا حتَّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم عليهم، ثلاثًا»، وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كَانَ كَلَامُ رَسُولِ الله ﷺ كَلَامًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».

والكلام الواضح من خلال تكراره وتأكيده يقع في نفس المتربي موقعًا حسنًا. "والتكرار من طرق التربية، ويمكن أن تبدو أهميته للأطفال في حفظ الكلمات، وفي ذكر الأشكال، والتكرار قد يقصد به التأثير في النفس، فهناك تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، وقد استخدم الرسول ﷺ المربي هذه الطريقة في التربية الإسلامية"[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢١.

والتكرار هو إعادة الشيء مرارًا وهو من أهم الوسائل في تثبت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس.

"ولا شك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هُدِيَت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه، وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد. والتكرار وسيلة تربوية تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، ومن عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره"[1].

ثانيًا- من مهام المعلم: البيان والتوضيح:

إن من المهام الأساسية للمعلم: البيان والتوضيح ليستطيع أن يقوم بدوره في العملية التربوية من غرس القيم، وتوجيه وإرشاد المتربين، وقد أبان حديثا الباب عن هدْي النبي ﷺ في كلامه وقوله، وما اشتمل عليه من البيان والإيضاح ففي حديث أنس رضي الله عنه "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه ...". وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «**كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَامًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ**».

"ومن آداب المعلم أن يتكلم ببطء وروية ولا يسرع حتى يتمكن السامع من فهم كلامه وإدراك مرامه، ويملي على تلاميذه ما كان له داع أو مبرر من ضرورة أو أهمية أو نحو ذلك، وأن يخاطب التلاميذ على قدر عقولهم وأفهامهم"[2].

إن العملية التربوية تقوم على المعلم في المقام الأول، ومن ثَمَّ فينبغي أن يحرص المعلمون على البيان والتوضيح لما يوجهونه من آداب وتوجيهات.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٣٠٧، ٣٠٨.

"إن التدريس عملية تعتمد على الأخذ والعطاء في الحديث وعلى بلاغة المعلم في الكلام وعليه فإنه يجب أن يخلو المعلم من الحبسة الكلامية، كما أن المعلم الذي يتحدث بسرعة كبيرة لا يستطيع طلبته فهم ما يقوله، ولا يستطيعون متابعة ما يسرده من أفكار ومعاني، قال عمر بن الخطاب ﵁: شر القراءة الهذرمة. أي القراءة السريعة بحيث لا تتبين أحرف الكلمات بيانًا واضحًا، وفي المقابل فإن البطء الشديد في الحديث مدعاة للملل والسأم وانصراف الطلبة عن الدرس، لذا فإنه من البدهيات أن يكون المعلم محدثًا لبقًا، وناطقًا فصيحًا ومتكلمًا بليغًا، يتحدث بعفوية وسلاسة، كأنما يغرف من بحر، وأن يكون كلامه ذا رونق وحلاوة وعذوبة وطلاوة، وأن يتميز أسلوبه بجودة الحَبْك، وإتقان السَبْك، وأن يكون كلامه فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، فلا يسترسل فيه هذرًا، ولا يحجم عنه حصرًا"[1].



(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد صالح بن علي جان ص ٣٢.

٩٠- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه

الحديث رقم (٦٩٨)

٦٩٨- عن جرير بن عبد اللهِ ﵁، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)) ثُمَّ قَالَ: ((لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

حجة الوداع: هي الحجة التي حجَّها النبي ﷺ عام ١٠هـ قبل وفاته بعام؛ فكأنه ودَّع الناس قبل وفاته[٢].

اسْتَنْصِتِ الناس: مُرْهم بالإنصات ليسمعوا الأمور المهمة والقواعد التي سأقررها وأُحمِّلُكُموها[٣].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يقرر، ويبيِّن خطر التقاتل بين المسلمين الذي يضعفهم، ويقوي أعداءهم حيث إن الخسارة في الجانبين تكون من المسلمين، فاستخدم بعبقرية، وبراعة الظرف المكانى في البيت الحرام، والظرف الزمانى في موسم الحج حيث تتعلق القلوب بربها متجردة من دنياها مما يجعلها في قمة الاستعداد لقبول أمر الله، واجتناب نهيه، لأن المعنى الذي أراد أن يقرره ﷺ من الأهمية بمكان لذلك هيَّأ له الأسماع

---

(١) أخرجه البخاري ١٢١، ومسلم ٦٥/١١٨ ولفظهما سواء.

(٢) انظر: أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٢٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

بالأمر الموجه للصحابي (اسْتَنْصِتْ النَّاسَ) والهمزة، والسين، والتاء لمطلق الطلب أي: طلب سكوتهم، ثم وجّه نهيه لجموع الأمة الحاضرة تتناقله من جيل إلى جيل (لا ترجعوا بعدي كفاراً) وقد حملت العبارة تشويقاً، وإثارة، وترهيباً من عدة أوجه: منها طبيعة النهي التي تجعل النفس كلفة بمعرفة المنهي عنه، ثم الظرف المتوسط للجملة (بعدي) والذي يقرر غياب النبي يومئذ، وهو أمر ثقيل على نفوس الصحابة، ثم التشبيه بالكفار، وهو أمر يُفْزِع المؤمن لاسيما، وهو في لحظة يرجو فيها الخلاص من ذنوبه في الحج.

ثم وضّح سر النهي، وقرَّر موضع الخطر بعد أن أصغت الأسماع، واستشرفت النفوس إليه (يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) وهو مجاز مرسل عن القتل، أطلق الجزء (الرقاب)، وأراد الكل (جميع البدن)، وعبَّر به عنه تصويراً له بأشنع صورة، لأن ضرب الرقبة فيه إطارة الرأس الذي هو أشرف أعضاء البدن، ومجمع حواسه، وبقاء البدن ملقى على هيئة منكرة، والفعل المضارع (يضرب) يصوِّر الحدث، وكأن الرقاب تطير، والدماء تسيل، ولا شك أن تطاير الأشلاء، وتناثر الدماء من الأمور التي تتقبض لها النفس، وتنفر منها، والتنفير من الفعل هو الغرض من التصوير بالمجاز، ونسبة الفعل للفظ (بعض) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى أن الضارب، والمضروب كيان واحد بعضه من بعض، وحاصل تركيب هذه العبارة النهي عن التشبه بما لا ينبغى من أفعال الجاهلية، وأخلاق أصحابها في كل ما يؤدى بالمسلمين إلى الشقاء، والاختلاف، والصراع لا سيَّما ما يؤول بصاحبه إلى الكفر من الكبائر، - والعياذ بالله -.

فقه الحديث

لزوم الإنصات للعلماء:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه أن الإنصات للعلماء لازم للمتعلمين، لأن العلماء ورثة الأنبياء)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٢/١ ط/ الريان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حجة الوداع.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تحريم أفعال الكفار.

رابعاً: من مهام الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين وهدايتهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حجة الوداع:

قد ورد ذكر حجة الوداع في الحديث من قول الراوي: (قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع)، (وقد كانت حجة الوداع في سنة عشرة من الهجرة، ويقال لها: (حجة البلاغ) و(حجة الإسلام)، و(حجة الوداع)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وسميت حجة الإسلام؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها... وسميت حجة البلاغ، لأنه عليه الصلاة والسلام بلّغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيّنه عليه الصلاة والسلام، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه، وشرحه، أنزل اللهُ عز وجل عليه وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1][2].

(وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة، بعد أن استعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي)[3]، فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أرى الناس مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم: من الموقف، ورمي الجمار، والطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحج الوداع[4].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٤/٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٤٥/٤.

(٤) المرجع السابق ٢٥١/٤.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

قد ورد ذلك في الحديث من أمره ﷺ للراوي أن يستنصت الناس، ثم نهيه ﷺ عن الرجوع إلى الكفر في قوله: (لا ترجعوا بعدي كفاراً) والأمر والنهي من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو على فعل المدعو إليه أو اجتنابه، فضلاً عن إظهار أهمية الأمر المدعو إلى فعله أو تركه، بما في ذلك عظيم الفائدة في تحقيق الاستجابة لدى المدعوين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تحريم أفعال الكفار:

لقد ذم الإسلام ما كان من الكفار من قبيح أفعالهم وشؤم معاصيهم، وكان من ذلك تحريم دماء المسلمين، والعمل على حفظها بكل وسيلة ممكنة، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً" فقال القاضي: قال الصبري: معناه بعد فراقي من موقفي هذا، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع، أو يكون بعدي أي خلافي، أي لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به، أو يكون تحقق ﷺ أن هذا لا يكون في حياته فنهاهم عنه بعد مماته، وقال في قوله ﷺ: "يضرب بعضكم رقاب بعض"، وفي معناه سبعة أقوال: أحدها : إن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق. والثاني: أن المراد كفر النعمة وحق الإسلام. والثالث: أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه. والرابع: أنه فعل كفعل الكفار. والخامس: المراد حقيقة الكفر ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين. والسادس: حكاه الخطابي وغيره: أن المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح، يقال: تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه...، والسابع: قاله الخطابي معناه: لا يكفر بعضكم بعضاً فتستحلوا قتال بعضكم بعضاً. وأظهر الأقوال الرابع وهو اختيار القاضي عياض"[1].

وقال ابن حجر: (والمعنى: لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً)[2]، ثم ذكر ابن حجر في شرح كتاب الفتن: (أن المراد بقوله ﷺ "كفاراً":

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٦٢

ستر الحق، والكفر لغة الستر، لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه)، وقال: (إن من الأقوال التي وردت في ذلك، أن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر، لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها، فيخشى أن لا يختم له بخاتمة الإسلام، وقال الداودي: معناه: لا تفعلوا بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار، ولا تفعلوا بهم ما لا يحل وأنتم ترونه حراماً)[1].

وقال ابن عثيمين: (يعني: لا ترجعوا بعدي كفاراً حال كونكم يضرب بعضكم رقاب بعض، وفي هذا دليل على أن قتال المؤمنين بعضهم بعضاً كفر، وقد أيد هذا الحديث قوله ﷺ: ((سِبابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وَقِتالُه كُفْر))[2]، لكنه كفر لا يخرج من الملة، والدليل على أنه لا يخرج من الملة قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3])[4].

وفي عموم ما سبق يظهر نهيه ﷺ عن الاتيان بأفعال الكفر والكفار من قتل وفسوق... إلخ".

فالمسلم له حرمة يجب أن تصان بكل الوسائل والطرق ويمنع من الاعتداء عليها بشتى الوسائل الممكنة، كما أن شعار المسلمين فيما بينهم يجب أن يكون الحفاظ على هذه الحرمات وتعظيم حقها.

رابعاً- من مهام الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين وهدايتهم:

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، وهذا

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٢/١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٤٤.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٩٩/٢.

ما أشار إليه نص الحديث من استنصاته للناس في حجة الوداع، وبيان ما يحذر عليهم بقوله: "لا ترجعوا بعد كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" والنبي ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى للدعاة إلى الله، وقد كان للداعية في قيامه بالدعوة إلى الله، والحرص على هداية الناس، لعظيم الأجر وجزيل الثواب، فهو أحسن الناس قولاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، "أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين العاملين، المسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد[2]".

وقد عظّم النبي ﷺ أجر الداعية إلى الله، والمبلغ كلامه إلى غيره فقال: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا. فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ. وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[3]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر: ((انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللّهِ لأنْ يَهديَ اللّهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[4]، وقال ﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً))[5]، (ويجب أن يكون الحافز الحقيقي إلى الدعوة إلى الله وبذل النصح، فضلاً عن عظيم الأجر، هو الإيمان بالآخرة، وتمثل ما فيها من سعادة دائمة وشقاء دائم، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء، وللكفار العصاة من عقاب، فهذا هو الحافز الذي يقلق الدعاة إلى الله، ويطير نومهم ويكدر صفو عيشهم، ويجعلهم لا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطاناً على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام، واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٣/١٤/٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٤٤، وصححه الألباني، سنن ابن ماجه ١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٢١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

الفساد، ويجعلون ذلك موجباً لدعوتهم وإنذارهم لقلقهم وإشفاقهم، فيقول القرآن عن نوح عليه السلام وهو أول رسول يذكره القرآن بتفصيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ويقول عن هود عليه السلام وهو من أقدم الأنبياء عليهم السلام وقد بعث في قوم تهيأت لهم أسباب العيش، وتوسعت لهم الدنيا، وطابت لهم الحياة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ويقول عن شعيب عليه السلام وقد بعث في قوم لان لهم العيش، وانتشر في أرضهم الخصب: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[3])[4].

(١) سورة هود، الآيتان ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢ - ١٣٥.

(٣) سورة هود، آية: ٨٤.

(٤) انظر: النبوة الأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي ص ٦٥ - ٦٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم العملية التعليمية - في ضوء الهدي النبوي - على أسس عدة منها:

١/ حسن العلاقة بين المتعلم والمعلم.

٢/ تكلف المعلم في القول والفعل مع المتعلم.

٣/ اختيار الموضوع المناسب لقدرات المتعلم العقلية.

٤/ اختيار الزمان المناسب والجو النفسي المساعد على الطلب.

وهذا ما فعله الرسول ﷺ في حجة الوداع، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من ميادين التربية: الحج:

إن الحج يعتبر من ميادين التربية المهمة، حيث يجتمع الحجيج في مكان واحد، ويوجه إليهم المربي التوجيهات والمواعظ، وفي الحج تكون حرارة الإيمان مرتفعة، واستحضار التقوى عظيمًا، مما يحض المتربي على الاستجابة والقبول، وتلقي التوجيه بلهفة وشوق ورغبة في الاستزادة من الخير.

وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي، يدلل دلالة واضحة جلية على أهمية الحج كميدان من ميادين التربية، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع..."، فالراوي يذكر أن وقت إلقاء النصح والتوجيه كان في حجة رسول الله ﷺ -حجة الوداع-والمربي الناجح يستغل الحدث المناسب، والمكان المناسب الذي يسوق فيه ما يريد من أمور التربية.

"إن في الحج تربية روحية حيث يتزود المسلم بهذه التربية، فتملأ جوانحه خشية وتُقىً لله وعزمًا على طاعته، والحج تربية للجانب الفكري إذ هو توسيع لخبرة الإنسان ففيه يلتقي بثقافات متعددة ولغات متعددة لأبناء الإسلام من مختلف بقاع الأرض فيتعلم ويكتسب الخبرات المختلفة، ويكون رصيد معرفي من هذه الثقافات، والحج كذلك تربية جسدية حيث يدرب الإنسان على تحمل المشاق والمكابدة، وهو أيضًا تربية اجتماعية حيث التقاء المسلمين الذين يأتون من مختلف بقاع العالم تحت راية واحدة،

ويتعارف البعض على البعض الآخر، ويشعرون بوحدة الهدف والانتماء لمجتمع واحد هو المجتمع الإسلامي، وفي الحج تربية انفعالية نفسية إذ يتجرد فيه المسلم عن شهوات الجسد وضبط النفس والتحكم في الانفعالات خلال تعامله مع الآخرين في الحياة"[(١)].

وفي حديث الباب استغل النبي ﷺ حجة الوداع كميدان من ميادين التربية في سَوْق القيم الإسلامية، وبيان الحقائق الدينية، وتعليم الشعائر العبادية.

"وقد دلت كل القرائن على أن هذه الحجة -حجة الوداع- كانت مقصودة من الله بهذا التفصيل، وجاءت في وقتها المناسب، وكان في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة، ومصلحة راجحة، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب، وكثر المسلمون، وقوى الإيمان، وشبّ الحب، واستعدت النفوس للتعلم والاستفادة، وهفت القلوب، ورنت العيون إلى المشاهدة والمراقبة، ودنت ساعة الفراق، فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة ليحج البيت، ويلقي المسلمين ويعلمهم دينهم ومناسكهم، ويؤدي الشهادة، ويبلغ الأمانة، ويوصي الوصايا الأخيرة، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق، ويمحو آثار الجاهلية ويطمسها ويضعها تحت قدميه، فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة، وألف درس، وكانت مدرسة متنقلة، ومسجدًا سيّارًا، وثكنة جوّالة، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل وينشط فيها الكسلان، ويقوي فيها الضعيف، وكانت سحابة واحدة تغشاهم في الحل والترحال هي سحابة صحبة رسول الله ﷺ وحبه وعطفه وتربيته وإشرافه"[(٢)].

ثانيًا- من آداب المتعلم: الإنصات للمعلم:

إن من الأمور التي تحرص التربية الإسلامية على تأصيلها في نفوس المتربين آداب المتعلم، ومن هذه الآداب الإنصات للمعلم، والاستماع لما يقول وعدم رفع الصوت، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي فيه ما يدلل على هذا، وذلك في قوله ﷺ: «... استنصت الناس ...» ففي هذا الحديث طلب النبي ﷺ من راوي الحديث أن يطلب من

(١) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد محمد عطية ص ٨٨.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٧٥، ٢٧٦.

الناس الإنصات للاستماع إلى خطبته وموعظته، والإمام النووي جعل عنوان الباب: "باب إصغاء الجليس لحديث جليسه ..."، مما يدلل على أن من آداب المتعلم الإنصات لما يقول المعلم: "ومن آداب المتعلم أن يتحرى رضى المعلم، ويتأدب مع رفقته وحاضري المجلس، ويقعد قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام بلا حاجة، ولا يعبث بيده ولا غيرها، ولا يلتفت بلا حاجة، بل يُقْبل على الشيخ مصغيًا إليه، وينبغي أن يكون حريصًا على التعلم مواظبًا عليه في جميع أوقاته"(١).

وقال الغزي: "ومن أهم آداب المتعلم أن يصغى إلى الشيخ ناظرًا إليه، ويقبل بكُلّيته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله، أو فوقه، أو أمامه لغير حاجة، ولاسيما عند بحثه معه أو كلامه له فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يسارّ في مجلسه ولا يغمز أحدًا، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة، أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب بل ولا يتكلم ما لم يسأله، ولا يسأل ما لم يستأذنه أولاً"(٢).

ولا شك أنه مما ينبغي الحرص عليه توقير مجلس العلم واحترامه وعدم رفع الصوت فيه والإنصات للمعلم.

ثالثًا- التربية على سلامة الصدر ونبذ التدابر:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على سلامة الصدر ونبذ التدابر لما في ذلك من دوام الألفة والمحبة، وترابط وتكاتف المجتمع، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي، يشير إلى هذا في قول النبي ﷺ: «... لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي هذا وعيد شديد في التفاؤل بين المسلمين، واجتناب الأسباب المؤدية

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، ٨٦/١.

(٢) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين محمد بن محمد الغزي ص ١٤٦.

إلى ذلك من التقاطع والتحاسد والتباغض والتدابر والتظالم.

"إن مما يغرسه الإيمان في قلب المؤمن هو سلامته من الغلّ والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيلة أن تبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يمسي ويصبح سليم الصدر، نقيَّ الفؤاد، يدعو بما دعا به الصالحون ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والمؤمن لا يحسد لأن الحسد داء نفسي يصنع بالروح ما تصنع الأوبئة بالأجسام، والمؤمن لا يحقد لأنه عفو كريم يكظم غيظه، وهو يستطيع أن يمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن.

وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به، ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. فأين من هذه المعاني الرفيعة ما تنادي به اليوم دعوات هدامة، كل همّها زرع الأحقاد، وبث البغضاء والكراهية والعداوة بين الطوائف والطبقات، حتى يعيش الناس في تنازع وصراع دائم"[2].

ومن أسباب التنازع بين الناس فتنة المال والغنى، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءته غنائم من بلاد فارس، وكانت تقدر بالملايين نظر إليها وبكى فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله إن هذا لموطن شكر، فقال عمر: تالله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلاّ ألقي بأسهم بينهم. يعني حارب بعضهم بعضًا[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٢-١٥٥.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٥٥، ٥٦.

رابعًا: توفير المناخ المساعد على التعليم:

ورد في حديث الباب بعض جوانب التربية التي يمكن للمعلّم الاستفادة منها في فصله في أثناء عرضه لدروسه، وهي ألا يتكلم إلا إذا كان الجميع في حال إنصات له: "استنصت الناس"؛ لكي يضمن أكبر استفادة من المعلومات التي سوف يعرضها وهو ما يعرف في التربية الحديثة بتوفير مناخ يساعد على التعلم.



٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥].

الحديث رقم (٦٩٩)

٦٩٩- عن أَبي وائلٍ شقيقِ بن سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ ابنُ مَسْعُودٍ ﷺ يُذَكِّرُنا[١] في كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ، لَوَدِدْتُ أنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: أمَا إنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذلِكَ أنِّي أكْرَهُ أنْ أُمِلَّكُمْ، وَإنِّي أتَخَوَّلُكُمْ بالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"يَتَخَوَّلُنَا": يتعهدنا.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يتخولنا: يتعهدنا[٣].

السآمة: الملل أو المشقة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يكشف عن جانب نفسي في رعاية حال المخاطبين، في الموعظة فليست النفوس مهيأة في كل وقت لتقبُّلها، وهو ما أدركه الرسول ﷺ وطبَّقه في تعهد أصحابه بالموعظة بين الحين والحين كلما وجد فرصة لذلك، وهو ما يؤكده بناء عبارة الصحابي (يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) فقد عبَّر بالتخول، وهو التعهد والإصلاح

(١) لفظ البخاري: (يذكر الناس).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠ واللفظ له، ومسلم ٢٨٢١/٨٣.

(٣) رياض الصالحين ٣٠٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/١.

بالإضافة إلى صياغة الفعل في صورة المضارع التي توحي بالتجدد، والحدوث، والوزن الخاص بالفعل (التفعل) الذي يشير إلى التدرج في الأمر، ثم قوله (مخافة) والتي تؤكد حرص النبي ﷺ على سلامة صدور أصحابه ثم التعبير بلفظ (السآمة) وهي الضجر، والضيق، وهما كفيلان باستغلاق الفهم، وحجب الموعظة عن العقل مما قد يضيِّع الغرض، وهو أرحم الناس بهم، وإذا كان هذا حال الناس، والرسول ﷺ هو المتحدث، والصحابة المستمعون، وهو أحب إليهم من أنفسهم، فالناس في زماننا إلى مرعاة هذا أحوج.

فقه الحديث

استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح:

قال ابن حجر: (يستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح؛ خشية الملال وإن كانت المواظبة مطلوبة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التذكير.

ثانياً: من مهام الداعية: الحرص على موعظة الناس.

ثالثاً: من فقه الداعية: الاقتصاد في الموعظة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التذكير:

"إن التذكير كأسلوب دعوي من أهم ما يزيل الغفلة عن المدعوين، فكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح، أو صيحة زاجر، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط، وقد أمر تعالى بذلك فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2][3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قول الراوي: "كان

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٦ ط/ الريان.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) انظر: مع الله، محمد الغزالي ص ٢٠٣.

ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس".

ثانياً- من مهام الداعية: الحرص على موعظة الناس:

(إن الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير... وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحاً كشعاع الشمس، شائعاً كأمواج الهواء)[(١)]، وهذا لا يكون إلا بحرص الدعاة على تذكير وموعظة المدعوين، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه: "... وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها... إلخ".

وقال ابن حجر نقلاً عن الخطابي: (إن الخائل بالمعجمة هو القائم المتعهد للمال، يقال خال المال يخوله تخولا إذا تعهده وأصلحه)[(٢)]، (ومما لا شك فيه أن حاجة الناس إلى من يتخولهم بالموعظة والتذكير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل)[(٣)]، وقد احتفى القرآن الكريم ببيان أهمية الموعظة والحرص على ذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(٦)]، قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله (بالحكمة)، قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة (والموعظة الحسنة)، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس يذكرهم بها، ليحذروا

---

(١) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/١.

(٣) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٨.

(٥) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٦) سورة النحل، آية: ١٢٥.

بأس الله تعالى ...)[١].

وقد حرص النبي ﷺ -وهو القدوة والمثل الأعلى للدعاة- على موعظة الناس ودعوتهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى شدة حرصه ﷺ على ذلك فقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[٤]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٥].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه: "فلعلك باخع نفسك" أي: مهلك نفسك بحزنك عليهم...، وقوله تعالى: "أسفا"، أي: لا تهلك نفسك أسفاً)[٦]، (وقد استمر عليه الصلاة والسلام في أداء هذه المهمة الجليلة مشمراً عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدماً جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك، بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى)[٧].

ولا بد للداعية أن يتوخى بموعظته بلوغ هدفه بتغيير ما بنفوس الناس من فساد، فكل وعظ لا يبلغ هذا الهدف، أو لا يرمي إلى هذه الغاية، فهو جهد ضائع، وعمل باطل.

وفي بيان الطريق إلى ذلك، قال البهي الخولي: "لا يكن كل همك أيها الداعية أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦١٣/٤.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٧/٥.

(٧) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي ص ١٩.

تتظرف بالنكت اللبقة، والفكاهات البارعة، ليقول الناس إنك مجدد في الوعظ، وعند هذا تنتهي مهمتك، ولا يكن همك أن تسلي الجمهور، وتقضي معه ساعة في حديث لا يرمي إلى هدف... لا تكن كذلك الذي يقبل على الناس في حذر وخفة. فلا يمسهم إلا مساً رقيقاً كأنما يخشى عليهم أن يتكسروا، فيسوق لهم من قصص التاريخ، وحكايات السابقين وأسباب نزول آيات القرآن الكريم، ما لا صلة لبعضه ببعض، وما لا يؤلف بمجموعه موضوعاً ذا غرض معين، وهدف مقصود... لا يريد بما يسوق إلا أن يجلس الناس من حوله فيستمعوا له ثم يخرجوا، وقد أسعدهم بوقت قضاه معهم في مؤانسة، ومتعة عاطفية بريئة... هذا وعظ سلبي لا شأن لك به، ولا مقام له في رسالتنا. إن رسالتك تقتضيك أن تدخل على مشاعر جمهورك في حكمة، فتحرك وجدانهم، وتستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تأتى لك ذلك ولانت نفوسهم لقولك، فاصنع منهم ما تشاء صنعه، أبن لهم عن غرضك، وابعث بآمال قلوبهم إلى ما تحب أن يصلوا إليه، فإنهم مستجيبون لك إن شاء الله.

أيها الداعية: حذار الوعظ الجاف، الذي لا حياة فيه، وحذار الوعظ الركيك المفكك الذي لا غرض له، وحذار أن تقف موقفاً وأنت لا تنوي أن تخرج منه بصيد... أنت صياد ماهر فاطرح شبكتك، وانقل ما يخرج لك منها إلى محيط آخر، محيط دعوة الله ورسوله.

قد يكون الوعظ السلبي ضرورياً في وقت ما، ولكنه على كل حال ضار في أوقات النهضات، وإرادة التخلص من الفساد العام... فإذا استوت النهضة على أمر الله، وتخلصت الأمة من الفساد، جاء دور الوعظ السلبي الذي يحذر ويزجر، ويمنع، لا الذي يثير ويغير، وينقل... وتكون مهمة الواعظ حينئذ أشبه بالطبيب الذي يقوم على رعاية الجسم السليم بالوقاية، ويأخذ بالحكمة الطبية المعروفة: (الوقاية خير من العلاج).

أيها الداعية: هذه هي الدعوة، وهذا هو الداعية، وهكذا الفهم فافهم دعوتك به، والله يؤيدك بروح منه، ويهدينا وإياك سواء السبيل"[1].

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة ص ٣٩ - ٤٠ بتصرف يسير.

ثالثاً- من فقه الداعية: الاقتصاد في الموعظة:

(إن من فقه الداعية في التحدث، أن يكون في حديثه مقتصداً معتدلاً، حتى لا يقع الناس في الملل، ولا تعتريهم السآمة، وهذا المنهج في تبليغ الدعوة هو أوقع في نفوس السامعين، وأشوق إلى قلوبهم، وأحب إلى أسماعهم، وهذه الطريقة في الاعتدال في التحدث، والاقتصاد في الموعظة، هي طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده)[١].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه: (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)، وفي ذلك قال ابن حجر: "قال الخطابي: والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل..."[٢]، وقال ابن عثيمين: "إنه ينبغي الاقتصاد في الموعظة، فلا تكثر على الناس فتملهم، وتكرّه إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، لأن النفوس إذا ملت كلّت وتعبت، وسئمت، وكرهت الحق وإن كان حقاً، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخول الناس بالموعظة، ما يكثر عليهم لئلا يملوا ويسأموا، ويكرهوا ما يُقال من الحق"[٣].

(فالداعية إذا ابتعد عن الثرثرة اللسانية، وتجنب الحشو في الكلام والتكرار في الأفكار، وتكلم بلبّ الموضوع بلا مقدمات طويلة مملة.. جاءت موعظته مقتصدة معتدلة مقبولة لدى مستمعيه، بل يعطي - في انجذاب الناس له، واستجابتهم إليه، وتأثرهم به، واستفادتهم منه - المثل الأعلى للدعاة جميعاً في وسطية أحاديثه، واقتصاد مواعظه... اللهم إلا في بعض حالات خاصة، وجد من المصلحة أن يطنب في الحديث، ويكرّر في الكلام، ويؤكد بالشواهد، كأن يكون مثلا في بيئة عامية جاهلية، يشرف على توجيهها، ويقوم على تعليمها، فلا بأس من الإطناب والتكرار، على أن لا يطيل كثيراً، حتى لا ينفر الناس منه، ويعرضوا عنه)[٤].

---

(١) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ١٣٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٠١.

(٤) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٣٩، ١٣٧.

الحديث رقم (٧٠٠)

٧٠٠- وعن أَبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقهِهِ، فأطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الخُطْبَةَ)) رواه مسلم[1].

"مَئِنَّةٌ" بميم مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشددة، أي: علامة دالة على فقهه.

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنْسي حليف بني مخزوم كنيته: أبو اليقظان.

أحد السباقين إلى الإسلام هو وأبوه وأمه، قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر[2]. وقال عبدالله بن مسعود: أول من أظهر الإسلام سبعة فذكر منهم عماراً[3].

وعذب الثلاثة واستشهدت أمه من العذاب، فكانت أول شهيدة في الإسلام، ولما اشتد المشركون في عذابهم وأذاهم تلفظ عمار بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالإيمان، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[4] وهاجر إلى المدينة فكان أول من بنى مسجداً في الإسلام، فبنى مسجد قباء يصلي فيه النبي والمسلمون. وشارك في حمل راية الجهاد والدفاع عن الإسلام، فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

---

(١) برقم ٨٦٩/٤٧ وزاد: (وإن من البيان لسحرًا).

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٥٠ وقال الألباني: قال محققو السير ٢٤٨/١: إسناده حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢).

(٤) سورة النحل، آية: ١٠٦.

وزكّى النبي ﷺ إيمانه، وشهد لصدقه فيه، فقال: ((مُلِئَ عمار إيماناً إلى مُشاشه))(١).

ولذلك أوصى أصحابه ومن بعدهم، بأن يهتدوا بهديه، فقال: ((اقْتَدُوا بالذين مِنْ بَعْدِي أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما واهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ [عبدالله بن مسعود]))(٢).

وأثنى عليه النبي ﷺ الثناء العطر، فكان إذا استأذن عليه قال: ((ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب))(٣).

ومناقبه وفضائله كثيرة جداً.

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظلّ قابضاً على راية الجهاد، فشارك في معركة اليمامة وأصيبت أذنه.

واستعمله عمر والياً على الكوفة، وأخبر أهلها بفضله فكتب إليهم: إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بهما على نفسي.

فلما وقعت الفتنة بين المسلمين قاتل مع علي بن أبي طالب، وقد قال النبي ﷺ فيه: ((ما خُيِّر عمار بن أمرين إلا اختار أرشدهما))(٤) فشهد معه الجمل وصفين، قال أبو عبدالرحمن السلمي - أحد كبار التابعين -: رأيت عمار بن ياسر في صفين لا يأخذ ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب النبي ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم، وهو يقول: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هجر

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٧ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٠). ومُشاشه: عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين. النهاية ٨٧١ "مشش".

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٦٦).

لعلمت أنَّا على حق وأنهم على الباطل أهـ.

وظلّ يقاتل حتى قتل. قال ابن حجر: وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية. وأجمعوا على أنه قتل مع عليٍّ بصفين سنة ٣٧هـ في شهر ربيع وله ثلاث وتسعون سنة[١].

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بجملة كثيفة المؤكدات تنبىء بأهمية ما يليها مع اللفت، والتنبيه إلى عناية المتكلم بما يقول، ورغبته أن ينُزَّل في نفس المخاطب تلك المنزلة.. هذا إن لم يكن يتوقع معارضة، أو شكاً حقيقة، أو تنزيلاً، والتوكيد- مع هذا - تشويق لما بعده، وتمهيد للأمر المترتب عليه.

وقد أكَّد الجملة بأكثر من مؤكد مع أنه لم يواجه بشك، أو إنكار إشارة إلى ضرورة تقصير الخطبة؛ لأن الإطالة تورث الملل لاسيما في عصر اتسم بالسرعة، وازداد الناس فيه عجلة كعصرنا، وإضافة الصلاة للرجل في قول (صلاة الرجل) لتضمُّنها لتعظيم شأن المضاف إليه، ثم إن الطباق بين الطول، والقصر مع توضيحه للمعنى أحدث توازناً في الزمان يخرج بالمخاطبين عن حد الملل، ولذلك عقَّب بالأمر بمضاد الحالة الأولى (فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ وَاَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ) والطباق بين (أطيلوا، وأقصروا) يلح على هذا المعنى، ويقرره حتى تتم الفائدة دون تجاوز يخرج بها عن غرضها.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٢٤٦) (٦/١٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٨١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤/١٢٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٤٣، والسير (١/٤٠٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥/٣١٩)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣/٢٠٥) والأعلام، خير الدين الزركلي (٥/٣٦)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢/١٣٧٩).

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

هيئة خطبة الجمعة، وآدابها: يستحب عند الفقهاء بلا خلاف، الاقتصاد في الخطبة، وترك التطويل، وأن تكون الصلاة أطول منها، ولكن بشرط عدم التطويل بما يشق على المأمومين، فتكون قصداً، أي معتدلة، والخطبة قصداً بالنسبة إلى وضعها[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثالثاً: من فقه الداعية: طول الصلاة وقصر الخطبة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على أن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته علامة من فقهه، والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يكون بها تقوية الكلام وإثباته في أذهان المدعوين، والتأكيد على أهمية العمل وتحري إقامته.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

(الخطبة: هي مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته نحو الهدف المرجو.. فهي سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، وفي ترقيته والبلوغ به إلى القيم المحمودة والمثل العُلا، فمن ثم كانت بلاغ النبيين إلى أممهم، والقوة التي قاد بها الدعاة والمصلحون الإجتماعيون أممهم إلى الحياة المثالية الكريمة)[٢]؛ (ولما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أية أمة، إما دعوة دينية أو سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من

---

(١) بدائع الصنائع ١٩٨/٢، والقوانين الفقهية ٧٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/٢.

(٢) خطب مختارة، الرسائة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ص ٧.

أهلها لتأييدها ونشرها، وألسنة من خصومها لإدحاضها والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات، وذوي النجدات في المحافل والمنتديات، والحج والمواسم والأسواق ومواطن الزحف ومقدم الوفود ونحو ذلك، كان ظهور الإسلام وبعثة الرسول - بالأمر الجلل، والشأن الخطير، والدعوة العظمى، التي لم يعهد لها مثيل في العالم - من أهم الحوادث وأعظم البواعث التي أطلقت الألسنة من عقالها، وأثارت الخطابة من مكمنها وأغرت العقول بأحكامها، والتفنن فيها، واختلاب الألباب بسحر بيانها فوق ما كانت عليه في جاهليتها. وابتدأ طور الخطابة الإسلامي بظهور رسول الله ﷺ خطيباً غير شاعر)(١).

وأول موقف وقفه للخطابة كان يوم نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٢)، فدعا قومه على الصفا ثم قال: ((أرأيتَم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلاّ صِدقاً. قال: فإني نَذيرُ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ))(٣).

(فكان العمل الأكبر لصاحب هذه الدعوة العظمى -صلوات الله وسلامه عليه- بادئ أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة، ثم ورثها من بعده ﷺ خلفاؤه الراشدون، وهم أركان البلاغة وسادات الفصاحة)(٤).

(ولقد بلغت الخطابة على عهد الخلفاء الراشدين أوج أهميتها، ولم تعد قاصرة على وقت الجمعة، بل أصبحت تلقى كلما دعت إلى ذلك حاجة، وكان لها من الأهمية ما يجعل الخطبة البليغة تسكن فتنة، أو تنفي فرقة، أو تهديء ثائرة، أو تثير حرباً يقوم لها الناس ويقعدون)(٥).

---

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، على محفوظ ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٤) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٢٤.

(٥) خطب مختارة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ص ٨.

(وقد تميزت الخطابة النبوية بآداب عظيمة، وأحكام جليلة، جعلتها تلامس القلوب وتقنع العقول: منها أنه ﷺ لم يلق قولاً بلا تدبر فيه، بل كان دائم الفكر، واسع التدبير، ولذلك لامس بخطبه عقول الناس وعواطفهم. وكثيراً ما روى صحابته رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا استمعوا خطبة من رسولهم ﷺ ذرفت الدموع وخشعت القلوب، ولانت الجوارح. وما كان ذلك إلا لما فيها من دقة شاملة لألفاظها ومعانيها وموضوعها، وبالجملة فلقد كان ﷺ يعد خطبه ويهيئها، ولذلك جاء قدرها الممتاز، وقد كان من جملة الآداب التي بينها النبي ﷺ في خطبه، أنه كان صادق الإخلاص لخطبته، (ولذلك كانت تحْمَرُّ عَيْنَاهُ، ويعلو صَوْتُهُ، كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ)[١]، وكان ﷺ يتمسك بأخلاقه العظيمة في أثناء خطبته، فلا يعيب ولا يشتم، ولا يجابه فرداً بأمر خاص، وإذا أراد مخاطبة فرد بأمر خاص يقول: ((مَا بَالَ أقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا؟))[٢]، وكان ﷺ يفخم لفظه، ويملأ به فمه ويخرج كل حرف من مخرجه، وبذلك ساعده النطق الصحيح على الإرشاد السليم، وهكذا جمع النبي ﷺ مزايا الخطيب الممتاز، مما جعل خطبته ذات أثر واضح في تبليغ الدعوة)[٣].

ثالثاً- من فقه الداعية: طول الصلاة وقصر الخطبة:

إن من العلامات الدالّة على فقه الداعية طول صلاته، وقصر خطبته، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه)، قال النووي: (والمراد بالحديث الذي نحن فيه أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة إلى الخطبة، لا تطويلاً يشق على المأمومين، وهي حنيئذ قصد أي معتدلة والخطبة قصد بالنسبة إلى وضعها)[٤].

---

(١) اخرجه مسلم ٨٦٧.

(٢) اخرجه البخاري ٦١٠١، ٧٣٠١.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها" د. احمد غلوش ص ٤٢٠ - ٤٢٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٨.

وليس أدلّ على ذلك من قول جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه قال: ((كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْداً. وَخُطْبَتُهُ قَصْداً))[١]، قال النووي: (أي: بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق)[٢].

وعن الحَكَمِ بن حَزْنٍ الكُلَفِيّ رضي الله عنه قال: وَفَدْتُ إِلَى رسولِ الله ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: يارسولَ الله زُرْنَاكَ فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ. فأَمَرَ بِنَا، أَوْ أَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ، وَالشَّأْنُ إِذْ ذَاكَ دُونٌ، فأَقَمْنَا بِهَا أَيَّاماً شَهِدْنَا فيها الْجُمُعَةَ مع رسولِ الله ﷺ فَقَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَصاً أَوْ قَوْسٍ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ... إلخ))[٣]، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: ((أَمَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ بِإِقْصَارِ الْخُطَبِ))[٤].

قال صاحب عون المعبود: (إنما إقصار الخطبة علامة من فقه الرجل، لأن الفقيه هو المطلع على جوامع الألفاظ، فيتمكن بذلك من التعبير باللفظ المختصر عن المعاني الكثيرة)[٥]، وعن جابر بن سمرة السوائي رضي الله عنه قال: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ))[٦]، وفي الحديث أن الوعظ في الخطبة مشروع وأن إقصار الخطبة أولى من إطالتها[٧].

(هذا وإن كان ظاهراً في خطبة الجمعة، فهو عام ايضاً حتى في الخطب العارضة، فلا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، وكلما قصرت كان أحسن لوجهين: الوجه الأول: ألا يمل الناس، والوجه الثاني: أن يستوعبوا ما قال، لأن الكلام إذا طال ضيع

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٥.

(٣) أخرجه أبو داود ١٠٩٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١١٠٦، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٩٧٨.

(٥) عون المعبود محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٥٣٢.

(٦) أخرجه أبو داود ١١٠٧، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٩٧٩.

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٣٢.

بعضه بعضاً، فإذا كان قصيراً مهضوماً مستوعباً انتفع الناس به، وكذلك لا يلحقهم الملل)[١].

وما يؤكد ذلك قول عائشة رضي الله عنها لابن أبي السائب قاصّ أهل المدينة: (ثلاثاً، لتُتابعَنّي عليهنّ أَوْ لأناجزنَّكَ، قال: وما هنَّ؟ بل أُتابعُكِ أنا يا أُمَّ المؤمنينَ، قالَتْ: اجتنِبِ السَّجْعَ في الدعاءِ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وأَصحابَهُ كانوا لا يفعلونَ ذلِكَ، وقُصَّ على النّاسِ في كلِّ جمعةٍ مرةً، فإنْ أَبيتَ فثنتينِ، فإنْ أَبيتَ فثلاثٌ، ولا تُحلِّنَّ النّاسَ هذا الكتابَ، ولا أُلفينَّكَ تأتي القومَ وهُمْ في حديثِهِم فتقطَعَ عليهِمْ حديثَهُمْ، ولكِنْ اتركْهُمْ فإذا حَدَّوْكَ عليهِ وأَمروكَ بِهِ فحَدِّثْهم)[٢].

(فعلى الداعية أن يتفقه إلى مراعاة الناس في خطبته أو موعظته، بعدم الإطالة عليهم حتى لا ينفروا ويملوا، لكن بعض الأساليب العصرية التي طرأت حديثاً ولم تكن معروفة من ذي قبل، فيحتاج الداعية فيها إلى التطويل أو التفصيل في ذكر بعض القضايا، والإكثار من الشواهد، وتكرار الأفكار كما يحدث في المحاضرات العامة التي يدعى لها أصحاب الفكر، والمعلّمون، فلا بأس في ذلك لتعارف الناس على طولها، ولكن ينبغي مع ذلك محاولة جذب أنظار المستمعين، وإذهاب الملل عليهم بين فترة وأخرى ببعض المداخلات الأدبية والظريفة)[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠٠٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٧/٦ رقم ٢٥٨٢٠، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٩/٤٣.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر ص ٦١٢ - ٦١٤.

الحديث رقم (٧٠١)

٧٠١- وعن مُعاوِيَة بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أنَا أُصَلّي مَعَ رسول الله ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأنُكُمْ تَنْظُرُونَ إلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلّى رسول الله ﷺ، فَبِأبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلاَ ضَرَبَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((**إنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرْآنِ**))، أوْ كَمَا قَالَ رسول الله ﷺ. قلتُ: يَا رسول الله، إنّي حَديثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بالإسْلاَمِ، وَإنَّ مِنّا رِجَالاً يَأتُونَ الْكُهّانَ؟ قَالَ: ((**فَلاَ تَأتِهِمْ**)) قُلْتُ: وَمِنّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: ((**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ**)) رواه مسلم[1].

"الثُّكْلُ" بضم الثاء المثلثة: المصيبة الفجيعة. "ما كَهَرَنِي" أي: ما نهرني.

ترجمة الراوي:

معاوية بن الحكم السُّلمي: هو معاوية بن الحكم السُّلَمي الحجازي، صحابي مشهور كان يسكن بني سُليم وينزل المدينة.

كان رجلاً رجّاعاً إلى الحق، مكفراً عما قد يكون فعله من خطأ، كانت له جارية ترعى غنماً له، فأكل الذئب شاة منها، فغضب لذلك فضربها. وأتى النبي ﷺ فعظّم له ذلك الفعل، فقال للرسول ﷺ بعد أن أحس بذنبه: أفلا أعتقها؟ فقال له النبي ﷺ: "ائتني بها". فأتاه بها. فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله ﷺ فقال له: "أعتقها فإنها مؤمنة"[2].

وكان مشاركاً في الشعر يقول الشعر الجميل؛ كان أخوه على بن الحكم على

---

(١) برقم (٥٣٧/٣٣).

(٢) انظر: الحديث في صحيح مسلم (٥٣٧).

فرسٍ له فأنزلها خندقاً، فأصاب رجله جدار الخندق فدقَّها. فأتى النبي ﷺ، فمسحها وقال: بسم الله. فما آذاه منها شيء. وفي رواية: فما نزل عنها حتى برأ.

فاستجاش هذا الموقف عواطف معاوية ومشاعره، فقال في ذلك:

وأنزلها عليَّ فَهْوَ يَهْوي هُويَّ الدلو مشرعة بحبل
فَعَصب رجلَه فَسَما عليها سموَّ الصقر صادف يوم ظِلٍّ
فقال محمدٌ صلّى عليه مليكُ الناس قولاً غير فعل
لَعاً لك فاستمرّ بها سوياً وكانت بعد ذاك أصحَّ رجل[1]

له حديث واحد في صحيح مسلم طويل، وبعضهم يقطعه فيجعله أحاديث وهو الحديث المشروح[2].

غريب الألفاظ:

واثكل أمياه: الثكل: المصيبة والفجيعة، أمياه: أمي[3].

يصمتونني: يسكتونني[4].

فبأبي هو وأمي: فرسول الله ﷺ مفدى، أو أفديه بأبي وأمي[5].

---

(١) أخرج هذا الحديث البغوي والطبراني وابن السكن وابن منده وبعضهم ليس عنده الشعر وقال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٣٨: في الإسناد صفار بن حميد لا يعرف.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٩٩/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٨، ٩٣٨ ترجمة أخيه علي، والثقات لابن حبان (٢٧٣/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٠٦/٤).

(٣) رياض الصالحين ٣٠١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص م ت).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٧٣.

ما كهرني: ما نَهَرَني[١].

الكهان: جمع كاهن، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار[٢].

يتطيرون: يتشاءمون بالشيء[٣].

يَصُدُّنَّهم: يصرفنَّهم ويمنعنَّهم[٤].

الشرح الأدبي

الصلاة صلة بين العبد، وربه، ولا ينبغي أن يقطعها شيء مهما كان لذلك نجد الرسول ﷺ شديد الحرص على أن تؤدي في كامل هيئتها حتى تحقق كامل غرضها - نجد صدى ذلك في بناء عبارته المؤكدة بأكثر من مؤكد مع أنه - وحاشاه - لم يواجه بإنكار، ولا شك، ولكنه أكّدها تعظيماً لها فقد بدأها بحرف التوكيد المشعر بالتعظيم لما بعده ثم صعَّد هذا التعظيم باسم الإشارة (هذه) المؤذن بدرجة من القرب الروحي لصلاة حاضرة يلق فيها المؤمن ربَّه مع إفادة الإشارة للتقرير، واستحضار المسند إليه، وجعله ملأ السمع، والبصر قبل أن يقرر الحكم المميز لها وهو أنها (لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) وفي ذكر كلام الناس إيماء إلى أن المصلي منقطع مع الحوار الإلهي بين القرآن، والدعاء؛ ولذلك نجد العبارة التالية تقرر ذلك بأسلوب القصر (إنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن) الذي يقصر الصلاة على تلك الأمور، وينفي أي شيء غيرها، ثم إن استخدام الرسول لـ (إنما) طريقاً للقصر فيه إشارة إلى أن هذا من المعلوم الذي لا يجهل، أو لا ينبغي أن يجهله أحد، وهو توكيد

---

(١) رياض الصالحين ٣٠١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك هـ ن).

(٣) المرجع السابق في (ط ي ر).

(٤) المرجع السابق في (ص د د).

معنوي للجملة الأولى، وهو سر فصلها عنها لكمال الاتصال، أضف إلى ذلك تنكيره لكلمة (شيء) والتي تفيد شمول القليل، والكثير من كلام الناس بحكم عدم صلاحيته في أثناء الصلاة، وتبقيها قاصرة بين العبد، وربه حالة إيمانية في حضرة إلهية لا يقطعها قاطع.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الكلام في الصلاة: أجمع أهل العلم على أن من تكلم في صلاته عامداً، وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها، أن صلاته فاسدة[1].

واختلفوا في كلام الساهي والجاهل: فذهب الحنفية إلى بطلان الصلاة بالكلام، سواء أكان المصلي ناسياً أم نائماً أم جاهلاً، أم مُخطئاً أم مكرهاً؛ فتبطل الصلاة بكلام هؤلاء جميعاً، دون فرق.

وذهب المالكية إلى أن الكلام مبطل للصلاة؛ سواء أصدر من المصلي بالاختيار، أم بالإكراه، حتى لو وجب عليه، كإنقاذ أعمى، واستثنوا من ذلك الكلام لإصلاح الصلاة فلا تبطل به إلا إذا كان كثيراً، أو كان سهواً، فإن كان كثيراً فإنه تبطل به الصلاة أيضاً.

وذهب الشافعية إلى عدم بطلان الصلاة بكلام الناسي، والجاهل بالتحريم إن قرب عهده بالإسلام، أو نشأ بعيداً عن العلماء، ومن سبق لسانه، إن كان الكلام يسيراً عرفاً، فيعذر به، ومرجع القليل والكثير إلى العرف على الأصح. وأما المكره على الكلام فإنه تبطل صلاته على الأظهر، ولو كان كلامه يسيراً، ومقابل الأظهر لاتبطل كالناسي. وأما إن كان كلامه كثيراً فتبطل به جزماً.

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٨، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٤٠، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٢/٦٧٣.

وذهب الحنابلة إلى بطلان الصلاة بكلام الساهي والمكره، وبالكلام لمصلحة الصلاة، والكلام لتحذير نحو ضرير، ولا تبطل عندهم بكلام النائم إذا كان النوم يسيراً، فإذا نام المصلي قائماً أو جالساً، فتكلم فلا تبطل صلاته، وكذا إذا سبق الكلام على لسانه حال القراءة فلا تبطل صلاته؛ لأنه مغلوب عليه فأشبه ما لو غلط في القراءة فأتى بكلمة من غيره[1].

٢-حكم تشميت العاطس في الصلاة: من كان في الصلاة وسمع عاطساً حمد الله عقب عطاسه فشمته بطلت صلاته، عند الحنفية، والمالكية، والحنابلة، والمشهور عند الشافعية؛ لأن تشميته له بقوله: يرحمك الله يجري في مخاطبات الناس، فكان من كلامهم الذي لا تصلح معه الصلاة، وقال أبو يوسف: لا تبطل صلاته؛ لأنه دعاء بالمغفرة والرحمة، فإن فعل ذلك جاهلاً لم تبطل صلاته[2].

٣-حكم الكهانة: وقد سبق بيانه في الحديث رقم (٥٩٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة.

ثانياً: من صفات الداعية: الرفق واللين.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: النهي عن إتيان الكهان والتطير.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٥/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٦٧/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٥/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٠/٢ وما بعدها.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني ٢٣٨/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٩٨/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٧/١، والشرح الكبير ٥٨٧/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة:

الصلاة عماد الدين، وطريق المتقين، والفارق بين الكفار والمسلمين، وبها تكون الصلة بين العبد وربه الكريم، وقد ورد ذكرها في الحديث من قول الراوي: (بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ... إلخ).

وللصلاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي آكد الفروض بعد الشهادتين وأفضلها، وأحد أركان الإسلام، وحارسة الإيمان.

(وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1]، وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[2]، وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾[3]، وقال وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[4]، وقال وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[5]، وقال عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[6].

وهي فريضة دائمة مطلقة على عبد وحر، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة،

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٣) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٢.

والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال، وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(١)، وقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(٢)-(٣).

والصلاة وجبات روحية، وحقن صحية، عيّن أعدادها، وأوقاتها العليم الحكيم فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(٤)، وأشار إلى أوقاتها في القرآن ولها ركعات معدودة تؤدى بها هذه الصلوات الخمس دائماً، وقد داوم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته، حتى في الحروب، وتواترت أخبارها تواتراً لا يُعرف لأي عمل أو عبادة في ملة من الملل، وفي دور من أدوار التاريخ، وتوارثتها الأمة جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة من غير فترة يوم واحد، حتى في أدق ساعاتها وأعظم محنها وأزمانها، وهذه

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٢٦.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

الصلوات الخمس بأوقاتها وركعاتها، وجبات روحية... شرّعها الخلاق العظيم المبدع الحكيم، الذي ليس طبيب النفوس فحسب، بل هو خالقها العليم وصانعها الحكيم كذلك، فلا بد من الإيمان والخضوع لحكمتها وتشريعها، ولا بد من التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ...، وفي تكرّر هذه الصلوات وتعاقبها في يوم وليلة حكمة بالغة، وتغذية صالحة كاملة للنفوس، ووقاية لها عن الغفلة عن الله، واستحواذ المادية على القلب والروح(١). وقد كان للناس في الصلاة أحوال بينها ابن القيم في قوله: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

الأولى: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانية: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالثة: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابعة: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، فقد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامسة: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

---

(١) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٢٤ - ٢٥.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه؛ لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)[(١)].

(وقد هيأ الله بتشريعه الحكيم للصلاة جواً من الإجلال والتعظيم، ومن الخشوع والرقة، ومن الجد والرزانة، ومن الوقار والسكينة، ومن التعاون والاجتماع، ما يجعل للصلاة أداة لتقوية حس النظام والتنظيم من أجل إظهار قوة الإيمان عند المسلمين، فالمقصود في الإسلام ليس الفرد وحده فحسب، بل وحدة الأمة وقوتها، فالفرد يعيش داخل هذه الأمة ليؤدي دوره فيها، ولكن إذا لم يكن الفرد قوياً بذاته ومنظماً ومتلائماً مع محيطه، لا يمكن أن يضيف قوته إلى قوة المجموع. بل سوف يعارضها، ومن هنا تظهر أهمية الصلاة وآثارها من الناحية الاجتماعية)[(٢)].

ثانياً- من صفات الداعية: الرفق واللين:

إن من دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، أن يتصف الداعية ويتحلى بخلق الرفق واللين، فبه تؤلف القلوب ويثمر إصلاح النفوس، ويقصد به "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف"[(٣)]، وهذا ما ورد في الحديث من قول معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: (... فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)، قال النووي: (وفي الحديث بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه)[(٤)].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢٧٦/٢ - ٢٧٧، مجموعة الحديث.

(٢) انظر: الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٤/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠٩.

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نصوص كثيرة تبين ضرورة اتصاف الداعية بالرفق واللين. فقد أمر الله تعالى نبييه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام بإلانة القول مع عدوه فرعون أثناء دعوتهما له، فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، قال القرطبي: (القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه، يقال: لان الشيء يلين ليناً...، فإذا كان موسى عليه السلام أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه. وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2])[3].

(فالرفق يصلح النفوس، ويؤثر فيها تأثيراً لطيفاً حسناً، ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية، بخلاف معاملتها بالعنف، فإنه يولد لديها صلابة التحدي والنفور من صاحبها، ولو عظم شأنه وكثرت فضائله)[4].

وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[5].

قال القاسمي: (في قوله تعالى: "ولو كنت فظاً" أي: سيء الخلق خشن الكلام "غليظ القلب" أي: قاسيه وشديده. تعاملهم بالعنف والجفاف "لانفضوا" أي: تفرقوا "من حولك" فلم يسكنوا إليك فلا تتم دعوتك. ولكن الله جعلك سهلاً سمحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رؤوفاً رحيماً...، وقال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٥/١٤.

(٤) انظر: أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ٨٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الأخلاق، وخصوصاً لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف)[(١)].

(فعلى الداعية أن يقف طويلاً عند هذه الآية الكريمة، إذا كانت خشونة الكلام وغلظة القلوب، مما يجعل الناس يفرّون وينفرون من أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى وحبيب رب العالمين ﷺ - إن وجدنا فيه - فكيف بمن عداه إذا كان فظاً غليظ القلب؟)[(٢)].

وقد تجلّت الدعوة بالرفق واللين في سنة النبي ﷺ وهو القدوة الحسنة حتى يتخذ الدعاة إلى الله في ذلك منهجاً وطريقاً، وليس أدل على ذلك من رفقه ﷺ بالأعرابي الذي بال في المسجد، وذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه في قوله: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[(٣)].

"فعلى الداعية أن يتصف باللين والرفق في دعوته، وأن تكون خالية من العنف، والخشونة، والقسوة، والشدة، والجفاء"[(٤)].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

يعد التعليم من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية، لما فيه من تمكن الداعية من المدعو وسيطرته عليه، بما يتيح للداعية الفرصة ببث روح الإسلام وأفكاره وتعاليمه وحدوده في المتعلم[(٥)]، وهذا ما ورد في الحديث من تعليم النبي ﷺ لمعاوية بن الحكم

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٦/٤/٢ - ٢٧٩.

(٢) انظر: من صفات الداعية "اللين والرفق"، د. فضل إلهي ص ١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٤) من صفات الداعية الين والرفق، د. فضل إلهي ص ٩.

(٥) وسائل الدعوة "مفهومها مشروعيتها، انواعها"، د. حمد ناصر العمار، بحث منشور ضمن مجلة دراسات إسلامية" وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ص ٤٤.

السلمي رضي الله عنه ما يجوز وما لا يجوز فعله في الصلاة وذلك من قوله رضي الله عنه : "... ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه... إلخ".

وعلى الداعية الناجح ألا يكتفي ببث تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه فحسب، بل لا بد أن يحمل من يعلمه على التمسك بهذه المبادئ الحية، وأن يصوغ سلوكه على نحوها حتى يتربى تربية إسلامية، فيتعلم ويعمل في نفس الوقت، كما فعل المربي والداعية الأول عليه أفضل الصلاة والتسليم مع أصحابه رضي الله عنهم فكانوا مصابيح يستنار بنورهم ومعلمين يسمع لقولهم، وهداة يقتفى أثرهم.

وهذه الطريقة من أهم المبادئ التي يجب على الداعية المعلم أن يحتذيها، وأن يحاول أن يربط كل من يعلمه من تلاميذه أو سامعيه بشؤون الحياة التي يعيشها لكي يرى آثار ما علمه في الناس مباشرة أو بعد حين، حتى يكون التعليم نافعاً وأقوى رسوخاً في الأذهان، لأن التعليم والتعلم وسيلة وليس غاية، وإنما غاية التعليم هي الآثار الناتجة في المتعلم، وتأثيرها على سلوكه وأعماله.

فالمعلم النابه هو الذي لا يعتمد قياسه الآثار التعليمية في المتعلم، كالحفظ وقوة الذاكرة فقط، بل يجب أن ينظر إلى الآثار السلوكية، ومدى تطبيقه لما علمه، لأن الحفظ وقوة الذاكرة لا ينفعان بدون الآثار السلوكية، التي تطرأ عليه بعد معرفته الحقيقة واقتناعه بها، وإن كان الحفظ وقوة الذاكرة من الأهمية الكبرى في العمل، فإن العمل يحتاج إلى علم يرشده إلى ما فيه الخير، الموافق لما رسمته الشريعة والمرضي لله تبارك وتعالى في جميع العبادات، كما أن المؤمن مطالب بالدعوة، وهي كذلك تحتاج إلى علم[1].

وقد كان من أهم الركائز الأساسية في التعليم كوسيلة دعوية، أن يبنى على الرفق واللين بالجاهل، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول معاوية بن الحكم رضي الله عنه : ((مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ

(١) المرجع السابق ٤٤ - ٤٥.

ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي... إلخ)). قال ابن عثيمين: (ومن فوائد الحديث، حسن تعليم النبي ﷺ، وأنه يعلم بالرفق واللين، وهذا هديه ﷺ وهو أسوة أمته، فالذي ينبغي للإنسان، أن ينزل الناس منازلهم، فالمعاند المكابر يخاطب بخطاب يليق به، والجاهل الملتمس للعلم يخاطب بخطاب يليق به)[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن عباد بن شرحبيل (رجل من بني غبر) رضي الله عنه قال: أَصَابَنَا عَامُ مَخْمَصَةٍ. فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ . فَأَتَيْتُ حَائِطاً مِنْ حِيطَانِهَا. فَأَخَذْتُ سُنْبُلاً فَفَرَكْتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي. فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ. فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ: ((مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً أَوْ سَاغِباً. وَلاَ عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً)) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس... إلخ"، والتوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تأكيد وبيان أهمية الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين، وحيث أكد النبي ﷺ في أذهان المدعوين أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن.

خامساً- من موضوعات الدعوة: النهي عن إتيان الكهان والتطير:

قد ورد في الحديث النهي عن ذلك من قول معاوية بن الحكم رضي الله عنه: (يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم، قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم).

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٠٥/٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٢٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦١).

(والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، والعرّاف: المنجم. وقال الخطابي: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق والضالة ونحوهما)(١).

(والحاصل أن الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم: وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم، والذي يضرب الحصى، والذي يدعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعاً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر)(٢).

لقوله ﷺ ((مَنْ أَتى حَائِضاً أَوِ امْرَأَةً في دُبُرِها أَوْ كَاهِناً: فقدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ))(٣)، وقال ﷺ: ((مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً حَائِضاً، أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ))(٤).

ومن أجل ذلك (أجمع الفقهاء على أن التكهن والكهانة، بمعنى ادعاء علم الغيب والاكتساب به حرام، كما أجمعوا على أن إتيان الكاهن للسؤال عن عواقب الأمور حرام، وأن التصديق بما يقوله: كفر)(٥).

وقد بيّن ابن عابدين أن حاصله -أي التكهن والكهانة- أن دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها، إلا إذا أسند ذلك صريحاً أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي أو إلهام(٦).

ويدخل في النهي عن إتيان الكهان، النهي عن أكل ما اكتسبه بالكهانة، لأنه

---

(١) التعريفات ٢٢٣، رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٥/٦.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٥/٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٣٥، وصححه الألباني (صحيح سن الترمذي ١١٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٠٤).

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٦) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٥/٦.

سحت، جاء عن طريق غير مشروع، كأجرة البغي، فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ: ((نهى عن ثمنِ الكلبِ، ومَهْرِ البَغيّ، وحُلوانِ الكاهنِ))[1] وهو ما يأخذه على كهانته"[2].

وقال النووي: (وأما حلوان الكاهن فهو ما يعطاه على كهانته، يقال: منه حلوته حلواناً إذا أعطيته، قال الهروي وغيره: أصله من الحلاوة، شبه بالشيء الحلو من حيث أنه يأخذه سهلاً بلا كلفة ولا في مقابلة مشقة... وقد أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن، لأنه عوض عن محرم، ولأنه أكل المال بالباطل)[3].

قال صاحب عون المعبود نقلاً عن الأزهري: (وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث نبياً، وحرست السماء بالشهب، ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع، وإلقائه إلى الكهنة، بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهانة بالفرقان الذي فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل، وأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجز الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومِنَّتِه)[4].

أما التطير: هو ما يُتشاءم به من الفأل الرديء[5]، وقد كان العرب يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، فإذا طار يميناً فله حال، وإن طار يساراً فله حال، وإن اتجه أماماً فله حال...[6].

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: ((لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيرَةَ وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ)). فقالَ أعْرَابيٌّ: مَا بَالُ الإبلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم ١٥٦٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٧.

(٤) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم آبادي ص ١٦٦٨.

(٥) التعريفات، الجرجاني ص ١٨٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٠٠٦/٢.

قَالَ فَمَنْ أعْدَى الأَوَّلَ"[1]، وقال ﷺ: ((الطِّيَرَة شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلاَثاً وَمَا مِنَّا إلاَّ وَلَكِنَّ اللَّه يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ))[2].

(وقوله ﷺ: (الطيرة شرك) أي: لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركاً خفياً ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال، فقد أشرك شركاً جليا. قال القاضي: إنما سماها شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثراً في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد (ثلاثا) مبالغة في الزجر عنها (وما منا) أي أحد (إلا) أي إلا من يخطر له من جهة الطيرة شيء ما لتعوّد النفوس بها، فحذف المستثنى كراهة أن يتلفظ به. قال التوربشتي: أي إلا من يعرض له الوهم من قبل الطيرة، وكره أن يتم كلامه ذلك، لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من أدب الكلام، يكتفي دون المكروه منه بالإشارة، فلا يضرب لنفسه مثل السوء.

قال الخطابي: معناه إلا من قد يعتريه الطيرة، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع ...، وقوله ﷺ: (ولكن الله يذهبه) من الإذهاب (بالتوكل) أي: بسبب الاعتماد عليه، والاستناد إليه سبحانه. وحاصله أن الخطرة ليس بها عبرة، فإن وقعت غفلة لا بد من رجعة. والله أعلم)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٠٧، ومسلم ٢٢٢٠.

(٢) اخرجه أبو داود ٣٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٣٣٠٩).

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم آبادي ص ١٦٧٢.

الحديث رقم (٧٠٢)

٧٠٢- وعن العِرْبَاض بن سارِيَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ في باب الأمْر بالمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّة، وَذَكَرْنَا أنَّ التِّرْمِذِيَّ[1]، قَالَ: ((إنّه حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

العرباض بن سارية: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٧).

غريب الألفاظ:

وجلت: فزعت[2].

وذرفت: دمعت[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام في قوله (قام فينا) يوحي بأهمية الأمر، ويؤكده ضمير الجمع المتصل بحرف الجر (فينا) ووصف الموعظة بأنها بليغة فيه إشارة إلى خصوصية في هذه الموعظة أربَت على غيرها؛ لأن مواعظ الرسول ﷺ كلها بليغة كما أنه يشير إلى عمق تأثيرها في النفوس يدل على ذلك تعبيره بقوله: (وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون) الذي يدل على الأثر الباطني، والأثر الظاهري، وتقديم القلوب على العيون؛ لأنه مترتب عليه ترتب الأثر على المؤثر، والتعبير بالجمع في (القلوب، والعيون) فيه دلالة على

---

(١) تقدم برقم (١٥٧). أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥)، وقال الحاكم (٩٥/١): هذا حديث صحيحٌ ليس له علة. وقال الحافظ ابن كثير في تحفة الطالب (٤٦): وصحّحه أيضًا أبو نعيم الإصبهاني، وقال شيخ الإسلام الأنصاري في ذم الكلام (١٢٢/٣): هذا من أجود حديث في أهل الشام وأحسنه. ونقل أيضًا عن أبي العباس الداغولي أنه قال: حديث العرباض هذا صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٥٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ج ل).

(٣) اللسان والوسيط في (ذ ر ف).

عمق الموعظة، وعموم تأثيرها على جموع المخاطبين.

وقولهم (كأنها موعظة مودع) يكشف سر الخصوصية في هذه الموعظة؛ لأن وصية المودع يكون فيها من المعاني والعواطف ما لا يكون في غيرها.

ولذلك جعل فيها الرسول ﷺ جماع الخير في الآخرة في قوله: (أوصيكم بتقوى الله) وجماع الخير في الدنيا بطاعة أولي الأمر في غير معصية، وترك الاختلاف، والتمسك بسنته، وسنة خلفائه، وقد ورد تعبيره في قمة الوفاء بالمعنى (عضوا عليها بالنواجذ) وهو كناية عن شدة التمسك بهديه، ولزوم سنته مهما كلّف ذلك.

ثم جاء أسلوب التحذير من المخالفة، والابتداع (وإياكم ومحدثات الأمور...) ليؤكد الأمر السابق بلزوم السنة، وإخباره ﷺ بما سيقع من الخلاف من أعلام نبوته، ولسان حال الزمان يقول صدق رسول الله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٧) بكماله.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قدرات المستمعين العقلية في التركيز متفاوتة، ومثل ذلك الظروف الصحية، ولهذا كان الأمر بقصر الخطبة مع تجويدها وتحسينها وإطالة الصلاة، لأن قليل الكلام الجامع خير من كثيره المرسل، الخالي من الفكرة والمضمون.

كما أن التعليم لا يقوم على التلقين فقط، بل على الاستفهام وإجابة السؤال، حتى لا يكون الكبت الذي يولد الانفجار، أو يشوش على المعلومة، وحتى لا يساء الظن بالمعلم. ورفق المعلم ورأفته بالمتعلم من دواعي استيعابه وتجيبه في العلم والشدة والغلظة من دواعي كره المعلم والنفرة منه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتخول بالموعظة:

من الأساليب التربوية الناجعة التخول بالموعظة، وذلك حتى لا يمل المتربي من النصح والوعظ والتوجيه، وقد أورد النووي تحت هذا الباب -باب الوعظ والاقتصاد فيه- جملة أحاديث تبرز التخول بالموعظة. ومن ذلك حديث أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: «كان ابن مسعود ﷺ يُذكِّرنا في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكَّرتنا كلَّ يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا»، وحديث أبي اليقظان عمار بن ياسر ﷺ: «إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ. فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَأَقْصُرُوا الْخُطْبَةَ». وكذلك أيضًا حديث العرياض بن سارية ﷺ قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون...".

"والتخول بالموعظة أسلوب من أساليب التربية التي ربى بها النبي ﷺ أصحابه والمراد بالتخول كما قال الخطابي: إنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل فينذرهم أيامًا ويتركهم أيامًا، والموعظة ليست مطلوبة لذاتها، إنما لما يحصل بها من تأثير على النفوس، وتغيير في السلوك، واستقامة على

الطريق الصحيح، واستجابة لما يريد المربي لأنها تملك مشاعر المتدربين، وتليين القلوب القاسية، بقوة تأثيرها للاستجابة إلى الحق والموعظة بالتخول الأَوْلَى فيها مراعاة الوقت وعدم الإكثار حتى يكون ذلك مدعاة لاستعداد النفس للتقبل"[١].

ومن خلال الموعظة الحسنة يستطيع المربي أن يوجه المتربي بأدب ولطف "وهذا الأسلوب من أساليب التربية قوي التأثير في النفوس لأنه يدل على احترام الواعظ لمن يخاطبه فيجذبه ذلك إليه أكثر، ويجعله أكثر ميلاً لتصديقه واتباعه، وفي المواعظ القرآنية نلحظ أسلوبًا تربويًا رائعًا ينبغي أن يتمثله المربي والمتعلم؛ فالمعلم يجب أن يتفهم المتعلمين، وأن يقف على ظروفهم وتفكيرهم، وأن يعاملهم بالحسنى، بدلاً من العنف والسب الذي يتسبب في نفور المتعلم من التعلم، وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة... بعد أن نادى به الإسلام منذ ظهوره، فهذا الأسلوب من شأنه تكوين وتنشئة وإعداد المسلم العابد الصالح بحيث يكون سلوكه صائبًا في عقيدته وعقله وعمله، وهذا هو الهدف من القرآن الكريم"[٢].

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية الفعّالة التربية بالمواقف والأحداث، حيث يقوم المربي باستغلال الموقف أو الحدث في تنمية وغرس قيمة معينة أو التوجيه والإرشاد لأمر معين، ومن أحاديث الباب التي تشير إلى التربية بالمواقف والأحداث حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ ... قَالَ ﷺ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ...».

ففي الحديث بيَّن النبي ﷺ من خلال الموقف والحدث أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٢) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد عطية ص ٢٢-٢٤.

"والتربية بالأحداث من طرق التربية الفعّالة أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين. وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب"(١).

ثالثًا- من آداب المعلم: الرفق بالمتعلم:

إن من الصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم الرفق بالمتعلم، وذلك حتى يتقبل النصح والتوجيه والإرشاد، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على هذا المعنى حديث معاوية بن الحكم السلمي ﵁ وجاء فيه: «... فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ ...».

ففي الحديث يظهر كيف تعامل النبي ﷺ برفق ولين مع الصحابي الجليّل، وكيف وجهه وأرشده إلى الصواب بدون تعنيف، ولا تأنيب ولا زجر.

قال الماوردي: "ومن آداب المعلمين أن لا يعنفوا متعلمًا، ولا يحقروا ناشئًا ولا يستصغروا مبتدئًا، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم، ومن آدابهم ألا يمنعوا طالبًا، ولا ينفروا راغبًا، ولا يُؤْيِسُوا متعلمًا، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستمرارٍ مُفْضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم، ومن آدابهم نصح مَنْ علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفْدهم ومعونتهم فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لمعلومهم"(٢).

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٣٣٦، ٤٤٧.

(٢) ادب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٩٣.

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب أساليب تربوية يستفاد منها في التعليم والتربية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكّرنا في كلّ خميس ..." الحديث، وكذلك في حديث معاوية ابن الحكم السُّلمي رضي الله عنه.

والحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة التي تنادي بها الاتجاهات المختلفة في التربية الحديثة، فإنها تتيح فرصة طيبة ليعبر المتعلم عن نفسه وعن أفكاره وآرائه في جوّ مشجع، فينتقل إلى الإسهام بدور إيجابي ويشعر بفائدة ما يتعلمه وما يتربى عليه.

ب-الموعظة: كما في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلَتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون..." الحديث. وتستخدم الموعظة في الكثير من الجوانب الحياتية المختلفة، فالآباء -على سبيل المثال- يستخدمونها في الكثير من الأمور التي يريدون تعليمها لأبنائهم، وتعد الموعظة من الأساليب التربوية التي تتميز بشدة بقاء أثر التعلم، فهي تكون نصب عين من وجهت إليه.

خامساً- التربية على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا واضح من قول ابن مسعود رضي الله عنه "أما إنه ما يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم وإني أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا".

فقد بين ابن مسعود رضي الله عنه أنه يسير على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والوعظ، وأنه يلتزم به ويقتدي به صلى الله عليه وسلم، لأنه الأسوة والقدوة لكل مسلم، وعلى ذلك ينبغي أن يربى كل فرد مسلم، وأن يستحضر دائمًا وأبدًا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].



(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات